
مـركز تحقيـق التراث

مركز تحقيق التراث

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة

ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة

تأليف

على باشا مبارك

الجزء السادس

المدارس والزوايا والمساجد والخانقاوات والأسبلة والكنائس مرتبة على حروف المعجم

الطبعة الثانية

عن طبعة بولاق سنة ١٣٠٥ هـ



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

إعداد
متولي خليل عوض الله
باحث أول
مركز تحقيق التراث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فهرست

الجزء السادس

من الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة

(المدارس)

فهرست الجزء السادس

فهرست الجزء السادس

فهرست الجزء السادس

(الزوايا)

فهرست الجزء السادس

فهرست الجزء السادس

فهرست الجزء السادس

فهرست الجزء السادس

فهرست الجزء السادس

(الحمامات)

فهرست الجزء السادس

(الكنائس)

فهرست الجزء السادس

* * * * * *
* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المدارس

مدرسة ابن حجر

هى بخط باب الشعرية تجاه حارة الاقباعية ، على يسرة الخارج من باب القنطرة إلى باب البحر . أنشئت فى أول القرن التاسع تقريباً ، وتعرف اليوم بزاوية ابن حجر العسقلانى وذكرناها فى الزّوايا .

مدرسة ابن عرّام

قال المقريزى : هذه المدرسة بجوار جامع الأمير حسين بحكر جوهر النوبى من بر الخليج الغربى خارج القاهرة . أنشأها الأمير صلاح الدين خليل بن عرام وكان من فضلاء الناس تولى نيابة الإسكندرية وكتب تاريخاً وشارك فى علوم ؛ فلما قتل الأمير بركة بسجن الاسكندرية ثارت مماليكه على الأمير الكبير برقوق فأنكر الأمير برقوق قتله ، وبعث الأمير يونس النَّورُوزى دواداره لكشف ذلك فنبش عنه قبره ، فإذا فيه ضربات عدّة إحداهُنَّ فى رأسه فاتهم ابن عرام بقتله من غير إذن له فى ذلك فأخرج بركة من قبره وكان بثيابه من غير غسل وغُسِّل وكُفِّن ، وأحضر ابن عرّام معه فَسُجِنَ بخزانة شمائل داخل باب زُويلة من القاهرة ، ثم عصر وأخرج سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة من خزانة شمائل وأمر به فَسُمِّرَ عُرياناً بعد ما ضرب عند باب القلّة بالمقارع فلما أُنزل من القلعة وهو مُسمّر على الجمل أنشد :

لك قلبى تحله فدمى لم تحله
لك من قلبى المكا ن فَلِم لا تحِلَّه
قال إن كنت مالكاً فلى الأمر كله

وما هو إلا أن وقف بسوق الخيل تحت القلعة ، وإذا بمماليك بركة قد أكبّت عليه تضربه بسيُوفها ، حتى تقطَّعَ قِطعاً وحُزَّ رأسه وعُلِّق على باب زويلة ، وتلاعبت أيديهم فأخذوا حدَّ أذنه ، وأخذوا حدَّ رجله ، واشترى آخر قطعة من لحمه ولاكها ثم جمع ما وجد منه ودفن بمدرسته هذه وفى ذلك يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطّار :

بـدت أجـزاء عـزّام خـلـيـل مـقـطّـعـة من الضّربِ الثقيل
وأبـدت أبحر الشـعـر المراثـى محرّرة بـتـقـطـيـع الخليـل

انتـهى

وهى الآن بين قنطرة الأمير حسين وحارة الأنصارى بقرب حمام القزازية وقد زالت هذه المدرسة الآن وبقى من آثارها الباب والسّاقية وقبر منشئها تسميه العامة بالشيخ الأربعين ووضع يده عليها الشيخ محمد المهدى الكبير وتصرف فيها تصرّف الملاك وهى إلى الآن تحت يد ابن ابنه الشيخ محمد المهدى شيخ الجامع الأزهر سابقاً وقد أكراها لجماعة جعلوها زريبة ماشية وعرفت بالزّريبة .

المدرسة الأزكشية

قال المقريزى : هى على رأس السوق الذى كان يعرف بالخروقيين ، ويعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش بناها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدى مملوك أسد الدين شيركوه ، أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعلها وقفاً على فقهاء الحنفية ، وذلك فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة انتهى . ويعرف موضعها اليوم بسوق مرجوش وتعرف هى بزاوية جنبلاط . انظرها فى الزّوايا .

مدرسة إسماعيل باشا

قال فى نزهة الناظرين : إنها بجوار ديوان المرحوم قايتباى أنشأها المرحوم إسماعيل باشا

الوزير سنة سبع ومائة وألف ورتّب لها اثنى عشر طالباً من الأربعة المذاهب وآثنين من الطلبة يقرآن فى صحيح البخاى من أوّلو شهر رجب إلى آخر شهر رمضان ورتّب لهم الجوامك لكل شيخ اثنى عشر عثمانياً فى بلك الكشيدة ولكل طالب ستة عثامنة ، ومن القمح كل سنة مائة وعشرين أردباً توزع عليهم كالجامكية ، ورتب أيضاً عشرة يقرءون القرآن صبيحة كل /يوم ولكل شخص منهم خمسة عثامنة فى بلك الجوالى ولرئيسهم عشرة عثامنة كل يوم ومن القمح خمسين أردباً كل سنة ، ولما أتم بناءها صنَّفَ لها سيدى يوسف الشهير بآبن الوكيل تاريخاً وهو هذا .

٣

ومدرسة أضحت بجسرة بنائها	تتيه على كل المدارس فى العصر
فما للنظاميات حسن نظامها	بناء ولا للصالحيات فى مصر
بناها الوزير الأريحى أبو الندى	مبيد العدا آسماعيل بالبيض والسمر
يقال سعيد قلت فيها مؤرخاً	لك السعد عبد والهنافزت بالأجر

وكانت تولية الوزير إسماعيل باشا على مصر عقب قدومه من الشام سنة سبع ومائة وألف فرأى فيها الغلاء فأطلق النّداء بجمع الشّحاذِين وأمر بتفريقهم على الأكابر وأبقى له ولأعيان دولته ألف نفس ورتب لهم ما يكفيهم ، ثم حصل فَنَاءٌ فأمر أمين بيت ماله أن يكفِّن كل فقير أو غريب . وكان يوماً جالساً بقصر قراميدان فمرُّوا عليه بعروس إلى الحمام وكانت فقيرة فأرسل لها عشرة دنانير ذهب ، وصارت هذه عادة له إذا مرَّت عليه عروس أرسل لها من الذهب بقدر نصيبها .

ولما ختن آبنه إبراهيم بيك أطلق مناديا : مَن كان عنده ولدٌ فليأت به ، فبلغ عدّة الأولاد الذين ختنهم مع ولده ألفين وثلثمائة وستة وثلاثين غلاماً وأمر لكل غلام بكسوة من بفتة وشاش وشربوش وحزام وبابوج وقميص وشريفى ، وحلف أن لا يقبل فى هذا الفرح هدية من أحد وآشترى بمصر بيوتاً أوقفها هى وبعض البلاد على ذريته ، ورتب لخدمة وقفه مرتبات وعمل سحابة نحو خمسين جملاً تسافر إلى الحج لسقى الماء للمساكين وله محاسن كثيرة ،

وكانت مدة إقامته فى ولاية مصر سنتين وشهراً واحداً ، ثم سافر إلى الدّيار الرُّومية أنتهى باختصار .

مدرسة الأشرف شعبان

كانت برأس الرميلة تجاه القلعة أنشأها الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر بن قلاوون فى نحو سنة سبعين وسبعمائة وجعلها من محاسن الدنيا ضاهى بها مدرسة عمه السلطان حسن ، ثم هُدِم أكثرها بعده أمر بهدمها فرج بن برقوق ، ثم بنى مكانها الملك المؤيد شيخ بيمارستانا .

وكانت تولية الأشرف شعبان الملك سنة أربع وستين وسبعمائة ، وقتل فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ولما قتلوه وضعوه فى قُفَّة مخيطة ورموه فى بئر حتى ظهرت رائحته . وكان من أجلِّ الملوك سماحة وشهامة هينالينا محبا لأهل الخير والصلاح والعلماء واقفاً عند الشريعة ، وفى أيامه حدثت العلامة الخضراء للأشراف وفى ذلك قال بعض الشعراء :

جعلوا لأبناء الرسول علامة   إنّ العلامة شأن من لم يشهر
نُور النبّوة فى وسيم وجوههم   يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

انتهى من نزهة النّاظرين وقد زال البيمارستان أيضاً ومحله الآن على يسرة من يسلك من المنشية من جهة جامع المحمودية إلى المحجر ومن حقوقه حارة المارستان وما جاورها .

مدرسة الأشرفية

هى بجوار مدرسة تربة أم الصالح بقرب المشهد النفيسى ذكرها السخاوى فى تحفة الأحباب ولم يترجمها وكذا المقريزى ، ولعلها هى التى عبر عنها فى نزهة الناظرين بعنوان تربة ؛ فقال : لما قتل الملك الأشرف خليل صلاح الدين ابن الملك المنصور قلاوون فى خروجه إلى البحيرة للصيد سنة ثلاث وتسعين وستمائة ترك طريحاً ، ثم نقل إلى تربته التى أنشأها

بجوار المشهد النفيسي قرب السيدة نفيسة رضي الله عنها ، وكان شجاعاً مِقداماً بديعاً في الجمال انتهى . وقد بسطنا الكلام في قتله عند الكلام على تروجه فإنه قتل بها وهي موجودة إلى الآن وتعرف بتربة الأشرف خليل وعليها قبة شامخة .

المدرسة الآقبغاوية

هي بلصق الجامع الأزهر في حدوده . أنشأها الأمير آقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة أربعين وسبعمائة تقريباً وذكرناها في الكلام على الجامع الأزهر.

مدرسة أمّ خوند

هي بخط بين السُّورين تجاه زاوية المغازي وأبي الحمائل ولم أقف على تاريخ إنشائها ، وتعرف اليوم بزاوية خوند انظرها في الزوايا .

مدرسة أمّ السلطان

هي بخط التبانة عن يمين السالك من الدرب الأحمر إلى قلعة الجبل .أنشأتها الست بركة أم الملك الأشرف شعبان بن حسين سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ، وتعرف اليوم بجامع أم السلطان ، وتكلمنا عليها في الجوامع .

المدرسة الأيتمشية

هي برأس خط التبانة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل أنشأها الأمير سيف الدين أيتمش البجاسي بالباء الموحدة والسين المهملة سنة خمس وثمانين وسبعمائة ، وتعرف اليوم بجامع أيتمش فانظرها في الجوامع .

مدرسة اينال اليوسفي

هي خارج باب زويلة بسوق الخيمية عن يسار الذاهب إلى / الصليبة أوصى بعمارتها ـ ٤ ـ

الأمير سيف الدين اينال اليوسف فابتُدِىء بعملها سنة أربع وتسعين وسبعمائة وتمت فى سنة خمس وتسعين ، وتعرف اليوم بجامع اينال ، وبجامع الشيخ أحمد بطة باسم إمامه وناظره سابقاً الشيخ أحمد بطة الشافعى أحد مدرّسى الجامع الأزهر والمدارس الملكية ، وقد تكلمنا عليها فى الجوامع .

مدرسة الأشرف اينال

هى بالصحراء حيث القرافة الكبرى . أنشأها الملك الأشرف أبو النصر اينال العلائى الناصرى فى نحو سنة ستين وثمانمائة ، وأنشأ بجوارها تربة دفن بها بعد موته سنة خمس وستين وثمانمائة ، وقد أقام على تخت المملكة ثمان سنين وشهرين وستة أيام ، وكان قليل السماع للكلام فى النّاس قليل سفك الدماء متجاوزاً عن الخطأ والتقصير ، وكان أمياً لا يحسن الكتابة ولا القراءة أنتهى من نزهة الناظرين ، وهى الآن معطّلة الشّعائر ومجعولة مخزناً للبارود تابعاً لديوان الجهادية .

المدرسة البديرية

هى بجوار باب سر المدرسة الصالحية النجمية ، كان موضعها من تربة القصر فنبش ناصر الدين محمد بن محمد بن بدير العباسى ما هنالك من قبور الخلفاء الفاطميين ، وأنشأ هذه المدرسة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، وعمل فيها درس فقه للشافعية ، وهى صغيرة لا يكاد يصعد إليها أحد ، والعباسى هذا من قرية العباسية بطرف الرمل ، وله فى مدينة بلبيس مدرسة وقد تلاشت بعد ما كانت عامرة مليحة . أنتهى من خطط المقريزى وتاريخ بنائها منقوش على قوصرة ليوان القبلة ، وهى الآن متخرجة وبابها مرتفع ، وتعرف بجامع بدر الدين العجمى .

مدرسة بردبك الأشرفى

هى بخط قناطر السّباع تجاه الجامع الزينى فوق الخليج الحاكمى . أنشأها الأمير بردبك الأشرفى الدوادار فى أواخر القرن الثامن تقريباً وهى جامع المحكمة .

المدرسة البرقوقية

هذه المدرسة بخط بين القصرين فى شارع النحاسين عند جامع المارستان المنصورى بين مدرستى الناصرية والكاملية . أنشأها السلطان الظاهر برقوق وابتدىء فى عمارتها سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وفرغ منها فى سنة ثمان وثمانين كما فى نزهة الناظرين قال الإسحاقى : وهى من محاسن مدارس مصر وفيها قال الشاعر :

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة فاقت على إرم مع سرعة العمل
يكفى الخليلىّ أن جاءت لخدمته صُم الجبال بها تمشى على عجل

وبنى أيضاً تربة بالصحراء وهى مسكونة معمورة إلى الآن . انتهى ، وهى الآن عامرة مقامة الشعائر الإسلامية من جمعة وجماعة ، ولها منارة عظيمة يؤذن عليها الآذان السلطانى وليس بها اليوم شىء من دروس العلم ، وكذا أغلب المدارس أو جميعها لإكباب الناس على الجامع الأزهر فلا يكاد يعبأ بالتدريس فى غيره بمصر ، ولم أجد فى خطط المقريزى ترجمة هذه المدرسة فى المدارس ولا فى الجوامع مع أنه عدها مدرسة فى سرد الجوامع وذكرها فى الخانقاهات وأحالها على الجوامع فقال : الخانقاه الظاهرية هى بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية أنشأها الملك الظاهر برقوق فى سنة ست وثمانين وسبعمائة ، وقد ذكرت عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب انتهى . وترجم منشئها بأنه السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق ابن أوّل ملوك الجراكسة أخذ من بلاد الجركس وبيع ببلاد آنص القرم ، ثم بيع بالقاهرة للأمير يلبغا الخاصكى وعرف ببرقوق العثمانى ، ثم أخرج الملك الأشرف الأجلاب من مصر فسار منهم برقوق إلى الكرك فأقام مسجوناً بها سنين ، ثم أفرج عنه فمضى إلى دمشق فخدم عند منجك نائب الشام ، ثم طلب الأشرف اليلبغاوية فقدم فى جملتهم وخدم عند أولاد السلطان وتغلب حتى صار من جملة الأمراء ، ثم تغلب حتى تَسَلْطن فغير العوائد ، وأفنى رجال الدولة وأستكثر من جلب رجال الجراكسة إلى أن ثار عليه يلبغا الناصرى فملك القلعة وقبض عليه وبعثه إلى الكرك فسجنه بها ، ثم خرج من السجن

وسار إلى دمشق وحارب بها وتغلب ، وأخذ الخليفة والسلطان حاجى والقضاة ، وسار بهم إلى مصر وأستبد بالسلطنة حتى مات سنة إحدى وثمانمائة ، وكانت مدّته أتابكا وسلطاناً إحدى وعشرين سنة وعشرة أشهر ونصفاً خلع فيها ثمانية أشهر وتسعة أيام أنتهى .

وفى تاريخ الإسحاقى : أن مدة تصرفه سلطاناً ست عشرة سنة وأربعة شهور منها مدة السلطنة الأولى ست سنين وعشرة أيام ولما مات دفن بتربته بالصحراء . وضبط ما خلفه من الذهب العين ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ، ومن القماش والخز والأثاث ما قيمته ألف ألف دينار ، ومن الخيول المسوَّمة والبغال ستة آلاف ، ومن الجمال البختية خمسة آلاف ، وكان عليق دوابِّه كل شهر عشرة آلاف أردب أنتهى .

المدرسة البشيرية

قال المقريزى : هذه المدرسة خارج القاهرة بحكر الخازن المطل على بركة الفيل ، كان موضعها مسجداً يعرف بمسجد سنقر السعدى الذى بنى المدرسة السعدية ، فهدمه الأمير الطواشى سعد الدين بشير الجمدار الناصرى ، وبنى موضعه هذه المدرسة / فى سنة إحدى وستين وسبعمائة وجعل بها خزانة كتب وهى من المدارس اللطيفة انتهى . وتعرف الآن بزاوية الشيخ ظلام ولها بابان : أحدهما يفتح فى الزقاق المعروف بحارة الشيخ ظلام تجاه بيت الأمير رياض باشا ، وقد ردم التراب من هذا الباب نحو متر ونصف وهو باق على هيئته الأصلية ، وكان ذلك الزقاق فى سنة تسعين بعد الألف يعرف بدرب الخادم كما فى حجة وقفية على أغادار السعادة المحفوظة فى دفترخانة ديوان الأوقاف ففيها : أنَّ الأغا المذكور وقف جميع المكان الذى بخط الصليبية فى درب الخادم تجاه المدرسة البشيرية والشيخ ظلام ، وذلك المكان مطل على بركة الفيل . والباب الثانى بعطفة الألفى بقرب بيت مصطفى بيك ناظر أوقاف السَّيدَيْن سابقاً ، وهو باب صغير يفتح على المطهرة وعليه رخامة فيها نقوش بقى منها ما صورته العبد الفقير بشير الجمدار الناصرى بتاريخ شهر الله الحرام أفتتاح سنة إحدى وستين وسبعمائة .

وهذه المدرسة مهجورة متخربة وبقى من مبانيها إيوان لطيف مرتفع السقف به عمودان

من الرخام يحملان دكة خشب كانت للتبليغ وبدائره من الأعلى إزار عليه كتابة وبوسطه إزار مكتوب فيه أبيات من بردة المديح وتاريخ عمارة جرت بها سنة ألف ومائة باسم عمر أغادار السعادة ، وبابه مسدود كان يدخل منه إلى ضريح الشيخ ظلام . ويظهر أنَّ هذه المدرسة كانت متسعة ومشتملة على منافع كثيرة ضيعتها أيدى الزمان ، ويظهر أيضاً مما أخبر به الأمير مصطفى بيك المذكور أن درب الخادم كان مستقيماً ، فلما بنيت سراى الحلمية صار مُعْوَجاًّ كما هو الآن ، وهدمت قبة ضريح الشيخ ظلام وأبنية أخرى من توابع المدرسة لضرورة التنظيم .

المدرسة البقرية

هى زاوية البقرية بباب النصر قرب الجامع الحاكمى بين باب حارة العطوف ودرب الشرفاء بناها شمس الدين شاكر بن عزيل المعروف بابن البقرى سنة سبعين وسبعمائة تقريباً ، انظر الزوايا .

مدرسة البلقينى

هى بحارة بين السيارج المعروفة قديماً بالوزيرية وبحارة بهاء الدين قراقوش . أنشئت لسراج الدين أبى حفص عمر البلقينى المبعوث مجدداً فى المائة الثامنة ، وتعرف الآن بجامع البلقينى ، وقد بسطنا الكلام عليها فى الجوامع .

المدرسة البندقدارية

هى بقرب الصليبة فى شارع السيوفية بجوار مدرسة البنات ، وهذه الزاوية هى الخانقاه البندقدارية ، وتعرف الآن بزاوية الآبار وقد ذكرت فى الزّوايا .

المدرسة البوبكرية

هى فى درب سعادة بين عطفة الفرن ومنزل إسماعيل باشا تمر كاشف . أنشأها الأمير سيف الدين سنبغا بن بكتمر البوبكرى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وذكرناها فى الجوامع بعنوان جامع سنبغا ، وتعرف أيضاً بجامع الشرقاوى .

المدرسة البيدرية

هى بخط قصر الشوك بناها الأمير بيدر الأيد مرى ، وتعرف اليوم بزاوية اللبان . راجع الزوايا .

مدرسة تربة أم الصالح

قال المقريزى : هى بجوار المدرسة الأشرفية قرب المشهد النفيسى بين القاهرة ومصر كان موضعها من جملة بستان . أنشأها الملك المنصور قلاوون على يد الأمير سنجر الشجاعى سنة اثنتين وثمانين وستمائة برسم أم الملك الصالح علاء الدين على بن الملك المنصور قلاوون ، فلما كمل بناؤها نزل إليها الملك المنصورو معه ابنه الصالح على وتصدّق عند قبرها بمال جزيل ورتب لها وقفاً حسناً على قراء وفقهاء وغير ذلك ، وكانت وفاتها فى سادس عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة انتهى .

وقد تخربت تلك المدرسة وبقيت كذلك مدّة ، ثم جعلت الآن تكية تعرف بتكية السيدة نفيسة ، سكنها جماعة من الأتراك وبنوافيها بيوتا وخلاوى ، وبقى من آثارها القديمة القبة التى على تربة أم الصالح وهى متهدمة والمنارة التى يقال لها المنجرة .

مدرسة تغرى بردى

هى بشارع الصليبية بين سبيل أم عباس باشا وجامع الخضيرى على يمين الذاهب إلى الحوض المرصود أنشأها الأمير تغرى بردى الرومى فى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة ، وتعرف اليوم بجامع تغرى بردى وقد ذكرت فى الجوامع .

مدرسة الجائى

هى فى سويقة العزى من سوق السلاح على يسرة الذاهب من الدرب الأحمر يريد جامع السلطان حسن . أنشأها الأمير سيف الدين الجائى فى سنة ثمان وستين وسبعمائة ، وتعرف اليوم بجامع الجائى وقد ذكرناها فى الجوامع .

المدرسة الجانبكية

هى بشارع المغربلين على شمال الذاهب من باب زويلة إلى الحلمية . أنشأها الأمير جانبك الدوادار فى عام ثمان وعشرين وثمانمائة . وتعرف اليوم بجامع جانبك وقد ذكرناه فى الجوامع فراجعه .

مدرسة جانم

هى بشارع السروجية عن يمين الذاهب من الحلمية إلى باب زويلة تجاه باب عطفة جامع قوصون . أنشأها الأمير جانم فى سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة ، وتعرف اليوم بجامع سيدى جانم وقد ذكرناه فى الجوامع فراجعه .

مدرسة الجاولى

هى بشارع حدرة الحنا بجوار قلعة الكبش بالقرب من الحوض المرصود . أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى فى سنة / ثلاثٍ وعشرين وسبعمائة وتعرف الآن بجامع الجاولى وقد ذكر فى الجوامع . ٦

مدرسة جمال الدين الاستادار

هذه المدرسة بشارع الجمالية تجاه القره قول الذى هناك . أنشأها الأمير جمال الدين الاستادار سنة عشر وثمانمائة ، وهى عامرة إلى الآن وتعرف بالجامع المعلّق ، وقد ذكرناه فى الجوامع فراجعه .

المدرسة الجمالية

هى بين حارة الفراخة وقصر الشوك . أنشأها الوزير مغلطاى الجمالى سنة ثلاثين وسبعمائة ، وتعرف الآن بزاوية الجمالى وقد ذكرت فى الزّوايا .

مدرسة جوهر الصّفوى

هى بشارع الحبّالة تحت قلعة الجبل . أنشأها جوهر الصفوى سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، وتعرف اليوم بجامع جوهر الصفوى ، وقد ذكرناه فى الجوامع فراجعه .

مدرسة جوهر اللالا

هى بشارع المحجر بآخر درب اللبانة . أنشأها جوهر اللالا سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة ، وهى عامرة إلى الآن وتعرف بجامع جوهر اللالا ، وقد ذكرناه فى الجوامع .

مدرسة جوهر المعين

هى بحارة غيط العدّة بالقرب من منزل حسين بيك دبوزاغلى . أنشأها الأمير جوهر المعين فى القرن التاسع ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بجامع الشيخ جوهر ، وقد ذكرناه فى الجوامع .

المدرسة الجوهرية

هى بلصق الجامع الأزهر تجاه زاوية العميان . أنشأها جوهر القنقبائى سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، ولما مات دفن بها ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بالجوهرية ، وقد ذكرناها عند الكلام على الجامع الأزهر .

المدرسة الحجازية

هى بخط الجمالية على يمين السالك من الجمالية إلى قصر الشوك . أنشأتها الست خوندتتر الحجازية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون زوجة بكتمر الحجازى ، وكان إنشاؤها سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بزاوية الحجازية ، وقد ذكرت فى الزّوايا .

مدرسة حرمان

هى بشارع الحلمية تجاه ضريح الشيخ المظفر . أنشأها الأمير حرمان البكرى المؤيدى ، وبها قبره وقبر الشيخ أسد . ذكر ذلك السخاوى ، وتعرف اليوم بزاوية المظفر ، وقد ذكرناها فى الزّوايا .

المدرسة الحسامية

قال المقريزى : هذه المدرسة بخط المسطاح من القاهرة قريباً من حارة الوزيرية . بناها الأمير حُسام الدين طرنطاوى المنصورى نائب السلطنة بديار مصر إلى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية آنتهى .

ترجمة طرنطاى

طرنطاى بن عبد الله الأمير حسام الدين المنصورى ، رباه الملك المنصور قلاوون صغيراً ورقاه فى خدمه إلى أن تقلد سلطنة مصر فجعله نائب السلطنة بديار مصر فباشر ذلك مباشرة حسنة إلى أن كانت سنة خمس وثمانين وستمائة ، فخرج من القاهرة بالعساكر إلى الكرك وفيها الملك المسعود نجم الدين خضر وأخوه بدر الدين سلامش آبنا الملك الظاهر بيبرس وسار إليها فوافاه الأمير بدر الدين الصوانى بعساكر دمشق فى ألفى فارس ونازلا الكرك وقطعا الميرة عنها وآستفسدا رجال الكرك حتى أخذ اخضراً وسلامش بالأمان وبعث الأمير طرنطاى بالبشارة إلى قلعة الجبل ثم قدم بابنى الظاهر ؛ فخرج السلطان إلى لقائه وأكرمه ورفع قدره ، ثم بعثه إلى أخذ صهيون وبها سنقر الأشقر ، فسار بالعساكر من القاهرة فى سنة ست وثمانين ونازلها وحاصرها حتى نزل إليه سنقر بالأمان وسلم إليه قلعة صهيون وسار به إلى القاهرة فخرج السلطان إلى لقائه وأكرمه .

ولم يزل على مكانته إلى أن مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون ، فقبض عليه فى يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة سنة تسع

وثمانين ، وعوقب حتى مات يوم الاثنين خامس عشر ذى القعدة بقلعة الجبل ، وبقى ثمانية أيام بعد قتله مطروحاً بحبس القلعة ، ثم أُخرج ولفّ فى حصير وحمل على جنوبة إلى زاوية الشيخ أبى السعود بالقرافة فغسّل وكفن ودفن خارج الزاوية ليلاً ، وبقى هناك إلى سلطنة العادل كتبغا فأمر بنقل جثته إلى تربته التى أنشأها بمدرسته هذه .

وقد وجد له من الذهب العين ستمائة ألف دينار ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل مصرى ، وهى تبلغ مائة واحدى وسبعين قنطارا سوى الأوانى والأسلحة والأقمشة والآلات والخيول والمماليك والبقر والأغنام ونحو ذلك فسبحان من بيده القبض والبسط .

ترجمة برهان الدين إبراهيم الكركى

وممن تولى مشيخة هذه المدرسة كما فى تاريخ ابن إياس قاضى الحنفية برهان الدين إبراهيم بن زين الدين عبدالرحمن بن إسماعيل الكركى الحنفى . كان عالماً رئيساً من أعيان الحنفية ، سمع من الشيخ محيى الدين الكافيجى والشيخ سيف الدين وغيرهما وكان إمام الأشرف قايتباى ، ورأى فى أيامه غاية العزّ والعظمة وولى عدة وظائف سنية منها : مشيخة مدرسة أم السلطان التى فى التبانة ومشيخة مدرسة الأشرفية ، وولى قاضى القضاة الحنفية مرتين وقاسى محناً وشدائد من الأشرف .

وكان رحمه الله تعالى بشوش الوجه عنده رقة حاشية ولطافة . مات فى شعبان من شهور سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، وسبب موته أنه كان ساكناً على بركة الفيل ، فنزل يتوضأ / على سلم القيطون ـ وفى رجله قبقاب ـ فزلقت رجله بالقبقاب فوقع فى البركة ، وكانت فى قوة ملئها أيام النيل ، فلما وقع ثقلت عليه الثياب فمات من وقته رحمه الله تعالى انتهى .

٧

وهذه المدرسة قد تخربت وأخذ منها قطعة فى مطهرة جامع المغربى عند ترميمه من طرف الحاج مصطفى المغربى ، ولم يبق منها الآن إلا المحراب وقطعة أرض صغيرة يتوصل إليها من الباب الذى بجوار باب مطهرة الجامع المذكور ، كانت بجوار جامع المغربى المعروف قديماً بالمدرسة الزمامية .

مدرسة الست خديجة

هى بسوق الزلط على يمنة المارّ على جامع الزاهد إلى باب البحر . أنشأتها الست خديجة بنت درهم ونصف فى سنة ست وعشرين وتسعمائة ، وهى عامرة إلى اليوم ، وتعرف بجامع شهاب الدين وقد ذكرناه فى الجوامع .

المدرسة الخرُّوبية

قال المقريزى : هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر تجاه المقياس بخط كرسى الجسر . أنشأها كبير الخرُّاربية بدر الدين محمد بن محمد بن على الخروبى ــ بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة وضمها ، ثم واو ساكنة بعدها باء موحدة ثم ياء آخر الحروف ــ التاجر فى مطابخ السكر وفى غيرها بعد سنة خمسين وسبعمائة ، وأنشأ أيضاً رَبْعين بخطّ دار النحاس من مصر على شاطىء النيل ، وربعين مقابل المقياس بالقرب من مدرسته ، ومات بدر الدين هذا سنة اثنتين وستين وسبعمائة انتهى .

وهذه المدرسة : هى المعروفة الآن بجامع القبوة بمصر القديمة ، وقد ذكرناه فى الجوامع من هذا الكتاب .

المدرسة الخروبية

قال المقريزى : هذه المدرسة بخط الشون قبلىّ دار النحاس من ظاهر مدينة مصر . أنشأها عزُّ الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى ، وهى أكبر من مدرسة عمه بدر الدين إلا أنه مات سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل استيفاء ما أراد أن يجعل فيها فليس لها مُدرس ولا طلبة ، ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة ، ونشأ فى دنيا عريضة رحمه الله تعالى انتهى .

أقول : والذى يغلب على الظّنِ أنَّ الباق من هذه المدرسة هو الضريح المعروف اليوم بضريح سيدى شاهين المغربى ، الكائن على يسرة السالك فى طريق مصر القديمة بقرب بيت

الست البارودية من الجهة القبلية ، وهذا الضريح داخل مزار صغير وعليه قبة مرتفعة ، ومغروس أمامه من الجهة الغربية بعض أشجار ، وهناك بئر ماء معينة بناؤها قديم .

المدرسة الـخروبية

قال المقريزى : هذه المدرسة على شاطىء النيل من مدينة مصر . أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى لما أنشأ بيتاً كبيراً مقابل بيت أخيه عز الدين قبليه على شاطىء النيل ، وجعل فيه هذه المدرسة ، وهى ألطف من مدرسة أخيه ، وبجوارها مكتب وسبيل ، ووقف عليها أوقافاً وجعل بها مدرس حديث فقط ، ومات بمكة فى آخر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة انتهى .

مدرسة خير بك

هى بشارع الخربكية قرب باب الوزير على يمنة السالك من القلعة إلى الدرب الأحمر . أنشأها الأمير خير بك ملك الأمراء فى سنة سبع وعشرين وتسعمائة ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بجامع خير بك وقد ذكرناه فى الجوامع .

مدرسة داود باشا

هى بشارع سويقة اللالا . أنشأها الأمير داود باشا فى ولايته على مصر ، سنة خمس وأربعين وتسعمائة وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بجامع داود باشا وقد ذكرناه فى الجوامع .

مدرسة الدهيـشة

هى خارج باب زويلة فى مقابلته بجوار دار التفاح . أنشأها والسبيل والمكتب الذى فوقه الملك الناصر فرج بن برقوق على يد الاستادار جمال الدين يوسف . انتهى من تحفة الأحباب وهى عامرة إلى الآن وبها حنفية ومحرابها من الرخام الملون ، وفوقها مساكن موقوفة عليها ، ونظرها تحت يد السيد محمد القادرى ، وتعرف اليوم بزاوية الدهيشة .

مدرسة الديلم

هذه المدرسة داخل حارة خشقدم بقرب منزل الحمصانى . أنشأها كافور الزمام وهى عامرة إلى اليوم ، وتعرف بجامع الديلم وجامع كافور ، وقد ذكرناه فى الجوامع .

المدرسة الزمامية

هى فى سوق النمارسة تجاه عطفة الشيشينى على يمين الذاهب من درب سعادة إلى الحمزاوى . أنشأها الطواشى زين الدين مقبل الرومى زمام الديار الشريفة للسلطان الظاهر برقوق فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بجامع المغربى ، وقد ذكرناه فى الجوامع .

المدرسة السابقية

هذه المدرسة داخل درب قرمز من خط بين القصرين . أنشأها الأمير سابق الدين مثقال الأنوكى مقدم المماليك السلطانية الأشرفية فى سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وهى الآن معطلة الشعائر ، وتعرف بجامع درب قرمز ، وقد ذكرناه فى الجوامع .

المدرسة السعدية

هذه المدرسة بشارع السيوفية ، قرب حدرة البقر عن شمال الذاهب من الحلمية إلى الصليبية ، تخربت وجعل فى محلها التكية المعروفة بالمولوية ، ولم يبق من آثارها إلاّ قبة شاهقة متسعة متينة فيها أربعة أضرحة على كل ضريح ستر / من الجوخ وهناك ألواح فى بعضها اسم حسن الصادق ، وفى دائر القبة نقوش بديعة ، وفى داخلها باب مقصورة فيها ضريح عليه ستر أيضاً يقال أن به قبر أحد مشايخ التكية ، وفى القبة والمقصورة شباكان عظيمان مطلان على الشارع مركب عليهما شباكان من الحديد ، وباب المدرسة بجوار القبة على الشارع فوقه منارة ، وداخل الباب دهليز طويل مفروش بالحجر وفى نهايته سلالم وطرقة توصل إلى التكية ، وجميع تلك الآثار من الحجر الجيد النحيت بوضع يدل على فخامة تلك المدرسة .

٨

وقد ذكرها المقريزى فقال : المدرسة السعدية بقرب حدرة البقر على الشارع المسلوك من حوض ابن هنس إلى الصليبة ، وهى فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل كان موضعها يعرف بخط بستان سيف الإسلام ، وهى الآن فى ظهر بيت قوصون المقابل لباب السلسلة من قلعة الجبل ، بناها الأمير شمس الدين سنقر السعدى نقيب المماليك السلطانية سنة خمس عشرة وسبعمائة ، وبنى بها رباطاً للنساء ، وكان شديد الرغبة فى العمائر والزراعة كثير المال ، وهو الذى عمر القرية النحريرية من الغربية وكانت إقطاعه ، ثم إنه أُخرج من مصر بنزاعٍ وقع بينه وبين الأمير قوصون فمات بطرابلس سنة ثمان وعشرين وسبعمائة انتهى .

ومن إنشائه كما فى تحفة الأحباب للسخاوى الجامع بحكر الخازن الذى هدمه بشير الجمدار ، وبنى مكانه المدرسة البشيرية فى سنة إحدى وستين وسبعمائة انتهى .

مدرسة سعيد السعداء

هذه المدرسة بشارع الجمالية تجاه حارة المبيضة . أنشأها السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب برسم الفقراء الصوفية ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بجامع الخانقاه وجامع سعيد السعداء ، وقد ذكرناه فى الجوامع .

مدرسة سودون من زاده

هى بسويقة العزى بشارع سوق السلاح . أنشأها الأمير سودون من زاده ، كان من أعيان خاصكية الظاهر برقوق فى أوائل القرن التاسع ، وجعل بها خطبة ودرساً للشافعية وآخر للحنفية ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بجامع سودون من زاده ، وقد ذكرناه فى الجوامع .

المدرسة السيفية

قال المقريزى : هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندقانيين وخط الملحيين ، وموضعها من جملة دار الديباج .

قال ابن عبد الظاهر : كانت داراً حسنةً وهى من المدرسة القطبية ، سكنها شيخ

الشيوخ يعنى صدر الدين محمد بن حموية ، وبنيت فى وزارة صفىّ الدين عبد الله بن على بن شكران سيف الإسلام ، ووقفها وولّى فيها عماد الدين ولد القاضى صدر الدين يعنى ابن درباس . وسيف الإسلام هذا اسمه طغتكين بن أيوب .

ترجمة سيف الإسلام طغتكين

طغتكين ظهير الدين سيف الإسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان الأيوبى ، سيره أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى بلاد اليمن فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة فملكها واستولى على كثير من بلادها ، وكان شُجاعاً كريماً مشكورَ السيرة حسن السياسة ، قصده الناس من البلاد الشاسعة يستمطرون إحسانه وبره . مات فى شوّال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمنصورة ، وهى مدينة باليمن اختطها رحمه الله تعالى ، وهى إلى الآن .

المدرسة السيوفية

هى برأس السكة الجديدة عند تقاطعها مع الشارع الموصل من باب زويلة إلى النّحاسين تجاه جامع الأشرفية ، وقفها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على الحنفية ، ثم جددها الأمير عبد الرحمن كتخدا فى نحو سنة ثلاث وسبعين بعد المائة والألف ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بجامع الشيخ المطهر ، وقد ذكرناه فى الجوامع .

المدرسة الشريفية

هى على رأس حارة الجودرية بالقرب من سوق الفحامين . أنشأها الأمير فخر الدين أبو نصر إسماعيل فى سنة اثنتى عشرة وستمائة ، ثم جددها الشيخ عبد السلام المغربى ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بزاوية ابن العربى ، وقد ذكرت فى الزوايا فارجع إليها إن شئت .

المدرسة الشعبانية

هى بأقصى حارة الدوادارى بجوار حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية .
وهى عامرة إلى الآن وتعرف بزاوية الشيخ عبد العليم وقد ذكرت فى الزوايا .

مدرسة شيخو

هى بشارع الصليبة تجاه جامع شيخو . أنشأها الأمير شيخو العمرى سنة ست وخمسين وسبعمائة ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بجامع شيخو ، وقد ذكرناه فى الجوامع .

المدرسة الصاحبية البهائية

قال المقريزى : هذه المدرسة كانت بزقاق القناديل من مصر القديمة قرب الجامع العتيق . أنشأها الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا فى سنة أربع وخمسين وستمائة ، وكان إذ ذاك زقاق القناديل أعمر أخطاط مصر ، وإنما قيل له زقاق القناديل من أجل أنه كان سكن الأشراف ، وكانت أبواب الدور يعلق على كل باب منها قنديل .

وكانت هذه المدرسة من أجلّ مدارس الدنيا وأعظمها بمصر ، تتنافس الناس من طلبة العلم فى النزول بها ، ويتشاحنون فى سكنى بيوتها ثم تلاشى أمرها ، وأقامت مدة أعوام معطّلة من ذكر الله تعالى وإقام الصّلاة .

٩ / ولما كان فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة أخذ الملك الناصر فرج بن برقوق عُمد الرخام التى كانت بهذه المدرسة ، وكانت كثيرة العدد جليلة القدر وعمل بدلها دعائم تحمل السقوف ، إلى أن كانت أيام الملك المؤيد شيخ وولى الأمير تاج الدين الشوبكى الدمشقى ولاية القاهرة ومصر وحسبة البلدين وشدّ العمائر السلطانية فهدمها فى أُخريات سنة سبع عشرة .

وكان بها خزانة كتب جليلة تفرقت فى أيدى الناس ، وتلاشى أمر هذه المدرسة وسيجهل عن قريب موضعها ولله عاقبة الأمور انتهى باختصار .

وقد زالت هذه المدرسة بالكلية فى هذا الزمن ولم يبق لها أثر البتة .

المدرسة الصاحبية

هذه المدرسة فى آخر درب سعادة بخط الحمزاوى . أنشأها الصاحب صفى الدين

عبد الله بن علىّ بن شكر ، وقد زالت الآن وبنى فى قطعة منها زاوية تعرف بزاوية بيرم إن شئت فارجع إلى الزوايا .

المدرسة الصالحية

هى بخط بين القصرين تجاه الصاغة . أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة أربعين وستمائة ، وهى عامرة إلى الآن وتعرف بجامع الصالح ، وقد ذكرناه فى الجوامع .

المدرسة الصلاحية

ويقال لها الناصرية هى بجوار قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وقد أزيلت وبنى فى مكانها جامع الإمام الشافعى ، كما ذكرنا ذلك عند الكلام على هذا الجامع .

قال المقريزى : أنشأ هذه المدرسة السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ورتب بها درساً للشافعية ، ووقف عليها عقارات ومزارع ، ورتَّبَ لشيخ التدريس فى الشهر أربعين ديناراً معاملة صرف الدِّينار ثلاثة عشر درهماً وثلث غير الخبز والماء انتهى باختصار .

وفى رحلة ابن جبير عند ذكر مشاهد الأئمة العلماء الزهاد أنَّ بإزاء مشهد الإمام الشافعى رضى الله عنه مدرسة لم يعمر فى هذه البلاد مثلها لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء ، يُخيَّلُ لمن يتطوَّفُ عليها أنها بلد مستقل بذاته بإزائها الحمام إلى غير ذلك من مرافقها ، والبناء فيها حتى الساعة والنفقة عليها لا تحصى ، تولّى ذلك الشيخ الإمام المعروف بنجم الدين الخراسانى ، وسلطان هذه الجهات صلاح الدين يَسْمح له بذلك كله ، ويقول : زد احتفالاً وتأنقاً وعلينا القيام بمؤنة ذلك كله ؛ فسبحان الذى جعله صلاح دينه كاسمه انتهى .

المدرسة الصَّرغَتْمشية

هذه المدرسة بشارع الصليبة تجاه جامع الخضيرى . أنشأها الأمير صرغَتْمش الناصرى سنة تسع وخمسين وسبعمائة وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بجامع صرغَتْمش وذكرناه فى الجوامع .

المدرسة الصَّيْرمية

هى برأس سُوق الضّببية من خطّ باب الفتوح . أنشأها الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم ، أحد أُمراء الملك الكامل المتوفى فى سنة ست وثلاثين وستمائة وقد زالت الآن ، وبنى فى بعض مكانها زاوية صغيرة تعرف بزاوية سُوق الضّببية أغلبُ أوقاتها معطلة اَرجع إلى الزّوايا .

المدرسة الطغجية

هى بشارع الحلمية بين ضريح المظفر وجامع ألماس . أنشأها الأمير سيف الدين طغجى الأشرفى ، ولما مات فى سنة ثمان وتسعين وستمائة دفن بها وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بزاوية الشيخ عبد الله فاَرجع إلى الزّوايا .

المدرسة الطَّيْبرسية

هى على يمين الداخل من باب الجامع الأزهر المعروف بباب المزّينين . أنشأها الأمير علاء الدين طَيْبرس الخازندار ، وجعلها مسجدا لله تعالى فى سنة تسع وسبعمائة ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بهذا الاسم ، وقد ذكرناها عند الكلام على الجامع الأزهر .

المدرسة الظاهرية

هذه المدرسة بخط بين القصرين كان موضعها من القصر الكبير يعرف بقاعة الخيم ، ومما دخل فيها باب الذهب أحد أبواب القصر الكبير ، اَشتراها الملك الظّاهر بيبرس البندقدارى وبناها مدرسة ، اَبتدأ فيها سنة ستين وستمائة ، وفرغ منها سنة اَثنتين وستين وستمائة ، ولم يقع الشُّروع فيها حتى رتب السلطان وقفها وكان بالشام ، فكتب بمارتبه إلى الأمير جمال الدين بن يَغْمور وألاّ يُستعمل فيها أحد بغير أجرة ولا ينقص من أجرته شيئاً ، وبعد تمامها جلس أهل الدروس كل طائفة فى إيوان ، ثم مُدّت الأسمطة فأكلوا وأُنشِدت بعض قصائد ، ثم أُفيضت عليهم الخلع وكان يوماً مشهوداً ، وجعل بها خزانة تشتمل على

أُمَّهات الكتب فى سائر العلوم ، وبنى بجانبها مكتباً لتعليم أيتام المسلمين ، وأجرى لهم الجرايات والكسوة ، ووقف عليها ربع السلطان خارج باب زويلة ، وكان ربعاً كبيراً وتحته عدة حوانيت .

وهذه المدرسة من أجلّ مدارس القاهرة إلا أنها قد تقادم عهدها فرثت ، ونظرها تارة بيد الحنفية وتارة بيد الشافعية . انتهى مقريزى .

وقد هُدِم منها الآن أكثرها وصارت جهتين يمرُّ بينهما شارع إلى المحكمة الكبرى وباقيها خراب ، وهى تحت نظر الشيخ محمد السُّكرى مؤقت جامع قلاوون .

مدرسة العادل

قال المقريزى : هذه المدرسة بخط الساحل بجوار الربع العادلى من مدينة مصر الذى وقف على الشافعى . عمرها الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين ، درس بها قاضى القضاه / تقى الدين بن شاس فعرفت به ، وقيل لها مدرسة ابن شاس انتهى . ١٠

وقد زالت هذه المدرسة الآن ولم يبق لها أثر .

المدرسة العادلية

هذه المدرسة بالعباسية من ضواحى القاهرة . أنشأها السلطان طُومان باى فى سنة ست وتسعمائة وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بجامع العادلى . ارجع إلى الجوامع إن شئت .

المدرسة العاشورية

قال المقريزى : هذه المدرسة بحارة زويلة من القاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورحبة كوكاى .

قال ابن عبد الظاهر : كانت دار اليهودى ابن جميع الطبيب ، وكان يكتبُ لقراقوش فاشترتها منه الست عاشوراء بنت ساروح الأسدى زوجة الأمير ايازكوج الأسدى ، ووقفتها

على الحنفية ، وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طول الأيام مغلوقة لا تفتح إلاّ قليلاً ، فإنّها فى زقاقٍ لا يسكنه إلا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب انتهى . وهى الآن خرابة بقرب مستشفى اليهود .

المدرسة العنبرية

هذه المدرسة بحارة الباطلية خلف بيت أبى قصيصة المملوك اليوم لعبدالوهاب الشنوانى . أنشأها عنبر الحبشى فى القرن التاسع ، وأقام شعائرها إلى أن تخربت الآن .

ترجمة عنبر الحبشى

وعنبر هذا هو كما فى الضوء اللامع للسخاوى عنبر الحبشى الطنبدى الطواشى ، من خدّام التاجر نور الدين الطنبدى ، ثم خدم عند جماعة من الأُمراء إلى أن اتصل بخدمة الظاهر جقمق وصار من مقدمى الطباق البرانية ، ثم رقّاه لنيابة مقدم المماليك من غير تأهل لها ؛ فأثرى وصلح حاله وعمر الأملاك ، بل بنى فى أواخر عمره مدرسة بالباطلية .

مات بعد صرف الظاهر خشقدم له عن النيابة فى المحرم سنة سبع وستين وثمانمائة انتهى .

المدرسة العينية

هذه المدرسة برأس حارة الدوادارى من خطة الجامع الأزهر على يمنة الداخل من رأس الحارة . أنشأها الشيخ محمود العينى الحنفى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وهى مقامة الشعائر ويدرس فيها بعض علماء الأزهر أحياناً ، وبها مساكن علوية وسفلية موقوفة على طلبة العلم ، يسكنها غالباً فقراء مجاورى بلاد المنوفية لتخرُّبها وعدم نظافتها ، وكان المتكلم عليها الشيخ ياسين البِرّاوى ، أحد خدمة الجامع الأزهر .

ترجمة الشيخ محمود العينى

وبداخل هذه المدرسة ضريح منشئها قاضى القضاة بدر الدين أبى محمد محمود بن

أحمد بن موسى بن القاضى شهاب الدين العينى ، أصله من حلب وولد فى عنتاب فى السابع عشر من رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة وتربىَّ بها ، وكان أبوه قاضيها وأخذ عن أفضل علمائها ، ثم جعل نائباً عن أبيه .

وفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة سافر إلى حلب للأخذ عن أفاضلها .

وفى سنة أربع وثمانين مات أبوه ، ثم سافر إلى الحج .

وفى سنة ثمان وثمانين سافر إلى دمشق وزار القدس ، واجتمع هناك بعلاء الدين أحمد ابن محمد السيرافى ، فأصحبه معه إلى القاهرة وأنزله بالبَرْقُوقية ، فلازمه وأخذ عنه الهداية والكشاف وغيرهما ، ثم أخذ عن الشهاب أحمد بن خاص تركى الحنفى ، ولبس الخرقة من الشيخ ناصر الدين القرطبى ، ثم عاد إلى دمشق سنة أربع وتسعين ، ثم رجع إلى القاهرة وأقام البرقوقية بصفة خادم ، ثم عزل فرجع إلى بلده ، ثم عاد إلى مصر .

وكان فقيراً فألف كتاباً بخصوص الأمير قلمطاى العثمانى سماه الأدعية المأثورة ، وآخر سماه الكلم الطيب ، وبتوسط هذا الأمير تعرف بالملك الظاهر وصار محبوباً عند الأُمراء .

وفى سنة إحدى وثمانمائة جعل محتسب القاهرة بدلاً عن المقريزى . قال أبوالمحاسن :

فحدث من ذلك بينهما عداوة ، ثم عزل وخلفه جمال الدين طنبودى المعروف بابن عرب ، وفى زمن بطالته ألَّف كتاباً باسم الأمير شيخ صفوى الخاصكى شرحاً على الكتاب المعروف بتحفة الملوك .

وفى سنة اثنتين وثمانمائة رجع محتسب القاهرة ، وبعد شهر استعفى وخلفه المقريزى ، وبعد سنة رجع إليها أيضاً عوضاً عن البخانسى ، ثم بعد سنة أُلبس حلة وجعل ناظر الأَحباس أقل من سنة ، ثم عزل وخلفه ناصر الدين الطناحى .

وفى سنة أربع عشرة وثمانمائة تمم بناء مدرسته .

وفى سنة تسع عشرة أُلبس حلة ، وجعل محتسب القاهرة ، ثم جعل ناظر الأحباس ثانياً .

وفى مبدإ تولية السلطان المؤيد شيخ عُزِل وعُنِّف بالمعاقبات ، وبعد قليل رضى الله عنه واختص به ، وجعله يدرس الحديث فى مدرسته ، وصار يستصحبه فى الليالى التى يجلس فيها فى القصر ، وهى أربع من كل أسبوع فاغتاظ من ذلك القاضى ناصر الدين بن البارزى ، فدسّ عليه فعزل .

وفى سنة ثلاث وعشرين سافر إلى بلاد قرمان من قطعة آسيا ، ثم رجع إلى مصر وجعل محتسب القاهرة ، وأمره الأمير تتار أن يترجم باللغة التركية كتاب القدورى فى الفقه فترجمه

وفى سنة ست وعشرين جعله السلطان الملك الأشرف برسباى ناظر الأحْباس فامتنع
وفى سنة ثمان وعشرين جعل محتسب القاهرة .
وفى سنة تسع وعشرين جعل قاضى الحنفية ، ثم عزل فى سنة ثلاث وثلاثين .
وفى سنة خمس وثلاثين صار محتسب القاهرة ، ثم عزله الملك العزيز فى سنة اثنتين وأربعين وأقام عوضه ابن الديرى ، فأقام / ببيته واشتغل بالتأليف والتدريس فى المؤيدية . ١١

وكان شديداً فى أحكامه ويعاقب بالتجريم بالدراهم ، ومن لم يمتثل بضبط بضاعته ويرسلها الحبوس لتفرق على المحبوسين ، وكان له درسٌ فى المحمودية فنزل عنه لبدر الدين بن عبيد الله .

قال السخاوى : لم أعلم أحداً جمع وظائف أكثر منه ، فكان قاضياً ومحتسباً وناظر الأحْباس فى آن واحد ، وكان مع ذلك دائماً مشغولاً بالتأليف إلى أن جاءه الموت يوم الأربعاء من شهر الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، ودفن بمدرسته بقرب بيته بحارة كتامة بجوار الجامع الأزهر .

قال السخاوى : وكان العينى عالماً بعلوم شتى ، واقفاً على كثير من الأُمورِ التاريخية دائماً مُشتغِلاً بالمطالعة ، ونسخ كثيراً بيده ، وألف كتباً شتى ، وكان خطه جميلاً ومع ذلك يكتب بسرعة ، ويقال أنه نسخ كتاب القدورى فى ليلة واحدة ، ابتدأه مع غروب الشمس وأتمه مع شروقها ، وكان يكره الصلاة فى الأزهر لقوله: إن الذى بناه رافضى ، ويصلى بمدرسته ، وجعل بها خطبة ، وبلغت شهرته الآفاق .

وله جملة تفاسير منها : عمدة القارى واحد وعشرون مجلدًا ، ومن مؤلفاته معانى كتاب الآثار للطحاوى فى عشر مجلدات ، وشرح جزء من سنن أبى داود فى مجلدين ، وشرح السيرة النبوية لابن هشام سماه كشف اللثام ، والكلم الطيب ، وتحفة الملوك ، وشرح الكنز سماه رمز الحقائق فى شرح كنز الدقائق ، وشرح التحفة ، وشرح الهداية أحدَ عشر مجلدًا ، وشرح البحار الزّاخرة فى مجلدين ، وشرح شواهد الألفية الكبير فى مجلدين ، والصغير فى مجلد واحد وهو المشهور ، وكتاب مراح الأرواح ، وشرح العوامل المائة لعبد القاهر الجرجانى ، وشرح قصيدة الصاوى فى العروض ، وشرح العروض لابن الحاجب ، واختصر الفتاوى الظهيرية ، وله كتاب المحيط فى مجلدين ، وشرح التوضيح للجاربردى فى الصَّرف ، وشرح اللباب ، والتذكرة النحوية ، ومقدمة فى الصرف ، وأُخرى فى العروض ، وكتاب فى سير الأنبياء ، وتاريخ تسعة عشر مجلدًا واختصره فى ثمانية ، وتاريخ الأكاسرة بالتركى ، وطبقات الشعراء ، وطبقات الحنفية ، ومعجم هؤلاء المشايخ فى مجلد واحد ، ورحلة الطحاوى فى مجلد ، ومختصر ابن خلكان ، ومشارح الصدور فى الخطب ثمان مجلدات ، وكتاب النّوادر ، وكتاب سيرة المؤيد شعرًا ونثرًا ، والتذكرة المتنوعة ، وتهميشات على الكشاف ، وعلى تفسير أبى الليث ، وتفسير البغوى وغير ذلك انتهى من تاريخ السخاوى وغيره .

ترجمة الشيخ أحمد القسطلانى

ودفن فيها أيضا الشيخ أحمد القسطلانى . وهو كما فى شرح الزرقانى على المواهب : شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلانى القُتَيْبِىُّ المصرى الشافعى ، ولد كما ذكره شيخه الحافظ السخاوى فى الضَّوء اللامع بمصر ثانى عشر ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ، وأخذ عن الشهاب العبادى ، والبرهان العجلونى ، والفخر المقسى ، والشيخ خالد الأزهرى وغيرهم ، وقرأ البخارى على الشهاوى فى خمسة مجالس ، وحج مرارًا وجاور بمكة مرتين ، وروى عن جمع منهم النجم بن فهد ، وكان يعظ بجامع الغمرى وغيره .

وألّف عدة كتب منها : الشّرحُ الكبير على البخارى ، ثم اختصره فى آخر سماه الإسعاد

فى مختصر الإرشاد إلّا أنه لم يكمله ، وشرح على صحيح مسلم ، وشرح على الشاطبية ، وشرح على البردة ، وصنَّفَ مسالك الحنفا فى الصلاة على النبى المصطفى ، وكتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، وكتاب لطائف الاشارات فى القراءات على الأربعة عشر وغير ذلك .

توفى ليلة الجمعة بمنزله بحارة العينية من القاهرة سابع المحرم افتتاح سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بالأزهر ، ودفن بمدرسة العينى ، وتعذَّرَ الخروج به إلى الصحراء ذلك اليوم لكثرة الازدحام ، لأنه اليوم الذى دخل فيه السلطان سليم مصر انتهى .

المدرسة الغزنوية

قال المقريزى : هذه المدرسة برأس الموضع المعروف بسويقة أمير الجيوش تجاه المدرسة اليازكوجية ، بناها الأمير حسام الدين قايماز النجمى مملوك نجم الدين أيوب والد الملوك ، وأقام بها الشيخ شهاب الدين أبا الفضل أحمد الغزنوى البغدادى الحنفى ودرس بها فعرفت به ، وكان إمامًا فى الفقه وسمع على الحافظ السِّلفى وغيره وسكن مصر آخر عمره ، وكان فاضلاً حسن الطريقة متديِّنا وحدَّث بالقاهرة ، وجمع كتابًا فى الشيب والعمر ، وقرأ عليه أبو الحسن السخاوى ، وأبو عمر وابن الحاجب .

ومولده ببغداد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وتوفى بالقاهرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وهى من مدارس الحنفية انتهى ملخصًا ، وهى موجودة إلى الآن فى مقابلة زاوية جنبلاط لكنها متخربة .

المدرسة الغنامية

هذه المدرسة فى حارة كتامة عند الجامع الأزهر داخلة عن المدرسة العينية . أنشأها ابن غنام ، وذكرها المقريزى عند تحديد حارة كتامة ولم يترجمها ، وهى الآن متخربة ومعطلة ، ولها منارة قصيرة وبها بيوت مسكونة بجملة من الناس .

/ المدرسة الفارقانية

قال المقريزى : هذه المدرسة بابها فى شارع سويقة حارة الوزيرية من القاهرة . أنشأها الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانى السلاحدار ، وجعل بها درسًا للشافعية والحنفية ، وفتحت فى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى سنة ست وسبعين وستمائة .

ترجمة آق سنقر

آق سنقر : هو الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانى السلاحدار ، كان مملوكا للأمير نجم الدين أمير حاجب ، ثم انتقل إلى الملك الظاهر بيبرس فترق عنده فى الخدم ، حتى صار أحد الأمراء الأكابر ، وولّاه الاستادارية وناب عنه بمصر مدّة غيبته ، وقدّمهُ على العساكر غير مرة ، وفتح له بلاد النوبة .

وكان وسيمًا جسيمًا شجاعًا مقدامًا حازمًا ، صاحب دِراية وخبرة مدبرًا ، كثير الصدقة والبر المعروف ، وولاه الملك السعيد بركة قان نيابة السلطنة بديار مصر ؛ فأظهر الحزم وضم إليه طائفة من الأمراء ، وكانت الخاصكية تكرهه فاتفقوا على القبض عليه ، وتحدّثوا مع الملك السعيد فى ذلك ، وما زالوا به حتى قبضوا عليه ، فلم يشعر إلاّ وهو قاعد بباب القلة من القلعة وقد سُحِبَ وضرب ونتفت لحيته وجر ــ وقد ارتكب فى إهانته أمر شنيع ــ إلى البرج فسجن به ليالى قليلة ، ثم أُخرج منه ميتًا فى أثناء سنة ست وسبعين وستمائة وجهل قبره انتهى . وهى باقية إلى الآن وتعرف بجامع دقق .

المدرسة الفارقانية

هى بشارع السيوفية على رأس حارة الألفى تجاه زاوية الآبار ، بناها الأمير ركن الدين بيبرس الفارقانى ، وهو غير الفارقانى المنسوب إليه المدرسة الفارقانية بحارة الوزيرية من القاهرة ، وهى عامرة إلى الآن وتعرف بزاوية الفارقانى . انظر الزوايا .

المدرسة الفارسية

قال المقريزى : هذه المدرسة بخُطِّ الفهادين من أول العطوفية بالقاهرة ، كان موضعها كنيسة تعرف بكنيسة الفهادين ، فلما كانت واقعة النَّصارى فى سنة ست وخمسين وسبعمائة ، هدمها الأمير فارس الدين البكى قريب الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار ، وبنى هذه المدرسة ووقف عليها وقفاً يقوم بما تحتاج إليه انتهى . والآن هذه المدرسة يتوصل إليها من حارة الجوانية التى هى كانت أول العطوفية ، وهى تجاه دير كبير عظيم البنيان داخل حارة الجوانية المذكورة ، وهذا الدير تابع لدير الطور .

وهذه المدرسة قد تهدَّمت ولم يبق منها إلا قطعة صغيرة خربة مشهورة بالزاوية الخربانة ، ليس بها سقف ولا بنيان ، ومنارتها لم تزل قائمة إلى نحو سنة ثمانين ومائتين وألف ، فهدموها بدعوى الخوف من سقوطها ، وبقى العمود الخشب الذى كان قائما فى وسطها إلى يومنا هذا .

المدرسة الفاضلية

قال المقريزى : هذه المدرسة بدرب ملوخيا من القاهرة ، بناها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى بجوار داره فى سنة ثمانين وخمسمائة ، ووقفها على طائفتى الفقهاء الشافعية والمالكية ، وجعل فيها قاعة للإقراء أقرأ فيها الإمام أبو محمد الشاطبى ناظم الشاطبية ثم تلميذه القرطبى ، ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب فى سائر العلوم ، يقال أنها كانت مائة ألف مجلد وذهبت كلها ، وكان أصل ذهابها أن الطلبة التى كانت بها لما وقع الغلاء بمصر سنة أربع وتسعين وستمائة مسَّهم الضر ؛ فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز ، حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب ، ثم تداولت أيدى الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت وبها مصحف قرآن كبير القدر جدًا مكتوب بالخط الكوفى تسميه العامة مصحف عثمان بن عفان ، ويقال : أن القاضى الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو فى خزانة مفردة له بجانب المحراب من غربيه وعليه مهابة وجلالة ، وإلى جانب المدرسة كتاب برسم الأيتام . وقد كانت من أعظم مدارس القاهرة فتلاشت لخراب ما حولها .

ترجمة عبد الرحيم البيسانى

عبد الرحيم بن علىّ بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضى الفاضل محى الدين أبو على ابن القاضى الأشرف اللخمى العسقلانى البيسانى المصرى الشافعى ، كان أبوه يتقلد قضاء مدينة بيسان فلهذا نسبوا إليها ، وكانت ولادته بعسقلان سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، ثم قدم القاهرة وخدم الموفق يوسف بن الجلال صاحب ديوان الإنشاء ، فى أيام الحافظ لدين الله وعنه أخذ صناعة الإنشاء ، ثم خدم بالاسكندرية مدة ، ثم خرج أمره إلى والى الاسكندرية بتسيره إلى الباب ، فلما حضر استخدمه بين يديه فى ديوان الجيش ، فلما مات الموفق بن الجلال تعيَّن عوضًا عنه فى ديوان الإنشاء ، فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج إلى كاتب فأحضره فأعجبه إتقانه وسمته ونصحه ، فاستكتبه إلى أن ملك صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، فاستخلصه وحسن اعتقاده فيه ، فاستعان به على ما أراد من إزالة الدولة الفاطمية حتى تم مراده ، فجعله وزيره ومشيره بحيث كان لا يصدر أمرًا إلا عن مشورته ولا ينفذ شيئاً إلا عن رأيه ، واستمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز عثمان فى المكافأه والرفعة وتقلد / الأمر ، فلما مات العزيز كان كذلك عند ابنه الملك المنصور إلى أن وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام لأخذ ديار مصر ، وخرج الأفضل لقتاله فمات منكوبا أحوج ما كان إلى الموت عند تولى الاقبال واقبال الأدبار سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ودفن بتربته من القرافة الصغرى انتهى باختصار ، وكذا ترجمه ابن خلكان بجملة وافرة .

١٣

والآن قد زالت هذه المدرسة وبنى فى محلها مساكن ودرب ملوخيا المذكور هو المعروف اليوم بدرب القزازين بجوار المشهد الحسينى .

المدرسة الفخرية

قال المقريزى : هذه المدرسة بالقاهرة فيا بين سويقة الصاحب ودرب العداس ، عمرها الأمير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومى استادار الملك الكامل محمد ابن العادل ، وفرغ منها سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وكان موضعها أخيرا يعرف بدار الأمير

حسام الدين ساروج بن ارتق شاد الدواوين .

ولد الأمير فخرالدين سنة إحدى وخمسين وخمسمائة بحلب ، وتنقل فى الخدم حتى صار أحد الأمراء بديار مصر ، وتقدم فى أيام الملك الكامل ، وصار استاداره وإليه أمر المملكة وتدبيرها إلى أن سافر السلطان من القاهرة يريد بلاد المشرق فمات بحرّان بعد مرض طويل فى ثامن عشر ذى الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة ، وكان جوادًا كثير الصدقة يتفقد أرباب البيوت وله من الآثار سوى هذه المدرسة المسجد الذى تجاهها ، وله أيضا رباط بالقرافة وإلى جانبه كُتّابٌ وسبيل ، وبنى بمكة رباطا انتهى .

مدرسة فيروز الجركس

هذه المدرسة فى درب سعادة بجوار المنجلة عن يمين الذاهب من حارة المنجلة إلى الحمزاوى . أنشأها الأمير فيروز الجركس فى القرن التاسع ، وهى متخربة الآن وتعرف بجامع فيروز ، وقد ذكرناه فى الجوامع .

مدرسة قجماس

هى فى الدرب الأحمر عند سوق الغنم . أنشأها الأمير قجماس الاسحاق الظاهرى نائب الشام ، المتوفى سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ، وهى الجامع المعروف بجامع قسماس ، ثم عرف بجامع أبى حريبة . انظره فى الجوامع .

مدرسة قراسنقر

هذه المدرسة بشارع الناصرية بقرب ضريح كعب الأحبار . أنشأها الأمير قراسنقر الظاهرى . برقوق : وهو كما فى السّخاوى قراسنقر الشمس .

ترجمة قراسنقر

الظاهرى برقوق ترق فى أيام ابن أستاذه ، ثم صار فى أيام المؤيد طبلخاناه ، وسافر

أميرًا على الحاج فى الدولة الأشرفية غير مرة ، ثم مرض وتعطَّلَ وبطل أحد شقيه ، وأخرج الأشرف أقطاعه ، فلم يلبث أن مات فى التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ، وكان مشكور السيرة وله صدقات ومعروف .

أنشأ مدرسة صغيرة بالقرب من ميدان الخيل ببركة الناصرى تجاه داره القديمة ، ووقف عليها أوقافًا انتهى .

وهذه المدرسة تعرف الآن بجامع أبى اليسر وقد ذكرناه فى الجوامع .

المدرسة القراسنقرية

قال المقريزى : هذه المدرسة تجاه خانقاه الصلاح سعيد السعداء فيما بين رحبة باب العيد وباب النصر ، كان موضعها وموضع الربع الذى بجانبها الغربى مع خانقاه بيبرس وما فى صفِّها إلى حمام الأعسر وباب الجوانية ، كل ذلك من دار الوزارة الكبرى . أنشأها الأمير شمس الدين قراسنقر المنصور نائب السلطنة سنة سبعمائة ، وبنى بجوارها مسجدا معلقا ومكتبا لقراءة الأيتام ، وجعل بهذه المدرسة درسًا للفقهاء ، ووقف على ذلك داره التى بحارة بهاء الدين وغيرها .

ولم يزل نظر هذه المدرسة بيد ذرية الواقف إلى سنة خمس عشرة وثمانمائة ثم انقرضوا ، وهى من المدارس المشهوره .

ترجمة قراسنقر

وهو قراسنقر بن عبد الله الأمير شمس الدين الجوكندار المنصورى صار إلى الملك المنصور قلاوون ، وترقى فى خدمته إلى أن ولَّاه نيابة السلطنة بحلب ، فلم يزل فيها إلى أن مات الملك المنصور ، وقام من بعده ابنه الملك الأشرف خليل ، فعز له لما توجه إلى فتح قلعة الروم ، وعاد بعد فتحها إلى حلب ، ثم لما خرج السلطان من مدينة حلب خرج فى خدمته ، وتوجه مع الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر فى عدَّةٍ من الأمراء لقتال أهل

جبال كسروان ، فلما عاد سار مع السلطان من دمشق إلى القاهرة ، ولم يزل بها إلى أن ثار الأمير بيدرا على الأشرف فتوجه معه وأعان على قتله ، فلما قتل بيدرا فرَّ قراسنقر واختفى بالقاهرة إلى أن استقر الأمر للملك الناصر محمد بن قلاوون فعفا عنه ، وحضر بين يدى السلطان وقبَّل الأرض وأُفيضت عليه التشاريف ، وجعله أميرا على عادته ولم يزل على ذلك إلى أن خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون من السلطنة ، وقام من بعده الملك العادل كتبغا فاستمر على حاله إلى أن ثار الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة بديار مصر على الملك العادل كتبغا ، واستمر الأمر لحسام الدين لاجين ، وتلقب بالملك المنصور ، فلما استقر بقلعة الجبل خلع على الأمير قراسنقر ، وجعله نائب السلطنة بديار مصر فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة ؛ فباشر النيابة إلى يوم الثلاثاء للنصف من ذى القعدة ؛ فقبض عليه وأُحيط / بموجوده وحواصله ونوابه ودواوينه وضيِّق عليه ، ولم يزل على ذلك إلى أن قتل الملك المنصور لاجين وأُعيد الملك الناصر محمد فأفرج عنه وعن غيره ، ولم يزل فى صعود وهبوط وسفر وإقامة إلى أن مات بالإسهال ببلد المراغة فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

١٤

وكان جسيمًا جليلا صاحب رأى وتدبير ومعرفة وبشاشة وجه وسماحة نفس وكرم زائد بحيث لا يستكثر على أحد شيئاً مع حسن الشاكلة وعظم المهابة والسعادة الطائلة ، وبلغت عدة مماليكه ستمائة مملوك ما منهم إلاَّ من له نعمة ظاهرة وسعادة وافرة ، وله من الآثار بالقاهرة هذه المدرسة ودار جليلة بحارة بهاء الدين انتهى باختصار .

وهذه المدرسة قد تخربت وبنى الآن فى بعض منها مكتب الجمالية وهو بين جامع بيبرس وحارة المبيضة .

مدرسة قرقماس

هى بشارع درب الحجر بجوار دار الأمير راغب باشا .

أنشأها الشيخ محمد بن قرقماس الحنفى ، وجعل له بها قبرًا دفن به سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة ، وهى عامرة إلى الآن وتعرف بجامع جنبلاط ، انظر الجوامع .

مدرسة قرقماس السيفى

هى بالصحراء قرب المدرسة البرقوقية ، وبجوار تربة القاضى عبد الباسط .
أنشأها الأمير قرقماس السيفى فى أوائل القرن العاشر ، ووقف عليها أوقافا كثيرة وهى باقية إلى الآن ، وتعرف بجامع قرقماس السيفى . انظر الجوامع .

المدرسة القطبية

قال المقريزى : هذه المدرسة فى أوّل حارة زويلة برحبة كوكاى ، عرفت بالست الجليلة لكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون ، المعروفة بدار إقبال العلائى ابنة الملك العادل أبى بكر ابن أيوب وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد وإليه نسبت .
وكانت ولادتها فى سنة ثلاث وستمائة ، ووفاتها سنة ثلاث وتسعين وستمائة .
وكانت قد سمعت الحديث وخرَّج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهرى أحاديث ثمانيات حدثت بها ، وكانت عاقلة دينة فصيحة لها أدب وصدقات كثيرة وتركت مالاً جزيلاً ، وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء ويشترى لها وقف يُغلّ ؛ فبنيت هذه المدرسة وجعل فيها درس للشافعية ودرس للحنفية وقراء ، وهى إلى اليوم عامرة انتهى .

المدرسة القوصية

هى فى حارة الفراخة بجوار حارة قصر الشوك .
أنشأها الأمير الكردى والى قوص ، وهى عامرة إلى الآن ، وتعرف بزاوية حارة الفراخة . انظر الزوايا .

المدرسة القيسرانية

فى المقريزى : أنها بجوار المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب فيما بينها وبين باب الخوخة . كانت دارا يسكنها القاضى شمس الدين محمد بن ابراهيم القيسرانى أحد موقعى

الدست بالقاهرة ؛ فوقفها قبل موته مدرسة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وتوفى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة .

وكان كبير الهمة وكانت دنياه واسعة جدًا وله عدة مماليك يتوصل بهم إلى السعى فى أغراضه عند أمراء الدولة ، وكان ينسب إلى شيخ كبير انتهى .

ولعل هذه المدرسة هى التى عن يمين الذاهب من الحمزاوى فى درب سعادة إلى سراى منصور باشا مارا على جامع المغربى بسوق النمارسة ، وهى تجاه عطفة بيرم ، وهى مشيدة البنا إلى الآن لكنها مغلقة الباب غالبًا ومعطلة الشعائر ، ولا يصلى فيها إلا الجمعة وعلى بابها نقوش غير واضحة للقارىء ، ويحتمل أن هذه المدرسة هى المدرسة الزمامية التى قال فيها المقريزى :

إن بينها وبين المدرسة الصاحبية دون مدى الصوت ، وتكون القيسرانية هى التى عرفت اليوم بجامع المغربى بجوار الصاحبية أيضا انتهى .

المدرسة الكاملية

هى بخطٍّ بين القصرين على رأس الشارع الجديد الموصل إلى بيت القاضى بجوار السبيل الذى هناك .

أنشأها الملك الكامل سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، ووقف عليها أوقافًا كثيرة وقد هدمت الآن وأخذ معظمها فى الشارع المذكور ، وكانت تعرف بجامع الكاملية ، انظر الجوامع .

مدرسة المحلى

قال المقريزى : هذه المدرسة على شاطىء النيل داخل صناعة التّمر ظاهر مدينة مصر .
أنشأها رئيس التجار برهان الدين إبراهيم بن عمر بن على المحلى ابن بنت العلامة شمس الدين محمد بن اللبان ، وينتمى فى نسبه إلى طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضى الله عنهم ، وجعل هذه المدرسة بجوار داره التى عمرها فى مدة سبع سنين وأنفق فى بنائها زيادة

على خمسين ألف دينار ، وجعل بجوارها مكتبًا فوق سبيل ، لكن لم يجعل بها مُدرِّسًا ولا طلبة . وتوفى فى الثانى والعشرين من ربيع الأول سنة ست وثمانمائة عن مال عظيم ، أخذ منه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق مائة ألف دينار .

وكان مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، ولم يكن مشكور السيرة فى الديانة ، وله من المآثر تجديد جامع عمرو بن العاص ، فإنه كان قد تداعى إلى السقوط فقام بعمارته حتى عاد قريبا مما كان عليه انتهى .

المدرسة المحمودية

هذه المدرسة بآخر قصبة رضوان وبأول شارع الخيمية بين عطفة زقاق المسك وجامع إينال .

١٥ أنشأها الأمير/ جمال الدين محمود بن على الاستادار فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وهى عامرة إلى الآن وتعرف بجامع محمود الكردى ، انظر الجوامع .

المدرسة المسرورية

قال المقريزى : هذه المدرسة بالقاهرة داخل درب شمس الدولة كانت دار شمس الخوّاص مسرور أحد خدام القصر فجعلت مدرسة بعد وفاته بوصيته ببنائها وأن يوقف الفندق الصغير عليها ، وكان بناؤها من ثمن ضيعة بالشام كانت بيده بيعت بعد موته ، وكان ممن اختص بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فقدمه على حلقته ، ولم يزل مقدما إلى الأيام الكاملية فانقطع إلى الله تعالى ولزم داره إلى أن مات ودفن بالقرافة إلى جانب مسجده ، وكان له برّ وإحسان ومعروف .

ومن آثاره بالقاهرة فندق يعرف اليوم بخان مسرور الصَّفدىّ وله ربع بالشارع .

وهذه المدرسة صارت الآن زاوية صغيرة متخربة برأس حارة درب شمس الدولة بالسكة الجديدة تجاه عطفة جامع الجوهرى .

مدرسة منازل العز

قال المقريزى : هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين ، بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز ، وعرفت بمنازل العز ، وكانت تشرف على النيل ، وصارت معدة لنزهة الخلفاء ، وكان بجانبها حمام يعرف بحمام الذهب من جملة حقوقها ؛ فلما زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف أنزل فى منازل العز الملك المظفر تقى الدين فسكنها مدة ، ثم أنه اشتراها والحمام والاصطبل المجاور لها من بيت المال ؛ فلما أراد أن يخرج إلى الشام وقف منازل العز على فقهاء الشافعية ، ووقف عليها الحمام وما حولها وعمر الاصطبل فندقًا عرف بفندق النخلة ووقفه عليها ، ووقف عليها الروضة ودرس بها عدة من الأعيان .

ترجمة الملك المظفر

والملك المظفر هو تقى الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب ابن شادى بن مروان ، وهو ابن أخى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

قدم إلى القاهرة واستنابه السلطان على دمشق فى المحرم سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، ثم نقله إلى نيابة حماة وسلم إليه سنجار لما أخذها فأقام بها ، ثم لحق السلطان على حلب فأقام إلى أن بعثه إلى القاهرة نائبا عنه بديار مصر عوضا عن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، فقدمها فى رمضان سنة تسع وسبعين وأنعم عليه بالفيوم وأعمالها مع القايات وبوش ، ثم خرج بعساكر مصر إلى السلطان وهو بدمشق لأجل أخذ الكرك من الفرنج فسار إليها وحاصرها مدة ، ثم رجع مع السلطان إلى دمشق وعاد إلى القاهرة وقد أقام السلطان على مملكة مصر ابنه الملك العزيز عثمان ، وجعل الملك المظفر كافلاً له وقائما بتدبير دولته ، فلم يزل على ذلك إلى جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ، ثم أقره السلطان على حماة والمعزة ومنبج وأضاف إليه ميافارقين .

وكانت له فى أرض مصر وبلاد الشام أخبار وقصص ، وعرفت له مواقف عديدة فى الحرب مع الفرنج ، وله فى أبواب البرّ أفعال حسنة ، وله بمدينة الفيوم مدرستان إحداهما

للشافعية وأخرى للمالكية ، وبنى مدرسة بمدينة الرها وسمع الحديث من السِّلفى وابن عوف ، وكان عنده فضل وأدب وله شعر حسن ، وكان جوادا شجاعا مقداما شديد البأس عظيم الهيبة كثير الإحسان ، مات فى نواحى خلاط ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، ونقل إلى حماة فدفن بها فى تربة بناها على قبره ابنه الملك المنصور محمد انتهى باختصار .

أقول : ويغلب على الظن أن محلها الآن الحارة المعروفة بحارة الشَّراقوة التى بمصر القديمة تجاه قصر الشمع من الجهة الغربية المجاورة لجنينة الجعجعى وجنينة الصدار وجامع المرحومى ، ويوجد إلى اليوم بالحائط الغربى لجنينة الجعجعى المذكورة باب كبير مسدود بناؤه من الحجر الكبير وعقده من الرخام ، وهو مزرر تزريرًا محكمًا فى غاية الإتقان يشبه أبواب المدارس القديمة ، وبجانبه باب الحمام والاثنان مسدودان بالبناء .

ويوجد بجامع المرحومى مئذنة قديمة جميعها بالطوب الأحمر ومقر نصاتها من الجبس والطوب بخلاف بناء الجامع فإنه مستجد ، وهذه المئذنة بناؤها يشبه بناء جامع الحاكم وجامع طولون ، فبتلك الآثار يستدل على أن حارة الشراقوة بما احتوت عليه من العشش والمنازل الحقيرة واقعة فى كل منازل العز ، وأن الجنائن الموجودة هناك هى بعض بساتينها ، ويؤيد ذلك أن تلك الحارة بآخر الشارع الذى ابتداؤه من عند السيدة نفيسة رضى الله عنها المار تجاه جامع عمرو وقصر الشمع المعروف فى خطط المقريزى بالشارع الأعظم ، الذى كانت الخلفاء تمر به أيام المواكب والمواسم إلى أن تصل إلى منازل العز ودار الملك اللتين كانتا من متنزهاتهم .

المدرسة المنصورية

هى بشارع النحاسين تجاه المدرسة الكاملية . أنشأها الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى ، وهى عامرة إلى الآن وتعرف بجامع المارستان . انظر الجوامع .

المدرسة المنكوتمرية

هذه المدرسة بحارة بين السيارج على يمنة السالك من رأس الحارة إلى ضريح الأستاذ البلقينى ، وهى متخربة لم يبق / إلا جانبها القبلى الذى به الباب والشبابيك وإلى جانبها صهريج متصل بها وسورها الغربى متصل بالمساكن .

١٦

وقال المقريزى : هذه المدرسة بحارة بهاء الدين من القاهرة بناها بجوار داره الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامى نائب السلطنة بديار مصر وكملت فى صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة وعمل بها درسًا للمالكية قرر فيه الشيخ شمس الدين محمد بن أبى القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسى المالكى ودرسًا للحنفية ، وجعل فيها خزانة كتب وجعل عليها وقفًا ببلاد الشام وهى من المدارس الحسنة .

ترجمة الأمير منكوتمر

ومنكوتمر هو أحد مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ترقى فى خدمته واختص بها اختصاصًا زائدًا إلى أن ولى مملكة مصر بعد كتبغا فجعله أحد الأمراء بديار مصر ثم خلع عليه خلع نيابة السلطنة ؛ فخرج سائر الأمراء فى خدمته إلى دار النيابة وباشرها بتعاظم كثير ، وأعطى المنصب حقه من الحرية الوافرة والمهابة التى تخرج عن الحد ، وتصرف فى سائر أمور الدولة من غير أن يعارضه السلطان فى شىء البتة .

وبلغت عبرة أقطاعه فى السنة زيادة على مائة ألف دينار ، ولما عمل الملك المنصور الروك المعروف بالروك الحسامى فوض تفرقة منالات إقطاعات الأجناد له ؛ فجلس فى شباك دار النيابة بالقلعة ووقف الحجاب بين يديه وأعطى لكل تقدمة منالات ؛ فلم يجسر أحد أن يتحدث فى زيادة ولا نقصان خوفا من سوء خلقه وشدة حمقه ، ولم يزل فى أبهته وسطوته إلى أن قتل السلطان فقبض عليه أيضاً وذبح ؛ فكان بين قتله وقتل أستاذه ساعة من الليل وذلك فى ليلة الجمعة عاشر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة انتهى .

المدرسة المهذبية

قال المقريزى : هذه المدرسة خارج باب زويلة من خط حارة حلب بجوار حمام قارى ، بناها الحكيم مهذب الدين أبو سعيد محمد بن علم الدين بن أبى وحش بن أبى الخير ابن أبى سليمان بن أبى حليقة رئيس الأطباء . كان جده الرشيد أبو الوحش نصرانيا متقدما فى صناعة الطب فأسلم ابنه علم الدين فى حياته ، وكان لا يعيش له ولد فرأت أمه وهى حامل به قائلا يقول : هيئوا له حلقة فضة قد تصدق بوزنها ، وساعة يوضع من بطن أمه تثقب أذنه وتوضع فيها الحلقة ففعلت ذلك فعاش ؛ فعاهدت أمه أباه أن لا يقلعها من أذنه ، فكبر وجاءته أولاد وكلهم يموت فولد له ابنه مهذب الدين أبو سعيد فعمل له حلقة فعاش ، وكان سبب اشتهاره بأبى حليقة أن الملك الكامل محمد بن العادل أمر بعض خدامه أن يستدعى الرشيد الطبيب من الباب ، وكان جماعة من الأطباء بالباب ، فقال الخادم : من هو منهم ؟ فقال السلطان : أبو حليقة . فخرج فاستدعاه بذلك فاشتهر بهذا الاسم ، ومات الرشيد فى سنة ست وسبعين وستمائة . انتهى .

وهذه المدرسة موجودة إلى الآن وتعرف بتكية الخلوتية ، وهى داخل عطفة مراد بك التى بأول شارع الحلمية ، وأما حمام قارى فقد زال فى بناء الحلمية ، وكان يعرف بحمام إبراهيم بك لقربه من بيته .

المدرسة المهمندارية

هى بخط البراذعية من الدرب الأحمر بين جامع الماردانى وأبى حريبة . بناها الأمير شهاب الدين أحمد المهمندار سنة خمس وعشرين وسبعمائة وهى غير عامرة الآن ، وتعرف بزاوية المهمندار انظر الزوايا .

المدرسة النابلسية

هى داخل حارة المبيضة من ثمن الجمالية ذكرها المقريزى مرارا فى التجديدات ولم يفردها بالذكر وهى موجودة إلى الآن وتعرف بزاوية الأربعين انظر الزوايا .

المدرسة الناصرية

هى بشارع النحاسين بجوار المدرسة المنصورية المعروفة اليوم بجامع المارستان .
أنشأها الملك العادل ولما عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى مملكة مصر سنة ثمان وتسعين وستمائة أمر باتمامها وهى عامرة إلى الآن وتعرف بجامع الناصرية انظر الجوامع .

المدرسة اليونسية

هى بشارع المغربلين على رأس عطفة الداوودية . أنشأتها الست عائشة اليونسية زوجة الأمير يونس السيفى الدوادار الكبير وهى عامره إلى الآن وتعرف بزاوية اليونسية انظر الزوايا .

* * *

الزوايا

حرف الهمزة

زاوية الست آمنة

هى بالحسينية داخل حارة البيومى قرب جنينة السّبع والضّبع ، وقرب زاوية المتبولى على يمنة داخل الحارة وبها منبر وخطبة ، وشعائرها مقامة بنظر الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الغنى الملوانى شيخ البيومية ، ويقال أنها كانت معبد سيدى على البيومى وفيها ضريح زوجته الست آمنه .

زاويـــة الآبـــار

هذه الزاوية هى المدرسة البندقدارية المذكورة فى تحفة الأحباب للسخاوى ، وعدها المقريزى أيضاً فى الخانقاهات ، فقال :

الخانقاه البندقدارية بالقرب من الصليبية كان موضعها يعرف قديماً بدويرة مسعود ، وهى الآن تجاه المدرسة الفارقانية وحمام الفارقانى .

١٧

أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى ، وجعلها مسجدًا لله تعالى وخانقاه ورتب فيها صوفية وقراء فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة مات رحمه الله تعالى سنة أربع وثمانين وستمائة . وإلى أيدكين هذا ينسب الملك الظاهر بيبرس البندقدارى لأنه كان أولا مملوكه ، ثم انتقل منه إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف بين المماليك البحرية ببيبرس البندقدارى . وعاش أيدكين إلى أن صار بيبرس سلطان مصر وولاه نيابة السلطنة بحلب سنة تسع وخمسين وستمائة ، وكان الغلاء بها شديدًا فلم تطل أيامه وفارقها بدمشق بعد محاربة سنقر الأشقر فأقام فى النيابة نحو شهر وصرفه الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى ؛ فلما خرج السلطان إلى الشام سنة إحدى وستين وستمائة أعطاه إمرة مصر وطبلخاناه ، واستمر على ذلك إلى أن مات سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بقبة هذه الخانقاه اهـ .

وإلى الآن قبره بها ظاهر يزار عليه تابوت خشب منقوش فيه آيات من القرآن هذا قبر الفقير إلى الله تعالى الرّاجي عفو الله الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى ، جعله الله محل عفو وغفران . وباق الكتابة مطموس وقد تخربت تلك المدرسة مدة ثم جدَّدها ديوان الأوقاف فى زماننا هذا على ما هى عليه الآن ، وعرفت بزاوية الآبار وفيها عمودان من الحجر ، ولها مطهرة وأخلية وعلى القبر قبة صغيرة ، وشعائرها مقامة بالأذان والصلوات

زاوية إبراهيم بن عصيفير

هى بخط بين السورين تجاه زاوية أبى الحمائل كما فى طبقات الشعرانى قال فيها : كان سيدى إبراهيم كثير الكشف وأصله من البحر الصغير ، وحصلت له الكرامات وهو صغير ، وكان يتشوّش من قول المؤذن : الله أكبر ؛ فيرجمه ويقول : عليك ياكلب نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا ، وكان أكثر نومه فى الكنيسة ويقول : النصارى لايسرقون النعال فى الكنيسة بخلاف المسلمين وكان يقول : أنا ما عندى من يصوم حقيقة إلا من لا يأكل اللحم الضانى أيام الصوم كالنصارى ، وأما المسلمون الذين يأكلون الضانى والدجاج أيام الصوم فصومهم عندى باطل ، وكان يقول لخادمه : لاتفعل الخير فى هذا الزمان فينقلب عليك بالشر ، وكان يفرش تحته التبن ليلاً ونهارا وكان قبل ذلك يفرش زبل الخيل ، وكان إذا مرت عليه جنازة وأهلها يبكون يمشى أمامها ويقول : زلابية هريسة ويكررها ، وأحواله غريبة ، ومات سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ودفن بزاويته هذه انتهى .

زاوية سيدى إبراهيم الدسوقى

هى داخل درب المهابيل من ثمن الأزبكية وهى متخربة جدًا وبأرضها شجرة لبخ ونخلتان .

زاوية إبراهيم الصائغ

قال المقريزى : هذه الزاوية بوسط الجسر الأعظم تطل على بركة الفيل عمَّرها الأمير سيف الدين طغاى بعد سنة عشرين وسبعمائة وأنزل بها فقيرًا عجميًا من فقراء الشيخ تقى الدين

رجب يعرف بالشيخ عز الدين العجمى ، وكان يعرف صناعة الموسيقى وله نغمة لذيذة وصوت مطرب وغناء جيد ؛ فأقام بها إلى أن مات فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ؛ فتغلب عليها الشيخ إبراهيم الصائغ إلى أن مات يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وسبعمائة فعرفت به . اهـ .

وأظن أن هذه الزاوية هى الموجودة لصق حوش إبراهيم جركس فى مقابلة منزل حسين باشا ناظر المطبعة الكبرى سابقا .

زاوية الابناسى

فى المقريزى أنها بخط المقس عرفت بالفقيه برهان الدين بن حسين بن موسى بن أيوب الابناسى الشافعى . قدم من الريف وبرع ودرس بالأزهر وولى مشيخة الخانقاه الصلاحية ، وتوفى سنة اثنتين وثمانمائة ، ودفن بطريق الحجاز فى عيون القصب . انتهى باختصار وبسطنا ترجمته فى بلدته ابناس .

زاوية أبى زينب

هى فى حارة السطيحة ببولاق كانت متخربة ثم جددها والى مصر المرحوم الحاج عباس باشا وأقام شعائرها ، وبها ضريح الشيخ أبى زينب عليه مقصورة من الخشب ، وشعائرها الآن مقامة بمعرفة ناظرها عبد الكريم مخزنجى المطبعة الكبرى ببولاق .

زاوية أبى طالب والست المبرقعة

هى بشارع الطنبلى على يسرة المار من حارة الطنبلى إلى سوق الزلط ، وشعائرها مقامة وناظرها محمد شوشة الصباغ .

زاوية ابن أبى العشائر

قال الشعرانى فى ترجمة أبى العباس البصير : إنها بباب القنطرة وقال فى ترجمته : هو أبو السعود بن أبى العشائر بن شعبان بن الطيب الباذينى نسبة إلى باذين بلدة بقرب جزائر

واسط بالعراق وهو من أجلاَّء مشايخ مصر المحروسة ، وكان السلطان ينزل إلى زيارته وتخرج بصحبته داود المغربى وشرف الدين وخضر الكردى ومشايخ لا يحصون . مات سنة أربع وأربعين وستمائة ودفن بسفح الجبل المقطم .

وكان يقول : من رأيته يميل إليك لأجل نفعه منك فاتهمه ، ومن كان سببا لغفلتك عن مولاك فأعرض عنه . وكان يقول : صلاح القلب فى التوحيد والصدق وفساده فى الشرك والرياء ، وعلامة صدق التوحيد شهود واحد ليس له ثان مع عدم الخوف والرجاء إلا من الله سبحانه وتعالى ، وكان يقول : عليك بالإحسان إلى رعيتك . والرعية خصوص وعموم فالعموم : العبد ، والأمة ، والولد . والخصوص ماوراء ذلك فعليك بروحك ثم بسرك ثم بقلبك ثم بعقلك ثم بنفسك / فالروح تطالبك بالسير إليه والسر يطالبك بإخفاء سرك ، والقلب يطالبك بالذكر والمراقبة ، والعقل بالتسليم إليه والجسد بالخدمة له والنفس بكفها عما مالت إليه . ويقول : إذا لم تعن بنفسك فغيرك أحرى أن يضيعك ويقول : الأخلاق الشريفة تنشأ من القلوب ، والذميمة تنشأ من النفوس . وكان يقول : لم يصل الأولياء إلى ما وصلوا إليه بكثرة الأعمال بل بالأدب . وكان يقول : من تغير فى حال الذل ولم يكن كما كان فى حال العز فهو محب للدنيا بعيد من ربه . وكان يقول : كل ما أغفل القلوب عن ذكره تعالى فهو دنيا ، وكل ما أوقف القلوب عن طلبه فهو دنيا ، وكل ما أنزل الهم بالقلب فهو دنيا . قال : وما رأيت فى لسان الأولياء أوسع أخلاقا منه ومن سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله عنهما انتهى باختصار .

١٨

زاوية أبى العينين

هى داخل حارة قلعة الكلاب من شارع المناصرة وهى متخربة وبها نخل بلح وشجرة لبخ .

زاوية أبى الغنائم

هى من داخل درب عجور بالحسينية خارج باب الفتوح بجوار درب البركة مشهورة ببيت مقبلة وبها ضريح الشيخ أبى الغنائم متشعثا ويعمل له مولد كل سنة وأصله من شبرا

باص من قرى فارسكور ، وقد بسطنا ترجمته هناك ا هـ . من كتاب تحفة الأحباب ، وفى شعائر هذه الزاوية تعطيل وفيها مساكن .

زاوية أبى الليف

هى فى حارة أبى الليف بخط سويقة السباعين بها ضريح الشيخ محمد المغازى يعمل له مولد كل سنة ولها حوش موقوف عليها شعائرها مقامة من ريعه .

زاوية أبى النور

هى خارج باب زويلة تحت الإيوان الغربى من الجامع المؤيدى . شعائرها مقامة وبها ضريح يقال له ضريح الشيخ أبى النور يعمل له حضرة كل ليلة جمعة ومولد كل سنة ، ويعرف بين العامة بالشيخ على أبى النور .

والذى فى كتاب المزارات للسخاوى : انه الشيخ عبد الحق فإنه قال فى وصف الجامع المؤيدى : وتحت الإيوان الغربى من هذا الجامع من جهة دار التفاح زاويه الشيخ عبدالحق . وهو مسجد قديم به صورة قبر يقول العامة أنه لأبى الحسن النورى وليس بصحيح ، وإنما المسجد يسمى مسجد النور . جُدد بناؤه فى سنة أربع وخمسين وستمائة انتهى ، ولها أوقاف تحت نظر ديوان عموم الأوقاف .

زاوية أبى اليوسفين

هذه الزاوية بالتبانة شعائرها مقامة وبها حنفية وميضأة وأخلية وفيها ضريح منشئها أبى اليوسفين عليه قبة فيها محراب ولها أوقاف تحت نظر مصطفى أفندى خلوصى .

زاوية ابن العربى

هى على رأس حارة الجودرية قرب الفحامين كانت مدرسة تعرف بالشريفية تخربت فجدَّدها السيد أحمد بن الشيخ عبدالسلام المغربى سنة خمس ومائتين وألف وغيَّر معالمها

فجعلها زاوية للصلاة ، ثم عرفت بابن العربى لدفنه بها ولها مطهرة وأوقاف جارية عليها تحت نظر الديوان وشعائرها الإسلامية مقامة ، وذكرها المقريزى فى المدارس ؛ فقال : هذه المدرسة بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة وقفها الأمير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر اسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبى جميل دحية ابن جعفر بن موسى بن إبراهيم بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه الجعفرى الزينبى أمير الحاج والزائرين وأحد أمراء مصر فى الدولة الأيوبية وتمت فى سنة اثنتى عشرة وستمائة وهى من مدارس الفقهاء الشافعية ، ومات الشريف اسماعيل بن ثعلب بالقاهرة فى سابع عشر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة انتهى باختصار .

وأما ابن العربى المذكور ففى تاريخ الجبرتى أنه العلامة المحدث الشيخ على بن العربى الفاسى المصرى الشهير بالسقاط ، ولد بفاس وقرأ على والده وعلى العلامة محمد بن أحمد العربى ابن الحاج الفاسى ، وسمع منه الاحياء وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد السلام البنانى .

كتب العربية وجاور بمكة فسمع على البصرى والنخلى وغيرهما وعاد إلى مصر ؛ فقرأ على الشيخ إبراهيم الفيومى أوائل البخارى ، وعلى عمر بن عبد السلام التطاونى جميع الصحيح وقطعة من البيضاوى وجميع المنح البادية فى الأسانيد العالية ، وسمع كتبا كثيرة على عدّة مشايخ . وكان عالماً فاضلاً مستأنساً بالوحدة والانفراد ولا زال كذلك حتى توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف ودفن بهذه الزاوية التى برأس حارة الجودرية انتهى باختصار .

ودفن بها أيضا السيد أحمد المتقدم الذكر وكان بيته تجاه هذه الزاوية وقد ملكه السيد المحروقى بعد موته ثم لما مات السيد المحروقى دفن بها أيضا وقد ذكرنا ترجمة السيد أحمد هذا وترجمة السيد المحروقى عند الكلام على حارة المحروقى من شارع الجودرية .

زاوية ابن منظور

قال المقريزى : هذه الزاوية خارج القاهرة بخط الدكة بجوار المقس عرفت بالشيخ

جمال الدين محمد بن أحمد بن منظور بن إدريس بن خليفة بن عبدالرحمن بن عبدالله الكنانى العسقلانى الشافعى الصوفى الإمام / الزاهد كانت له معارف وأتباع ومريدون ومعرفة بالحديث حدّث عن أبى الفتوح الجلالى وروى عنه الدمياطى وعدة من الناس ، ونظر فى الفقه واشتهر بالفضيلة وكانت له ثروة وصدقات ومولده فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، ووفاته بزاويته فى ليلة الثانى والعشرين من شهر رجب سنة ست وتسعين وستمائة ، وكانت هذه الزاوية أولاً تعرف بزاوية شمس الدين بن كرا البغدادى انتهى .

زاوية الأربعين

هذه الزاوية داخل درب عبد الحق من الأزبكية بدرب عبد الخالق . شعائرها مقامه ومنافعها تامه ، وأوقافها تحت نظر رجل يدعى حمد بدوى .

زاوية الأربعين

هى داخل درب التركمانى بالأزبكية شعائرها مقامة وبجوارها منزل وقف عليها ولها مرتب بالروزنامجة أربعون قرشا وهى تحت نظر الست زهره باشا ابنة المرحوم مصطفى باشا .

زاوية الأربعين

هذه الزاوية بحارة النبقة بخط درب الجماميز ، وهى صغيرة جدا وبها منبر صغير وضريح يقال له ضريح الأربعين ، وكان أول أمرها مدرسة كما يدل له ما هو مكتوب بأسفل سقفها فى إزار خشب بعد آيات قرآنية أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله سبحانه وتعالى وجزيل عطائه العميم الجناب الكريم العالى المولوى ، وباقى الكتابة مطموس لا يمكن قراءته وشعائرها الآن غير مقامة والنظر فيها لاسماعيل أفندى عبد الخالق .

زاوية الأربعين

هذه الزاوية بشارع الحوض المرصود تجاه جامع لاشين السيفى وهى مقامة الشعائر وبها

ضريح الأربعين وضريح نصر الدين السطوحى يعمل لها حضرة كل ليلة أربعاء ، ومن وقفها حوش وربع ودكانان وقهوة تحت نظر عبد الرحمن الزينى .

زاوية الأربعين

هى بحارة المرحوم إبراهيم أدهم باشا من خط الصليبة وليس لها أوقاف ، وشعائرها مقامة من طرف الست زعفران ، وتجاهها فى الطريق تربة كبيرة يقال لها مقام الأربعين .

زاوية الأربعين

هى بحارة الواجهة من بولاق وهى مقامة الشعائر تامة المنافع والنظر فيها للديوان .

زاوية الأربعين

هذه الزاوية ببولاق أيضا داخل حارة اللبان وهى صغيرة ، وشعائرها مقامة ومنافعها تامة وبها ضريح يعرف بالأربعين وأوقافها تحت نظر الديوان .

زاوية الأربعين

هى ببولاق أيضا فى شارع حواصل الكسب شعائرها مقامة ولها ميضأة صغيرة ولها أوقاف تحت نظر محمد سلامة .

زاوية الأربعين

هى عن يمين السالك من عند الشيخ البيومى إلى الكردى تجاه منزل شيخ الكرشاتية أبى العلا غندر ، وهى صغيرة مقامة الشعائر بنظر بعض الأهالى ، وبها ضريح يقال له الأربعين .

زاوية الأربعين

هى بدرب المبيضة المقابل للخانقاه الصلاحية ، وهى صغيرة وبها ضريح يزار وله مولد سنوى ولها بئر خارجها وأكثر منافعها دخل فى المساكن حولها ، وكانت أول أمرها مدرسة ولم يفردها المقريزى بالذكر وإنما ذكرها مرارا فى التحديدات بأنها المدرسة النابلسية التى بالزقاق

المقابل للخانقاه الصلاحية بجوار خرائب تتر وبجوارها دار تجارية على يمين داخلها موقوفة على الخيرات . ذكرها المقريزى أيضا عند حمام تتر كما قال عند ذكر حمام كرجى : أن موضعه البنيان الذى يقابل الخانقاه الصلاحية على يمين السالك من الزقاق إلى خرائب تتر والمدرسة النابلسية انتهى ، وذلك البنيان موضعه الآن صهريج يعلوه مكتب .

زاوية الأربعين

هذه الزاوية بالمقس فى حارة التركمانى على يسرة الداخل من الحارة وهى صغيرة مقامة الشعائر .

زاوية الأربعين

هذه الزاوية بآخر درب الميضأة من شارع الصليبة وتعرف بزاوية الشيخ خضر .

زاوية الأربعين

فى حارة الباطنية على يسار الداخل فى أول الحارة وهى صغيرة مقامة الشعائر وبها ضريح يقال له الأربعين عليه مقصورة من خشب وبها منبر ودكة للتبليغ لها ميضأة بوسطها عمود وعليها حجران متقاطعان بهيئة صليب ولها منارة قصيرة .

زاوية الأربعين

هى بحارة درب سعيدة من شارع سوق الخشب وهى مقامة الشعائر والناظر عليها رجل يعرف بالشيخ محمد صالح .

زاوية الأربعين

فى آخر حارة درب الدالى حسين .

زاوية الأربعين

بوسط حارة درب الدالى حسين .

زاوية أرغون شاه

هذه الزاوية بشارع اللبودية من خط درب الجماميز ، وهى مقامة الشعائر ولها ميضأة ومراحيض وبئر ولها مرتب بالروزنامجة وبأعلاها مسكن ليس من وقفها ونظارتها تحت يد امرأة تعرف بعائشة من ذرية الشيخ عارف أبى حيان ، وفى هذه الزاوية ضريح يقال له ضريح أرغون شاه وليس كذلك ؛ فإن الظاهر أن أرغون شاه هو الذى ترجمه بطرس البستانى فى دائرة المعارف بقوله :

ترجمة أرغون شاه

أرغون شاه رجل أصله من بلاد الصين أتى به إلى السلطان أبى سعيد ابن خدابنده ملك التتار فى بغداد فأعطاه للأمير خواجا نائب جوبان فأهداه خواجا إلى الملك / الناصر محمد بن قلاوون بمصر فحظى عنده لما كان عنده من الحزم والنباهة وأخذ يقدمه فى ذلك ثم زوجه بابنة أحد كبار دولته ، وبعد موت الملك الناصر ارتفعت كلمته أيضا عند الملك الكامل وولاه استادارا ، ولما قتل الكامل وتولى أخوه المظفر حاجى زادت رتبته عنده وجعله نائبا فى صفد ثم فى حلب ، ثم فى دمشق ثم قتله جبغا ذبحا واستصفى أمواله ولحق بطرابلس ، ثم قبض عليه وأرسل إلى مصر وقتل هو ومساعده إياس الحاجب ، وكان كل هذا سنة خمسين وسبعمائة انتهى .

٢٠

وكان أرغون هذا فى غاية السطوة والجور سفاكاً للدماء قتل بحلب كثيرا من الخلق وسمر آخرين وقطع بدويا سبع قطع بمجرد ظن ظنه ، وكان عنده فرس ثمين مدح بالسلوقية فغضب عليه وضربه حتى سقط ثم قام فضربه حتى سقط ثم قام فأعاد الضرب وهكذا حتى عجز عن القيام فقال بعض الحاضرين .

عقلت طرفك حتى أظهرت للناس عقلك
لا كان دهر يولى على بنى الناس مثلك

انتهى .

زاوية أبي خودة

هذه الزاوية بالحسينية قرب جامع شرف الدين الكردى بها قبر الشيخ على أبي خودة رضى الله عنه .

ترجمة الشيخ على أبي خودة

قال الشعرانى : كان من أرباب الأحوال ومن الملامتية ، وكان له خودة من حديد زنتها قنطار وثلث لم يزل حاملها ليلا ونهارا ، وكان شيخا أسمر قصيرا ، وكان معه عصا لها شعبتان كل من زاحمه ضربه بها ، وكان يهوى العبيد السود والحبش لم يزل عنده نحو العشرة يلبسون الخود ولكل واحد حمار يركبه فكانوا يركبون معه ، وكان إذا رأى امرأة أو أمرد حسس على مقعدته ، ولو كان ابن أمير ولا عليه من أحد ، وإذا حضر السماع يحمل المنشد ويجرى به كالحصان ، وكان يخرج خلفه على الأمير قرقماش أيام الغورى فيضربه بحضرة جنده فلا يستطيع أحد أن يرده حتى يرجع هو بنفسه . وقال لى مرة : احذر أن تنيكك أمك فقلت لبعض عبيده : ما معنى كلام الشيخ ؟ قال : يحذرك أن يدخل حب الدنيا فى قلبك لأن الدنيا هى أمك . مات سنة نيف وعشرين وتسعمائة ودفن بزاويته انتهى .

زاوية أولاد شعيب

هذه الزاوية فى داخل رحبة التين بحارة النصارى مقامة الشعائر ، ولها أوقاف تحت نظر الديوان .

حرف الباء

زاوية باشا السكرى

هذه الزاوية بشارع البيومى عن يمين السالك من باب الفتوح إلى مقام سيدى على البيومى بالحسينية قدّام حمام البشرى ، وهى صغيرة وبها منبر وخطبة وشعائرها مقامة من طرف ديوان الأوقاف واشتهرت باسم باشا السكرى خادمها .

زاوية البطل

هى بدرب البرابرة من خط الموسكى بداخل حوش الحين ، وهى متخربة معطلة الشعائر ولها أوقاف تحت نظر الديوان ، وتعرف قديما بزاوية ابن بطالة باسم الشيخ محمد ابن بطالة ، فإنه هو الذى أنشأها وقرر فيها البرهان الابناسى الصغير مدرسا وجعل بها فقراء ثم بطل ذلك .

ترجمة ابن بطـالة

وابن بطالة : هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الشمس أبى الفضل ابن أبى عبد الله الجوهرى بلداً نسبة للجوهرية بالقرب من طنتدا الشافعى مذهبا الأحمدى طريقة ، يعرف بابن بطالة كان حافظا للقرآن والتنبيه ، وحج مرارا وجاور وبنى الزاوية المذكورة بقنطرة الموسكى وكان مكرما للوافدين ، مات فى سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة وقد قارب الخمسين ودفن بالمقام الأحمدى .

وفى هذه الزاوية ضريح والده الشيخ محمد بن عبد الرحمن المعروف أيضا بابن بطالة ، حفظ القرآن وغيره وتفقه على الابناسى وكان مجاوراً معه بمكة ، وأجازه ووصفه بالشيخ الإمام المربى السالك الناسك الفاضل وابتنى زاوية بفيشا المنارة ، وكان مشاراً إليه بالصلاح وإكرام الوافدين ، وكانت كلمته مسموعة عند أهل الدولة . مات سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، وكانت جنازته مشهودة انتهى من الضوء اللامع للسخاوى وله ابن اسمه محمد ترجمناه فى الكلام على فيشا المنارة .

زاوية البقــرى

هذه الزاوية بقرب الجامع الحاكمى بين باب حارة العطوف ودرب الشرفا على يسار الداخل من باب حارة العطوف ، وهى مسجد صغير وبها منبر نفيس وخطبة ومحرابها بالرخام الملوّن وأصلها مدرسة ، وذكرها المقريزى فى المدارس ، فقال : المدرسة البقرية فى الزقاق الذى تجاه باب الجامع الحاكمى المجاور للمنبر ويتوصل من هذا الزقاق إلى ناحية العطوف . بناها الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل تصغير غزال المعروف بابن البقرى .

ترجمة ابن البقرى

أحد مسالمة القبط وناظر الذخيرة أيام حسن بن الناصر قلاوون ، وهو خال الوزير نصر الله بن البقرى ، وأصله من دار البقر بالغربية ، نشأ على دين النصارى وتعلم الحساب ، ثم أسلم وتقلب فى الوظائف الشريفة وأنشأ هذه المدرسة فى أبدع قالب وأبهج ترتيب ، وجعل بها درسًا للشافعية ورتب بها ميعادًا وإمامًا حسن القراءة طيّب النغمة ولم يزل على حالة السيادة والكرامة إلى أن مات فى سنة ست وسبعين وسبعمائة ودفن بمدرسته هذه ، وعلى / قبره قبة فى غاية الحسن ثم استجد فيها منبر وأقيمت بها الجمعة فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة بإشارة علم الدين داود الكويز كاتب السر ، وقد ذكرنا ترجمة ابن البقرى فى دار البقر انتهى باختصار . ٢١

وهى مقامة الشعائر والجمعة والجماعة ، وبها القبة إلى الآن وعلى يمين المحراب حجر منقوش فيه تاريخ تجديدها وهو سنة ست وأربعين وسبعمائة ، وكان بها مصحف من وقف السلطان قايتباى طوله خمسة أشبار نقل إلى الكتبخانة الخديوية بسراى درب الجماميز .

زاوية البكتمرى

هذه الزاوية فى حارة سيدى مدين ، بها ضريح منشئها سيدى عبد الرحمن البكتمرى ، وهى مقامة الشعائر تامة المنافع ، ولها أوقاف تحت نظر الديوان ، وفى الضوء اللامع للسخاوى أن البكتمرى . .

ترجمة البكتمرى

هو عبد الرحمن بن بكتمر السندبسطى ، ثم القاهرى أحد أصحاب الزاهد ، وصاحب الزاوية المجاورة لجامع شيخه ، وفيها محل دفنه ، أخذ عنه جماعة كثيرون منهم محمد البدوى ، وذكروا له أحوالاً صالحةً . وكانت له طاحون يقتات منها ويعمر من فاضلها الزاوية المشار إليها التى لم يكملها ، وإنما أكملها صاحبه الشيخ مدين . مات سنة أربعين وثمانمائة أو قبلها انتهى .

زاوية البلخى

هى خارج باب الشعرية بقرب زاوية الشيخ العدوى ، تجاه جامع الدشطوطى وبجواره ، وفيها منبر وخطبة وضريح يقال : أنه للشيخ البلخى يعمل له مولد فى آخر مولد سيدنا الحسين رضى الله عنه فى ربيع الثانى ، ولها منارة وشعائرها مقامة بنظر ديوان الأوقاف .

زاوية بهاء الدين المجذوب

هذه الزاوية بقرب باب الشعرية بها قبره رضى الله عنه .

قال الشعرانى : كان الشيخ بهاء الدين من أكابر العارفين ، وكان أوّلاً خطيبا فى جامع الميدان ، وكان أحد شهود القاضى فحضر يوم عقد زواج ، فسمع قائلا يقول : هاتوا النار جاء الشهود فخرج هائمًا على وجهه ، فمكث ثلاثة أيام فى الجبل المقطم لا يأكل ولا يشرب ، ثم ثقل عليه الحال فخرج بالكلية ، وكان يحفظ البهجة فكان لا تزال تسمعه يقرأ فيها لأن كل حالة أخذ العبد عليها يستمر فيها ، ولو خرج عنها يرجع إليها سريعاً ، فمن المجاذيب من تراه مقبوضاً على الدوام لكونه جذب فى حالة قبض ، ومنهم من تراه مبسوطًا وهكذا .

وكان الشيخ فرج المجذوب كثيرًا ما يقول : عندك رزقة فيها خراج ودجاج وفلاحون لكونه جذب وقت اشتغاله بذلك ، ولم يزل ابن البجائى يقول : الفاعل مرفوع والمخفوض مجرور وهكذا لأنه جذب حال قراءة النحو وكان له مكاشفات مشهورة انتهى .

زاوية بهلول

هذه الزاوية بشارع المحجر بقرب زاوية الشيخ حسن الرومى وهى صغيرة ، وشعائرها ليست مقامة ، وبها ضريح يعرف بالشيخ بهلول ، يعمل له مولد كل سنة وحضرة كل ليلة أربعاء .

زاوية البهلــول

هذه الزاوية بحارة الزير المعلّق من خط عابدين ، فيها ضريح الشيخ محمد البهلول ، عليه تابوت من الخشب ، وهى مقامة الشعائر من أوقاف عمر رجب النحاس .

زاوية بهــادى

هذه الزاوية بدرب غزية من خط السيدة سكينة رضى الله عنها منقوش على بابها فى لوح رخام : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية[1] . أمر بتجديد هذا المكان المبارك أبو سعيد الطاهرى فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وخمسمائة انتهى ، ثم جدّدها المعلم محمد الشيمى المهندس المعمارى تبرعًا منه ، وأقام شعائرها فهى عامرة إلى الآن ، وبها ضريح يقال لصاحبه الشيخ بهادى .

زاوية بيــرم

هى فى داخل عطفة بيرم فى آخر درب سعادة بخط الحمزاوى ، بنيت فى محل المدرسة الصاحبية التى قال فيها المقريزى : إن بينها وبين المدرسة الزمامية دون مدى الصوت . أنشأها الصاحب صفىّ الدين عبد الله بن على بن شكر المترجم فى بلدته دميرة ، وكان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس ودار الديباج ، فبناها الصاحب وزير الملك العادل ، وجعلها وقفًا على المالكية ، ورتّب بها درس نحو ، وخزانة كتب .

وفى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، جدّدها القاضى علم الدين إبراهيم المعروف بابن الزبير ناظر الدولة أيام السلطان حسن بن الناصر قلاوون واستجد فيها منبرًا وجمعة انتهى ، ثم تخربت وبقى بها قبة يقال : إن فيها قبر منشئها ثم أزيلت وبنى هناك مساكن ، ولم يبق من الوقف إلا هذه الزاوية وهى الآن معطلة .

---

(١) سورة التوبة آية : ١٨ .

حرف التاء

زاوية تـاج الـدين

قال السخاوى فى كتاب المزارات : هذه الزاوية بقرب مشهد السيدة رقية رضى الله عنها ، داخل الدرب المسدود على طريق المارّ بها الشيخ العارف القدوة شيخ الصوفية شرف الدين عمر العادلى القادرى الشافعى ، كان من مشايخ الطريق وصنف كتاباً سماه منهاج الطريق وسراج التحقيق ، جمع فيه أسماء مشايخه وهم أربعون من مشاهير الأولياء ، وبين فيه طرائقهم ، وكيف الوصول إليهم خلفًا عن سلف ، وكان بزى الجند ثم بزى الفقراء ، وصحب القادرية . مات سنة ثمان وثمانين وسبعمائة . وتعرف الزاوية بزاوية تاج الدين العادلى .

٢٢ قال شرف الدين العادلى : أنه / أخذ عن الشيخ ناهض الدين أبى حفص عمر الكردى فى زاويته التى بقرب هذه الزاوية ، وكان الشيخ عمر من أهل المجاهدات ولما مات دفن بزاويته .

زاوية التـبر

هى خارج قبة الغورى من ضواحى القاهرة مما يلى المطرية بقرب قنطرة ترعة الجرن المعروفة بترعة التبرى القاطعة لطريق المطرية ، وكانت قديما تعرف بمسجد التبر .

قال المقريزى : مسجد التبر خارج القاهرة مما يلى الخندق قريبا من المطرية ، عرف قديما بالبئر والجميزة ، وتسميه العامة : مسجد التبن وهو خطأ .

قال القضاعى : أنه بنى على رأس إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنفذه المنصور فسرقه أهل مصر ودفنوه هناك سنة خمس وأربعين ومائة .

قال الكندى : قدمت به الخطباء لينصبوه بالمسجد الجامع ، وقامت الخطباء فذكروا أمره .

ترجمة تبر

وتبر هذا أحد الأمراء فى أيام كافور الأخشيد ، حارب جوهر القائد بجماعة من الكافورية والأخشيدية فانهزم إلى أسفل الأرض فبعث جوهر يستعطفه فلم يجب ، فسير إليه عسكرا حاربه بناحية صهرجت فانكسر ، وصار إلى مدينة صور فقبض عليه بها ، وأدخل إلى القاهرة على فيل فسجن وضرب بالسياط وقبضت أمواله وحبس عدة من أصحابه بالمطبق فى القيود فجرح نفسه وأقام أياما مريضا ، ومات سنة ستين وثلثمائة فسلخ بعد موته وصلب عند كرسى الجبل .

وقال ابن عبد الظاهر : أنه حشى جلده تبنًا فربما سمَّتِ العامة مسجده بذلك كما ذكرنا . وقيل : أن تبرًا هذا خادم الدولة المصرية ، وقبره بالمسجد المذكور وهذا وهم ، وإنما هو تبر الاخشيدى ا هـ . والآن هو زاوية لطيفة عامرة ، وبها قبة حسنة على ضريح الشيخ التبرى ، وصهريج فوقه سبيل ويتبعها جنينة يحيط بها سور عليه درابزين من حديد ، وخلف جميع ذلك دورة مياه ، وكل ذلك من إنشاء ذات العصمة شفق نور والدة حضرة الخديوى المفخم محمد باشا توفيق ، وذلك فى سنة أربع وتسعين ومائتين وألف ، كما هو منقوش فى لوح رخام على واجهة بابها حفرا مذهبا فى ضمن أبيات هى :

زها طالع الأنوار فى مسجد البر   به البطل التبرىّ فى قبة السر
لقد أنشأته شفق نور وحبَّذا   بها حرم المولى الخديوى ذى القدر
بوالدة التوفيق أنعم مؤرخا   أمدّ أساس النور فى مسجد التبرى

وقد أزالت ماكان هناك من الآثار القديمة ، وأنشأت هذه الزاوية إنشاء حسنا ، ورتبت لها خدما وجلبت لها ماء النيل من الترعة الاسماعيلية بواسطة المواسير ، ولما تم بناؤها عملت بها ليلة حافلة اشتملت على أذكار وتلاوة قرآن ودلائل الخيرات ، ومد بها سماط واسع

زاوية التشتمرى

هذه الزاوية فى درب الحصر من ثمن الخليفة منقوش على بابها فى الخشب :

بسم الله الرحمن الرحيم (إنما يعمر مساجد الله) الآية[1] .

وكان الفراغ من ذلك فى شهر شوّال سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، وفيها ضريح رجل صالح يقال له التشتمرى ، ولها ميضأة وأخلية وبئر ، وشعائرها مقامة من إيراد دكاكين وقهوة بجوارها وهى تحت نظر ديوان عموم الأوقاف .

زاوية تفكشان

هذه الزاوية بحارة قنطرة عمر شاه جهة درب الجماميز . أنشأها الأمير محمد أغا تفكشان سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف ، كما يؤخذ من الأبيات المنقوشة على بابها وهى :

قد شاد لله الأمير محمد   أغا تفكشان الأصيل يفاخر
وبنى لوجه الله زاوية الندى   فى رحبها لسنا القبول مظاهر
أبدت شذاه بمكتب فكأنها   روض البهاء بها تحف أزاهر
لما وفت أرخت دونك معبدا   قد جمّ فيه للسعود بشائر
لازال سعيك بالرضا متقبلا   والقلب نحو المكرمات يبادر

وهى مرتفعة يصعد إليها بدرج ، وفوقها مكتب عامر بتعليم الأطفال ، وشعائرها مقامة بنظر ذرية المرحوم محمد أفندى عبد الخالق .

زاوية تقى الدين

قال المقريزى : هذه الزاوية تحت قلعة الجبل . أنشأها الناصر محمد بن قلاوون قبل سنة عشرين وسبعمائة لسكنى الشيخ تقى الدين رجب بن أشيرك العجمى ، وكان وجيها محترمًا عند

(١) سورة التوبة آية : ١٨ .

أمراء الدولة ، ولم يزل بها إلى أن مات يوم السبت ثامن شهر رجب سنة أربع عشرة وسبعمائة ، وما زالت منزلاً لفقراء العجم إلى وقتنا هذا انتهى . ودفن بهذه الزاوية أيضا عمر ابن محمد البغدادى ، وهو كما فى السخاوى : عمر بن محمد النجم النعمانى نسبة للإمام أبى / حنيفة النعمان البغدادى ثم الدمشقى الحنفى . قدم القاهرة فى سنة خمسين وثمانمائة وبيده حسبة دمشق ووكالة بيت المال وعدة وظائف ، فنزل فى زاوية التقى رجب العجمى تحت قلعة الجبل ، فلم يلبث أن مات فى رابع صفر من هذه السنة ، فأسف السلطان عليه وأمر بالصلاة عليه فى مصلى المؤمنين ، ونزل فصلى عليه ودفن بتربة التقى المذكور عفا الله عنه انتهى .

٢٣

وهذه الزاوية تعرف اليوم بتكية تقى الدين العجمى وقد ذكرناها فى التكايا من هذا الكتاب .

حرف الجيم

زاوية الجاكى

قال المقريزى : هذه الزاوية فى سويقة الريش من الحكورة خارج القاهرة بجانب الخليج الغربى . عرفت بالشيخ المعتقد حسين بن إبراهيم بن على الجاكى ، ومات بها فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، ودفن خارج باب النصر ، وأقام الناس يتبركون بزيارة قبره ، ولهم هناك مجمع عظيم كل يوم ويحملون إليه النذور ويزعمون أن الدعاء عند قبره لا يرد ، وهم على ذلك إلى اليوم انتهى .

زاوية الشيخ محمد الجباس

هذه الزاوية بشارع سويقة السباعين ، وهى عامرة بالصلوات والأذان ، وفيها حنفية ومرحاض ، ولها نصف منزل موقوف عليها تحت نظر رجل يعرف بأمين الحانوتى .

زاوية الجعافرة

هذه الزاوية بحارة المرحوم إبراهيم أدهم باشا من خط الصليبية مبنية بالحجر الآله ، وبها أربعة أعمدة من الرخام ، ولها حنفية وبئر وأخلية ، وشعائرها مقامة من إيراد منزل موقوف

عليها ودكانين بشارع الصليبة ، وفيها ضريح الشيخ محمد الطيار ، وضريح الشيخ أحمد الطيار ، وناظرها محمد أفندى نجيب .

زاوية جلال الدين البكرى

هى بقرب الجامع الأزهر عند مطبخ الشوربة عن شمال الذاهب إلى باب البرقية بابها على الشارع وهو صغير معلق ، وبها عمودان من الرخام عليهما ثلاث قناطر من الآجر وسقفها من الخشب ، وليس لها ميضأة ولا بئر وإنما بها حوض من حجر يملأ بالقربة ، وأنشأ الجلال المذكور بجوارها صهريجاً وذلك فى سنة ست وتسعين وتسعمائة .

ترجمة جلال الدين البكرى

وجلال الدين هذا هو الشيخ محمد أبو عبد الله جلال الدين ابن الشيخ محمد أبى الحسن البكرى الأشعرى . توفى يوم الاثنين بعد الظهر سابع عشر رجب سنة ١٠١٨ هـ عن أربع وخمسين سنة ودفن بزاويته هذه ، ووجد فى بعض الدفاتر أنه حبس وسُبل جميع ما هو جار فى ملكه وحيازته بطريق إنشائه ، وعمارته من ذلك المسجد وتوابعه ، وجعل له مرتبا لإقامة شعائره وقراءة القرآن فى المواسم .

زاوية الجمالى

هذه الزاوية واقعة بين حارة الفراخة وقصر الشوك من خط المشهد الحسينى ، وشعائرها معطلة لتخريبها ، وهى التى ذكرها المقريزى فى المدارس وسماها بالمدرسة الجمالية ، فقال : هذه المدرسة بجوار درب راشد من القاهرة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب سيف الدولة نادر . بناها الأمير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى ، وجعلها مدرسة للحنفية وخانقاه للصوفية ، وولى تدريسها ومشيخة التصوف بها الشيخ علاء الدين علىّ بن عثمان التركمانى الحنفى ، وتداولها ابنه قاضى القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى الحنفى ، وابنه قاضى القضاة صدر الدين محمد ، ثم قريبهم حميد الدين حماد ، وهى الآن بيد ابن حميد الدين المذكور

وكان شأن هذه المدرسة كبيرا يسكنها أكابر فقهاء الحنفية ، وتعد من أجلِّ مدارس القاهرة ، ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفى البلاد الشامية ، وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها وتخريبهم أوقافها ، وتعطل منها حضور الدرس والتصوف ، وصارت منزلاً يسكنه أخلاطٌ ممن ينسب إلى اسم الفقه وقرب الخراب منها ، وكان بناؤها فى سنة ثلاثين وسبعمائة .

ترجمة الأمير مغلطاى الجمالى

ومغلطاى هذا هو ابن عبد الله الجمالى الأمير علاء الدين عرف بخرز ـ وهى بالتركية عبارة عن الديك بالعربية ـ اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون ونقله وهو شاب من الجامكية إلى الامرة على أقطاع الأمير صارم الدين إبراهيم الابراهيمى نقيب المماليك السلطانية المعروف بزير الأمرة ، وصار السلطان ينتدبه فى التوجه إلى المهمات ويطلعه على سره ، ثم بعثه أمير الركب إلى الحجاز فقبض على الشريف أسد الدين صاحب مكة وأحضره إلى قلعة الجبل ، ثم جعل استادار السلطان بدلاً عن سيف الدين بكتمر العلائى ، ثم أضاف إليه الوزارة وخلع عليه عوضا عن الصاحب بن الغنام سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، وبقى فيها إلى سنة ثمان وعشرين وصرف عنها ، وبقى على وظيفة الاستادارية ، ثم سافر إلى الحجاز وتوفى فى عودته بسطح عقبة أيلة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ؛ فصبر وحمل إلى القاهرة ودفن بهذه الخانقاه ، وكان حسن الطباع يميل إلى الخير مع كثرة الحشمة ، وكان يقبل الهدايا ويحب التقادم ؛ فحلّت له الدنيا وجمع شيئا كثيراً ، ولم يعرف عنه أنه صادر أحدًا ولا اختلس مالاً ، وكانت أيامه قليلة الشر إلا أنه كان يعزل ويولِّى بالمال ؛ فتزايد الناس فى المناصب ، وكان له عقب بالقاهرة غير صالحين ولا مصلحين انتهى .

زاوية الجميزى

هذه الزاوية بشارع الزرايب / قرب باب القرافة ، بها ضريح سيدى على الجميزى ، ٢٤ عليه مقصورة من الخشب منقوش فيها آيات من القرآن ، وكذا بدائر الضريح وبأعلى القبة وهى غير مقامة الشعائر لتخريبها .

زاوية جنبلاط

هذه الزاوية بسوق مرجوش ، وهى المدرسة التى تكلم عليها المقريزى فقال : هذه المدرسة بالقاهرة على رأس السوق الذى كان يعرف بالخروقيين ، ويعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش . بناها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدى ، مملوك أسد الدين شيركوه ، وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وجعلها وقفًا على الفقهاء من الحنفية فقط فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وكان أيازكوج رأس الأمراء الأسدية بديار مصر فى أيام السلطان صلاح الدين وأيام ابنه الملك العزيز عثمان ، وكان الأمير فخر الدين جهاركس رأس الصلاحية ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات فى يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ودفن بسفح المقطم بالقرب من رباط الأمير فخر الدين ابن قزل انتهى ، وهى الآن عامرة بالصلاة والآذان .

زاوية الجودرية

هذه الزاوية بالجودرية وهى قديمة ، وكانت قد تخربت فجدّدها ناظرها الشيخ أحمد منة الله أحد علماء السادة المالكية فى سنة ست وثمانين ومائتين وألف ، وجعل بها منبرا وخطبة كأصلها وأقام شعائرها ، فهى مقامة الشعائر تامة المنافع ، وبها ضريح السيد عمر بن السيد إدريس بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الإمام الحسين رضوان الله عليهم أجمعين ، وأوقافها تحت نظر الشيخ عبد البر ابن الشيخ أحمد منة الله .

زاوية الجوينى

هذه الزاوية بدرب المحروق من خط السيدة فاطمة النبوية رضى الله عنها ، لها بابان وبها خطبة ، وشعائرها مقامة ومنافعها تامة ، وبداخلها ضريح الشيخ عبد الله الجوينى ، عليه مقصورة من الخشب ، ويعمل له مولد كل سنة ويقال أنه هو الذى أنشأها وأوقافها تحت نظر الديوان .

زاويـة الجيعان

هى بحارة السبع قاعات المجاورة لدرب الصقالبة وحارة اليهود على يمين الداخل من حارة السبع قاعات إلى درب الصقالبة ، وهى الآن منهدمة غير مقامة الشعائر .

زاويـة الجيوشى

هذه الزاوية بأعلى الجبل المقطم قبلى قلعة الجبل . وشرق الإمام الشافعى رضى الله عنه . منقوش على بابها فى الحجر : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)[1] وبها ثلاثة أعمدة من الرخام وبها محرابان ، وفيها قبة مزينة بالنقوش وفيها آيات من القرآن ، ولها منارة وبئر بلا ماء وهى متخربة ومهجورة لعدم الساكن حولها ، وبها ضريح الشيخ عبد الله الجيوشى له زيارة ومولد سنوى .

حرف الحاء

زاويـة حارة الفـراخة

وتعرف أيضا بزاوية عبد الرحيم ، وهى فى حارة الفراخة بجوار حارة قصر الشوك قرب المشهد الحسينى ، وهى صغيرة عامرة ، وكانت أولاً مدرسة تعرف بالقوصية .

قال المقريزى : المدرسة القوصية فى درب شمس الدولة قرب درب ملوخية . أنشأها الأمير الكردى والى قوص انتهى .

زاويـة الشيخ الحبيبـى

هذه الزاوية بشارع السد عن شمال الذاهب من درب الجماميز إلى قناطر السباع ، وكانت أولاً تعرف بزاوية عز الدين وبزاوية الدمياطى ، ثم عمرها الشيخ محمد الحبيبى أحد المشايخ المسلكين سنة سبع وأربعين ومائتين وألف ، وأقام شعائرها إلى الآن فعرفت به ، وبها ستة أعمدة من الحجر وبعضها مسقوف بالبوص وخشب النخل وأغلبها بلا سقف ، وفيها

(١) سورة الجن آية : ١٨

حوض بحنفيات ، ولها ساقية ، وبها نخل وشجر ، وبها ضريح الشيخ الدمياطى والشيخ الحبيبى ، ولها مرتب بالروزنامجة مائة وتسعة وثمانون قرشا ، وتحتها ثلاثة حواصل موقوفة عليها ، وبجوارها منزل موقوف عليها أيضا ، ويعمل بها للشيخ محمد الحبيبى حضرة كل ليلة جمعة ومولد كل سنة . وقد ذكرها المقريزى فى الزوايا ، فقال :

زاوية الدمياطى فيما بين خط السبع سقايات وقنطرة السد خارج مصر إلى جانب حوض السبيل المعدّ لشرب الدواب . أنشأها الأمير عز الدين أيبك الدمياطى الصالحى النجمى . أحد الأمراء المقدمين الأكابر فى أيام الملك الظاهر بيبرس ، ودفن بها لمّا مات بالقاهرة ليلة الأربعاء تاسع شعبان سنة ست وتسعين وستمائة وإلى الآن يعرف الحوض المجاور لها بحوض الدمياطى انتهى .

زاويـة الحجازيـة

هذه الزاوية بخط رحبة العيد بالجمالية على يمين السالك من رحبة العيد إلى قصر الشوك ، منقوش على بابها : أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك الست تتر الحجازية من علماء الملّة المحمدية انتهى . وهى عامرة مقامة الشعائر وبها منبر وخطبة ، وفيها قبر الست الحجازية ، وكان أول أمرها مدرسة تعرف بالحجازية ، ثم ترك منها التدريس وبقيت لمجرد الصلاة .

قال المقريزى فى ذكر المدارس : إن المدرسة الحجازية برحبة باب العيد بجوار قصر الحجازية كان موضعها باب الزمرد أحد أبواب القصر . أنشأتها الست خوند تتر الحجازية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون زوجة بكتمر الحجازى وجعلت بها درسا / للشافعية والمالكية ومنبرًا لخطبة الجمعة والعيدين وإمامًا للصلوات الخمس ، وخزانة كتب ، وأنشأت بها قبة لتدفن تحتها ، ورتبت بشباكها عدّة قراء ، وأنشأت بها منارة للآذان ومكتبا فوق السبيل فيه عدة من الأيتام ، ورتبت لهم مؤدبًا يعلمهم القرآن الكريم ، وجعلت لكل منهما خمسة أرغفة غير الفلوس وكسوتين للشتاء والصيف ، وجعلت عدة أوقاف يصرف منها لأرباب الوظائف ويفرق عليهم منها فى عيد الفطر الكعك والخشكنانك ، وفى عيد الأضحى اللحم ، وفى شهر

٢٥

رمضان يطبخ لهم الطعام ، ويجلس بها عدّة من الطواشية يمنعون الناس من عبور القبة التى فيها قبر خوند إلّا القراء خاصة ، وكان لا يلى نظر هذه المدرسة إلا الأمراء ، ثم وليها الخدام وغيرهم . وكان إنشاؤها سنة إحدى وستين وسبعمائة ، ثم آل أمرها إلى أن جعلت سجنًا لمن يصادر أو يعاقب فزالت أبهتها ، ومع ذلك فهى من أبهج مدارس القاهرة انتهى باختصار .

زاوية الحـــداد

هذه الزاوية بشارع المغربلين والسروجية ، خارج باب زويلة عند زاوية اليونسية والشيخ خضر الصحابى ، وهناك عدة زوايا متقاربة بعضها عامر وبعضها متخرب ، ولم أدر أيها زاوية الحداد مع البحث والسؤال من سكان تلك الجهة لكنها مذكورة فى الكتب كثيراً .

قال السخاوى فى كتاب المزارات : ثم تقصد إلى المدرسة اليونسية ، ثم إلى رأس الهلالية والمنجبية وسوق الطير ، وهناك زاوية الشيخ خضر الصحابى رضى الله عنه وهو زرع النوى ، وهناك أيضاً زاوية الشيخ المعتقد العارف بالله تعالى شهاب الدين المعروف بالحداد ، أخذ الطريق عن العارف بالله أبى السعود بن أبى العشائر الواسطى ، وأخذ عن الشيخ محمد اللبان المسعودى ، وعن الشيخ برهان الدين ابراهيم البرلس ، ولم يزل بزاويته إلى أن توفى سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

وهذا الخط يعرف بالباب الجديد ، وبباب القوص ومنه يتوصل إلى جامع قوصون انتهى . ولم يذكر محل دفنه .

وفى عطفة الحنفية تجاه وجه جامع جانبك ضريح يعرف بالحداد فى دار تعرف به ، فلعله ضريحه والله أعلم .

زاوية حسن كته

هى بالشارع الموصل إلى سويقة السباعين ، تخربت هى والقهوة التى بجوارها ، والآن فى محلها حنفية من حنفيات وابور الماء الذى جعل لسقى القاهرة ومصر .

زاوية الحلوجى

بحاء مهملة مفتوحة ولام ساكنة وواو مفتوحة وجيم وياء النسبة . هذا هو المتعارف الآن وهى بين الجامع الأزهر والمشهد الحسينى بخط السبع خوخ ، التى كانت طريق سر للخلفاء الفاطميين من القصر إلى الجامع الأزهر . وكان يعرف أيضاً بخط الأبارين ، ويعرف الآن بخط الحلوجى .

وتعرف الزاوية قديماً بزاوية الحلاوى بفتح الحاء واللام وكسر الواو قبل ياء النسبة من غير جيم ، كما فى خطط المقريزى والضوء اللامع وكتاب المزارات للسخاوى .

قال المقريزى : هذه الزاوية بخط الأبارين بقرب الجامع الأزهر أنشأها الشيخ مبارك الهندى السعودى الحلاوى ، أحد الفقراء من أصحاب الشيخ أبى السعود بن أبى العشائر البارينى الواسطى سنة ثمان وثمانين وستمائة ، وأقام بها إلى أن مات ودفن فيها ، فقام من بعده ابن ابنه الشيخ عمر بن على بن مبارك ، وكانت له سماعات ومرويات ، ثم قام من بعده ابنه جمال الدين عبد الله بن عمر إلى أن مات سنة ثمان وثمانمائة وبها الآن ولده . وهى من الزوايا المشهورة بالقاهرة انتهى . وقال فى كتاب تحفة الأحباب بعد أن ذكر المشهد الحسينى وتربة الزعفران ، ثم تقصد خط الأبارين فتجد به على الطريق زاوية بها قبر الشيخ العارف بالله تعالى المعتقد أمين الدين مبارك الحلاوى نزيل القاهرة ، له مناقب كثيرة ، وأنشأ هذه الزاوية فى سنة ست وخمسين وستمائة .

يقال : أنه كان يتسبب فى الحلواء وظهر له منها كرامة فاشتهر بالحلاوى (وانظر الفرق بين التاريخين) وكان له أصحاب من العلماء وأعيان الدولة ، وكان يعمل فيها الأوقات ، ويجمع بها قضاة القضاة وغيرهم ، ثم خلف بعده ولده الشيخ نور الدين على ثم توفى ؛ فأقام بها من بعده ولده المحدّث سراج الدين عمر بن على ثم توفى ؛ فأقام بالزاوية ولده المحدث جمال الدين عبد الله بن عمر بن على ثم توفى سنة سبع وثمانمائة .

ترجمة عبد الله بن عمر

وترجمه فى الضوء اللامع فقال : هو عبد الله بن عمر بن على بن مبارك الجمال أبو المعالى بن السراج أبى حفص بن أبى الحسن ، الهندى الأصل الأزهرى الصوفى السعودى ، ويعرف بالحلاوى بمهملة ولام خفيفة .

وكان جد أبيه صالحاً معتقداً بنيت له زاوية فى الأبارين بالقرب من الجامع الأزهر فسكن بها أولاده ، فكانت مجمعاً لطلبة الحديث ، وقد سمع من : أبى زكريا يحيى بن يوسف ، والبدر الفارقى ، وابن غالى ، والمشتولى وغيرهم ؛ وأجازه : الشهاب بن الجزرى ، وزينب ابنة الكمال ، والذهبى وغيرهم ، وحدث بالكثير جداً .

وكان شيخاً صيتاً خيراً ساكناً صبوراً على الاسماع ، لا يمل ولا ينعس ولا يتضجر . قال ابن حجر : أنه مرض يوماً فصعدنا إلى غرفته لعيادته ، فأذن لنا فى القراءة فقرأت عليه من المسند فمر فى الحال حديث أبى سعيد فى رقية جبريل فوضعت يدى عليه حال القراءة ونويت رقيته ، فاتفق أنه / شفى .

٢٦

قال فى أنبائه : لم يكن فى شيوخنا أحسن أداء ولا أصغى للحديث منه ، وروى عنه من الحفاظ : ابن ظهيرة ، والفاسى ، والأقفهسى وغيرهم ، مات بالقاهرة سنة سبع وثمانمائة ، ودفن عند جده فى زاويته انتهى .

والآن هذه الزاوية عامرة مقامة الشعائر جددها المرحوم محمد على باشا ، وجدد بها ضريح الشيخ الحلاوى وضريح أولاده ، ولها أوقاف جارية عليها تحت نظر ديوان الأوقاف . وكان يعمل فيها للشيخ الحلوجى حضرة ليلة الثلاثاء ، ومولد سنوى مع مولد سيدنا الحسين رضى الله عنه .

زاوية حلومة

هذه الزاوية بخط المشهد الحسينى على يسار السالك من جهة الباب الأخضر من أبواب المشهد إلى أم الغلام ، شعائرها مقامة بالصلاة والأذان ، وفيها ضريح يقال له ضريح الشيخ

موسى اليمنى ، وهو ظاهر يزار ، وللنساء فيه اعتقاد أكيد ويعمل له حضرة كل ليلة ثلاثاء ، ويعقد فيها بعض الصوفية مجلساً للذكر ، والقيمة هناك امرأة تمنع الرجال من الزيارة وقت زيارة النساء .

وهذه الزاوية هى المدرسة الملكية بدليل ما هو مكتوب على وجه بابها إلى الآن ، وصورته : « أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك الحاج آل ملك الجوكندا الناصرى الراجى عفو الله تعالى بتاريخ سنة سبعمائة وتسع عشرة » وهى التى ذكرها المقريزى فى المدارس ، فقال : المدرسة الملكية هذه المدرسة بخط المشهد الحسينى . بناها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار تجاه داره ، وعمل فيها درساً للفقهاء الشافعية وخزانة كتب معتبرة ، وجعل لها عدة أوقاف ، وهى من المدارس المشهورة ، وموضعها من جملة رحبة قصر الشوك ، ثم صار موضع هذه المدرسة داراً تعرف بدار ابن كرمون صهر الملك الصالح انتهى .

وقد ذكرنا ترجمة آل ملك عند الكلام على جامعه بالحسينية ، وقوله : صار موضعها دار ابن كرمون يمنعه الكتابة التى على وجهها إلى الآن ؛ فلعل الذى أخذ فى الدار المذكورة هو جزء منها فقط ، أو أن الذى أخذ فى الدار هو دار آل ملك ، التى كانت تجاه هذه المدرسة . وأما احتمال أن واجهة المدرسة نقلت إلى هذه الزاوية بعد زوال المدرسة بالمرة فبعيد والله أعلم .

زاوية حماد

هذه الزاوية بخط الموسكى عند فسحة الجير بداخلها ضريح الشيخ المذكور ، وهى متخربة مملوءة بالأنقاض ، ولها أوقاف تحت نظر السيد حسونة العكام .

زاوية الحمصانى

هذه الزاوية بخط العشماوى بالأزبكية ، مقامة الشعائر ولها أوقاف تحت نظر السيد مصطفى راشد المشهدى ، والظاهر أنها غير الزواية التى قال فيها المقريزى : زاوية الحمصى

خارج القاهرة بخط حكر خزائن السلاح والأوسية على شاطىء خليج الذكر من أرض المقس بجوار الدكة .

أنشأها الأمير ناصر الدين محمد طيقوش بن الأمير فخر الدين الطنبغا الحمصى ، أحد الأمراء فى الأيام الناصرية ، كان أبوه من أمراء الظاهر بيبرس ، ورتب بهذه الزاوية عشرة من الفقراء شيخهم منهم ، ووقف عليها عدة أماكن بجوارها ، وحصة من قرية بورين من قرى ساحل الشام وغير ذلك فى سنة تسع وسبعمائة ؛ فلما خرب ما حولها وارتدم خليج الذكر تعطلت ، وعزم مستحقو ريعها على هدمها لكثرة ما أحاط بها من الخراب من سائر جهاتها ، وصار السلوك إليها مخوفاً بعد ما كانت تلك الخطة فى غاية العمارة ، وفى جمادى سنة عشرين وسبعمائة هدمت ا هـ .

حرف الخاء

زاوية الخانكى

هذه الزاوية بشارع الجمالية بجوارها مكتب صغير . أنشأها ذو الفقار الخانكى ، وأنشأ بجوارها من الجهة البحرية ربعا وقفه عليها ، وذلك فى سنة تسعمائة من الهجرة ، وهى صغيرة وشعائرها مقامة وفى نظارة ديوان الأوقاف .

زاوية الخباز

وتعرف أيضاً بزاوية تركى . هذه الزاوية بدرب النوبى ، متخربة ومعطلة ولها ثلاثة منازل موقوفة عليها تحت نظر امرأة تركية تعرف بالست بزادة ، وبها قبر المعتقد الشيخ محمد الخباز .

زاوية الخدام

قال المقريزى : هذه الزاوية خارج باب النصر فيما بين شقة باب الفتوح من الحسينية

وشقة الحسينية . أنشأها الطواشى بلال الفراجى وجعلها وقفاً على الخدام الحبش الأجناد فى سنة سبع وأربعين وستمائة انتهى .

وخطتها الآن تعرف بسويقة الدريس وهى باقية إلى الآن ، وشعائرها مقامة ومنافعها تامة ، وتعرف أيضاً بزاوية التميمى لأن الشيخ التميمى مفتى الحنفية سابقاً أجرى بها عمارة فى سنة ستين ومائتين وألف .

زاوية الخصوصى

هذه الزاوية ببولاق القاهرة شعائرها مقامة بمعرفة ناظرها الحاج على خضارى وفيها ضريح يعرف بالشيخ الخصوصى .

زاوية الشيخ خضر

هى بشارع السروجية بين رأس درب الدالى حسين ورأس حارة عبد الله بيك عن شمال الذاهب من باب زويلة إلى الصليبة .

كانت متهدمة فجددها حضرة محمد أفندى مناو ، وكيل الأمير منصور باشا يكن سنة أربع وتسعين ومائتين وألف ، وجعلها علوية فى دور ثان ، وجدد تحتها الضريح الذى بها المعروف بالشيخ خضر الصحابى رضى الله / عنه . ويعرف أيضاً بزرع النوى . ٢٧

قال السخاوى فى كتاب المزارات : ثم بعد المدرسة اليونسية تقصد إلى رأس الهلالية والمنجبية وسوق الطير ؛ فتجد على رأس الطريق مسجداً يعرف القبر الذى فيه بزرع النوى الصحابى ، ويقال : خضر الصحابى . وهذا لا حقيقة له فإن المخرِّجين للأحاديث لم يذكروا أن فى الصحابة من اسمه زرع النوى .

وقال المقريزى : إن كان هناك قبر فهو لأمين الأمناء أبو عبد الله الحسين بن طاهر الوزان . انتهى من كتاب المزارات ، وسمى المقريزى هذا المسجد بمسجد زرع النوى ، ثم ترْجم أمين الأمناء بأنه كان يتولى بيت المال ، ثم جعله الخليفة الحاكم بأمر الله فى الوساطة بينه

وبين الناس والتوقيع عن الحضرة فى سنة ثلاث وأربعمائة ثم أبطل أمره . وذلك أنه ركب مع الحاكم على عادته فضرب رقبته بحارة كتامة خارج القاهرة ، ودفن فى هذا الموضع تخميناً أى فى المسجد المعروف بزرع النوى .

وكانت مدة نظرة الوساطة والتوقيع ، وهى رتبة الوزارة سنتين وشهرين وعشرين يوماً ، وكان توقيعه عن الحضرة الأمامية : الحمد لله وعليه توكلى «انتهى بتصرف» وسمعت من بعض الفضلاء أن صاحب هذا الضريح هو خضر السحابى بالسين المهملة لا بالصاد .

زاوية الخضيرى

هذه الزاوية بحارة درب شغلان من شارع التبانة ، على يمين الداخل بهذا الدرب من شارع التبانة ، وكانت قد تخربت فجددتها الآن امرأة تدعى الحاجة فاطمة الناظرة عليها من ريع ربع وقفه عليها الحاج محمد الفيومى الطحان زوج هذه المرأة ، ولم تزل هذه الزاوية ناقصة العمارة لكن شعائرها مقامة ، ولها مطهرة وأخلية وبها ضريح ولىّ يقال له الشيخ على الخضيرى ، وقبر آخر يقال أنه لزوجته .

زاوية الخلوتى

هذه الزاوية بالجودرية وهى قديمة مقامة الشعائر ولها أوقاف جارية عليها بمعرفة ناظرها الشيخ محمد الأمير من ذرية الشيخ محمد الأمير الكبير ، وفيها ضريح يقال له ضريح الشيخ الخلوتى .

زاوية الشيخ خميس

هذه الزاوية بحارة الباطلية على يمنة الذاهب منها إلى جهة السور بصدر الحارة ، وتعرف بزاوية المرة ، والمشهور بين العامة أن هذه المرة هى المنسوب إليها الطريق الذى بين التلول المعروف بقطع المرة الموصل إلى مقبرة المجاورين بالقرافة الكبرى ، وشعائرها مقامة من ريع أوقافها بنظر الشيخ أحمد الرفاعى الفيوم أحد المدرسين بالجامع الأزهر .

زاوية خوند

هى بخط بين السورين تجاه زاوية المغازى وأبى الحمائل مكتوب على بابها نقوش فى الحجر بقى منها اسم فاطمة خوند ، وهى مقامة الشعائر وبها منبر.

وكان سيدى عبدالوهاب الشعرانى رضى الله عنه يتعبد فى هذه الزاوية كما فى كتاب وقفيته ، وعبر فى الطبقات عند ذكر مناقب الشيخ شهاب الدين الطويل النشيلى المجذوب بمدرسة أم خوند قال : كان يأتينى الشيخ شهاب وأنا فى مدرسة أم خوند ساكن فيقول : اقل لى بيضا قُرَيْصات . فأفعل له ذلك فيأكل البيض أولا ثم الخبز وحده ثانياً ، وذكرنا ترجمته فى الكلام على زاويته .

حرف الدال

زاوية درب الشرفاء

هذه الزاوية برأس حارة درب الشرفاء بخط الحسينية ، كانت متخربة فجدِّدت من طرف السيد مصطفى أبى السرور أحد تجار الجمالية وعمل لها ميضأة وأخلية ، وأقيمت شعائرها وذلك فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف هجرية .

زاوية درب القطة

هذه الزاوية فى درب القطة بتمن الأزبكية ، وهى مقامة الشعائر ونظر أوقافها للحاج سالم الجمال .

زاوية درب الملاح

هى فى أول درب الملاح من شارع باب البحر ، وهى غير مقامة الشعائر والناظر عليها رجل يعرف بالشيخ محمد العطَّار .

زاوية الدردير

هذه الزاوية بالكعكيين بجوار جامع سيدى يحيى بن عقب . أنشأها سيدى أحمد

الدردير رضى الله عنه ، بعد عودته من حج بيت الله الحرام فى سنة تسع وتسعين ومائة وألف ، وهى مقامة الشعائر على الدّوام ، وبها ضريح منشئها المذكور عليه تابوت مكسوّ بالجوخ تحيط به مقصورة من الخشب ، ويحيط بتلك المقصورة بناء عليه قبة وبجوارها ضريح سيدى الشيخ صالح السباعى تلميذ سيدى أحمد الدردير على يسار الداخل لمقصورة الشيخ الدردير ، عليه مقصورة من الخشب ، ودفن معه والداه سيدى محمد وسيدى أحمد السباعى عيان ، وبهذه الزاوية خزانة بها كتب نفيسة من الفنون العقلية والنقلية ، والمغير عليها الشيخ أحمد الرفاعى أحد علماء الأزهر المالكية ، وخزانة كتب أخرى المغير عليها الشيخ راغب السباعى ، ولها منارة قصيرة ومطهرة وأخلية وبئر ، ويعمل له بها مجلس قرآن كل يوم جمعة بعد الزّوال يحضر فيه جماعة من القراء المعتبرين ويفرّق عليهم الخبز والقهوة ، ومجلس ذكر ليلة السبت ، ويعمل له مولد كل سنة مع مولد سيدنا الحسين رضى الله عنه وقد ترجمناه فى الكلام على بلدته بنى عدى رضى الله عنه فارجع إليه إن شئت .

زاوية الشيخ درويش

هى بخط درب الجماميز بجوار القنطرة بها ضريح الشيخ درويش / وبأعلاه مصلى فيه محراب ، ولها بئر وحنفية وشعائرها مقامة . ٢٨

زاوية الدنف

هذه الزّاوية بالقرافة الصّغرى ، وشعائرها مقامة ، وبها ميضأة ومراحيض ، وبها قبر يعرف بقبر الشيخ الدّنف ، والناظر عليها الشيخ حسن الدّنف من نسل الشيخ المذكور .

زاوية الدويدارى

وتعرف الآن بزاوية الغنامية هذه الزاوية هى من داخل حارة الدويدارى المعروفة بحارة المدرسة بجوار حارة كتامة ، التى عند باب الصعائدة من الجامع الأزهر يتوصل إليها من حارة كتامة ، ومن حارة المدرسة التى بابها بشارع الباطلية . وبها منبر ولها منارة قصيرة فوق قبوة

الزقاق الضيق النافذ بين حارتى المدرسة وكتامة ، ولها مطهرة وأخلية وبجوارها سبيل متخرب ، ولها أوقاف بقى منها ربع وطاحون تحت نظر الشيخ عبدالخالق شيخ خدمة الضريح النفيسى ، وفى هذه الزاوية ضريح الشيخ خالد الأزهرى صاحب التصريح بشرح التوضيح لابن هشام وشرح الآجرومية والأزهرية الجميع فى فن النحو وله غير ذلك .

حرف الذال

زاوية الذاكر

هذه الزاوية كانت بجوار حمّام الدود بشارع السيوفية أخذها شارع محمد على ، وكان بها ضريح الشيخ تاج الدين الذاكر .

قال الشعرانى : كان الشيخ تاج الدين وجهه يضىء من نور قلبه ذا سمت حسن وأخلاق جميلة ، وكان يفرش زاويته باللباد الأسود لئلا يسمع وقع أقدامهم إذا مشوا ويقول : حضرة الفقراء من حضرة الحق لا ينبغى أن يكون فيها علو صوت ولا حس ، وكان أصحابه فى غاية الكمال وكان كثير الشفاعات عند الأمراء . مات رضى الله عنه سنة نيف وعشرين وتسعمائة ودفن بزاويته انتهى ولم يبق لقبره الآن أثر .

حرف الراء

زاوية الروزنامجى

هذه الزاوية بعطفة الروزنامجة ، وهى صغيرة وبأعلاها منزل من أوقاف السلطان أبى محمود الحنفى ، وشعائرها مقامة ، ولها مرتب بالروزنامجة ونظارتها تحت يد ذرية الشيخ مصطفى المنادى .

زاوية رسلان

هى بحارة اليانسية من جهة الزقاق الموصل إلى شارع المغربلين ، وهى عبارة عن مصلى

به مكتب وضريح للشيخ رسلان ، يعمل له مولد كل سنة ، وكانت أولا تعرف بمسجد رسلان وقد ذكره المقريزى فى المساجد ، فقال : هذا المسجد بحارة اليانسية عرف بالشيخ صالح رسلان لإقامته به وقد حكيت عنه كرامات ، ومات به فى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، وكان يتقوّت من أجرة خياطته للثياب وابنه عبدالرحمن بن محمد بن رسلان أبو القاسم كان فقيهاً محدثاً مقرئاً . مات سنة سبع وعشرين وستمائة انتهى . وقد ذكرناه فى المساجد من هذا الكتاب .

زاوية رضوان

هذه الزاوية بعطفة المحتسب من خط الحنفى ، وهى صغيرة وفيها لوح رخام منقوش فيه : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، أحيا هذه الزاوية المباركة بعد اندثارها للمصلين حضرة الأمير رضوان اختيار جاويشان محرم أمين عفى الله عنه فى افتتاح سنة ست ومائتين وألف ، وبها بئر وكرسى راحة واحد وليس لها مطهرة ، وهى الآن معطلة الشعائر ومجعولة مكتباً لتعليم اللغة التركية ، ويعمل بها حضرة ذكر كل ليلة أربعاء .

زاوية رضوان بك

يطلق على هذا الاسم زاويتين خارج باب زويلة . أنشأهما الأمير رضوان بك كتخدا صاحب قصبة رضوان ذات الحوانيت الكثيرة من الجانبين المختصة بعمل المداسات وبيعها ، إحداهما فى وسط القصبة بين جامع الصالح طلائع وجامع محمود الكردى ، بابها على الشارع وهى صغيرة ، وشعائرها مقامة ، ولها حنفية وأخلية وبئر ، والأخرى داخل حارة القربية بجوار المدرسة ، وهى أيضاً عامرة مقامة الشعائر . وكان إنشاؤهما فى عام ستين بعد الألف وقد وقف عليهما أوقافاً وأجرى عليهما عمائر كثيرة منها القصبة المذكورة .

ترجمة الأمير رضوان بن عبدالله الغفارى

وفى خلاصة الأثر : أن هذا الأمير هو رضوان بن عبدالله الغفارى أمير الحاج المصرى

الكرجيّ الأصل . كان فى ابتداء أمره من مماليك ذى الفقار ، أحد أمراء مصر المشهورين بالشأن العظيم والدولة الباهرة ، اشتراه صغيراً واعتنى بتربيته ، ولما مات مولاه المذكور رقّ حاله ، ثم استغنى ونبه قدره ، وكان وقوراً مهاباً ذا سكون وديانة ورياسة ، واشتهر صيته وعظمت دائرته حتى صار من مماليكه أربعة مثله أصحاب لواء وعلم مع ما يتبعهم من الجند والكشاف والملتزمين ، وله الآثار الحسنة فى طريق الحاج المصرى والحرمين ، وكان معتنياً بأهل الحجاز يقسم عليهم الصرّة ويقضى لهم حوائجهم بمصر ، ومكث أميراً على الحاج نيفاً وعشرين سنة ، وفى أثناء ذلك وقعت له محنة تعرض فيها الوزير محمد باشا سبط رستم باشا إلى باب السلطان مراد فجاء الأمر بعزله عن إمارة الحاج ؛ فهرب للأعتاب العالية واجتمع بالسلطان فحبسه وأمر ببيع أملاكه وعقاراته وبقى مسجوناً إلى موت السلطان مراد وتولية أخيه السلطان إبراهيم ؛ فأطلق وعاد إلى مصر وأخذ جميع ما ذهب له بعضه هبة وبعضه شراء وانعقدت عليه رياسة مصر ، ثم حصلت له محنة أخرى فى زمن الوزير / أحمد باشا حتى أن الوزير عزله وهو نائب مع الحاج المصرى ، وولّى مكانه الأمير على بيك حاكم جرجا فخرج إليه وهو قادم من الحج ، واجتمع به وتسالما ولم يبدُ من أحدهما ما يغير خاطر الآخر وكل منهما يجلُّ الآخر ويعرف قدره ، ثم قام الأمير رضوان من المجلس وجعل يفكر فى أمر الاجتماع بالوزير فاتفق أنه جاء فى ذلك الوقت خبر عزل الوزير عن مصر ، وأنه صار مكانه عبدالرحمن باشا الخصى ، وجاءت البشارة إلى رضوان بك بعزل الوزير فكان ذلك له من باب الفرج ، وتعجب الحاضرون ودخل مصر فلم يتفق له اجتماع بالوزير ، واصطلح هو والأمير على صلحاً لا فساد بعده ، وكان هذان الأميران من الأفراد وهما زينة ملك آل عثمان ، وكانت وفاة المترجم سنة ست وستين وألف انتهى .

٢٩

زاوية الرملى

هذه الزاوية بشارع القنطرة الجديدة قرب ميدان القطن قريبة من جامع الرملى ، وهى مقامة الشعائر وبقبلتها عمودان من الرخام وبجوارها سبيل تابع لها ، ولها أوقاف تحت نظر

الحاج حسنين الرمالى الخباز . وقد ذكرنا ترجمة الشيخ الرملى وترجمة ابن ابنه عند ذكر جامعه من طبقات الشعرانى .

وفى خلاصة الأثر ترجمة ابن ابنه محمد بن أحمد بن حمزة بأوسع عبارة منها أنه أستاذ الأستاذين ، وأحد أساطين العلماء محيى السنة ، وفيه يقول الشهاب الخفاجى أحد من أخذ عنه :

فضائله عد الرمال فمن يطق ليحوى معشار الذى فيه من فضل
فقل لغبىّ رام إحصاء فضله تربت استرح من جهد عدك للرمل

انتهى .

زاوية الشيخ ريحان

هذه الزاوية بسويقة السباعين بقرب الشيخ عبدالله على الشارع الخارج من قبل عبدين إلى الشيخ عبدالله ، بها ضريح الشيخ ريحان ، عليه قبة قديمة وهى معطلة ومتخربة .

حرف السين

زاوية السادة المالكية

هذه الزاوية بالقرافة الصغرى خارج بوابة السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وخارج مجرى الماء الواصل إلى القلعة عن يمين الذاهب إلى الإمام الشافعى رضى الله عنه بأعلى بابها الوسط لوح رخام فيه هذه الأبيات :

لذ بالأماجد من سادوا بعلمهم المالكيين أهل الفضل والفطن
واحلل بساحتهم تؤتى المفاز بهم فى كل مايرتجى من غير ما منن
آثارهم حسنت والآن جددها علاّمة العصر زاهى المنظر الحسن
إن قال واصفها فيما يؤرخه بأحسنها قلت أنشأها أبو الحسن

ولها ثلاث أبواب متداخلة وأرضها مفروشة بالحجر ، وبها محراب وفى وسطها عمود من البناء غليظ حامل لسقفها ، ولها منارة قصيرة ، ولها مرتب جراية كل يوم من وقف الست زليخا بمقتضى وقفية مكتوبة بالتركى ، وفيها قبور جماعة من أكابر المالكية منهم الامام ابن القاسم والإمام أشهب والإمام أصبغ .

ترجمة ابن القاسم

أما ابن القاسم ففى ابن خلكان : أنه أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جناده العتق بالولاء الفقيه المالكى ، جمع بين الزهد والعلم ، وتفقه بالإمام مالك رضى الله عنه ونظرائه ، وصحب مالكاً عشرين سنة ، وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك ، وهو صاحب المدوّنة فى مذهبهم ، وهى من أجل كتبهم ، وعنه أخذ سحنون .

وكانت ولادته فى سنة اثنتين ، وقيل فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وقيل ثمان وعشرين ، وتوفى ليلة الجمعة لسبع مضين من صفر سنة إحدى وتسعين ومائة بمصر ودفن خارج باب القرافة الصغرى قبالة قبر أشهب بالقرب من السور ، وجُنَادة . بضم الجيم وفتح النون وبعد الألف دال مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة ، والعُتَقى بضم العين وفتح المثناة من فوق وبعدها قاف . هذه النسبة إلى العتقاء وهم جماعة من قبائل شتى كانوا يقطعون الطريق على من أراد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فبعث إليهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فأتى بهم أسرى فأعتقهم ؛ فقيل لهم العتقاء .

وكان عبد الرحمن المذكور مولى زبيد بن الحارث العتقى ، وكان زبيد من حجر حمير ، ولما فتح عمرو بن العاص ــ رضى الله عنه ــ الاسكندرية ، ورجع إلى الفسطاط اختط الناس بها خططهم ، ثم جاء العتقاء بعدهم فلم يجدوا موضعاً يختطون فيه عند أهل الراية ؛ فشكوا ذلك إلى عمرو فقال لهم معاوية بن حديج ــ وكان يتولى أمر الخطط ــ أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذون منزلاً وتسمونه الظاهر ففعلوا ذلك ، فقيل لهم أهل

الظاهر . ذكر هذا أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب التجيبى فى كتاب خطط مصر ، وهى فائدة غريبة يحتاج إليها فأحببت ذكرها انتهى بتصرف وفى حسن المحاضرة : قال ابن حبان : كان ابن القاسم حبرا فاضلا تفقه على مذهب مالك وفرّع على أصوله ، وكان زاهداً صبوراً مجانباً للسلطان ، وروى عن ابن عيينة وغيره وروى عنه أصبغ وسحنون وآخرون انتهى .

ترجمة الإمام أشهب

وأما الإمام أشهب ففى ابن / خلكان أنه أبو عمرو أشهب بن عبدالعزيز بن داود بن إبراهيم القيسىّ ثم الجعدى الفقيه المالكى المصرى ، تفقه على الإمام مالك رضى الله عنه ، ثم على المدنيين والمصريين . ٣٠

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه ، وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم وانتهت الرياسة إليه بمصر بعد ابن القاسم ، وكانت ولادته بمصر سنة خمسين ومائة : وقال أبو جعفر الجزار فى تاريخه ولد سنة أربعين ومائة ، وتوفى سنة أربع ومائتين بعد الشافعى بشهر وقيل : بثمانية عشر يوماً ، ودفن بالقرافة الصغرى بجوار قبر ابن القاسم ، ويقال : إن اسمه مسكين وأشهب لقبه والأول أصح ، وكان ثقة فيما روى عن مالك رضى الله عنه .

وقال القضاعى : كان لأشهب رياسة فى البلد ومال جزيل وكان من أنظر أصحاب مالك . قال الشافعى رضى الله عنه : ما نظرت أحداً من المصريين مثله لولا طيش فيه ، ولم يدرك الشافعى رحمه الله تعالى بمصر من أصحاب مالك رضى الله عنه سوى أشهب وابن عبدالحكم .

وقال ابن عبدالحكم : سمعت أشهب يدعو على الشافعى بالموت ذكرت ذلك للشافعى فقال متمثلا :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بواحد
فقل للذى يبقى خلاف الذى مضى تزود لأخرى غيرها فكأن قد

قال : فمات الشافعي فاشترى أشهب من تركته عبداً ثم مات أشهب فاشتريت أنا ذلك العبد من تركة أشهب . وذكره ابن يونس فى تاريخه فقال : توفى يوم السبت لثمان بقين من شعبان سنة أربع ومائتين وكان يخضب عنفقته .

وقال محمد بن عاصم المعافرى : رأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى : يا محمد ، فأجبته فقال :

ذهب الذين يقال عند فراقهم ليت البلاد بأهلها تتصدع

قال : وكان أشهب مريضاً فقلت : ما أخوفنى أن يموت أشهبُ ! فمات فى مرضه ذلك والله أعلم اهـ .

وفى حسن المحاضرة «أن محمد بن عبدالله بن عبدالحكم كان يفضل أشهب على ابن القاسم» اهـ .

ترجمة الإمام أصبغ

وأما الإمام أصبغ فهو أبوعبدالله أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع الفقيه المالكى المصرى تفقه بابن القاسم وابن وهب وأشهب ، وقال عبدالملك بن الماجشون فى حقه : ما أخرجت مصر مثل أصبغ ! قيل له : ولا ابن القاسم . قال : ولا ابن القاسم .

وكان كاتب ابن وهب وجده نافع عتيق عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموى والى مصر ، وتوفى يوم الأحد لأربع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائتين . وقيل : سنة ست وعشرين . وقيل : سنة عشرين رحمه الله تعالى .

وأَصْبَغ بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها غين معجمة انتهى من ابن خلكان .

وفى حسن المحاضرة أنه كان من أعلم خلق الله كله برأى مالك . قال ابن يونس : كان متضلعاً بالفقه والنظر وله تصانيف حسان . ولد بعد الخمسين ومائة ومات سنة خمس وعشرين انتهى .

وقال النابلسى فى رحلته : جئنا إلى مدافن السادة المالكية فوجدنا رجلا يتكلم فى علوم الصوفية فسمعنا منه ، ثم زرنا قبر الإمام ابن القاسم ، ثم الإمام أشهب ، ثم الإمام أَصْبَغ ، ثم زرنا قبر الإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق شارح البردة للبوصيرى وهو شرح عظيم ذكر فيه بعد اللغة والإعراب والآداب واللطائف الشعرية إشارات السادة الصوفية ، ثم زرنا قبر الشيخ أبى زَيان بفتح الزاى وتشديد الياء بعدها ألف ونون ابن يوسف الصوفى رحمه الله تعالى ، وقبر بنت سحنون المالكى الإمام الجليل المشهور ، ثم جئنا إلى قبر يحيى المغربى الشاوى ، وولده عيسى وهما فى قبر واحد وكانت وفاة الشيخ يحيى فى سنة ست وتسعين وألف ، ولد بمدينة مليانة ونشأ بمدرسة الجزائر وقدم مصر قاصداً الحج ، ورجع إلى القاهرة وأخذ عن الشيخ سلطان والشبراملسى والبابلى ، ورحل إلى الروم ودخل دمشق ، ومات بقرية الطور قاصداً مكة ودفن هناك ؛ فأستاذن ولده عيسى من صاحب مصر ، ثم نبش عليه ونقله إلى مصر فى هذا المكان ، ثم مات ولده فى السنة التى بعدها ودفن مع أبيه انتهى .

زاوية السادات

هذه الزاوية فى حارة السادات الوفائية بجوار سراى المرحوم مصطفى باشا أخى الخديو إسماعيل باشا المجعولة اليوم المدرسة الكبرى الملكية عن يمين السالك من رأس الحارة إلى بركة الفيل ، لها منارة قصيرة وهى لا تفتح إلّا يوم الإثنين ، وبها ضريح رجل صالح يقال له الزيات يعمل له حضرة كل يوم اثنين .

زاوية الساكت

هذه الزاوية بكوم الشيخ سلامة بأعلاها ربع تابع لها ، وهى مقامة الشعائر ، وبها

ضريح الشيخ محمد الساكت يعمل له مولد كل سنة ولها أوقاف تحت نظر على أفندى البديهى .

زاوية سام بن نوح

هذه الزاوية بداخل بابى زويلة بجوار سبيل العقادين الذى أنشأه جنتمكان العزيز محمد على ، بابها تجاه سوق القطن بالمؤيد على يمين السالك من باب زويلة إلى الأشرفية ، بها منبر وخطبة / وشعائرها مقامة من أوقافها تحت نظر الحاج محمد المغربى . ٣١

وهذه الزاوية ذكرها المقريزى فى المساجد بعنوان (مسجد ابن البناء) ؛ فقال : مسجد ابن البناء داخل باب زويلة تسميه العامة سام بن نوح ـ عليه السلام ـ وهو من اختراعاتهم التى لا أصل لها ، ولعل سام بن نوح لم يدخل أرض مصر البته ، ثم قال : وقد بلغنى أن هذا المسجد كان كنيسة لليهود القرّايين تعرف بسام بن نوح ، وأن الحاكم بأمر الله الفاطمى أخذها لما هدم الكنائس وجعلها مسجدا .

وتزعم اليهود الآن بمصر أن سام بن نوح مدفون هنا ، ويحلّفون من أسلم منهم بهذا المسجد . أخبرنى به قاضى اليهود إبراهيم بن فرج الله بن عبدالكافى الداودى العاناتى .

ترجمة ابن البنـا

وابن البناء هو محمد بن عمر بن أحمد بن جامع بن البناء أبو عبدالله الشافعى المقرىء ، سمع من القاضى مجلى وأبى عبد الله الكيزانى وغيرهما ، وحدَّث وأقرأ القرآن وانتفع به جماعة وهو بهذا المسجد ، ومات سنة إحدى وتسعين وخمسمائة . وكان يعرف خطه بخط بين البابين ، ثم عرف بخط الاقفاليين ، ثم عرف بخط الضبيين وباب القوس انتهى باختصار ،ويعرف الآن بخط المناخليين لأن هناك سوق المناخل ، وبخط العقادين لعقد الحرير هناك وقد ذكرناه فى المساجد من هذا الكتاب .

زاوية السدار

هذه الزاوية بحارة الروم بالقرب من باب زويلة .

قال الشعرانى فى طبقاته : دفن بها الشيخ على السدار ـ رضى الله عنه ـ كان يبيع السدر ثم انقطع فى بيته يزار إلى أن مات سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، وجاءه شخص مرة يطلب حنّاء فأعطاه سدرا فرده إليه ، وقال : هذا سدر ونحن حاجتنا بالحناء للعروس ؛ فقال : آخر النهار تحتاجون إلى السدر فمات العريس آخر الليل فغسلوه به انتهى .

زاوية سيدى سعد الله

هذه الزاوية فى الدرب الأحمر خلف جامع أبى حريبه فى طريق السالك إلى الباطلية . كان بها بعض تخريب فجدَّدها ناظرها السيد محمود درويش ـ وذلك فى سنة سبع وسبعين ومائتين وألف ـ بنفقة صرفها عليها المرحوم موسى بك العقاد ، وجعل بها منبرًا وصدرَ الإذن بالخطبة فيها ؛ فأُقيمت بها الجمعة والجماعة ولها مطهرة وأخلية ، ولها أوقاف ذات إيراد قليل ، منها أربع من وقف الست فطُّومة العباسية محتاج إلى العمارة ، وربع آخر ، وله بجواره ثلاثة حوانيت متخربة يبلغ إيراد الجميع نحو مائة قرش صاغ ، وبهذه الزاوية قبر سيدى سعد الله ظاهر وعليه تابوت مكسوٌّ بالجوخ داخل مقصورة من الخشب ، وبدائرها مقصورة من البناء ، وله زوّار ونذور ، وله حضرة كل ليلة أحد ، ومولد سنوى عقب مولد السيدة فاطمة النبوية فى ربيع الأول .

وحقق بعض علماء الصوفية : أن صاحب هذه الزاوية هو السيد سعد الله بن السيد عبد الله الملقَّب بالكامل وبالمحضى ابن السيد حسن المثنى ابن الإمام الحسن السِّبط بن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ؛ ويقال : إن له مقاما آخر فى بلاد المغرب أشهر من هذا .

زاوية سعد الدين الغرابى

هذه الزاوية بدرب الجماميز تجاه مسجد بشتاك . كانت كبيرة فجعل بعضها مساكن ولم يبق منها إلا إيوان واحد ، وهى مقامة الشعائر ، وبها سبيل مهجور ، ولها مرتب بالروزنامجة

كل شهر ثلاثة وثلاثون قرشا ، ونظرها لرجل يدعى محمد الحمامى بتقرير تحت يده .

وهذه الزاوية هى فى الأصل خانقاه ابن غراب ، التى قال فيها المقريزى : أنها خارج القاهرة على الخليج الكبير من برّه الشرقى بجوار جامع بشتاك من غربيه .

أنشأها القاضى سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب الاسكندرانى ، ناظر الخاص وناظر الجيوش واستادار السلطان وكاتب السر ، وأحد أمراء الألوف الأكابر ، أسلم جده غراب وباشر بالإسكندرية حتى ولّى نظر الثغر .

ونشأ ابنه عبد الرزاق فولى نظر الإسكندرية ، واختص جمال الدين محمود بن على أيام الظاهر برقوق بإبراهيم هذا وهو صبى ، وحمله إلى القاهرة واستكتبه فى أمواله ، ثم تنكر عليه محمود فبادر إلى الأمير علاء الدين بن الطبلاوى ووغر صدره على محمود حتى نكبه واستصفى أمواله ، ثم ولى ابن غراب نظر الديوان المفرد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وعمره نحو عشرين سنة فاختص بابن الطبلاوى ، ثم ولى نظر الخاص فى تلك السنة ، ثم أضيف إليه نظر الجيوش سنة ثمانمائة فعفّ عن تناول الرسوم ، وأظهر من الفخر والحشمة والمكارم أمرًا كبيرًا ، ثم مات السلطان سنة إحدى وثمانمائة بعد ما جعله من جملة أوصيائه ، ثم استدعى ابن غراب أخاه فخر الدين ماجدا من الإسكندرية وهو يلى نظرها إلى قلعة الجبل ، وفوضت إليه وزارة الملك الناصر فرج بن برقوق ، فأقاما بسائر أمور الدولة ، ثم تقلّد وظيفة الاستادارية عوضًا عن يلبغا السالمى سنة ثلاث وثمانمائة مضافًا إلى نظر الخاص ونظر الجيوش فلم يغيّر زى الكتاب ، وصار له ديوان كدواوين الأمراء ودقت الطبول على بابه وخاطبه الناس بالأمير ، وسار سيرة ملوكية من كثرة العطاء والأسمطة والازدياد من الخول والحواشى ، ثم انه خرج مغاضبا لأمراء / الدولة إلى (تَرُوجَة)[1] يريد جمع العربان ومحاربة الدولة فلم يتم له ذلك ، وعاد إلى القاهرة حتى حصل له الغرض واستولى على ماكان عليه إلى أن تنكرت رجال الدولة على الناصر فرج ، وحصلت بينهم حروب ثم آل أمره إلى أن أمنه السلطان واختص به وتقلّد وظيفة نظر

(١) تروجة : بالفتح ثم الضم وسكون الواو وجيم : قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الاسكندرية أكثر ما يزرع بها الكمون ، وقيل اسمها (تُرُنجة) . راجع معجم البلدان لياقوت جـ٢ : ٢٨ .

الجيوش ، ثم دبر نقض دولة الناصر إلى أن تم له مراده وقام بتولية عبد العزيز بن برقوق وأجلسه على التخت ولقبه بالملك المنصور ، ثم قام مع الملك الناصر حتى استولى على المملكة ثانيا ؛ فألقى مقاليد الدولة إلى ابن غراب فأصبح مولى نعمة كل من السلطان والأمراء ، وافتخر بأنه أقام دولة وأزال دولة ثم أزال ما أقام وأقام ما أزال ولبس الكلوتة والقباء وشد السيف فى وسطه وهى هيئة الأمراء ، ثم غاضبه القضاة وكان عند الانتهاء والانحطاط ، ونزل به مرض الموت وصار الأمراء يتردّدون إليه الأمير يشبك فمن دُونه ، وأكثرهم إذا دخل عليه يقف على قدميه حتى ينصرف إلى أن مات سنة ثمان وثمانمائة ولم يبلغ ثلاثين سنة وكانت جنازته عجيبة لكثرة من شهدها بحيث استأجر الناس السقائف والحوانيت لمشاهدتها ، ونزل السلطان للصلاة عليه ودفن خارج باب المحروق .

وكان من أحسن الناس شكلاً ومنظرًا وكرمًا مع تديُّن وعفَّة إلا أنه كان غدَّارًا ، وقد قام بمواراة آلاف من الناس زمان المحنة وتكفينهم فستره الله كما ستر المسلمين وما كان ربُّك نسيا . انتهى .

وأما السبيل الجديد الذى تجاه جامع بشتاك بما فوقه من المكتب الجميل العامر ، الذى أنشأته أُم المرحوم مصطفى باشا أخى الخديو اسماعيل باشا فالظاهر أنه فى محل خانقاه بشتاك ، التى قال فيها المقريزى :

هذه الخانقاه خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقى تجاه جامع بشتاك .

أنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى ، وكان فتحها أوَّل يوم من ذى الحجة سنة ست وثلاثين وسبعمائة ، واستقر فى مشيختها شهاب الدين القدسى وتقرر عنده عدَّة من الصوفية وأجرى لهم الخبز والطعام فى كل يوم فاستمر ذلك مدة ، ثم بطل وصار يصرف لأربابها عوضا عن ذلك فى كل شهر مبلغ ، وهى عامرة إلى وقتنا هذا .وقد نسب إليها جماعة منهم الشيخ الأديب البارع بدر الدين محمد بن إبراهيم المعروف بالبدر البشتكى انتهى .

زاوية الشيخ سعود المجذوب

هذه الزاوية بسويقة العزّى بالقرب من مدرسة السلطان حسن ، وبها قبر الشيخ سعود كما فى الطبقات .

قال الشعرانى : كان من أهل الكشف التام وكان له كلب قدر الحمار لم يزل واضعًا بوزه على كتفه ، وله وقائع مشهورة فى أهل حارته . مات سنة إحدى وأربعين وتسعمائة ، ودفن بزاويته وله قبة خضراء بناها له سليمان باشا انتهى .

زاوية سوق الضببية

هذه الزاوية برأس سوق الضببية من جهة خط باب الفتوح ، وهى فى محل المدرسة الصيرمية ، التى قال فيها المقريزى :

هذه المدرسة من داخل باب الجملون الصغير بالقرب من رأس سويقة أمير الجيوش فيما بينها وبين الجامع الحاكمى بجوار الزيادة ، بناها الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب ، وتوفى فى تاسع عشر من صفر سنة ست وثلاثين وستمائة ؛ فلما تخربت وزالت بنى فى بعض مكانها هذه الزاوية ، وهى صغيرة جدًا أغلب أوقاتها معطلة .

زاوية سيف

هذه الزاوية بالأزبكية فى محل يقال له : بين الحارات ، شعائرها الإسلامية مقامة ومنافعها تامة ، وبها ضريح سيدى سيف ، ولها أوقاف تحت نظر الشيخ مصطفى البربرى .

زاوية سيف

هى بخط الشنبكى على يسرة مريد المقس من الطُّنبلى ، وهى فى غاية إقامة الشعائر وكانت قد وهَتْ فجدَّدها قاسم البناء ومحمد أحمد رفاعى النجار سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف وبها ضريح سيدى سيف المغربى .

زاوية السيوطى

هذه الزاوية عند باب القرافة جهة عرب يسار ، وهى عامرة وشعائرها الإسلامية

مقامة ، ويجرى عليها إيراد طاحون ومنزلين تحت نظر الديوان ، وبها ضريح العلّامة الشيخ جلال الدين السيوطى صاحب المناقب الشهيرة والتآليف الكثيرة .

قال الشعرانى فى ذيل الطبقات بعد أن ترجمه بنحو كراسة : أنه توفى سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يومًا ، ودفن بحوش قوصون خارج باب القرافة ، وقبره ظاهر يزار وعليه قبة وعلى باب القبة تاريخ عمارة جرت فيها سنة إحدى عشرة ومائتين وألف ، ويعمل له بها مولد كل سنة فى شعبان .

حرف الشين

زاوية الشامية

هذه الزاوية بالجودرية قرب الفحامين . أنشأتها آلست الشامية فى سنة أربع وتسعين وتسعمائة ، وهى مقامة الشعائر ، ولها أوقاف جارية عليها بمعرفة ناظرها الشيخ عبد البر بن الشيخ أحمد منة الله الأزهرى المالكى .

زاوية الشيخ شاهين

هى بشارع دير النحاس بمصر العتيقة غير مقامة الشعائر ، وبها بعض اشجار وضريح الشيخ شاهين ، يعمل له حضرة كل ليلة خميس ، ومولد كل سنة / وبجوار بابها شجرة لَبَخ عتيقة وسبيل قديم .

٣٣

زاوية شيرك

هى فى شارع السُّروجية على رأس عطفة الدالى حسين بقرب جامع جانبك عن يمين الدَّاخل من الشارع إلى الحارة ، وهى صغيرة وليس لها مطهرة ولا بئر وشعائرها مقامة وأمامها على رأس الحارة أيضا زاويتان متجاورتان تخربتا وزالت آثارهما بالمرة ، وفى مكان إحداهما سبيل صغير متعطل وحانوتان .

زاوية الشريف مهدى

قال المقريزى : هذه الزاوية بجوار زاوية تقى الدين ، بناها الأمير صرغتمش فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة انتهى .

زاوية الشيخ شعبان

هى فى شارع البغالة فى أول حارة البزازرة ، ولعله هو الذى ترجمه الشعرانى فى الطبقات ؛ فقال : كان الشيخ شعبان المجذوب من أهل التصريف بالمحروسة ، وأقعد آخر عمره فى زاويته بسويقة اللبن إلى أن مات .

وكان له اطلاع تام وإذا أشكل على سيدى على الخوّاص أمر يبعث يسأله عنه ، وكان يقرأ سورًا غير التى فى القرآن على كراسى المساجد فلا ينكر عليه أحد ، والعامى يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات فى الفواصل ، وسمعته مرة يقرأ على باب دار : وما أنتم فى تصديق هود بصادقين ، ولقد أرسل الله لنا قوما بالمؤتفكات يضربوننا ويأخذون أموالنا ومالنا من ناصرين .

وكان لا يلبس إلا قطعة جلد أو بساط أو حصير أو لباد يغطى قبله ودبره فقط . مات سنة نيف وتسعمائة انتهى .

زاوية شمعة

هى بشارع البيومى على يسرة مريد جامع البيومى آتيا من باب الفتوح تجاه عطفة الخوّاص بجوار حارة عنوس ، وتعرف أيضا بزاوية عنوس وبزاوية الصارم .

أنشأها الأمير شمعة فى أول القرن الثالث عشر كما هو مشهور على ألسنة أهل الجهة ، ثم تشعثت فجدّدها الحاج يوسف عنوس الحريرى الفتّال بعد سنة سبعين ، وفيها منبر وشعائرها مقامة بنظر ديوان الأوقاف .

زاوية الشنبكى

هذه الزاوية بتمن الأزبكية فى حارة الشنبكى على يسار الذاهب من الطُّنبلى إلى باب الحديد ، على بابها لوح رخام منقوش فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم) أنشأ هذا المسجد لله سبحانه وتعالى سيدى أحمد الشنبكى ابن الحاج محمد سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة . وهى مقامة الشعائر وبها ضريح ــ رجل صالح يقال له الشنبكى ــ عليه قبة صغيرة ، ولها شباك من الخشب دقيق الصنعة وله مولد سنوى ، وهى تحت نظر السيد حسنين حجازى الصباغ بباب البحر .

ترجمة الشنبكى

ولعل الشنبكى هذا هو الذى ترجمه الشعرانى فى طبقاته ؛ فقال : ومنهم الشيخ أبو محمد الشنبكى انتهت إليه الرياسة فى وقته ، وتـخرَّج به السالكون الصَّادقون مثل الشيخ أبى الوفا والشيخ منصور وغيرهما .

وكان شريف الأخلاق كامل الأدب وافر العقل كثير التَّواضع . كان فى بدايته يقطع الطريق على القوافل فتاب على يد أبى بكر البطائحى فصار يبرىء الأكمه والأبرص والمجنون بدعوته ، ومن كلامه : أصل الطاعة الورع والتقوى ، وأصل التقوى محاسبة النفس ، ومن استغنى بشىء دون الله فقد جهل قدر الله ، ومن قهر نفسه بالأدب فهو الذى يعبد الله بالإخلاص ، ومن نظر قرب الحق منه بعد عن قلبه كل شىء سواه ، وشهوة الصدِّيقين المجاهدة ، وشهوة الكاذبين النَّومُ والكسل ، وصلاح القلب فى الاشتغال بالعلم على وجه الإخلاص ، وفساده بالاشتغال به على وجه الرياء والسمعة وملاك القلب ، والسبق إلى المعالى فى إصلاح الباطن اكتفاء بمراعاة الحق وإسقاط رؤية الخلق ا هـ . ولم يذكر وفاته ولا محل قبره .

زاوية شنـن

هذه الزاوية بحارة السبع قاعات . أنشأها الأمير أحمد أفندى شنن ، صاحب جامع شنن المعروف أيضا بجامع أبى درع الذى بحارة شنن من خط باب الخرق .

حـرف الصاد

زاوية الصَّبَّان

هذه الزاوية بشارع الطنبلى على يمنة السالك من رأس الشارع المجاور لباب العدوى ، شعائرها مقامة .

كانت تحت نظر الشيخ عفيفى الزاملى ، والآن صار نظرها للأوقاف .

زاوية صفى الدين

هى بخط الفوطية تجاه درب القطة خارج باب الشعرية على يسار الذاهب إلى الجامع الأحمر ، وشعائرها مقامة بنظر محمد أغا المرابط .

زاوية الصنافيرى

هى بشارع باب اللوق ، شعائرها قائمة ، ولها أوقاف تحت نظر السِّت شوق ابنة حنفى الصنافيرى . عرفت باسم الشيخ إسماعيل الصنافيرى ، له بها ضريح ظاهر يزار .

زاوية الصياد

هذه الزاوية بحارة الجودرية ، وهى قديمة مقامة الشعائر ، ولها أوقاف جارية عليها بمعرفة ناظرها الشيخ أحمد الفقيه ، وبها ضريح منشئها الشيخ الصياد .

حـرف الضـاد

زاوية الشيخ ضرغام

هذه الزاوية على رأس حارة غيط العِدَّة ، بابها داخل الحارة وقد أُخذ منها شارع محمد على جزءا ذهبت فيه مطهرتها وتخربت ؛ فجدَّدت من طرف ديوان الأوقاف فى سنة ثلاث

وتسعين ومائتين وألف ، وأقيمت شعائرها إلا أنها لم يجعل لها مطهرة لذهاب بئرها أيضا تحت رصيف الشارع ، وهى مرتفعة يصعد إليها بسلالم وتحتها أربعة حوانيت موقوفة بضم ريعها لديوان الأوقاف وهو يصرف عليها عرفت / باسم رجل صالح يقال له الشيخ محمد ضرغام ، يعمل له حضرة كل ليلة أحد ومولد كل سنة .

٣٤

حـرف الطـاء

زاوية طبطبـاى

هذه الزاوية بشارع الركبية قرب الصليبة . أنشأها مصطفى بيك طبطباى ، وشعائرها غير مقامة لتخربها ، ولها مرتب بالرُّوزنامجة اثنان وثلاثون قرشا ونصف قرش ، وناظرها محمد أفندى نور الدين .

زاوية الطحاوى

هذه الزاوية بالقرب من الإمام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ بناؤها بالحجر ، وبها ضريح الإمام الطَّحاوى عليه تابوت من الخشب تجاهه قطعة رخام مكتوب عليها : هذا ضريح سيدنا ومولانا العالم العلامة أبى جعفر الطحاوى أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سليم ابن سليمان رضى الله عنه . ولد فى سنة تسع وعشرين ومائتين ، وتوفى فى ذى القعدة الحرام سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، ومنقوش على باب الضريح : (بسم الله الرحمن الرحيم . ادخلوها بسلام آمنين) جدَّد هذا المكان المبارك ، وهو مقام العارف بالله تعالى أبى جعفر أحمد الطحاوى قدَّس سرَّه حضرة والى مصر حمزة باشا يسر الله له من الخيرات ماشاء فى سنة ثمان وتسعين وألف .

وبها مزْولة راسية ومزملة لشرب الماء وقبور قديمة ، ولها أوقاف تحت نظر الدِّيوان ، وقد ذكرنا ترجمة الشيخ الطحاوى فى الكلام على بلدته طحا العمودين من الأقاليم القبلية ؛ فارجع إليها إن شئت .

وفى قلائد العقيان : إن من خيرات مولانا الوزير حمزة باشا تعمير مقام الإمام الأوحد والولى الأمجد الشيخ أحمد الحنفى الشهير بالطحاوى بالقرافة من بناء وترتيب ما يقوم بشعائره ورتّب قرّاء يقرءون على ضريحه وأجرى عليهم صدقات جارية له ثوابها ، وكانت ولاية الوزير حمزة باشا على مصر ودخوله إياها فى شوّال سنة أربع وتسعين وألف .

وهو أول وزير دخل مصر اسمه حمزة ، وكان قائمًا مقامه بمصر المحروسة مير الحج الشريف الأمير ذو الفقار بيك ، وطلع بموكب جليل ومنظر جميل تقصر عن عظمته العبارة ، وكان قدومه على مصر مباركًا فدّرت فيها البركة ورخّصت الأقوات بحيث إن الأردب القمح بيع فى صعيدها بعشرين نصفا فضة والأردب الفول بثمانية عشر نصفا فضة والأردب الشعير باثنى عشر نصفاً فضة والأردب العدس كذلك ، وشحنت الأسواق باللحوم والفواكه والثمار بحيث إن رؤية العين أشبعت البطن وارتفع الوباء والبلاء وانتصب فيها فسطاط العدالة ، وكان متشرعًا ناسكا محبًا للعلماء محسنًا إلى الفقراء ، شفوقا على الرعايا كاتبا حاسبًا ، واجتمع فيه ثلاث خصال : الحلم ، وعدم سفك الدماء ، وعدم نهب الأموال . إلا أنه لضرورة كونه فى آخر القرن قامت فى آخر مدته فتن وإغارات ، ثم عزل فى سنة ثمانٍ وتسعين وألف انتهى .

وفى حجة وقفيته المؤرخة بسنة تسع وتسعين وألف : أنه أرصد على هذه الزاوية والمقام والسبيل والحوض والساقية جهات منها ما إيراده من العثامنة المصرية فى السنة سبعة وخمسون ألفاً وتسعمائة وستون عثمانيًا مقيدة بدفتر الكشيدة بالديوان العالى ، يصرف منها أجرة جمال لحمل الماء من النيل إلى السبيل والزاوية كل يوم أربعون عثمانيا ولشيخ القراء بالمقام والزاوية يوميًا عشرة عثامنة ، ولخدمة المقام كذلك ، ولخادم السبيل ستة عثامنة يوميًا ، وللوقاد اثنان ، ولثمن الزيت كذلك ، ومعلوم الناظر ثلاثة ، وللبواب كذلك ، وللفراش اثنان ، ولخمسة عشر يقرأ كل واحد منهم جزأين من القرآن كل يوم ثلاثون عثمانيا ، ولعشرة يقرأ كل واحد جزءا واحدا فى المقام كل يوم عشرون عثمانيا ، وللخفير كل يوم عثمانيان ، ولمفرق الربعة عثمانى واحد ، وأرصد أيضا بدفتر الرُّوزنامجة بالديوان العالى كل سنة خمسة آلاف وخمسمائة وثمانية وثلاثين عثمانيًا ، منها للناظر الحسبى فى السنة خمسمائة وأربعون وللمباشر كذلك ، وثمن

حصر وقناديل ثمانمائة ، وثمن قلل وكيزان مائتان وخمسون ، ولسوّاق الساقية وخادم الحوض تسعمائة وعشرون ، وثمن تبن وبرسيم لثور الساقية سبعمائة وعشرون ، وللنجار والطوانس والقواديس مائتان وخمسون ، وما زاد يبقى تحت يد الناظر لصرف ما يلزم فى العمارة ونحوها ، وكذلك أرصد بالأنبار الشريف كل سنة من القمح سبعة وأربعين أردبا وستة علائق فول وجراية يفرق الناظر من ذلك على الفقراء بمعرفته ، ويصرف منها لعليق الثور ، وما بقى يبيعه ويصرف منه فى العمارة إن احتاج الحال لها . وشرط النظر لشخص عينه ومن بعده لابنه ، ثم لمن يقرره الحاكم الحنفى ، وشرط أن يكون الناظر الحسبى باش جاويش من طائفة عزبان ا هـ .

زاوية الطّواب

هذه الزاوية بحارة الطّواب من درب القرودى وهو المشهور الآن بضرب الغزالى ، شعائرها مقامة وبجوارها سبيل صغير له شباك من الحديد ، وبأعلاها منزل للحاج محمد القماح ، ونظارتها تحت يد امرأة يقال لها فاطمة النّبوية .

حرف الظاء

زاوية الظاهرى

قال المقريزى : هذه الزاوية خارج باب البحر ظاهر القاهرة عند حمام طرغاى على الخليج الناصرى . كانت أوّلاً تشرف طاقاتها على بحر النيل الأعظم ؛ / فلما انحسر الماء عن ساحل المقس ، وحفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى صارت تشرف على الخليج المذكور من برّه الشرق ، واتصلت المناظر هناك إلى أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة فخربت حمام طرغاى ، وبيعت أنقاضها وأنقاض كثير مما كان هناك من المناظر ، وأنشىء هناك بستان عرف أوّلا بعبد الرحمن صيرفى الأمير جمال الدين الاستادار لأنه أوّلا أنشأه ثم انتقل عنه .

٣٥

ترجمة الظاهرى

والظاهرى هذا : هو أحمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس جمال الدين الظاهرى . كان أبوه محمد بن عبد الله عتيق الملك الظاهر شهاب الدين غازى ، وبرع حتى صار إمامًا حافظا ، وتوفى ليلة الثلاثاء لأربع بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين وستمائة بالقاهرة ، ودفن بتربته خارج باب النصر وابنه عثمان بن أحمد بن محمد بن عبد الله فخر الدين ابن جمال الدين الظاهرى الحلبى الإمام العلامة المحدث الصالح ، ولد فى سنة سبعين وستمائة ، وأسمعه أبوه بديار مصر والشام وكان مكثرًا ، ومات بزاويته هذه فى سنة ثلاثين وسبعمائة .

حـرف العيـن

زاوية الست عائشة اليونسية

هذه الزاوية بشارع المغربلين تجاه زاوية اليونسية ، تنسب للست عائشة اليونسية وقد تكلمنا عليها هناك .

زاوية عابدين جاويش

هذه الزاوية فى شرقى سراى عابدين الكبرى تجاه جامع عابدى بيك الملاصق لسراى عابدين ، كانت متخربة فجدَّدها الخديو إسماعيل ، وجدَّد لها ميضأة وأخلية عوضًا عما أُزيل من ميضأة هذا الجامع وأخليته .

زاوية عابدين

هذه الزاوية بالتَّبانة . أنشأها الأمير عابدين جاويش فى سنة أربع وثمانين وألف ، وهى غير مقامة الشعائر لتخربها .

زاوية عارف باشا

هذه الزاوية بشارع التبانة قرب دار عارف باشا ، وكانت قديمة متخربة فجدَّدها الأمير

عارف باشا سنة أربع وثمانين ومائتين وألف ، وعمل لها مطهرة ومراحيض وبجوارها محلان موقوفان عليها ، وشعائرها الإسلامية مقامة من ريعها .

زاوية العمرى

هذه الزاوية بقلعة الكبش من خط طولون ، لها ميضأة وبئر ومراحيض ، وبجوارها منزل موقوف عليها ، شعائرها مقامة من إيراده بمعرفة ناظرها أحمد المرصفى الحداد ، وفيها ضريح يقال لصاحبه سيدى على العمرى ظاهر يزار ويعمل له حضرة كل ليلة أربعاء ، ومولد كل سنة فى شعبان ثمانية أيام .

زاوية عباس باشا

هى بشارع السروجية بالقرب من جامع جانم عن يمين السالك من الصليبة إلى باب زويلة . أنشأها المرحوم عباس باشا والى مصر ، اشترى أرضها من مالكها وبناها وجعل لها مطهرة وأخلية وبئراً وأقام شعائرها . وسبب ذلك أنه أدخل فى بستان سراى الحلمية زاوية كانت بدرب الحنّاء ، فجعل هذه بدلاً عنها ووقف عليها أوقافاً منها أربعة دكاكين بجوارها .

زاوية الشيخ عبدالرحمن

هذه الزاوية بخط الحنفى عامرة بالآذان والصلاة ، ولها ميضأة ومراحيض وبأسفلها ثلاثة دكاكين موقوفة عليها ، ولها أحكار على دور بجوارها منها دار حسن بيك محافظ السويس ، ودار الحرمة يمن ، ودار ورثة عثمان العطار ، وناظرها محمد رفاعى الصباغ من سكان حارة السقائين ، وبها ضريح عليه تابوت من الخشب يعرف بين العوام بأنه ضريح الشيخ عبدالرحمن الصحابى ولا صحة له ، وإنما هو كما فى الضوء اللامع للسخاوى عبدالرحمن بن أبى الفضل بن الشمس الحنفى عقد الميعاد فى زاويته ، ومات بجزيرة أروى المعروفة الآن بالوسطى ، ودفن بالزاوية بجانب أبيه خارج قنطرة سنقر بسويقة السباعين انتهى ، وترجمته مبسوطة فى الضوء اللامع .

زاوية عبد الرحمن كتخدا

هذه الزاوية بشارع المغربلين بجوار جامع جانبك . أنشأها الأمير عبد الرحمن كتخدا فى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف ، وهى عُلْوية وتحتها حنفية ، وشعائرها مقامة ولها مرتب من أوقافه الكثيرة الجمة المبينة فى حجة وقفيته ضمن مرتَّبات جهاته الخيرية من عمائر الأزهر وخلافه ، وهى فى نظر ديوان الأوقاف .

زاوية الشيخ عبد الرحمن المجذوب

هذه الزاوية بالحسينية قرب جامع الملك الظاهر ، بها قبر الشيخ عبد الرحمن المذكور كما فى طبقات الشعرانى . قال : كان من الأولياء الأكابر وكان سيدى على الخوَّاص رضى الله عنه يقول : ما رأيت أحداً من أرباب الأحوال دخل مصر إلا ونقص حاله إلا الشيخ عبد الرحمن ، وكان مقطوع الذكر قطعه بنفسه أوائل جذبه ، وكان جالساً على الرمل صيفاً وشتاءً ، وإذا جاع أو عطش يقول : أطعموه اسقوه ، وكان ثلاثة أشهر يتكلم وثلاثة أشهر يسكت ، وكان يتكلم بالسريانى ، وكان مقعداً نحو نيف وعشرين سنة مات سنة أربع وأربعين وتسعمائة انتهى .

زاوية الشيخ عبد المتعال

هذه الزاوية برأس درب اليانسية من خط المغربلين بجوار بيت الأمير جعفر باشا ، وهى صغيرة ومقامة الشعائر ، وبها مطهرة وأخلية وبداخلها ضريحان أحدهما للشيخ عبد المتعال المذكور والآخر .

زاوية الشيخ عبد العليم

٣٦ هى بأقصى حارة الدوادارى بجوار حارة كتامة بين الأزهر / والباطلية من ثمن الجمالية ، يصعد إليها بعدة درج لارتفاع أرضها ، وبها إيوان لطيف سقفه من الخشب يحمله أعمدة من الرخام والحجر ، ولها ميضأة وأخلية وبئر ، وشعائرها مقامة قليلاً ، وكانت أوَّلاً مدرسة تعرف

بالمدرسة الشعبانية كما فى تاريخ الجبرتى ، ثم عرفت بزاوية الشيخ عبدالعليم لدفنه بها وعلى ضريحه مقصورة من الخشب ، وكان له زيارة ومولد كل عام وقد بطل الآن .

ترجمة الشيخ عبدالعليم

وهو الشيخ عبدالعليم بن محمد بن محمد بن عثمان المالكى الأزهرى الخلوتى الضرير حضر دروس الشيخ على الصعيدى رواية ودراية ، فسمع عليه جملة من الصحيح والموطأ والشمائل والجامع الصغير ومسلسلات ابن عقيلة . وروى عن الجوهرى والملوى والبليدى والسقاط والمنير والدردير ، والتاودى ابن سودة حين حج ودرس وأفاد ، وكان من البكَّائين عند ذكر الله سريع الدمعة كثير الخشية . توفى سنة أربع عشرة ومائتين بعد الألف .

ترجمة الشيخ إبراهيم الحريرى

وفى هذه الزاوية أيضاً قبر الشيخ إبراهيم الحريرى عليه مقصورة من الخشب ، وترجمه الجبرتى فى تاريخه ، فقال :

وفى سنة أربع وعشرين ومائتين وألف مات العلامة المفيد والنحرير الفريد الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبدالمعطى بن أحمد الحريرى . مفتى السادة الحنفية كوالده تفقه على الوالد وحضر على البيلى والدردير والصبان وغيرهم ، وأنجب ومهر خصوصاً فى الفروع الفقهية ، تقلَّدَ منصب الإفتاء بعد موت والده سنة عشرين ، وكان له أهلاً مع العفة والصيانة والمراجعة والتباعد عما يخل بالمروءة مواظباً على وظائفه ودروسه ملازماً لداره إلا لضرورة تدعوه للحضور مع أرباب المظاهر ، وكان ضعيف البصر وبآخرته اعتراه داء الباسور وانقطع بسببه عن الخروج من داره ، ووصف له حكيم بدمياط فسافر إليه بإشارة نسيبه الشيخ المهدى ، وقاسى أهوالاً فى معالجته بالآلة فلم ينجح ورجع إلى مصر ، ولم يزل ملازماً للفراش حتى مات ، ودفن بالمدرسة الشعبانية بحارة الدويدارى ظاهر حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية قرب الجامع الأزهر ، وكان لأبى المترجم وظائف كالإفتاء والتدريس فى مدرسة المحمودية والصرغتمشية والمحمدية ، فكان ينوب عنه فى بعضها اهـ .

زاوية الشيخ عبد الله

هذه الزاوية بشارع الحلمية بين ضريح المظفر وجامع الماس على يمنة السالك من الصليبة طالباً باب زويلة . كانت فى خطة تعرف بحدرة البقر وكانت متخربة وبقيت كذلك مدة ، ثم جدَّدناها مع تجديد منزلنا لمجاورتها له ، وذلك سنة إحدى وثمانين وجدَّدنا بجوارها دكانين من أوقافها ، وجعلنا لها ماسورة تجلب لها ماء النيل من مجراة وابور الماء وجعلنا بها حنفية ، وأقيمت شعائرها من طرف ديوان الأوقاف إلى الآن ، وبداخلها قبر يعرف بقبر الست ملكة ، وآخر يعرف بالشيخ عبد الله الذى عرفت الزاوية باسمه ، وعلى كل منهما تابوت وكسوة ، ولها خدمة وزيارة ويعمل لها ليلة كل سنة مع مولد المظفر والسيدة نفيسة رضى الله عنها ، وكان أصل هذه الزاوية مدرسة تعرف بالمدرسة الطغجيه ، وذكرها المقريزى فى المدارس ؛ فقال : هذه المدرسة بخط حدرة البقر .

أنشأها الأمير سيف الدين طغجى الأشرفى ولها وقف جيد .

ترجمة الأمير طغجى

وطغجى : هو الأمير سيف الدين كان من جملة مماليك الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، ترقى فى خدمته حتى صار من جملة أمراء ديار مصر ؛ فلما قتل الملك الأشرف قام طغجى فى المماليك الأشرفية وحارب الأمير بيدر المتولى لقتل الأشرف حتى أخذه وقتله ؛ فلما أقيم الملك الناصر محمد بن قلاوون فى المملكة بعد قتل بيدراً صار طغجى من أكابر الأمراء ، واستمر على ذلك بعد خلع الملك الناصر بكتبغا مدة أيامه إلى أن خلع الملك العادل كتبغا ، وقام فى سلطنة مصر الملك المنصور لاجين وولى مملوكه الأمير سيف الدين منكوتمر نيابة السلطنة بديار مصر ؛ فأخذ يواحش أمراء الدولة بسوء تصرفه ، واتفق أن طغجى حج فى سنة سبع وتسعين وستمائة فقرر منكوتمر مع المنصور أنه إذا قدم من الحج يخرجه إلى طرابلس ؛ فعندما قدم من الحجاز رسم له بنيابة طرابلس فثقل عليه ذلك ، وسعى بإخوته الأشرفية حتى أعفاه

السلطان من السفر ، فسخط منكوتمر وبعث إليه يلزمه بالسفر وكان الملك المنصور لاجين منقاداً لمنكوتمر لا يخالفه فى شىء فتواعد طغجى مع أخيه كرجى وجماعة من المماليك وقتلوا لاجين وقتل منكوتمر أيضاً فى تلك الليلة ، وعزم على أنه يتسلطن ويقيم كرجى فى نيابة السلطنة ، فلم يتم له ذلك وقتل هو وأخوه كرجى وحمل فى مزبلة من مزابل الحمامات على حمار إلى مدرسته هذه فدفن بها وقبره هناك إلى اليوم ، وكان قتله فى يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة بعد خمسة أيام من قتل لاجين ومنكوتمر . ا هـ باختصار .

زاوية عبدالله بن أبى جمرة

هذه الزاوية بخط جامع المقس المعروف بجامع أولاد عنان خارج باب البحر كانت للشيخ عبدالله بن أبى جمرة الأندلسى المرسى كما فى طبقات الشعرانى .

قال : وكان قدوة ربانياً ذا تمسك بآثار النبى صلى الله عليه وسلم وجمعية على العبادة وشهرة كبيرة بالإخلاص والاستعداد للموت والفرار من الناس إلا فى الجمع .

مات سنة خمس وسبعين وستمائة ولهم ابن أبى جمرة آخر اسمه أحمد حفظ مدونة الإمام مالك رضى الله / عنه . ومات سنة تسع وتسعين وخمسمائة وابن أبى جمرة ثالث اسمه محمد . كان كبير الشأن مقبوض الظاهر معمور الباطن معظماً للشرع قائماً بشرائعه وشعائره ، ولما مات دفن بالقرافة بمصر وقبره ظاهر يزار ، وله كلام عال فى مقام النبوة والولاية والعلم ؛ فمن كلامه رضى الله عنه : « لو قدرت أن أقتل من يقول لا موجود إلا الله . لفعلت ؛ فما يقول فى بوله وغائطه وعجزه عن دفع الآلام عن نفسه ؟ وشرط الإله : أن يكون قادراً فكيف يقول : أنا عين الحق هذا من أضل الضلال . وكان يقول : لو تدبَّر الفقيه فى قراءته لاحترق بأنوار القرآن وهام على وجهه وترك الطعام والشراب والنوم وغير ذلك ، وكان إذا رأى فدان القصب مثلاً يقول : يجيىء منه كذا قنطاراً عسلاً وكذا قنطاراً سكراً فيجيىء كما قال : وطلب السلطان : أن يبنى له رباطاً فأخذ بيده وأدخله جامع طولون ، وقال : هذا الجامع لى أجلس فى أى مكان شئت منه . وكان يقول : ثلاثة لا يفلحون ابن الشيخ وزوجته

٣٧

وخادمه ؛ فأمَّا ابنه فإنه يفتح عينه على تقبيل المريدين يده ، وحمله على أعناقهم ، والتبرك به ؛ فيرضع من حب الرياسة والكبر ؛ فلا يؤثر فيه وعظ واعظ . وأما الزوجة فإنها تراه بعين الأزواج لا بعين الولاية ، وأما الخادم فلتكرار رؤية الشيخ واطلاعه على أحواله العادية تقل عظمته عنده ؛ فإذا وفقهم الله تعالى انتفعوا بالشيخ أكثر من غيرهم ونالوا حظاً وافراً » اهـ .

زاوية الشيخ عبد الله

هذه الزاوية على رأس عطفة الغسال خلف اصطبل سراى الحلمية . جدَّدها المرحوم عباس باشا كان والى مصر . وجعل بها حنفية ، وبها ضريح رجل صالح يقال له الشيخ عبد الله ، عليه تابوت من خشب ، وشعائرها مقامه .

زاوية العراقى

هى فى حارة المناصرة مقامة الشعائر ، وبها ميضأة ومرافق ، ولها أوقاف تحت نظر الديوان ، وبها ضريح الشيخ العراقى .

زاوية العريان

هى تجاه شارع سوق الزلط بقرب جامع العريان ، مقامة الشعائر تامة المنافع وبها ضريحان : أحدهما مشهور بالعريان القديم ، والآخر ضريح ابنه الشيخ عبد العال . وهى تحت نظر ذرية الشيخ أحمد العروسى لقربها من داره .

زاوية العسقلانى

هذه الزاوية تجاه حارة الأقباعية على يسرة الخارج من باب القنطرة إلى باب البحر وهى صغيرة ، وبها منبر وشعائرها مقامة من أوقاف لها قليلة تحت نظر الست خدُّوجة الشربتلية ، وكانت أوَّلُ أمرها مدرسة تعرف بمدرسة ابن حجر كما فى الضَّوء اللامع للسخاوى وخلاصة الأثر للمحبى وغيرهما ، وفيها ضريح رجل صالح يقال له العسقلانى له مولد سنوى ، وهو غير

قبر ابن حجر العسقلانى الإمام المؤلِّف المشهور الذى عُرِفت المدرسة به فإن ذاك مدفون فى القرافة كما هو مذكور فى ترجمته عن أبى المحاسن وغيره .

ترجمة الإمام ابن حجر العسقلانى

قال أبو المحاسن : إن ابن حجر العسقلانى هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على ابن محمد بن محمد المعروف بابن حجر الكنانى العسقلانى المصرى الشافعى من مدينة عسقلان ، ولد بمصر العتيقة ومات بها ، وكان مولده لاثنين وعشرين من شهر شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من الهجرة . قال : وعائلته من آخر بلاد الجريد فى أرض قابس ، ولما مات أبوه ربّاه وصيه فحفظ القرآن ، وفى سنة أربع وثمانين حج وعمره إحدى عشرة سنة ، واشتغل بالتجارة أوّلاً وألف إذ ذاك الشعر ، ثم اشتغل بالحديث ودرس على عدة من الأفاضل فى مصر وغيرها وسافر كثيراً فأخذ الحديث بمصر عن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى وغيره ، وأخذ الفقه عن الحافظ العراقى وغيره ، وتلقى عن الشيخ برهان الدين إبراهيم القنبرى ونور الدين الهيثمى والشيخ تقى الدين محمد بن محمد الديوى ، وتلقى دروساً عن المفتى صدر الدين سليمان بن عبد الناصر بمدينة سرياقوس ، وسافر إلى الصعيد سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة فأقام بقوص وغيرها من المدن ، واجتمع بعدة أفاضل كالشيخ ناصر الدين قاضى هوّ وابن فراج قاضى قوص ، وفى سنة ثمان وتسعين تزوج ببنت كريم الدين بن عبد العزيز ناظر الجيش ، وسافر إلى غزة وأخذ عن الشيخ أحمد بن محمد الخليلى ، ثم سافر إلى مدينة الرملة وأخذ عن الشيخ أحمد بن محمد العابق ، ثم إلى مدينة الخليل وأخذ عن الشيخ صالح بن خليل بن سالم ، ثم إلى القدس وأخذ عن المفتى شمس الدين محمد بن إسماعيل القلقشندى وعن بدر الدين حسن بن موسى وعن محمد بن محمد المنيحى ، وفى سنة تسع وتسعين سافر إلى اليمن من طريق الطور ، واجتمع عند قرية زبيد بحسين بن على الفارقى وزير الملك الأشرف ، الذى تولى الوزارة سنة سبع وثمانين وسبعمائة ، وعزل بعدها بأربع سنين ومات سنة إحدى وثمانمائة ، وفى سنة ثمانمائة من الهجرة سافر إلى الحج ، وبعد سنة رجع إلى مصر وأقام بالقاهرة قليلاً ، ثم سافر إلى القدس ليتلقى عن أحمد بن خليل بن كيكلدى ؛ فلما وصل إلى

الرملة بلغه خبر موته فعدل عن القدس إلى دمشق وأقام بها زمناً وأخذ فيها عن بدر الدين محمد بن محمد البالسى وعن فاطمة بنت محمد التنوخى ، وفى تلك المدة اجتمع بصاحب القاموس محمد الفيروزابادى ، ثم رجع إلى القاهرة وأقام قليلاً وسافر إلى ينبع ومنها إلى منى ، وتلقى فيها على زين الدين أبى بكر بن حسين ثم جاور بمكة ، ثم سافر إلى اليمن وعدن وزبيد .

٣٨ /وفى سنة ست وثمانمائة رجع إلى مصر واشتغل بالحديث وساعد فى تقليد تقى الدين محمد الفاسى صاحب تاريخ مكة المشرفة بقضاء الحنفية فى هذه المدينة ، ومن اشتغاله بالعلوم على الدوام صار حافظ أهل زمانه ، وله وقوف تام على معرفة الرجال ، وكان هو المعوَّلُ عليه فى تلقِّى الحديث عنه فأخذ عنه الكثير من صغير وكبير ، وكان يدرس فى خانقاه بيبرس مدة عشرين سنة وتعين نائباً لقاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن البلقينى عوضاً عن ولى الدين العراقى ، ثم تقلَّد القضاء ثم عزل ، وخلفه الشيخ شمس الدين محمد القاياتى وحضر تولية الملك المؤيد شيخ السلطنة سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وكان إذ ذاك مفتى دار العدل وهو الذى لقب الملك بأبى النصر ، ثم ترك الفتوى وتعين شيخ خانقاه بيبرس الجاشنكير .

وفى سنة عشرين زاره القاضى تاج الدين البغدادى ، وكان قد قدم من بغداد إلى مصر .

وفى سنة ثلاث وعشرين أغار قرا يوسف على أذربيجان بلاد ابن عمر ، فسير إليه السلطان قرأ اليك فظفر به وقتله وأتى برأسه إلى السلطان ؛ فجمع السلطان العلماء واستفتاهم فى شأن قرا يوسف المقتول ، فأفتوه بكفره إلا المترجم فإنه توقف فى الفتوى ؛ فسأله الملك عن توقفه فأجاب عن سبب ذلك أنه قدم المفتين عليه فعقد له مجلساً ثانياً وقدمه عليهم فأفتى بما أفتوا به .

وفى سنة أربع وعشرين سافر إلى الحج .

وفى سنة سبع وعشرين عينه الملك الأشرف برسباى قاضى قضاة مصر جميعها عوضاً عن البلقينى ، وعزل عنها بعد عشرة أشهر ، وخلفه شمس الدين محمد الهراوى ، ثم فى سنة ثمان وعشرين رجع إلى وظيفته .

وفى سنة إحدى وثلاثين طُلِبَ للفتوى فى أمر مهمّ وذلك : أن اليهود فى سنة ثلاث وعشرين بنوا درباً جديداً بقرب بيعتهم ، وسوّروه بسور حصين وكان بداخله بيوت للمسلمين ؛ فحكم المترجم على اليهود بعدم استحقاقهم ذلك السور ، وحكم بهدمه فهدم ، ثم عزل من وظيفته القضاء وخلفه علم الدين صالح البلقيني وبعد سنة رجع إليها واستمر فيها إلى سنة أربعين ، ثم عزل وخلفه علم الدين صالح المذكور ، ثم عزل ورجع إليها سنة إحدى وأربعين وفى هذه السنة توسط عند السلطان وخلّص القاضى بهاء الدين ابن عزالدين عبدالعزيز بن البلقينى من تهمته ؛ بأنه أفحش فى جارية بعد ضربه وإشهاره .

وفى سنة سبع وأربعين اشتغل بتأليف تاريخه ، ثم عزل فى سنة ثمانٍ لكن رضى عنه وخلع عليه خلعة الرضا ، وفى هذه السنة أُصيب بالطّاعون ، ثم عزل فى سنة تسع وخلفه الشيخ شمس الدين القاياتى ، ثم مات القاياتى فى تلك السنة فعاد المترجم إلى الوظيفة ولم يمكث فيها إلا قليلاً وعزل وخلفه علم الدين صالح البلقينى ، ومن حينئذٍ انقطع للتأليف حتى مات بعد أن مرض شهوراً ، وذلك يوم السبت لثمانٍ وعشرين من شهر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، وصلى عليه فى مصلى بكتمر المؤمنى بالرميلة ودفن بالقرافة ، وحضر جنازته السلطان الملك جقمق والخليفة المستكفى بالله سليمان والقضاة والعلماء والأمراء وكثير من العالم يبلغ عددهم نحو خمسين ألفاً ورثاه كثير من العلماء وغيرهم .

وقال ابن إياس : إن له أكثر من مائة مؤلّف وذكر أبوالمحاسن من ذلك : كتاب تعليق التعليق ، وكتاب فتح البارى على صحيح البخارى فى عشرين مجلداً ، وكتاب فوائد الاحتفال فى بيان أحوال الرجال ، وكتاب تجريد التفسير ، وكتاب الإصابة فى تمييز الصحابة ، والمعجم ، وطبقات الحفّاظ ، وكتاب قضاة مصر ، وكتاب الدرر الكامنة فى المائة الثامنة ، وكتاب الأعلام بمن ولّى مصر فى الإسلام ، وكتاب السبع السيارات النّيرات ، وتاريخ أنباء الغمر فى أبناء العمر يخص مصر والشام ، وله غير ذلك انتهى .

وقال السيوطى فى حسن المحاضرة : ابن حجر إمام الحُفّاظ فى زمانه شهاب الدين أحمد بن على الكنانى العسقلانى ثم المصرى ، عانى الأدب وتعلم الشعر فبلغ فيه الغاية ، ثم

طلب الحديث فسمع الكثير ورحل وتخرج بالحافظ العراق ، وانتهت إليه الرحلة والرياسة فى الحديث فى الدنيا بأسرها ، وألّف كُتباً كثيرة وأملى أكثر من ألف مجلس وبموته ختم الفن وأمطرت السماء على نعشه وقد قرب من المصلى ، ولم يكن زمان مطر فأنشد شاعر العصر الشهاب المنصور فى ذلك الوقت شعراً :

قد بكت السحب على قاضى القضاة بالمطر
وانهدم الركن الذى كان مشيداً من حجر

ورثاه شهاب الدين الحجازى بقصيدة نحو خمسين بيتاً أوّلها :

كل البريّة للمنيةِ صائره وقفو لها شيئاً فَشيئاً سائره
والنفسُ إن رضيت بذا ربحت وان لَّم ترض كانت عند ذلك خاسره
وأنا الذى راضٍ بأحكام مضَتْ عن ربنا البر المهيمن صادره
لكن سئمتُ العيش من بعد الذى قد خلَّف الأفكار منا حائره
/ هو شيخ الإسلام المعظَّمُ قدره من كان أوحد عصره والنادره ٣٩
قاضى القضاة العسقلانىُّ الذى لم ترْفع الدنيا خصيماً ناظره
وشهابُ دين الله ذُو الفضل الذى أربى على عددِ النجوم مكاثره
لا تعجبُوا لعلُوِّه فأبُوه من قبل علىٌّ فى الدنا والآخرة
هو كيمياءُ العلم كم من طلب بالكسر جاء له فأضحى جابره

إلى أن قال فى آخرها :

يا نار شوقى بالفراق تأججى يا أدمُعى بالمزن كونى ساخره
يا موت إنك قد نزلت بذى الندا ومذ استضفت حباك نفساً حاضره
يا نفس صبراً فالتّأسى لائقٌ بوفاة أعظم شافعٍ فى الآخرة

اهـ .

ترجمة عبدالله المعروف بابن الصبان

وتجاه هذه الزاوية قبر الشيخ عبدالله المعروف بابن الصبان .

قال فى خُلاصة الأثر : عبد الله بن محمد بن عبد الله المصرى العابد الزّاهد المعروف بابن الصبان ؛ لأنّ ولده كان يبيع الصابون فى باب زويلة ، سكن بمدرسة ابن حجر بخط حارة بهاء الدين فأقبل الناس عليه واشتهر ذكره وبعد صيته ، ولم يزل يسبح فى رياض الأذكار إلى أن تُوفى سنة إحدى بعد الألف .

وذكره المناوى فى طبقات الأولياء . قال : أنه قرأ القرآن عند ابن المناديلى بباب الخرق ، ثم غلب عليه الحال وهو فى سن الاحتلام فكان يهيم ويصعق ، ثم حبب إليه لزوم مجلس الشيخ محمد كريم الدين الخلوتى فأخذ عنه وسكن زاوية الشيخ دمرداش ، فناب عن بعض أولاده فى عدة وظائف وأقرأ بها الأطفال ، ثم استأذن الشيخ أن يترك أكل الحيوان وما خرج منه فمنعه ، ثم أذن له ففعل فرّق حجابه وقويت روحانيته ، ثم حصل له لمحة من التّجلى البرقى وغاب عن حواسه وصار يأكل كل يوم عدة من رؤوس الغنم ويشكو الجوع والنار ، ثم أنحل ذلك وأجازه الشيخ بالإرشاد ، ولما مات الشيخ شرع يُلقّن ابنه فشوش جماعة الشيخ وقالوا : ولد الشيخ أحق بإرث المشيخة ، وتوجه منهم جمع إلى زاوية دمرداش ، فضربوه وأخرجوه من الخلوة بجماعته ، فشكاهم إلى شيخ الحنفية ابن غانم المقدسى وشيخ الشافعية الرملى ، فأرسلا يقولان : إن لم يحسن الكف عن هذا الرجل وإلا أخبرنا الحاكم بما نعلمه من أحوال الفريقين . ثم تحول إلى مدرسة ابن حجر إلى أن مات ودفن تجاهها ، وبجانب قبره دفن أخوه محمد بن محمد الخلوتى .

قال المناوى : كان صالحاً متعبداً ريض الأخلاق حسن الشمائل مشاركاً لأهل الحقائق ، وكان لا يأكل إلا من عمل يده يعمل المناخل ويتقوت من ثمنها مع ملازمته للجد والاجتهاد لا يغفل طرفة عين ، وكان محمديُّ الصفات إن ذكرت الدنيا ذكرها معك ، وإن ذكرت الآخرة ذكرها معك ، وليس للغضب عليه سبيل ، ويصلى الصبح بوضوء العشاء ، وأقام فى مكة سنين يفتصد فى كل أسبوع مرتين لحر القُطر وحدة الاشتغال ، وحج فى آخر عمره ورجع مريضاً فمات سنة سبع بعد الألف انتهى .

زاوية العصياتى

هذه الزاوية بشارع البغّالة من الحسينية . تجاه الدور المطلة على بركة جناق على يسرة المار على باب حارة درب عجور إلى الخليج ، بها ضريح الشيخ العُصَيَّاتى بضم العين وفتح الصاد المهملتين وشد المثناة التحتية ، وفى آخره مثناة فوقية وياء نسبة ، وبها ضريح يقال له ضريح الشيخ خضر.

ترجمة الشيخ خضر

والظاهر أن الشيخ خضر العدوى ، وأنها هى الزاوية المسماة فى خطط المقريزى بزاوية الشيخ خضر ؛ فقد قال : هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل ، تشرف على الخليج الكبير عرفت بالشيخ خضر بن أبى بكر بن موسى المهرانى العدوى شيخ السلطان الملك الظاهر بيبرس ، كان أوّلاً قد انقطع بجبل المزة خارج دمشق ، ثم اعتقده الظاهر وقربه وبنى له زاوية بجبل المزة وزاوية بظاهر بعلبك وبحماة وبحمص . وهذه الزاوية التى خارج القاهرة ، ووقف عليها أحكاراً تغل فى السنة نحو الثلاثين ألف درهم وأنزله بها ،٠وصار ينزل إليه فى الأسبوع ويطلعه على غوامض أسراره ويستشيره ويأخذه فى أسفاره وصرفه فى مملكته ؛ فهدم عدة كنائس للنصارى واليهود بدمشق وغيرها٠، وعمل بعضها مساجد فاتقى جانبه الخاص والعام.

وكان يكتب إلى صاحب حماة وغيره ما مثاله : الشيخ خضر نيّاك الحمارة وكان مربَّع القامة كثّ اللحية يتعمم عسراوياً ، وفى لسانه عجمة مع سعة صدر وكرم شمائل ، ومن الناس من يثبت صلاحه ومنهم من يرميه بالعظائم ، وما برح على حاله إلى سنة إحدى وسبعين وستمائة ؛ فقبض عليه واعتقل بقلعة الجبل ، ورتب له ما يكفيه من مأكولٍ وفاكهة وحلواء إلى أن مات فى محبسه سنة ست وسبعين وستمائة ؛ فحمله أهله إلى زاويته هذه ودفنوه فيها ، وهى باقية إلى اليوم اهـ باختصار.

٤٠

وفى الضوء اللامع للسخاوى : أن / الأمير عبدالباسط بن عبدالوهاب القبطى المتكلم عن الوِزْرِ فى كثير من المكوس ويعرف بكاتب الميسم . جدَّد عمارة زاوية العُصَّياتىٍّ بالقرب من الكداشين[1] ودفن بها بعد موته سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ، وكان له ميل للفقراء وإكرام للفضلاء ، وكان الفخر عثمان الدَّيمى يتردَّدُ إليه ليقرأ عنده البخارى وغيره انتهى .

زاوية عطفة المدق

هذه الزاوية داخل عطفة المدق بسويقة اللالا من خط الحنفى وهى صغيرة ، وشعائرها مقامة بمعرفة ناظرها خليل أفندى ، ولها مرتب بالرُّوز ناجة ، وتعرف أيضاً بزاوية عمر شاه .

زاوية سيدى عمر

هذه الزاوية بثمن الأزبكية فى محل يعرف ببين الحارات ، وهى مقامة الشعائر ، وتعرف أيضاً بزاوية سيدى محمد زيادة الأنور ، ولها أوقاف تحت نظر الديوان .

زاوية عمرو

هى بخط الشنبكى على يسار السالك منه إلى المقس ، وتعرف أيضاً بزاوية الأربعين ، بها موضع متهدم يقال أنه قبور قديمة اشتهرت بالأربعين ، وبها قبر يقال أنه لسيدى محمد زيادة الأنور ، وانظر من المراد بعمرو الذى عرفت به : هل المراد به عمرو بن العاص ؟ لما اشتهر أنَّ الصحابة رضى الله عنهم قسَّموا الغنيمة فى هذا الموضع ، وبه سمى خط المقس ، فإنَّ المراد بالمقس المقسم كما فى كثير من كتب التاريخ والله أعلم ، وهى مقامة الشعائر نافعة فى جهتها .

زاوية العنبرى

هذه الزاوية فى حارة الدرَّاسة المعروفة فى الخطط وغيرها بالبرقية . تجاه كفر الطمَّاعين جدَّدها السيد محمد الصبَّاغ فى زماننا ، وبها ضريح الشيخ العنبرى ، له مولد سنوى ، وهى مقامة الشعائر كانت تحت نظر محمد أفندى السمسار .

(١) الكداشين : جمع الكداش وهو بلغة أهل العراق : الشحاذ . راجع تاج العروس : كدش .

حرف الغين

زاوية الغباشي

هذه الزاوية بحارة الشيخ كشك بالقرب من درب القبر الطويل ، على بابها تاريخ سنة ست وثلاثين ومائتين وألف ، وبها ميضأة ومراحيض ، وبجوارها منازل موقوفة عليها ، تقام شعائرها من إيرادها ، وفيها ضريح الشيخ محمد الغباشي .

زاوية الغزى

هذه الزاوية بشارع سوق السلاح . أنشأها الأمير مصطفى باشا الغزى ، وهى مقامة الشعائر ، ولها أوقاف تحت نظر محمد سيف الدين السمكرى ، وبها سبيل وبأعلاها مساكن .

زاوية سيدى غيث

هذه الزاوية بخط سوق الزَّلط ، وهى عامرة مقامة الشعائر ، ولها أوقاف ، وكانت فى نظارة الحاج حَمُّودة الزقم ، وفيها ضريح صالح يقال له سيدى غيث .

زاوية غريق الزيت

هى بحارة غيط العدّة داخل عطفة غريق الزيت . شعائرها مقامة من أوقاف لها تحت نظر الديوان ، عرفت هذه الزاوية باسم رجل صالح يقال له الشيخ محمد غريق الزيت ، له بها ضريح ، ويعمل له مولد كل سنة .

حرف الفاء

زاوية الفارقانى

هذه الزاوية بشارع السيوفية على رأس حارة الألفى تجاه زاوية الآبار ، التى كانت

تعرف بالمدرسة البندقدارية ، بابها فى حارة الألفى ، وهى معلقة يصعد إليها بسلالم وفيها منبر وخطبة وحنفية للوضوء وفيها عُمد من الرخام تحمل سقفاً من الخشب ، وشعائرها مقامة .

وكانت هذه الزاوية أوّلَ أمرها مدرسة تعرف بالفارقانية .

قال المقريزى : المدرسة الفارقانية خارج باب زويلة بين حدرة البقر وصليبة جامع ابن طولون ، وهى الآن بجوار حمام الفارقانى تجاه البندقدارية . بناها والحمام المجاور لها الأمير ركن الدين بيبرس الفارقانى ، وهو غير الفارقانى المنسوب إليه المدرسة الفارقانية بحارة الوزيرية من القاهرة انتهى .

وفى كتاب تحفة الأحباب فى المزارات : أن خط المدرسة الفارقانية يعرف بخط بستان سيف ، وهى بقرب المدرسة المعروفة بالسعدية انتهى .

زاوية الفرمانى

هذه الزاوية بحارة درب الطباخ . شعائرها مقامة ومنافعها تامة وبواسطها عمود من الرخام ، والناظر عليها رجل يعرف بالشيخ عبدالرحمن الفقى .

زاوية الفصيح

هذه الزاوية ببولاق داخل حارة الحطّابة ، وهى صغيرة وبها منبر وخطبة ، وشعائرها مقامة ومنافعها تامة ، وبها ضريح الشيخ على الفصيح ، يعمل له مولدكل سنة وحضرة كل ليلة اثنين ، ولها أوقاف تحت نظر أحمد فرغل .

زاوية الفناجيلى

هذه الزاوية بخط باب الشعرية داخل حارة زند الفيل بشارع درب المحكمة ، على يسار السالك من سوق الجراية إلى باب العدوى ، وهى قديمة وجدّدها حاكم الديار المصرية المرحوم عباس باشا للشيخ حسن الفناجيلى ، وفى مقابلتها زاوية متخربة بجرى منزل الحاج

محمد العدلى النجار . ويقال فى سبب ذلك : أن المرحوم عباس باشا لما أراد السفر لأداء فريضة الحج سنة ألف ومائتين وأربع وستين ـ وهو يومئذ كتخدا الديار المصرية ـ توجَّه لزيارة المشهد الحسينى فصادفه السيد حسن الفناجيلى فبشَّره بأنه يرجع والياً على مصر ، فلما قضى فريضة الحج وصله الخبر بوفاة والى مصر عمه المرحوم إبراهيم باشا جد الخديوى ؛ فأسرع بالحضور إلى مصر وجلس على تختها ، وذلك سنة خمس وستين ومائتين وألف ، ثم تذكر بُشْرى السيد حسن المذكور فقرَّبه ورتَّب له كل شهر ألف قرش ديوانية ، وجدَّد له هذه الزاوية وكانت قد / تهدمت فاشتهرت بزاوية الفناجيلى . وكان معتقداً فزاد الاعتقاد فيه إلى أن توفى قبيل سنة سبعين وهى مقامة الشعائر تحت نظر الست حسيبة . ٤١

حرف القاف

زاوية القاصد

هذه الزاوية بجوار باب النصر بين باب العطوف ووكالة الحتو عند سوق العصر ، الذى يباع فيه عتيق الثياب ونحوها . مكتوب على بابها : جدَّد هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى العبد الفقير المقر بالعجز والتقصير الرَّاجى عفو ربه القدير على بن حسين سنة تسعمائة ، وهى صغيرة مقامة الشعائر ، وفيها حنفية للوضوء وبها ضريح الشيخ أحمد القاصد له مولد فى آخر شعبان .

ويظهر من كلام المقريزى : أنها كانت مدرسة تعرف بالقاصدية فإنه قال عند ذكر باب النصر : أن عضادة الباب موجودة إلى الآن بالركن الذى تجاه المدرسة القاصدية انتهى .

زاوية القبانى

هذه الزاوية بخط سوق الزَّلط داخل درب البوارى ، وهى متخربة غير مقامة الشعائر لعدم أوقافها ، وتنسب للشيخ أحمد القبانى .

زاوية القدسى

هذه الزاوية بحارة بيرقدار من خط الحسينية تجاه سور الجامع الحاكمى بين باب الفتوح وباب النصر داخل مقبرة باب النصر ، على يسار الذاهب من باب الفتوح إلى المقبرة المذكورة ، وهى زاوية صغيرة جدَّدها السيد محمد القدسى الشريف ، ولها وقفٌ له ريع قائم بشعائرها إلى الآن تحت نظر أحد ذريَّته السيد محمود بن السيد بدر بن السيد محمد القدسى الواقف المذكور لأنه شرط نظرها لذريَّته .

زاوية القرمانى

هذه الزاوية على يمين السالك من درب عجور طالباً الصَّوابى على رأس خوخة القرمانى ، وهى متخربة ولم يبق منها إلا المحراب وعمود عليه قطعة من السقف ، وليس بها ضريح ، وهى تحت نظر ديوان الأوقاف .

زاوية القصرى

فى المقريزى : أنها بخط المقس خارج القاهرة عرفت بأبى عبدالله محمد بن موسى القصرى الصالح الفقيه المالكى المغربى قدم من قصر كتامة بالمغرب إلى القاهرة وانقطع بهذه الزاوية على طريقة جميلة وطلب العلم ، ومات بها فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة انتهى .

زاوية القلندرية

قال المقريزى : هذه الزاوية خارج باب النصر من جهة المقابر التى تلى المساكن . أنشأها الشيخ حسن الجوالقى القلندرى أحد فقراء العجم القلندرية على رأى الجوالقة تقدم بمصر عند أمراء الدولة التركية وأقبلوا عليه واعتقدوه ، فأثرى ثراء زائداً فى سلطنة الملك العادل كتبغا ، وسافر معه من مصر إلى الشام .

كان سمح النفس جميل العشرة لطيف الروح يحلق لحيته ولا يَعْتم ، ثم ترك حلق اللحية

وتعمم عمامة صوفية ، وكانت فيه مروءة وعصبية ، ومات بدمشق سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ، ومازالت زاويته منزلاً لطائفة القلندرية ، وهم طائفةٌ تنتمى إلى الصُّوفية وتارة تسمى أنفسها ملامتيه .

والقلندرية : قوم تركوا التقيد بما عدا الفرائض واقتصروا على الرخص ، ولم يطلبوا العزائم والتزموا ألاَّ يدخروا شيئاً وتركوا الجمع والاستكثار من الدنيا ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا وزعموا أنهم قنعوا بطيب قلوبهم مع الله .

وأما الملامتية : فيتمسكون بجميع أبواب البرِّ والخير مع إخفاء أحوالهم وأعمالهم ويوقفون أنفسهم مواقف العوام فى هيآتهم تستراً للحال حتى لا يفطن لهم انتهى باختصار .

ودفن بهذه الزاوية كما فى الضوء اللامع للسخاوى الأمير علاّن المؤيدى ، ويقال له : علاّن شلق . كان من عتق المؤيد وصار فى أيامه من ميراخورية الأجناد ، ثم بعده أخرج إلى البلاد الشامية ، وتنقل حتى ناب للأشرف برسباى مدة ، ثم نقله الظاهر جقمق إلى حجابية حلب الكبرى ، ثم صرفه عنها وجعله بعد أحد المقدمين بدمشق ، ثم صار فى أيام الأشرف أتابكها ببذل مال فلم تطل مدته ، ومات يوم الأربعاء تاسع صفر سنة أربع وتسعين وثمانمائة وقد زاد على السبعين ، ودفن من الغد بمقابر باب النصر فى زاوية القلندرية . وكان معظماً فى الدول مشهوراً بالشجاعة والإقدام رحمه الله انتهى .

ولم يبق لهذه الزاوية الآن أثر البته ، وليس هناك إلا المدافن المشهورة بالحيشان .

حرف الكاف

زاوية الكردى

هذه الزاوية فى درب الجماميز بجوار مسجد حارس الطير لها باب إليه ومنافعها واحدة وبمحرابها عمودان من الرخام وبدائر سقفها نقوش فيها : (إنما يعمر مساجد الله) الآية[1] .

(١) سورة التوبة آية : ١٨ .

وبها ضريح الشيخ يوسف الكردى وولديه الفوزى والخضرى ، وبجوارها سبيل بابه من داخلها ، وفى أرضه قطع رخام وفيه محراب من خشب يكتنفه عمودان من الرخام وشباكان من النحاس ومنقوش بدائره : (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً)[1] إلى آخر السورة . وفوقه مكتب به عمودان من رخام ، ولها بالرُّوز ناجه تسعة قروش كل شهر .

زاوية الكرداسى

هذه الزاوية فى باب اللوق داخل حارة الهدَّارة قرب دار المرحوم شريف باشا الكبير ، وكانت واهية فجدَّدها الأمير شريف باشا المذكور فى سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف ، / ٤٢ وأقام شعائرها ورتَّب لها من دائرته مائة وخمسة وعشرين قرشا فى كل شهر جارية عليها على الدوام ، وبها ضريح رجل صالح يقال : الشيخ محمد الكرداسى ظاهر يزار ، ويعمل له مولد كل سنة .

زاوية الكليباتى

هى بآخر سوق أمير الجيوش قرب حارة بين السيارج على يمنة الذاهب إلى باب الفتوح . شعائرها مقامة من ريع أوقافها بنظر الشيخ محمد شرف الدين ، ولها بئر يعتقد النساء أنَّ بها صالحة من الجن ويلقين فيها السكر ويغسلن أطرافهن من مائها استشفاء بها ، وبصدر الزاوية ضريح أبى الخير الكليباتى ، عليه مقصورة من الخشب جددت سنة سبع وعشرين وتسعمائة . وله حضرة كل أسبوع ومولد سنوى فى نصف شعبان .

وقد ترجمه الشعرانى فى طبقاته ، فقال : ومنهم الشيخ أبو الخير الكليباتى ــ رضى الله عنه ــ كان من الأولياء المعتقدين وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر وأهل عصره ، وكانت الكلاب تسير معه ويرسلها فى قضاء الحوائج ، ويأمر صاحب الحاجة أن يشترى للكلب الذى يذهب معه رطل لحم . وكان يقال : إنها من الجن وكان يدخل الجامع بالكلاب فأنكر عليه

(١) سورة الإنسان : ٢١

بعض القضاة ، فقال : هؤلاء لا يحكمون باطلا ولا يشهدون زورًا فرمى القاضى بالزور وجرسوه على ثور بكرش على رأسه .

وكان الشيخ قصيرا يمسك عصا فيها حلق وشخاشيخ وكان يعرج . مات رضى الله عنه سنة عشر وتسعمائة ودفن بالقرب من جامع الحاكم فى المكان الذى كان يجلس فيه أوقاتا انتهى .

زاوية كوساسنان

هذه الزاوية بالصنادقية على يمنة السالك إلى الجامع الأزهر . أنشأها الأمير كوساسنان الدفتردار فى سنة سبعمائة وخمسين كما علم من الكتابة التى كانت بدائرها ، وكان بها منبر وخطبة ثم تخربت أيام دخول الفرنسيس أرض مصر وبقيت معطلة إلى أن جدَّدها ناظرها الشيخ محمد البرانى بلا منبر وجدَّد مطهرتها ، وشعائرها مقامة من طرف الديوان ولها أوقاف قليلة .

زاوية الكومى

هذه الزاوية بشارع الناصرية على الخليج بالقرب من مسجد السيدة زينب رضى الله عنها . شعائرها مقامة وبها ضريح سيدى إبراهيم الكومى ، عليه قبة صغيرة ، ولها ميضأة وأخلية وبجوارها مساكن موقوفة عليها ، وهى فى نظر الشيخ إبراهيم حسن البيومى .

حرف اللام

زاوية اللّبان

هى المدرسة البيدرية وهى كما فى خطط المقريزى برحبة الأيدمرى بالقرب من باب قصر الشوك بينه وبين المشهد الحسينى . بناها الأمير بيدر الأيدمرى انتهى . والآن موجود منها القبة والمئذنة وأحد أبوابها وقطعة صغيرة من أرضها ، وعلى القبة والمئذنة نقوش فى الحجر ،

والمتكلم عليها الحاج داود اللبان دكانه بجوارها ، ولذا عرفت به فتعرف بزاوية اللبان ، وتعرف بجامع أيدمر البهلوان ويصلى فيها بعض الصلوات .

حرف الميم

زاوية الماوردى

هذه الزاوية فى حارة السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ وبها ضريح الشيخ الماوردى ، ولها مطهرة وبئر ، وشعائرها مقامة من إيراد أوقاف الحرمين الشريفين .

زاوية المتبولى

هذه الزاوية بالحسينية على يسار الخارج منها إلى جنينة الشماشرجى المعروفة بجنينة السبع والضبع ، وهى زاوية صغيرة وبها خطبة ، وشعائرها مقامة من ريع وقفها تحت نظر شيخ الطائفة البيومية الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالغنى الملوانى . ويزعم الناس أن بها ضريح الشيخ إبراهيم المتبولى وليس كما زعموا ؛ فإن قبره بأسدود من أرض الشام كما فى طبقات الشعرانى ، وقد ذكرنا ترجمته فى الكلام على بركة الحج .

زاوية المجاهد

هذه الزاوية خارج باب الوزير بجوار القرافة . أنشأها الحاج على المجاهد سنة ثمان وستين ومائتين وألف ، وشعائرها مقامة ، وبها ضريح سيدى محمد المجاهد عليه مقصورة من الخشب ويعمل له حضرة كل يوم جمعة ومولد كل سنة ، وهذه الزاوية هى خانقاه قوصون التى ذكرناها فى الخوانك .

زاوية محمد شهاب

هذه الزاوية داخل درب الشرفاء بالأزبكية ، مقامة الشعائر وأوقافها تحت نظر الشيخ أحمد عرب أغلى .

زاوية محمد عبدربه

هذه الزاوية بخط الحنفى بجوار عطفة الميا تم . شعائرها مقامة ، وبها ضريح الشيخ محمد ابن عبد ربه عليها مقصورة من الخشب ، ولها حنفية وكراسى راحة وبأعلاها مكتب عامر .

وفى سنة خمس وسبعين ومائتين وألف جدّدت من طرف ذات العصمة زينب هانم كريمة المرحوم محمد على باشا .

زاوية محمد المخفى

هذه الزاوية بشارع الحبّانية كانت متخربة ثم جددت من طرف المرحوم صلاح باشا فى نحو سنة ثمانين ومائتين وألف ، وعمل بها ميضأة ومراحيض وحفر لها بئرا وأقام شعائرها .

زاوية المختار

هذه الزاوية بخط الفوطية من باب الشعرية ، وهى مقامة الشعائر بها ضريح الشيخ محمد المختار ، ولها أوقاف تحت نظر الشيخ محجوب مكى .

زاوية الست مرحبا

هى فى شارع دزب الملاحفية . شعائرها معطلة وفيها حنفية ، وبها ضريح الست مرحبا عليه تابوت مكسوّ مكتوب على / كِسوته : أن الذى جدده سعادة عباس بيك يكن ، ويعمل بها حضرة للست مرحبا كل ليلة سبت . ٤٣

زاوية الست مريم

هذه الزاوية بباب القرافة تجاه مسجد السيدة عائشة النبوية ــ رضى الله عنها ــ منقوش على بابها فى الحجر : (إنما يعمر مساجد الله) الآية . وبها قبر الست مريم وبها قبر آخر ، وهى غير مقامة الشعائر لتخربها ، والآن جعلت مسكنا لبعض أرباب الحرف .

زاوية الست مـريم

هذه الزاوية بشارع مرسينة جدّدتها الست مريم زوجة المرحوم حسين بيك كوسه ، وهى مقامة الشعائر وبجوارها سبيل ببزابيز تابع لها ، وبأعلاها منزل وبأسفلها أربعة دكاكين موقوفة عليها .

زاوية الست مـريم

هذه الزاوية بأوّل حارة الطنبلى على يسار السالك إلى شارع الفجالة ، وهى صغيرة وشعائرها مقامة ، ولها أوقاف قليلة ، وناظرها محمد شوشه الصباغ .

زاوية مصطفى أغـا

هذه الزاوية بشارع درب الجماميز من إنشاء مصطفى أغا وكيل دار السعادة ، وهى معلّقة وعلى محرابها شباك بشكل دائرة مصنوع من الجبس والزجاج الملوّن ، ومرسوم بوسطه لفظ الجلالة بالزجاج الملون وبجوار المحراب شباكان من الخشب المخروط يعلوهما شباكان بالجبس والزجاج الملون ، ولها حنفية ومراحيض وبئر ، وبجوارها سبيل ببزابيز كان عليه رخام مكتوب فيه : جدَّدَ هذا السبيل المبارك من فضل الله سبحانه وتعالى الأمير مصطفى أغا وكيل دار السعادة حالا سنة سبع ومائتين وألف ، وبجوار السبيل حوض قديم كان معدًا لشرب الدَّواب ، وهى الآن غير مقامة الشعائر ، وقد جعلت مكتبا لتعليم الأطفال القرآن العظيم .

زاوية مصطفى باشا

هذه الزاوية ببوابة حجاج مقامة الشعائر ، وبها سبيل مهجور له شبابيك مسدودة ، مكتوب على أحدها فى لوح رخام هذا البيت :

سبيل بناه مصطفى باشا الأمين   عذب فرات سائغ للشاربين

وليس لها أوقاف والناظر عليها محمد الحطاب .

زاوية المصلية

هذه الزاوية فى حارة المناصرة بجوار باب دار الشيخ محمد المهدى شيخ الجامع الأزهر سابقا ، مقامة الشعائر وفيها بئر وحنفية ويلصقها سبيل تابع لها ، ولها أوقاف تحت نظر الست عائشة المصلية .

زاوية المظفر

هى بشارع السيوفية تجاه الطريق النافذ من هناك إلى جامع السلطان حسن ، على يمنة السالك من شارع الحلمية إلى الصليبة .

وقد ذكر السخاوى فى كتابه تحفة الأحباب ما يدل على أن أصلها مدرسة ، فإنه قال : ومن تربة الأمير طغى (المعروفة بالطغجية) إلى مدفن على رأس حدرة البقر يقال : أن فيه رأس سنجر ، وتجاه الحدرة مدرسة أنشأها الأمير حرمان الأبو بكرى المؤيدى ، بها قبره ، وبها قبر الشيخ أسد وبها خطبة ، ثم منها إلى المدرسة السعدية انتهى . وتدل آثارها على أنها كانت متسعة معتنى بها ، ثم أخذ منها جزء كبير فيما يجاورها من العمارة التابعة لدار المرحوم محمد على باشا نجل المرحوم محمد على باشا .

ويقال : أن الحاج محمد أغا أغات الباب أجرى فيها عمارة قليلة سنة سبع وأربعين ومائتين وألف ، وفيها منبر وخطبة ومطهرة وأخلية وبئر وقبور ، والآن شعائرها مقامة من طرف ورثة المرحوم محمد على باشا ، وتجاهها على الشارع ضريح يقال له ضريح المظفر هدمناه فى بناء دارنا وجددناه ، وجعلنا علية قبة لطيفة لملاصقته لدارنا ، وله كل سنة مولد ليلتان مع مولد السيدة نفيسة ـ رضى الله عنه ـ والظاهر أن بهذا الضريح رأس سنجر الذى ذكره السخاوى .

زاوية المغازى

هذه الزاوية بخط بين السورين فوق الخليج بين صهريج السليمانية وجامع الشعرانى ،

وشعائرها مقامة ، ولها أوقاف قليلة تحت نظر الشيخ على ماجور ، وتعرف أيضا بزاوية أبى الحمائل ، وبها ضريحه مشهور وبها ضريح آخر يزعم الناس أنه للشيخ محمد الشناوى ، وليس كما زعموا فإن الشناوى مدفون فى محلة روح وقد بسطنا ترجمته فى الكلام عليها .

ترجمة أبى الحمـائل

وأما أبو الحمائل فقال الشعرانى فى طبقاته : كان الشيخ محمد السروى المعروف بأبى الحمائل من الرجال المشهورين فى الهمة والعبادة ، وكان يغلب عليه الحال فيتكلم بالألسن العبرانية والسريانية والعجمية ، وتارة يزغرت فى الأفراح والأعراس كما تزغرت النساء ، وكان إذا قال قولاً ينفذه الله له ، وشكى له أهل بلده من الفأر فى مقثأة البطيخ ؛ فقال لصاحب المقثأة : رح وناد فى الغيط حسبما رسم محمد أبو الحمائل : انكم ترحلون أجمعون ففعل . فلم ير بعد ذلك فيها فأرًا واحدا فجاء إليه أهل البلاد ؛ فقال : يا أولادى الأصل الإذن من الله. ولم يفعل معهم ذلك .

وكان مبتلى بالخوف من زوجته وكان لا يقرب أحدًا إلا بعد امتحانه بما يناسبه ، وكان يقول : لقنت نحو ثلاثين ألف رجل ما عرفنى منهم غير محمد الشناوى ، وقد اجتمعت به مرارًا بالزاوية الحمراء خارج القاهرة ولقننى الذكر . ولما دخل مصر سكن بنواحى جامع الغمرى وكان يكره للمريدين قراءة الأحزاب ، ويقول : ما رأينا أحد قط / وصل إلى الله بمجرد قراءة الأحزاب والأوراد ، ويقول : مثال أرباب الأحزاب مثال شخص من أسافل الناس اشتغل بالدعاء ليلاً ونهارًا أن الله يزوجه بنت السلطان . ٤٤

وقال : كنت يوما أقرأ على الشيخ يحيى المناوى بجامع عمرو فى خلوة الكتب ، فدخل علينا رجل فى وسطه خيشه محزم عليها بحبل ــ وهو أسود كبير البطن ــ فقال : السلام عليكم ؛ فقلنا : وعليكم السلام ؛ فقال للشيخ : ايش تحمّل بهذه الكتب ! فقال أكشف عن المسائل فقال : أما تحفظها ؟ فقال الشيخ : لا . فقال : أنا أحفظ جميع ما فيها كل حرف فيها يقول لك : كن رجلاً جيدًا . ثم خرج ولم نجده .

ولما حج اجتمع عليه الناس بمكة ، فقال لخادمه : نحن جئنا نتجر وألّا نتجرد للعبادة فى هذا البلد ؛ فإذا كان وقت المغرب فامض إلى بيوت هؤلاء الجماعة وقل لهم : الشيخ محتاج إلى ألف دينار وقل لكل واحد منهم بمفرده . فلم يأت أحد منهم من ذلك اليوم ، ووقائعه مشهورة .

مات بمصر ودفن بزاويته بخط بين السورين سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة .

زاوية المغـربـل

هذه الزاوية خارج باب الشعرية بسوق الخراطين . تجاه منزل البدراوى ويظهر أنها هى التى قال فيها المقريزى : أنها بدرب الزراق من الحكر عرفت بالشيخ المعتقد على المغربل . مات فى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة .

ولما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة خربت الحكورة وهدم درب الزراق وغيره انتهى .

وهى الآن عامرة مقامة الشعائر بنظر ديوان الأوقاف .

زاوية المـــلاح

هى بسوق الخشب على يمين الداخل فى حارة الملاح التى عن يمين الذاهب إلى المقس وهى متخربة جدا .

زاوية المنـــير

هذه الزاوية بسويقة المسعودى المعروفة الآن بحارة مكسر الحطب بالقرب من قنطرة الموسكى ، على يسار الآتى من السكة الجديدة طالبا الحمزاوى .

أنشأها الشيخ محمد بن حسن السمنودى المعروف بالمنير فى أواخر القرن الثانى عشر ، وأنشأ بجوارها دارًا له ، وهى مقامة الشعائر إلى اليوم ومشهورة بزاوية المنير ، وبها خطبة وفيها

ضريح منشئها ، يعمل له حضرة فى كل أسبوع ومولد فى كل سنة ، ونظرها تحت أيدى ذريته ، وقد ذكرنا ترجمته فى الكلام على بلدته سمنود فارجع إليها إن شئت .

زاوية المهمندار

هذه الزاوية بخط البراذعية من الدرب الأحمر بين جامع الماردانى وأبى حريبة ، على يمين الذاهب من هناك إلى قلعة الجبل ، لها بابان أحدهما على الشارع ، والآخر داخل حارة اليانسية ، وهى عامرة مقامة الشعائر ، وبها خطبة ومنافعها تامة ، وكان أصلها مدرسة تعرف بالمدرسة المهمندارية .

قال المقريزى : هذه المدرسة بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش المهمندار ونقيب الجيوش سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، جعلها مدرسة وخانقاه ، وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية ، وبنى إلى جانبها القيسارية والربع الموجودين الآن ، ويعرف خطها اليوم بخط جامع الماردانى خارج الدرب الأحمر ، وهى تجاه مصلى الأموات انتهى .

وذكرها أيضا فى الخانقاهات ، وقال : إنها بين حارة اليانسية وجامع الماردانى ثم إنها فى سنة خمس وثلاثين ومائة وألف أنشأ بها سليمان أغا لقازدغلى مئذنة ومنبرًا منقوش عليه هذه الأبيات :

سليمان قد وافيت عزا وسؤددا ... وأبقيت للقزدغلى مجدًا مؤبدا
بزاوية جددتَ فيها مشاعرًا ... نفائس صارت للعبادة موردا
وأحدثت فيها منبرا قد زهت به ... ومئذنة أضحت تدلُّ على الهُدى
ومع غاية الإسعاد قلت مؤرِّخًا ... لعمرى قد أسست بالهُدى مسجدا

وهى إلى الآن عامرة مقامة الشعائر ، وفيها المنبر يخطب عليه للجمعة والعيدين ولها مطهرة وأخلية ومنارة ، ولها أوقاف تحت نظر الديوان .

زاوية موسيــو

هذه الزاوية فى داخل تربيعة الحريريين بين جامع الغورى والأشرف ، على يسرة السالك إلى الورّاقين .

وفى بعض الوثائق المؤرخة بسنة اثنتين وثمانين ومائة وألف : أنها من إنشاء سليمان أفندى المعروف بموسيو خليفة اليومية بالباب العالى ، وصرف عليها من الفضة الأنصاف العددية الديوانية خمسة وثمانين ألفا وتسعمائة وواحدا وخمسين نصفًا ، وأنها معروفة بوقف الشيخ روى الدين انتهى .

وهى صغيرة وفيها منبر صغير من الخشب ، ولها ميضأة وأخلية وشعائرها مقامة .

زاوية مهــدى

قال المقريزى : هذه الزّاوية بجوار زاوية الشيخ تقى الدين ، بناها الأمير صرغتمش فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة .

حـرف النـون

زاوية النحــاس

هذه الزاوية بحارة الشيخ ظلام الدين بين سراى الحلمية وجنينتها عن يمين السالك إلى بركة الفيل . عرفت باسم منشئها الشيخ النحاس ، وبها ضريحه وضريح ابنه وزوجته ، وتعرف أيضا بزاوية الأربعين لضريح بها يقال له الأربعين وكانت متخربة .

وفى سنة سبع وستين ومائتين وألف جدّدها المرحوم عباس باشا لمجاورتها لداره ، وجعل لها مطهرة . / ومنارة وبها منبر وخطبه ، وشعائرها مقامة من أوقاف المرحوم عباس باشا وجعل بها حنفية ، وبها ضريح رجل صالح يقال له الأربعين ويتبعها مسكن يسكنه عائله النحاس إلى الآن . ٤٥

زاوية النجشى

هى بشارع الركبية قرب الصليبة ، شعائرها غير مقامة لتخربها ، وبجوارها منزل متخرب موقوف عليها تحت نظر محمد أفندى فهمى ، وفيها ضريح الشيخ محمد النجشى .

زاوية نصر

قال المقريزى : هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهره .

ترجمة الشيخ نصر

أنشأها الشيخ نصر بن سليمان أبو الفتح المنبجىّ الناسك القدوة ، وحدّث بها عن إبراهيم بن خليل وغيره ، وكان فقيها معتزلاً عن الناس متخليا للعبادة يتردد إليه أكابر الناس وأعيان الدولة .

وكان للأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فيه اعتقاد كبير ، فلمّا ولِىَ سلطنة مصر أُجَلّ قدره وأكرم محله ، فهرع الناس إليه وتوسلوا به فى حوائجهم ، وكان يتغالى فى محبَّةِ العارف محى الدين محمد بن عربى الصوفى . ولذا كانت بينه وبين شيخ الإسلام أحمد بن تيمية مناكرة كبيرة .

مات رحمه الله تعالى عن بضع وثمانين سنة فى ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة ودفن بها انتهى .

زاوية النقاش

هذه الزاوية داخل حارة المغاربة بجوار باب الفتوح على يمين المارّ من باب الفتوح إلى بين السيارج ، وبها منبر وخطبة وشعائرها مقامة ، ولها أوقاف قليلة تحت نظر الشيخ محمد العسقلانى القبانى أحد ذرية النقاش واقفها .

زاوية نور الظلام

هذه الزاوية بشارع نور الظلام فى مقابلة بيت الأمير رياض باشا ، بها ضريح يقال له ضريح نور الظلام ، وهى المدرسة البشيرية وقد ذكرناها فى المدارس .

حرف الواو

زاوية الواردانى

هذه الزاوية بشارع درب الجماميز . أنشأها المرحوم بشير أغادار السعادة ، ووقف عليها وقفًا وشعائرها مقامة إلى الآن من ريعه ، وبها ضريح الشيخ على الوردانى ، وهى تحت نظر محمود أفندى حلمى ناظر وقف بشير أغا المذكور .

حرف الياء

زاوية يوسف بيك

هذه الزاوية بشارع الحوض المرصود بجوار ورشة السلاح . أنشأها الأمير يوسف بيك . وأنشأ بجوارها سبيلا وحوضًا لشرب الدَّواب فى سنة أربع وأربعين وألف ، كما أخذ ذلك من بعض كتابات فى سقف السبيل ، وهى الآن متخربة معطلة الشعائر قائمة البنيان ، وقد جعلها بعض الحدَّادين حانوتًا لسبك الحديد ، وفيها قبران يعلوهما قبة بها أربعة شبابيك ومحرابان ، وبناء السبيل من حجر الآلة وأرضيته مفروشة بالرخام الملَّون وبدائره من الأعلى إزار خشب مكتوب فيه بماء الذهب آيات من القرآن ، وكذا السقف منقوش بماء الذهب فيه آيات قرآنية وبعض تاريخ الإنشاء ، وهو أيضا متخرب ومجعول مقلاة للحمص وبابه دكان لبيعه .

زاوية يوسف بيك عبد الفتاح

هى بدرب السَّماكين بالحسينية على يسرة السالك منه إلى جامع الصَّوابى والبيومى . أنشأها المرحوم يوسف بيك عبد الفتاح شاه بندر تجار القاهرة بجوار منزله سنة ثمان

وسبعين ومائتين وألف ، وجعل فيها منبرًا وخطبة ووقف عليها أوقافًا جارية عليها إلى الآن ، وجعل النظر عليها من بعده لذريّته ، وشعائرها مقامة بنظر ابنه محمد يوسف .

زاوية يوسف

هى بسوق الخشب داخل درب سعيدة ، على يمين الذاهب من سوق الزلط إلى باب البحر ، وعلى يسار الداخل من باب الحارة ، وهى صغيرة مقامة الشعائر .

زاوية اليونسية

هذه الزاوية بشارع المغربلين عن يمين السالك من باب زويلة إلى الصلبية على رأس عطفة الداودية .

كانت أول أمرها مدرسة . أنشأتها الست عائشة اليونسية إلى زوجها الأمير يونس السيفى الداوادار الكبير ، والعامة يقولون : التُّنسية . وكان بابها فى الزقاق الذاهب إلى الداودية ، فلما هدم رأس الزقاق لتوسعةِ الطريق هدم منها الجانب الذى به الباب ، وجعل بابها على الشارع ، وبها ضريح الست عائشة اليونسية ، ولما اختل نظامها جدّدها حضرة محمد أفندى مناو . سنة ثمانين ومائتين وألف ، ولها أوقاف تحت نظره ، وشعائرها الآن مقامة ، ويعمل لها بها مولد كل سنة ، وهى غير الزاوية اليونسية التى قال فيها المقريزى : انها خارج القاهرة قرب باب اللوق تنزلها الطائفة اليونسية ، وأحدهم يونسى نسبة إلى يونس ـ بالمثناة التحتيه ـ ويونس المنسوبة إليه الطائفة اليونسية متعدد : يونس بن عبد الرحمن القمى مولى آل يقطين ، وطائفته من غلاة الشيعة .

واليونسية أيضا : فرقة من المرجئة ينتمون إلى يونس السموى يزعم : أن الإيمان المعرفة بالله والخضوع له[1] . ولهم يونس بن يونس بن مساعد الشيبانى ، ثم المخارق شيخ صالح له كرامات ، وكان مجذوبًا إلى طريق الخير . توفى سنة تسع عشرة وسبعمائة وإليه تنسب هذه الطائفة انتهى .

(١) راجع : اليونسية فى (الملل والنحل للشهرستانى الجزء الأول صفحة ١٤٠ تحقيق محمد سيد كيلانى ط الحلبى)

وتجاه هذه الزاوية زاوية أخرى تنسب للست عائشة اليونسية أيضا ، لها باب ضيق جدًا وهي صغيرة وبها عمودان من الرخام وسقفها من الخشب ، وبها ميضأة وحوض ماء وبيت خلاء وشعائرها مقامة .

* * *

المساجـد

مسجد ابن البنـاء

٤٦

قال المقريزى : هذا المسجد داخل باب زويلة وتسميه العوام سام بن نوح النبى عليه السلام ، وهو من مختلقاتهم التى لا أصل لها ، وإنما يعرف بمسجد ابن البناء . أنشأه الحاكم بأمر الله انتهى .

وهذا المسجد يعرف الآن بزاوية سام بن نوح وقد ذكرناها فى الزّوايا .

مسجد ابن الجباس

قال المقريزى : هذا المسجد خارج باب زويلة بالقرب من مصلى الأموات دون باب اليانسية ، عرف بالشيخ أبى عبد الله محمد بن على بن أحمد بن محمد بن جوشن المعروف بابن الجبّاس ـ بجيم وباء موحدة بعدها ألف وسين مهملة ـ القرشى العقيلى الفقيه الشافعى المقرىء .

كان فاضلاً صالحا زاهدا عابدًا مقرئا ، كتب بخطه كثيراً وسمع الحديث النّبوى ، ومولده يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بالقاهرة انتهى .

والظاهر أن هذا المسجد هو زاوية عباس التى فى شارع السُّروجية بالقرب من جامع جانم ؛ فإن جامع جانم فى محل مصلى الأموات كما فى تحفة الأحباب للسخاوى [1] .

مسجد ابن الشيخى

قال المقريزى : هذا المسجد بخط الكافورى مما يلى باب القنطرة وجهة الخليج مجاور لدار ابن الشيخى .

أنشأه المهتار ناصر الدين محمد بن علاء الدين على الشيخى مهتار السلطان

(١) جانم : هو الجناب السيفى جانم أحد الأمراء العشراوات وهو قريب المقر السيفى يشبك بن مهدى الداوادار الكبير ويعرف الآن بالجانمية . راجع (تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات للسخاوى صفحة ١٠٧ الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م) .

بالاصطبلات السلطانية ، وقرر فيه تقى الدين محمد بن حاتم ؛ فكان يعمل فيه ميعادًا يجتمع الناس فيه لسماع وعظه ، وكان ابن الشيخى هذا حشما فخورا خيرًا يحب أهل العلم والصلاح ويكرمهم ولم نر بعده فى رتبه مثله . مات ليلة الثلاثاء أوّل يوم من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة اهـ .

مسجد باب الخوخة

قال المقريزى : هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبى غالب .

قال ابن المأمون فى حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة : « ولما سكن المأمون الأجل دار الذّهبِ وما معها . يعنى : فى أيام النيل للنزهة عند سكن الخليفة الآمر بأحكام الله بقصر اللؤلؤة المطل على الخليج رأى قبالة باب الخوخة محرسا ؛ فاستدعى وكيله وأمره بأن يزيل المحرس المذكور ويبنى موضعه مسجدا .

وكان الصناع يعملون فيه ليلاً ونهارا حتى أنه تفطر بعد ذلك واحْتِيج إلى تجديده اهـ .

ويغلب على الظن : أن هذا المسجد محله الآن الحانوت الكبيرة ، التى على الخليج بجوار جامع الشيخ فرج القريب من جامع الحفنى بخط الموسكى ؛ لأن هذه الحانوت هى التى قبالة محل باب الخوخة الآن ويكون جامع الشيخ فرج المذكور هو مدرسة أبى غالب أو بُنى فى محلها .

مسجد تبر

قال المقريزى : هذا المسجد خارج القاهرة مما يلى الخندق عرف قديمًا بالبئر والجميزة ، وعرف بمسجد تبر وتسميه العامة بمسجد التبن وهو خطأ ، وموضعه خارج القاهرة قريبًا من المطرية انتهى .

وهذا المسجد يعرف اليوم بزاوية تبر وقد بسطنا الكلام عليها فى الزوايا من هذا الكتاب .

مسجد الحلبيين

قال المقريزى : هذا المسجد فيما بين باب الزّهومة ودرب شمس الدولة ، على يسرة من سلك من حمام خشيبة طالبًا البندقانيين ، بنى على المكان الذى قتل فيه الخليفة الظافر نصر بن عباس الوزير ودفنه تحت الأرض ؛ فلما قدم الصالح طلائع بن رزيك من الأشمونين إلى القاهرة باستدعاء أهل القصر له ليأخذ بثأر الخليفة وغلب على الوزارة استخرجَ الظافر من هذا الموضع ونقله إلى تربة القصر ، وبنى موضعه هذا المسجد وسماه المشهد وعمل له بابين ، وما برح هذا المسجد يعرف بالمشهد إلى أنْ انقطع فيه محمد بن أبى الفضل بن سلطان بن عمّار ابن تمام أبو عبد الله الحلى الجعبرى المعروف بالخطيب .

ترجمة محمد بن أبى الفضل الجعبرى الخطيب

وكان صالحًا كثير العبادة زاهدًا منقطعا عن الناس وَرِعا وسمع الحديث وحدث ، وكان مولده فى شهر رجب سنة أربع وعشرين وستمائة بقلعة جعبر ، ووفاته بهذا المسجد يوم الاثنين سادس عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، ودفن بمقابر باب النصر رحمه الله .

وهذا المسجد من أحسن مساجد القاهرة وأبهجها انتهى .

والظاهر : أن هذا المسجد دخل كله أو بعضه فى حدود جامع الشيخ مطهر ، الذى بناه الأمير عبد الرحمن كتخدا فى محل المدرسة السيوفية وتكلمنا عليه هناك .

مسجد الذخيرة

قال المقريزى : هذا المسجد تحت قلعة الجبل بأول الرميلة ، تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون ، التى تلى بابها الكبير الذى سدَّه الملك الظاهر برقوق . أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة .

قال ابن المأمون فى تاريخه : وفى هذه السنة . يعنى : سنة ست عشرة وخمسمائة

استخدم ذخيرة الملك جعفر فى ولاية القاهرة والحسبة بسجل . أنشأه ابن الصيرفى ، وجرى من عسفه وظلمه ما هو مشهور ، وبنى المسجد الذى بين الباب الجديد والجبل الذى هو به معروف ، وسمى مسجد لا بالله بسبب أنه كان يقبض على الناس من الطريق ويعسفهم فيحلفون ويقولون له : لا بالله ، فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة ، ولم يعمل فيه منذ أنشأه إلاّ صانع مكره أو فاعل مقيَّد ، وكان قد أبدع فى عذاب الجناة وأهل الفساد ، وخرج عن حكم الكتاب / فابتلى بالأمراض الخارجة عن المعتاد ، ومات بعد ما عجل الله له ما قدمه ، وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه ، وذكر عنه فى حالتى غسله وحلوله بقبره ما يعيذ الله كل مسلم من مثله انتهى .

٤٧

والظاهر : أن هذا المسجد محله الآن زاوية الرفاعى ، التى هدمت وبنى عوضها الجامع الذى أنشأته والدة الخديو اسماعيل المعروف الآن بجامع الرفاعى .

مسجد رسلان

قال المقريزى : هذا المسجد بحارة اليانسية عرف بالشيخ الصالح رسلان لإقامته به ، وحكيت عنه كرامات ومات به فى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة انتهى .

وهذا المسجد اليوم يعرف بزاوية رسلان وقد ذكرناه فى الزوايا .

مسجد رشيد

قال المقريزى : هذا المسجد خارج باب زويلة بخط تحت الربع ، على يسرة من سلك من دار التفاح يريد قنطرة الخرق ، بناه رشيد الدين البهائى انتهى ، ولم يذكر له ترجمه .

والظاهر : أن هذا المسجد هو الجامع المعروف اليوم بجامع المرة وقد ذكرناه فى الجوامع .

مسجد الرصد

قال المقريزى : هذا المسجد بناه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى ، بعد بنائه لجامع الفيلة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة لأجل رصد الكواكب بالآلة التى يقال لها : ذات الحلق اﻫ .

وقال أيضا فى الكلام على الرصد : وكان الأفضل بناه ألطف من جامع الفيلة ولم يكمل ، فلما صار برسم الرصد كمل فحضر الأفضل فى نقل الحلقة من جامع الفيلة إلى مسجد الرصد الجيوشى اﻫ .

أقول : وهذا المسجد موجود إلى الآن بأعلى جبل المقطم ، ويعرف بجامع الجيوشى وزاوية الجيوشى ، وقد ذكرناه فى الزوايا من هذا الكتاب .

مسجد زرع النوى

قال المقريزى : هذا المسجد خارج باب زويلة بخط سوق الطيور ، على يسرة من سلك من رأس المنجبية طالبًا جامع قوصون والصليبة انتهى .

وهذا المسجد هو زاوية الشيخ خضر التى بشارع السروجية ، على رأس عطفة الدالى حسين وقد ذكرت فى الزوايا .

مسجد صواب

قال المقريزى : هذا المسجد خارج القاهرة بخط الصليبة عرف بالطواشى شمس الدين صواب مقدم المماليك السلطانية ، ومات فى ثامن رجب سنة اثنتين وأربعين وستمائة ودفن به وكان خيرًا دينًا فيه صلاح انتهى .

مسجد الفجل

قال المقريزى : هذا المسجد بخط بين القصرين تجاه بيت البيسرى . أصله من مساجد الخلفاء الفاطميين . أنشأه على ما هو عليه الآن الأمير بشتاك ، لما أخذ قصر أمير سلاح ودار

أقطوان الساق ، وأحد عشر مسجدًا وأربعة معابد كانت من عمارة الخلفاء وأدخلها فى عمارته التى تعرف اليوم بقصر بشتاك ، ولم يترك من المساجد والمعابد سوى هذا المسجد فقط ، ويجلس فيه بعض نوّاب القضاة المالكية للحكم بين الناس وتسميه العامة مسجد الفجل ، وتزعم أن النيل الأعظم كان يمر بهذا المكان ، وأن الفجل كان يغسل موضع هذا المسجد ، فعرف بذلك وهذا القول كذب لا أصل له .

قال : وبلغنى أنه عرف بمسجد الفجل من أجل أن الذى كان يقوم به كان يعرف بالفجل والله أعلم انتهى .

وهذا المسجد يعرف اليوم بزاوية معبد موسى وهو بآخر شارع بين القصرين وأول شارع التمبكشية .

مسجد الكافورى

قال المقريزى : هذا المسجد كان فى بستان الكافورى من القاهرة . بناه الوزير المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحى فى سنة ست عشرة وخمسمائة ، وتولى عمارته وكيله أبو البركات محمد بن عثمان ، وكتب اسمه عليه وهو باق إلى اليوم بخط الكافورى ، ويعرف هناك بمسجد الخلفاء وفيه نخل وشجر وهو مُرَخَّمٌ برخام حسن انتهى .

مسجد معبد موسى

قال المقريزى : هذا المسجد بخط الركن المخلق[1] من القاهرة تجاه باب الجامع الأقمر المجاور لحوض السبيل وعلى يمنة من سلك من بين القصرين طالبا رحبة باب العيد أوّل ما اختطه القائد جوهر عندما وضع القاهرة .

قال ابن عبد الظاهر : ولما بنى القائد جوهر القصر أدخل فيه دير العظام وهو المكان المعروف الآن بالركن المخلق قبالة حوض الجامع الأقمر وقريب دير العظام . والمصريون

(١) سيرد بعد قليل .

يقولون : بئر العظمة فكره أن يكون فى القصر دير فنقل العظام التى كانت به والرِّم إلى دير بناه فى الخندق ؛ لأنه كان يقال : أنها كانت عظام جماعة من الحواريين وبنى مكانها مسجدا من داخل السور يعنى سور القصر وقال جامع سيرة الظاهر بيبرس . .

وفى ذى الحجة سنة ستين وستمائة ظهر بالمسجد الذى بالركن المخلق من القاهرة حجر مكتوب عليه : هذا معبد موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ فجددت عمارته وصار يعرف بمعبد موسى من حينئذ ، ووقف عليه ربع بجانبه وهو باق إلى وقتنا هذا انتهى ويعرف الآن بزاوية معبد موسى .

مسجد نجم الدين

قال المقريزى : هذا المسجد ظاهر باب النصر . أنشأه الملك الأفضل نجم الدين أبو سعيد أيوب بن شادى يعقوب بن مروان الكردى والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وجعل إلى جانبه حوض ماء للسبيل ترده الدواب فى سنة ست وستين وخمسمائة .

ترجمة نجم الدين

ونجم الدين هذا قدم هو وأخوه أسد الدين شيركوه من / بلاد الأكراد إلى بغداد ، وخدم بها وترقى حتى صار دزارا بقلعة تكريت ومعه أخوه ، ثم انتقل عنها إلى خدمة الملك المنصور عماد الدين أتابك زنكى بالموصل فخدمه حتى مات ؛ فتعلق بخدمة ابنه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فرقاه وأعطاه بعلبك وحج من دمشق ؛ فلما قدم ابنه صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عمه أسد الدين شيركوه من عند نور الدين محمود إلى القاهرة ، وصار إلى وزارة العاضد بعد موت شيركوه قدم عليه أبوه نجم الدين فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين وخمسمائة ، وخرج العاضد إلى لقائه وأنزله بمناظر اللؤلؤة ؛ فلما استبد صلاح الدين بسلطنة مصر بعد موت الخليفة العاضد أقطع أباه نجم الدين الإسكندرية والبحيرة إلى أن مات بالقاهرة سنة ثمان وستين وخمسمائة من سقطة عن ظهر فرسه خارج باب النصر ، فحمل إلى داره فمات بعد أيام .

٤٨

وكان خيِّرا جوّادًا متدينًا محبا لأهل العلم والخير وما مات حتى رأى من أولاده عدَّة ملوك ، وصار يقال له أبو الملوك انتهى .

وقال ابن خلكان : « ولما مات دفن إلى جانب أخيه أسد الدين شيركوه فى بيت بالدَّار السلطانية ، ثم نقلا بعد سنين إلى المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام » انتهى .

أقول : وهذا المسجد موجود إلى الآن ، ويعرف بهذا الاسم وبداخله ضريح تزعم العامة أنه ضريح نجم الدين المذكور وليس بصحيح لما عرفْت ، وإنما هو ضريح رجل صالح للناس فيه اعتقاد كبير ، ويعمل له حضرة كل يوم جمعة يجتمع فيها كثر من النساء أصحاب الأمراض يقصدن الشفاء من أمراضهن بزيارته وحضور الذكر الذى يعقد ، وقد ترك ذلك الآن هناك .

مسجد يانس

قال المقريزى : هذا المسجد كان تجاه باب سعادة خارج القاهرة .

قال ابن المأمون فى تاريخه : وكان الأجل المأمون الوزير محمد بن فاتك البطائحى قد ضم إليه عدة من مماليك الأفضل ابن أمير الجيوش من جملتهم يانس ، وجعله مقدمًا على صبيان مجلسه ، وسلم إليه بيت ماله وميزة فى رسومه ؛ فلما رأى المذكور فى ليلة النصف من شهر رجب سنة ست عشرة وخمسمائة ما عمل فى المسجد المستجد ، قبالة باب الخوخة من الهمة ووفور الصدقات وملازمة الصَّلوات ، وما حصل فيه من المثوبات كتب رقعة يسأل فيها : أن يفسح له فى بناء مسجد يظاهر باب سعادة ؛ فلم يجبه المأمون إلى ذلك وقال له : ما ثم مانع من عمارة المساجد وأرضُ الله واسعة ، وإنما هذا الساحل فيه معونة للمسلمين وموردة للسقائين وهو مرسى مراكب الغلة وفيه المضرَّة بمضايقة المسلمين ، ولو لم يكن المسجد المستجد قبالة باب الخوخة محرسًا لما استجد حتى انا لم نخرج بساحته الأولى ؛ فان أردت أن تبنى قبليّ مسجد الريفى أو على شاطىء الخليج فالطريق ثم سهلة ؛ فقبَّل الأرض وامتثل الأمر ، فلما قبض على

المأمون وأمر الخليفة يانس المذكور ، ولم يزل ينقله إلى أن استخدمه فى حجبة بابه سأله فى مثل ذلك فلم يجبه إلى أن أخذ الوزارة فبناه فى المكان المذكور . وكانت مدته يسيرة فتوفى قبل إتمامه وإكماله فكمله أولاده بعد وفاته انتهى .

وهذا المسجد عرف فيما بعد بزاوية الشيخ محمد المغربى ، وكان به ضريح يعرف بهذا الاسم ، ثم بعد مدة تهدم وبقى الضريح وبنيت عليه قبة واستمر على ذلك إلى نحو سنة تسعين بعد المائتين والألف ، ثم هدم ودخل محله فى الميدان الذى أمام سراى الأمير منصور باشا ، وبنى الأمير المذكور زاوية صغيرة ، وجعل بها قبرا ونقل الشيخ المغربى إليها ليلاً ، واجتمع الناس لأجل ذلك وانعقد مجلس ذكر ، واستمر إلى أن نقل من التربة الأولى إلى الثانية ، وهى بالقرب منها تجاه سور الجنينة التى بالسراى على شاطىء الخليج وهذه الزاوية غير مستعملة ، وإنما يعمل بها حضرة كل أسبوع ومولد كل سنة للأستاذ المذكور .

* * *

الخوانك

مفرد الخوانك : خانكاه بالكاف وهى كلمة فارسية معناها بيت ، وقيل أصلها خونقاه بالقاف أى الموضع الذى يأكل فيه الملك ، وقد بسطنا القول فى ذلك فى الكلام على الخانقاه السرياقوسية فراجعه .

قال المقريزى : حدثت الخوانك فى الإسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة ، وجعلت لتخلى الصُّوفية فيها لعبادة الله تعالى ، والصُّوفية : اسم لخواص أهل السنة المراعين أنفسهم مع الله الحافظين قلوبهم عن طوارق الغفلة ، واشتهر هؤلاء بهذا الاسم قبل المائتين من الهجرة .

قال السَّهْروردى رحمه الله : الصوفى يضع الأشياء فى مواضعها ، ويدبِّر الأوقات والأحوال كلها بالعلم ، يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه ويستر ما ينبغى أن يستر ويظهر ما ينبغى أن يظهر ويأتى بالأمور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص ؛ فمن لبس لِبْسةَ الصوفية ولم يكن على هذه الصِّفة فليس منهم فى شىء .

وأوّلُ من اتخذ بيتًا للعبادة : زيد بن صوحان بن صبرة عمد إلى رجال من أهل البصرة تفرَّغُوا للعبادة وليس لهم كسب ولا غلة ؛ فبنى لهم دُوَرًا وأسكنهم فيها ، وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره ؛ فدعاهم عبد الله بن عامر عامل عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ بالبصرة ليقربهم ويشيروا / عليه فأتاه ابن صوحان وقال له : أتأتى إلى قوم قد انقطعوا إلى الله فتدنِّسهم بدنياك حتى إذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم فطاحوا لا إلى الدنيا ولا إلى الآخرة وقال لهم : قوموا إلى مواضعكم فقاموا انتهى ملخصا . وليس اسم الخانكاه اليوم مستعملاً عندنا بمصر فى هذا المعنى ، وإنما المستعمل بدله التكية والزاوية ، ولكن نذكر ملخص ما فى المقريزى ؛ فنقول :

٤٩

حرف الألف

خانقاه ابن غراب

قال المقريزى : هذه الخانقاه خارج القاهرة على الخليج الكبير من بره الشرق بجوار جامع بشتاك من غربيه .

أنشأها القاضى سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب الإسكندرانى ناظر الخاص وناظر الجيوش واستادار السلطان وكاتب السر وأحد أمراء الألوف الأكابر فى آخر القرن الثامن انتهى .

وهذه الخانقاه عامرة إلى اليوم ، وتعرف بزاوية سعد الدين العرابى وقد ذكرناها فى الزّوايا .

خانقاه آقبغا

قال المقريزى : هذه الخانقاه هى موضع من المدرسة الآقبغاوية بجوار الجامع الأزهر فرده الأمير آقبغا عبد الواحد انتهى .

وقد ذكرنا المدرسة الآقبغاوية مع الجامع الأزهر ، فانظرها هناك .

والآقبغاوية أيضا : خانقاه بالقرافة لم نقف لها على أثر .

خانقاه أم أنوك

هى بأوّل القرافة خارج باب البرقية المعروف الآن بالغريب .كانت موجودة ذات إيراد إلى زمن دخول الفرنساوية أرض مصر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف ؛ فتخربت وبنى فى مكانها الشيخ عبد الله بن حجازى الشرقاوى زاويته المعروفة بزاوية الشيخ الشرقاوى خارج باب الغريب ، كما يؤخذ من الجبرتى قال : كانت خانقاه الست خوند طغاى الناصرية فى نظر الشيخ عبد الله الشرقاوى وقد استولى على جهات إيرادها ، وكان الناظر عليها قبله شخصا من

شهود المحكمة يقال له ابن الشاهينى ، ولما ولج الفرنساوية الأراضى المصرية وتمكنوا منها وعملوا القلاع فوق التلول حوالى المدينة هدموا منارتها وبعض حوائطها الشمالية وتركوها على ذلك .

وكانت ساقيتها تجاه بابها فى علوة يصعد إليها بمزلقان ، ويجرى منها الماء إلى الخانقاه على حائط مبنى ، وبه قنطرة يمرُّ من تحتها الناس وتحت الساقية حوض لسقى الدَّواب ، ثم ان الشيخ الشرقاوى أبطل الساقية وبنى الزاوية ، وعمل لنفسه بها مدفنًا وعقد عليه قبة ، وجعل تحتها مقصورة وبداخلها تابوتًا عاليا مربعًا وعلى أركانه عساكر فضة ، وبنى بجانبها قصرا ملاصقًا لها يحتوى على أروقة ومساكن ومطبخ ، وذهبت الساقية من ضمن ذلك وجعلها بئرًا وعليها خرزة يملئون منها بالدلو ونسيت تلك الساقية وانطمست معالمها وكأنها لم تكن انتهى .

وفى المقريزى : أن هذه الخانقاه أنشأتها الخاتون[١] طغاى تجاه تربة الأمير طاشتمر الساقى فجاءت من أجل المبانى ، وجعلت بها صوفية وقراء ، ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة ، وقرَّرت لكل جارية من جواريها مرتبًا يقوم بها .

ترجمة طغـاى

طغاى : الخوند[٢] الكبرى زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون وأم ابنه الأمير أنوك كانت من جملة إمائه فأعتقها وتزوجها ، ويقال أنها أخت الأمير آقبغا عبد الواحد ، وكانت بديعة الحسن رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء ملوك الترك بمصر ، ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها ، وحج بها القاضى كريم الدين الكبير ، واحتفل بأمرها وحمل لها البقول فى محائر طين على ظُهور الجمال ، وأخذلها الأبقار الحلاَّبة فسارت معها طول الطَّريق لأجل اللبن الطرى وعمل الجبن ، وكان يقلى لها الجبن فى الغداء والعشاء وإذا كان البقل والجبن بهذه المثابة وهما أخس ما يؤكل فما عساه يكون بعد ذلك ، وكان القاضى وأمير مجلس

(١) الخاتون : لفظ تركى معناه السيدة . دخل العالم الإسلامى عن طريق الأتراك .
راجع : (الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار تأليف د. حسن الباشا صفحة ٢٦٤ ط النهضة المصرية ١٩٥٧ م) .

(٢) خوند : لفظ فارسى عرفته كذلك اللغة التركية ، وأصله (خداوند) ، ومعناه : السيد أو الأمير ، ويخاطب به الذكور والاناث .
راجع (المصدر السابق نفسه ص ٢٨٠) .

وعدة من الأمراء يمشون رجالاً بين يدى محفتها ويقبلون الأرض لها ، ثم حج بها الأمير بشتاك سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، واستمرت عظمتها بعد موت السلطان إلى أن ماتت سنة تسع وأربعين وسبعمائة أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادمًا خصيًا وأموال كثيرة جدا .

وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبر ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قرّاء ، ووقفت على ذلك وقفا ، وجعلت من جملته خبزًا يفرق على الفقراء ، ودفنت بهذه الخانقاه وهى من أعمر الأماكن إلى يومنا هذا انتهى .

ولم يبق الآن هناك سوى جدران قديمة بجوار زاوية الشيخ الشرقاوى يظن أنها من آثارها فسبحان من له الدوام والبقاء .

مطلب حرف الباء

خانقاه بشتاك

قال المقريزى : هذه الخانقاه خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقى تجاه جامع بشتاك . أنشأها الأمير بشتاك الناصرى سنة ست وثلاثين وسبعمائة انتهى .

وهى التى فى محلها الآن السبيل والمكتب الكائنان بدرب الجماميز اللذان أنشأتهما الست المرحومة والدة المرحوم مصطفى باشا أخى الخديو اسماعيل ، تجاه جامع بشتاك المعروف اليوم بجامع مصطفى باشا ، وقد ذكرناها عند ذكر زاوية سعد الدين بن غراب .

الخانقاه البندقدارية

قال المقريزى : هذه الخانقاه بالقرب من الصليبة ، كان موضعها قديما يعرف بدويرة / مسعود ، وهى الآن تجاه المدرسة الفارقانية وحمام الفارقانى . ٥٠

أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى سنة ثلاث وثمانين وستمائة انتهى .

وهذه المدرسة عامرة إلى الآن وتعرف بزاوية الآبار ، وقد ذكرناها فى الزوايا من هذا الكتاب .

خانقاه بيبرس

قال المقريزى : هذه الخانقاه من جملة دار الوزارة الكبرى بخط الجمالية تجاه الدرب الأصفر وبجوار جامع سنقر المجعول اليوم مكتبا يعرف بمكتب الجمالية ، وهى أجلُّ خانقاه أنشئت بالقاهرة بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى سنة ست وسبعمائة ، وهى عامرة إلى الآن وتعرف بجامع بيبرس الجاشنكير ، وقد ذكرناها فى الجوامع فانظرها هناك .

حرف الجيم

الخانقاه الجاولية

قال المقريزى : هذه الخانقاه على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش . أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة انتهى .

وهذه الخانقاه ، هى المدرسة الجاولية أيضا كما فى المقريزى ، وهى عامرة إلى الآن وخطها يعرف بخط الحوض المرصود ، وتعرف هى بجامع الجاولى وقد ذكرناه فى الجوامع من هذا الكتاب .

الخانقاه الجمالية

هى المدرسة الجمالية التى بين حارة الفرّاخة وقصر الشوك .

قال المقريزى : أنشأها الوزير مغلطاى الجمالى سنة ثمانين وسبعمائة انتهى .

وهذه الخانقاه عامرة إلى اليوم وتعرف بزاوية الجمالى وقد ذكرت فى الزوايا .

خانقاه الجيبغا المظفرى

قال المقريزى : هذه الخانقاه خارج باب النصر فيما بين قبة النصر وتربة عثمان بن جوشن السعودى .

أنشأها الأمير سيف الدين الجيبغا المظفرى ، وكان بها عدةٌ من الفقراء يقيمون بها ولهم فيها شيخ ، ويحضرون فى كل يوم وظيفة التصوف ولهم الطعام والخبز .

وكان بجانبها حوض ماء لشرب الدواب وسقاية بها الماء العذب لشرب الناس ، وكتّاب يقرأُ فيه أطفال المسلمين الأيتام كتاب الله تعالى ويتعلمون الخط ، ولهم فى كل يوم الخبز وغيره وما برحت إلى أن أخرج الأمير برقوق أوقافها فتعطّلت وأقام بها جماعة من الناس مدة ثم تلاشى أمرها ، وهى الآن باقية من غير أن يكون فيها سكان انتهى .

ترجمة الجيبغا المظفرى

الخاصكى تقدم فى أيام الملك المظفر حاجى ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون تقدمًا كبيرًا بحيث لم يشاركه أحد فى رتبته وصار أحد أمراء المشورة الذين يصدر عنهم الأمر والنهى ، فلما اختلف أمراء الدولة أخرج إلى دمشق فى ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ثم سار إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير بدر الدين مسعود بن الخطيرى ، فلم يزل على نيابتها إلى سنة خمسين وسبعمائة ، فكتب إلى الأمير أرغون شاه نائب دمشق يستأذنه فى التصيد إلى الناعم فأذن له وسار من طرابلس وأقام على بحيرة حمص أيامًا يتصيد ، ثم ركب ليلاً بمن معه وساق إلى خان لاجين ظاهر دمشق ، ثم ركب بمن معه ليلاً وطرق أرغون شاه وهو بالقصر الأبلق وقبض عليه وقيده وأصبح وهو يسوق الخيل ، فاستدعى الأمراء وأخرج لهم كتاب السلطان بإمساك أرغون شاه فأذعنوا له واستولى على أموال أرغون ، فلما كان يوم الجمعة الرابع عشر منه أصبح أرغون شاه مذبوحًا ، فأشاع الجيبغا أنّ أرغون ذبح نفسه فأنكر الأمراء أمره وثاروا لحربه فركب وقاتلهم وانتصر عليهم وقتل جماعة منهم وأخذ الأموال وخرج

من دمشق ، وسار إلى طرابلس فأقام بها وورد الخبر من مصر إلى دمشق بانكار كل ما وقع والاجتهاد فى إمساك الجيبغا ؛ فخرجت عساكر الشام إلى الجيبغا ففر من طرابلس ، فأدركه عساكر طرابلس عند بيروت وحاربوه حتى قبضوا عليه ، وحمل إلى عسكر دمشق فقيد وسجن بقلعة دمشق هو وفخر الدين إياس ، ثم وسط بمرسوم السلطان تحت قلعة دمشق بحضور العساكر ، ووسط معه الأمير فخر الدين إياس ، وعلقا على الخشب فى ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمسين وسبعمائة وعمره دون العشرين سنة انتهى .

حرف السين

خانقاه سعيد السعداء(١)

قال المقريزى : هذه الخانقاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة قرب جامع بيبرس الجاشنكير ، كانت أوّلاً دارا تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء ، فعملها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب خانقاه للصُّوفية سنة تسع وستين وخمسمائة ، وتعرف بالصلاحية ودويرة سعيد السعداء انتهى .

وهى عامرة إلى الآن وتعرف بجامع الخانقاه وهو سعيد السعداء ، وخطها يعرف بخط الجمالية وقد ذكرناها فى الجوامع فانظرها هناك .

حرف الشين

الخانقاه الشرابيشية

قال المقريزى : هى فيما بين الجامع الأقمر وحارة برجوان فى آخر المنحر ، الذى يعرف اليوم بالدرب الأصفر ، ويتوصل منها إلى الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس ، وبابها الأصلى من زقاق ضيق بوسط حارة برجوان .

أنشأها نور الدين على بن محمد الشَّرابيشى ، وكان من ذوى الغنى صاحب ثراء متسع ، وله عدَّةُ أوقاف على جهات البر انتهى .

(١) السعيد : من الألقاب التى تجرى مجرى التفاؤل والتشريف
راجع (الجزء الرابع من الكتاب ص ٢١١ والمصدر السابق ص ٣٢٢) .

ولم يذكر تاريخ موته ولا إنشائها ، وقد زالت هذه الخانقاه اليوم ، وفى محلها الآن الدار الكبيرة المعروفة بدار السحيمى التى بداخل الدرب / الأصفر.

٥١

خانقاه شيخـو

قال المقريزى : هذه الخانقاه فى خط الصليبه تجاه جامع شيخو . أنشأه الأمير شيخو العمرى سنة ست وخمسين وسبعمائة انتهى .

وهى عامرة إلى الآن وشعائرها مقامة ، وفيها الصوفية لهم شيخ يقرأ لهم الدروس باللغة التركية والعربية ، ولهم مرتبات شهرية وسنوية وقد ذكرناها مع جامع شيخو فانظرها هناك .

حـرف الطـاء

خانقاه طغاى النجمى

قال االمقريزى : هذه الخانقاه بالصحراء خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر .

أنشأها الأمير طغاى تمر النجمى ، فجاءت من المبانى الجليلة ورتب بها عدة من الصوفية ، وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى[1] ، وبنى بجانبها حماماً وغرس فى قبليها بستاناً ، وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسبيل ترده الدواب ، ووقف على ذلك عدة أوقاف .

طغاى تمر النجمى

كان دوادار الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون ؛ فلما مات الصالح استقر على حاله فى أيام أخويه : الملك الكامل شعبان ، والملك المظفر حاجى .

وكان من أحسن الأشكال وأبدع الوجوه ، تقدم فى الدول وصارت له وجاهة عظيمة

(١) برهان الدين : من الألقاب المضافة إلى الدين وكان هذا اللقب فى أوائل عصر المماليك ـ حسب ما ذكره القلقشندى ـ خاصًا بالاسم « إبراهيم » . راجع (المصدر السابق صفحة ٢٢٤ وصبح الأعشى للقلقشندى الجزء الخامس صفحة ٧٩) .

وخدمه الناس ، ولم يزل على حاله إلى أن لعب به أغزلوا فيمن لعب وأخرجه إلى الشام وألحقه بمن أخذه من غزة .

وطغاى هذا أول دوادار أخذ إمرة مائة وتقدمة ألف ، وذلك فى أوّل دولة المظفر حاجى ، ولما كانت واقعة الأمير ملكتمر الحجازى والأمير آق سنقر ، وعدة من الأمراء سنة ثمان وأربعين وسبعمائة رمى سيفه ، وبقى من غير سيف بعض يوم ، ثم ان المظفر أعطاه سيفه واستمر فى الدوادارية نحو شهر ، وأُخرج هو والأمير نجم الدين محمود الوزير ، والأمير سيف الدين بيدمر البدرى على الهجن إلى الشام ، فأدركهم الأمير سيف الدين منجك وقتلهم فى الطريق انتهى .

خانقاه طيبرس

قال المقريزى : هذه الخانقاه من جملة أراضى بستان الخشاب فيما بين القاهرة ومصر على شاطىء النيل .

أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش سنة سبع وسبعمائة بجوار جامعه ، وجعل فيها صوفية وشيخاً ورتب لهم معاليم ، ولما خرب خطها وصار مخوفاً نقل الحضور من هذه الخانقاه إلى المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الأزهر انتهى .

والآن على شط النيل خلف سراى الإسماعيلية الصغيرة جامع يعرف بالأربعين ؛ فيحتمل أنه هو جامع الطيبرس ويحتمل أنه خانقاهه .

حـرف الظـاء

الخانقاه الظاهريـة

هى بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية .

أنشأها الملك الظاهر برقوق سنة ست وثمانين وسبعمائة . وهذه الخانقاه هى المدرسة البرقوقية كما فى المقريزى انتهى .

وهى عامرة إلى الآن وتعرف بجامع برقوق وبمدرسة برقوق ، وقد ذكرت فى المدارس من هذا الكتاب .

حرف القاف

خانقاه قوصون

قال المقريزى : هذه الخانقاه فى شمالى القرافة مما يلى قلعة الجبل تجاه جامع قوصون . أنشأها الأمير سيف الدين قوصون ، وكملت عمارتها سنة ست وثلاثين وسبعمائة انتهى .

وقد تخربت هذه الخانقاه اليوم وبنى فى محلها زاوية سيدى محمد المجاهد ، التى هى خارج باب الوزير مما يلى القلعة تجاه جامع باب الوزير الذى هو جامع قوصون ، وقد ذكرناها فى الزوايا فانظرها هناك .

حرف الميم

الخانقاه المهمندارية

قال المقريزى : هذه الخانقاه هى المدرسة المهمندارية . أنشأها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش المهمندار سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وهى عامرة إلى اليوم وتعرف بزاوية المهمندار التى بالدرب الأحمر ، وقد ذكرناها فى الزوايا من هذا الكتاب .

حرف الياء

خانقاه يونس

قال المقريزى : هذه الخانقاه من جملة ميدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر ، أدركت موضعها وبه عواميد تعرف بعواميد السباق وهى أول مكان بنى هناك . أنشأها الأمير يونس النوروزى الدوادار . كان من مماليك الأمير سيف الدين جرجى

الإدريسى ، أحد الأمراء الناصرية وأحد عتقائه فترقى فى الخدم من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن صار من جملة الطائفة اليلبغاوية ، فلما قتل الأمير يلبغا الخاصكى خدم بعده الأمير استدمر الناصرى الأتابك[1] ، وصار من جملة دواداريته وما زال ينتقل فى الخدم إلى أن قام الأمير برقوق بعد قتل الملك الأشرف شعبان ، فكان ممن أعانه وقاتل معه فرعى له ذلك ورقّاه إلى أن جعله أمير مائة مقدم ألف ، وجعله دواداره لما تسلطن فسلك فى رياسته طريقة جليلة ولزم حالة جميلة من كثرة الصيام والصلاة وإقامة الناموس الملوكى ، وشدة المهابة والإعراض عن اللعب ، ومداومة العبوس وطول الجلوس وقوة البطش لسرعة غضبه ومحبة الفقراء وحضور السماع والشغف به وإكرام الفقهاء وأهل العلم .

وأنشأ بالقاهرة رَبعا وقيسارية بخط البندقانيين ، وتربة خارج باب الوزير تحت القلعة ، وأنشأ بظاهر دمشق مدرسة بالشرف الأعلى ، وأنشأ خاناً عظيماً خارج مدينة غزة وجعل بجانب هذه الخانقاه مكتباً لقراءة الأيتام وبنى بها صهريجاً / ينقل إليه ماء النيل ، وما زال على وفور حرمته ونفوذ كلمته إلى أن خرج الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب على الملك الظاهر برقوق فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وجهز السلطان الأمير ايتمش ، والأمير يونس هذا ، والأمير جهاركس الخليلى ، وعدة من الأمراء والمماليك لقتاله ، فلقوه بدمشق وقاتلوه فهزمهم وقتل الخليلى وفرّ ايتمشى إلى دمشق ، ونجا يونس بنفسه يريد مصر ، فأخذه الأمير عيفا بن شطا أمير الأمراء وقتله يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، ولم يعرف له قبر بعدما أعد لنفسه عدة مدافن بمصر والشام انتهى .

٥٢

والظاهر أن هذه الخانقاه محلها الآن زاوية الشيخ يونس السعدى ، التى خارج باب النصر بالمقبرة المعروفة بالدير ، وهى زاوية صغيرة بداخلها قبر عليه قبة مرتفعة تقول العامة أنه قبر الشيخ يونس مجدِّد طريقة السعدية بالديار المصرية . وهذا القول ليس بصحيح لأنالم نجد

(١) أتابك : من ألقاب الوظائف التى استعملت وبعض مركباتها فى بعض الأحيان كألقاب فخرية ، ويتألف من لفظين تركيين وهما : (أطا) بمعنى أب ، و (بك) بمعنى أمير.

راجع (المصدر السابق نفسه صفحة ١٢٢) .

ما يدلُّ على ذلك فى كتب التاريخ ولا فى النقل الصحيح ، فلعل هذا القبر أنشأه الأمير يونس النوروزى منشىء الخانقاه لنفسه ولم يدفن به كما تقدم ، وبجواره قبر الشيخ محمد الخضرى شيخ طريقة السعدية ، وبقربه محل صغير بداخله قبر الشيخ محمد برعى السعدى ، وقبر ولده الشيخ أحمد برعى السعدى المالكى رحم الله الجميع ، وبهذه الزاوية بئر معينة ومصلى صغيرة وقليل من أشجار اللَّبخ ، ويعمل بها مولد للشيخ يونس فى كل سنة .

• • •

ذكر الربط

رباط الآثار

قال المقريزى : هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش ، مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق .

قال ابن المتوج : هذا الرباط عمَّره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين على بن حنَّا بجوار بستان المعشوق ، ومات رحمه الله قبل تكملته ووصى : أن يكمل من ريع بستان المعشوق فإذا كملت عمارته يوقف عليه ، ووصى الفقيه عزالدين بن مسكين فعمر فيه شيئاً يسيراً وأدركه الموت إلى رحمة الله تعالى ، وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين فى تكملته ؛ فعمر فيه شيئاً جيداً انتهى .

وإنما قيل له : رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال أن ذلك من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع وذكروا : أنها لم تزل عندهم موروثة من واحد إلى آخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملها إلى هذا الرباط وهى به إلى اليوم يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه إجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن يتردد إليه أيام كان ماء النيل تحته دائماً . فلما انحسر الماء من تجاهه ، وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد الناس إليه وفيه إلى اليوم بقية .

ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون قرر فيه درساً للفقهاء الشافعية وجعل له مدرساً وعنده عدة من الطلبة . ولهم مرتب فى كل شهر من وقف وقفه عليهم .

وفى أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط وبهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله .

الوزير الصاحب[1]

تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين على بن سليم بن حنَّا ، ولد فى سابع شعبان سنة أربعين وستمائة ، وسمع من سبط السلفى ، وحدَّث وانتهت إليه رياسة عصره ، وكان صاحب صيانة وسؤدد ومكارم وشاكلة حسنة وبزة فاخرة إلى الغاية ، وكان يتناهى فى المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ، ويجود بالصدقات الكثيرة مع التواضع ، ومحبة الفقراء وأهل الصلاح والمبالغة فى اعتقادهم ، ونال فى الدنيا من العز والجاه ما لم يره جدُّه الصاحب الكبير بهاء الدين ، بحيث إنه لما تقلد الوزير الصاحب فخر الدين ابن الخليلى الوزارة سار من قلعة الجبل وعليه تشريف الوزارة إلى بيت الصاحب تاج الدين وقبَّل يده وجلس بين يديه ثم انصرف إلى داره ، وما زال على هذا القدر من وفور العز إلى أن تقلَّدَ الوزارة فى يوم الخميس الرابع والعشرين من صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة بعد قتل الوزير سنجر الشجاعى فلم ينجب وتوقفت الأحوال فى أيامه حتى احتاج إلى إحضار تقاوى النواحى المرصدة بها للتحضير واستهلكها ، ثم صرف فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وستمائة بفخر الدين عثمان بن الخليلى ، وأعيد إلى الوزارة مرة ثانية فلم ينجح وعزل ، وسلِّم مرة للشجاعى فجرده من ثيابه وضربه شيبا واحداً بالمقارع فوق قميصه ثم أفرج عنه على مال ، ومات فى رابع جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة ودفن فى تربتهم بالقرافة وكان له شعر جيد ، ولله در شيخنا الأديب جلال الدين محمد بن خطيب دارياً الدمشقى البيسانى حيث يقول فى الآثار :

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره .
فلقد ظفرت من الزمان بطائل إن لم تريه فهذه آثاره .

(١) من ألقاب الوظائف . وقد استعمل مضافا إلى ياء النسب « الوزيرى » كلقب فى عصر المماليك ، وكان يرد ضمن ألقاب الوزراء من العسكريين والمدنيين على السواء ؛ فإن كان من المدنيين ذكر لقب « الصاحبى » وإن كان من العسكريين سبقه لقب « الأميرى » .

راجع (المصدر السابق نفسه ص ٣٦٧ و ٥٤٠) .

٥٣ / وقد سبقه لذلك الصلاح خليل بن أيبك الصفدى فقال :

أكـرم بـآثـار الـنبى محمـد من زاره استوفى السُّرور مزاره
يـا عين دونك فـانظرى وتمتعى إن لم تـريـه فـهـذه آثـاره .

واقتدى بهما فى ذلك أبو الحزم المدنى فقال :

يا عين كم ذات تسفحين مدامعا شـوقـاً لـقـرب المصـطفى وديـاره
إن كان صرف الدهر عاقك عنهما فـتـمـتـعى يـا عـيـن فى آثـاره
انتهـى .

ربـاط(١) ابن سليمان

قال المقريزى : هذا الرباط بحارة الهلالية خارج باب زويلة عرف بأحمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن إبراهيم بن أبى المعالى ابن العباس الرحبى البطائحى الرفاعى شيخ الفقراء الأحمدية الرفاعية بديار مصر.

كان عبداً صالحاً له قبول عظم من أمراء الدولة وغيرهم ، وينتمى إليه كثير من الفقراء الأحمدية وروى الحديث عن سبط السلفى وحدث ، وكانت وفاته ليلة الاثنين سادس ذى الحجة سنة إحدى وتسعين وستمائة بهذا الرباط انتهى .

وهذا الرباط هو الزاوية الصغيرة المتخربة التى بدرب الأغوات المعروفة الآن بزاوية الشيخ القيسونى ، لأنَّ بها ضريحاً يقال له ضريح القيسونى ، وآخر يقال له ضريح الشيخ عبد الله .

(١) الرباطات : مبنية على هيئة ما كانت عليه بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لأجل الأرامل والعجائز ومجالس الوعظ والمقامات المشهودات ومواقف الزهد على مذهب أهل الطريقة وسالكى منهاج الحقيقة .

راجع (تحفة الأحباب وبغية الطلاب للسخاوى ص ١٧٩) .

رباط البغدادية

قال المقريزى : هذا الرباط بداخل الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس حيث كان المنحر ومن الناس من يقول : رواق البغدادية . وهذا الرباط بنته الست الجليلة تذكار باى خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس فى سنة أربع وثمانين وستمائة للشيخة الصالحة زينب ابنة أبى البركات المعروفة ببنت البغدادية ، فأنزلتها به ومعها النساء الخيِّرات ، وما برح إلى وقتنا هذا يعرف سكانه من النساء بالخير ، وله دائماً شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن ، وآخر من أدركنا فيه الشيخة الصالحة سيدة نساء زمانها أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية ، توفيت فى ذى الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة وقد أنافت على الثمانين ، وكانت فقيهة وافرة العلم زاهدة قانعة باليسير عابدة واعظة حريصة على النفع والتذكير ذات إخلاص وخشية وأمر بالمعروف ، انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر ، وكان لها قبول زائد ووقع فى النفوس ، وصار بعدها كل من قام بمشيخة هذا الرباط من النساء يقال لها البغدادية ، وأدركنا الشيخة الصالحة البغدادية أقامت به عدة سنين على أحسن طريقة إلى أن ماتت يوم السبت لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وسبعمائة ، وأدركنا هذا الرباط وتودع فيه النساء اللاتى طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن صيانة لهن ، لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات حتى أن خادمة الفقيرات به كانت لا تمكن إحداهن من استعمال إبريق بِبِزْبوز وتؤدِّب من تخرج عن الطريق بما تراه .

ثم لما فسدت الأحوال من عهد حدوث المحن بعد سنة ست وثمانمائة تلاشت أمور هذا الرباط ومنع مجاوروه من إقامة النِّساء المعتدَّات به وفيه إلى الآن بقايا من خير ويلى النظر عليه قاضى القضاة الحنفى اهـ .

وهذا الرباط قد زال بالكلية وبنى فى محله الآن الحوانيت المتسعة التى على باب الدرب الأصفر .

رباط الخازن

قال المقريزى : هذا الرباط بقرب قبة الإمام الشافعى رحمة الله عليه من قرافة مصر. بناه الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الخازن والى القاهرة وفيه دفن وهو الذى ينسب إليه حكر الخازن خارج القاهرة انتهى .

وهذا الرباط يغلب على الظّن أنه المحل الذى تحت يد مذكور العربجى .

رباط الست كليلة

قال المقريزى : هذا الرِّباط خارج درب بطوط من جملة حكر سنجر اليمنى وملاصق للسور الحجر بخط سوق الغنم وجامع أصلم ، وقفه الأمير علاء الدين البراباه على الست كليلة المدعوة (دولاى) ابنة عبدالله التتارية زوج الأمير سيف الدين البرلى السلاحدار الظاهرى ، وجعله مسجداً ورباطاً ورتّب فيه إماماً ومؤذّناً ، وذلك فى الثالث والعشرين من شوّال سنة أربع وتسعين وستمائة انتهى .

رباط الفخرى

قال المقريزى : هذا الرباط خارج باب الفتوح فيما بينه وبين باب النصر. بناه الأمير عز الدين أيبك الفخرى أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس انتهى .

وهذا الرِّباط موجود إلى الآن ويعرف بهذا الاسم ، وهو خلف الأماكن الموجودة بالجهة الشرقية على يمين الخارج من باب الفتوح ملاصقاً للسور وعلى يسار الخارج من باب النصر ، ويقابله مقبرة معروفة عند التربية بالجبّاسة وفى شرقيها مقبرة يقال لها (ودن) واقعة تجاه مصلى الأموات ، وفى بحرى مقبرة الجباسة ثلاث قباب تعرف بالشيخ مبارك ، وفى بحرى الشيخ مبارك مقبرة المجاورين الشقاروة .

رباط المشتهى

٥٤ قال المقريزى : /هذا الرِّباطُ بروضة مصر يطل على النيل وكان به شيخ مسلك ، ولله درشيخنا العارف الأديب شهاب الدين أحمد بن أبى العباس الشاطر الدمنهورى حيث يقول :

بروضة المقياس صوفية هم مُنْية الخاطر والمشتهى
لهم على البحر أيادٍ علت وشيخهم ذاك له المنتهى

وقال الإمام العلاَّمةُ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن الصائغ الحنفى :

يا ليلةً مرَّت بنا حلوة إن رُمت تشْبيهاً لها عتبها
لا يبلغ الواصف فى وصفها حداً ولا يلقى له منتهى
بتُّ مع المعشوق فى روضةٍ ونلتُ من خرطومه المشتهى

انتهى .

وهذا الرِّباط يعرف اليوم بجامع المشتهى وقد ذكرناه فى كتابنا المسمى . (مقياس النيل) فارجع إليه إن شئت هذا ما أردنا إيراده من الخوانق والربط التى بخطط المقريزى .

وفى معنى الخوانق بيوت أُخر بمصر المحروسة تعرف بالتكايا

جمع تكية يسكنها دراويش من الأغراب غالباً ليس لهم كسب ، وإنَّما لهم مرتبات شهرية وسنوية من ديوان الأوقاف العمومية أو من أوقاف خُصوصية ؛ فلذا سمى محل مقامهم تكية كأن أهلها متكئون أى معتمدون فى أرزاقهم على مرتباتهم ولنسردها لك ببعض ما يتعلق بها فنقول :

التكايا

تكية تقى الدين العجمى

هى بدرب اللبانة . أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة عشرين وسبعمائة لمعتقد يقال له : الشيخ تقى الدين فأقام بها حتى مات ودفن بها ، ولم تزل عامرة بالأعاجم إلى الآن .

وهذه التكية هى زاوية تقى الدين التى ذكرها المقريزى حيث قال : هذه الزاوية تحت قلعة الجبل .

أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة عشرين وسبعمائة انتهى . وقد ذكرناها فى الزوايا فانظرها هناك وإيراد هذه التكية فى كل سنة ألفان وثلثمائة وثمانية وستون قرشاً منها بالرّوزنامجة ألف وثمانمائة قرش وستة قروش ومرتبات أُخر أربعة وعشرون قرشاً وأجر أماكن خمسمائة قرش وثمانية وثلاثون قرشاً .

تكية الجلشنى

هى بخط تحت الربع تجاه الجامع المؤيدى على يسار الذاهب من باب زويلة طالباً باب الخرق .

أنشأها الشيخ إبراهيم الجلشنى سنة تسعين وثمانمائة ، وأنشأ بها خلاوى للصوفية وعمل فيها محلاً معداً لإقامة الصلاة والأذكار ، وعمل له قبة لما مات دفن تحتها ، وهى قبة مرتفعة ودوائرها مصوغة بالقيشانى .

وهذه التكية عامرة إلى الآن بالدراويش ، وتعمل فيها الأذكار غير الحضرة التى فى كل أسبوع والمولد السنوى .

وفى حجة وقفيته : أنَّ الشيخ إبراهيم أفندى الخلوتى الجلشنى وقف المكان الكائن أسفل الربع الظاهر برأس سوق الظنوطنين قريباً من المدرسة المؤيدية بدركته بابان متقابلان يتوصل من الذى على اليمين إلى سلم يدخل منه إلى مكان يحوى فسحة بوسطها قبة ، وتجاه باب القبة فسحة بها محراب وبإزائها حنية والحدُّ القبلى لهذا المكان ينتهى إلى وكالة التفاح ، والبحرى إلى أمكان فاصلة بينه وبين سوق الحاجب ، والشرق إلى سوق الحدَّادين تجاه ربع الظَّاهر ، والغربى إلى الربع المطلّ على البراذعيين العتق .

وبالحد القبلى اثنتا عشرة خلوة ورواق علو الدركة وعلو المسجد وبئر معينة ومستحم وحنفية ومغطس ، وبالحد البحرى ثمان خلاو ، وبالشرق أربع ومطبخ كامل . والباب الثانى يوصل إلى المسجد بصدره محراب وأربعة شبابيك مطلّة على الطريق العام ، وحدُّه القبلى إلى وكالة التفاح ، والبحرى إلى الدركة وفيه الباب ، والشرق إلى الطريق ، والغربى إلى المطهرة . وبالحد الشرق أربعة حوانيت ومن وقفه الربع الكائن بالخط المذكور بجوار المدفن ، وجميع الوكالة أسفل الربع ، والحد القبلى للربع والوكالة إلى مطبخ الفقراء والمدفن ، والبحرى إلى سوق الحاجب ، والشرق إلى سوق السقطيين وفيه بابها ، وبالحد الشرق أحد عشر حانوتاً ، وجميع الربع الذى حده القبلى إلى الزقاق الفاصل بينه وبين ربع قديم هناك ، والبحرى إلى سوق الحاجب ، والشرق إلى الحوش ، والغربى إلى الزقاق ، وجميع البيت والحانوت أسفله بقرب وكالة التفاح حده القبلى إلى الزقاق الموصل إلى الوكالة ، والبحرى إلى رحاب المسجد والشرق إلى الطريق العام .

وجميع الطبقتين الملاصقتين لسلم باب سر المؤيدية ، وجميع المكان الكائن بباب سر المؤيدية ، حدُّه القبلى إلى زقاق غير نافذ وفيه الباب ، والبحرى إلى الحارة المحمودية والشرق إلى الزقاق ، والغربى إلى الطريق العام .

وجميع المكان بالخط وحدُّه القبلى إلى بيت ابن خضر ، والبحرى إلى الجدرية ، والشرق إلى المحمودية ، والغربى إلى الزقاق غير النافذ ونصف مكان برأس الجدرية وحده

القبلى إلى المحمودية والبحرى إلى الجدرية ، والشرقى إلى الزقاق الموصل قديماً إلى الجدرية والغربى إلى زقاق غير نافذ يتوصل إليه من تجاه / فرن المؤيدية ، ومكانا بخان الأشنان بخط الاخفافيين العتق قرب باب سر الباسطية ، ومكانا بخط الدرب الأحمر حده القبلى إلى وقف آق سنقر والبحرى إلى مكان هناك والشرقى

٥٥

إلى زقاق يوصل إلى حارة الروم والغربى إلى الشارع وقف المسجد للصلوات ، والقبة لدفنه ودفن أولاده ونسله ، والخلاوى تكية للفقراء المشهورين به ، والرواق والطبقة علو الدركة والمسجد لسكنى الذرية وبعدهم للخليفة بالتكية وباق الأماكن على التكية والمسجد ، وجعل للإمام شهرياً عشرة أنصاف وللمؤذن خمسة أنصاف وللوقاد خمسة عشر نصفا وللفراش اثنى عشر ولاثنين بوابين عشرة وللداعى خمسة أنصاف وللقارىء عقب الصلوات خمسة ولمباشر الوقف عشرة وللجابى كذلك ولوكيل الخرج اثنى عشر وللخباز خمسة عشر ولواضع السماط للفقراء خمسة أنصاف ولخادمين للحنفية والخلاوى عشرة وللساقى بالحنية خمسة عشر وللطباخ كذلك وثمن دقيق وعشرة أرطال زبيب وثلاثة أقداح ونصف قدح أرز بحسب وقته وكذا للمزملاتى وثمن ماء وللمسجد بخط البسطيين خمسة عشر نصفا شهريا للإمام والوقاد والملاء والفرش وثمن زيت وغيره ، وما فضل بعد ذلك يصرف منه للشيخ شهاب الدين ابن الواقف شهرياً ثلاثون نصفا ولبعض الأقارب والعتقاء وذريتهم من بعدهم ثلاثون نصفا ولأقضى قضاة المسلمين عبد الرحيم الناظر فى الأحكام شهريا اثنان وعشرون نصفا وتجرى على ذريته بشرط أن يكونوا من زوجته بنت ابن الواقف ويصرف برسم الفقراء الواردين ما يحتاج بقدر الحاجة وما بقى يشترى به عقارات بعد عمارة الوقف وجعل النظر له ومن بعده لأولاده ثم للخليفة وله شهريا ثلاثون نصفا انتهى .

ترجمة الشيخ إبراهيم الكلشنى

وفى طبقات الشعرانى : أن الشيخ إبراهيم الكلشنى أخو الدمرداش فى الطريق وكانت له المجاهدات فوق الحد قال : اجتمعت به أنا وسيدى أبو العباس الحريثى رضى الله عنه مراراً

ورأيناه على قدم عظيم إلا أنه أمى أغلق اللسان لا يكاد يفصح عن المقصود وأعطى القبول التام فى دولة ابن عثمان وأقبل عليه العسكر إقبالاً زائداً وأرادوا نفيه لذلك ، فجمع نفسه وعمر له قبة وزاوية خارج باب زويلة ودفن فيها ، وجعل فى الخلاوى المحيطة بقبته قبوراً بعدد أصحابها على طريقة مشايخ العجم ، وكان يقبل علىّ إقبالاً زائداً لكن يقول : أنتم مشايخ الخير فكان لا يعجبه إلا المجاهدات من غير تخلل راحة . مات رحمه الله تعالى سنة أربعين وتسعمائة انتهى .

تكية الحبانـية

هى بشارع الحبانية تجاه قنطرة سنقر بجوار سبيل السلطان محمود واجهتها غربية وأرضيتها مرتفعة عن الشارع بنحو ثلاثة أمتار ويكتنف بابها عمودان من الرخام يعلوهما دائرتان مكتوب فى إحداهما الله وفى الأخرى محمد وبين الدائرتين لوح مكتوب فيه : أنشأ هذه المدرسة المباركة حضرة مولانا السلطان المغازى محمود خان ابن السلطان مصطفى خان سنة أربع وستين ومائة وألف وبجانب التاريخ المذكور كرتان تفريغ من الحجر وبأعلى اللوح المتقدم شباك خرط مكتوب فيه : يا الله وعقد الباب من أعلى حجر مفرغ وفوقه بعض قيشانى وبدائر الواجهة من أعلى كرنيش من الحجر المنقوش بالتفريغ وثمانية شبابيك من الزجاج الملون ، ثم يعلو الجميع شرفات من الحجر وبأسفل الواجهة عدة حوانيت تابعة لها وبداخل التكية عدة أود معدة لإقامة الدراويش وبوسطها فسقيه بأربعة أعمدة من الرخام ، وحولها جملة من الأشجار والنخيل وبجانبها الشرقى محل معد لإقامة الصلاة به محراب يكتنفه عمودان من الرخام الأسود ، وداخل هذا المحل أودة مجعولة كتبخانة بها جملة من كتب الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك وأرضية هذه التكية جميعها مفروش بالترابيع الحجرية وبها ساقية ومرتفعات ومطبخ وشعائرها مقامة إلى الآن من ريع أوقافها .

تكية حسن بن الياس الرومى

هذه التكية بشارع المحجر وإيرادها فى كل سنة أربعة آلاف قرش واثنان منها بالروزنامجة

أربعمائة قرش وثلاثة وسبعون قرشا وعشر فضة وأجر أماكن ثلاثة آلاف قرش وخمسمائة قرش وأربعة وعشرون قرشا وأحكار أربعون قرشا وثلاثون فضة .

تكية الخلوتيــة

هى بعطفة مراد بيك المعروفة قديماً بحارة حلب وهى وراء الحلمية على يمين الذاهب فى شارع محمد على طالبا المنشية ، وتعرف بالقوصونية وهى صغيرة وبها ضريح يعرف بالشيخ عباسى وآخر يعرف بالشيخ ريحان ، وبها شاهدان من الحجر عليهما كتابة لم يمكن قراءتها ، وهى عامرة بالدراويش ولها مرتبات وهذه التكية هى المدرسة المهذبية وقد ذكرناها فى المدارس .

تكية درب قرمــز

هى جامع درب قرمز وقد ذكرناه فى الجوامع فارجع إليه .

تكية السادة الرفاعــية

هى ف بولاق وإيرادها فى كل سنة ستة آلاف قرش ومائتا قرش وستة وثمانون قرشا ونصف قرش منها بالروزنامجة ألف قرش وخمسمائة قرش وعشرة قروش ونصف قرش وأجر أماكن أربعة آلاف / قرش وسبعمائة وستة وسبعون قرشا ونصف قرش . ٥٦

تكية السيدة رقــية

هى عند مشهد السيدة رقية بجوار البوابة الموصلة إلى السيدة نفيسة بالقرب من جامع شجرة الدر ، على يمين الذاهب من السيدة سكينة طالباً المشهد النفيسى ، بها مساكن للصوفية ومحل لإقامة الصلاة وحنفيات وأشجار بكثرة وعدة أضرحة منها ضريح السيدة رقية عليه مقصورة من الخشب المطعم بالعاج والصدف فوقها قبة من البناء ، ويعمل لها مولد كل سنة وحضرة كل أسبوع ، وشعائرها مقامة من ريع أوقافها فإن إيرادها سنوياً ثلاثة عشر ألف قرش وسبعمائة قرش وثمانية عشر قرشاً واثنان وثلاثون نصفا فضة منها بالروزنامجة أحد عشر

ألف قرش ومائة وسبعة قروش واثنان وثلاثون نصفا فضة ومرتبات أخر ألفان وستمائة وأربعة وسبعون قرشا .

تكية السنانية

هى بالجمالية قرب خانقاه سعيد السعداء .

تكية السليمانية

هى بشارع السروجية عن شمال الذاهب إلى الصليبة عمرها الأمير سليمان باشا فى سنة عشرين وتسعمائة كما وجد فى تقارير مشايخها ، وكان أصلها مدرسة تعرف بمدرسة سليمان باشا ثم صارت تكية وبها خلاو مسكونة بالدراويش القادرية ، وبها ضريح الشيخ رسول القادرى وضريح الشيخ إبراهيم التبتل القادرى ، وشعائرها مقامة من ريع أطيانها لأن لها خمسة وعشرين فداناً بمديرية الجيزة لا غير .

تكية سويقة العزة

هى بسويقة العزة وإيرادها سنويا ثلاثة عشر ألف قرش وثلثمائة قرش وتسعة وأربعون قرشا منها بالروزنامجة ثمانمائة قرش وتسعة قروش وأجر أماكن اثنا عشر ألف قرش وخمسمائة قرش وأربعون قرشا .

تكية شيخو

هى بجوار جامع شيخو بصليبة ابن طولون عن يمين الذاهب إلى قلعة الجبل . أنشأها الأمير شيخو السيفى مع إنشاء جامعه وهى عامرة إلى الآن وبها خلاوى للصوفية ولها مطهرة ومراحيض غير ما للجامع ، وقد جعل لها إسماعيل باشا عشرين فدانا من زراعة كفر دميره بمديرية الغربية شعائرها مقامة من ريعها .

تكية الغنامية

هى بحارة أبى الشوارب داخل غيط العدة وتعرف أيضا بتكية الشيخ غنام ، بها مساكن للدراويش وزاوية للصلاة وضريح للشيخ محمد غنام على وجهه لوح من رخام منقوش فيه :

هذا مقام محمد الغنام حبر عظيم عالم وهمام
داعى رسول الله أشرف ذا الورى بالأنبياء مقدّم وإمام
أنشاه مجتهداً حسين مرابط فجزاه ربى حبذا الإكرام
لما بدت أنواره أرخته أنجدبه محمد الغنام

وبها أيضا عدة قبور منها قبر الأمير محمد بيك دبوس أغلى عليه تركيبة من الرخام ومقصورة من الخشب وقبر السيد على أفندى شيخها ، وهى عامرة إلى الآن وبها نخيل وأشجار ويجمون يجىء فيه ماء النيل كل سنة ، ويعمل فيها ليلة كل سنة بقراءة القرآن والأذكار ، ويجتمع فيها جملة من الأمراء والأعيان ، وشعائرها مقامة من ريع أوقافها ، وهى مترلان وثلاثون فداناً ونظرها لشيخها الشيخ محمود الكردى .

تكية القصر العينى

هى على شط فم الخليج عند منيل الروضة فيها قبتان مفروشتان بالرخام الترابيع بإحداهما سبيل منقوش على بعض رخامه : صاحب الخيرات والحسنات حسين قبودان فى خمسة عشر رمضان سنة سبع وتسعين ومائة وألف والثانية معدّة لعمل الذكر كل ليلة بعد العشاء وحضرة كل يوم جمعة ، وبها ضريح الشيخ العينى وبها مساكن علوية لسكنى الصوفية ، ولها مرتب بالروزنامجة أربعون ألفا وثلثمائة وثمانية وستون قرشا غير إيراد وقفها وهو نصف وكالة وسبعة دكاكين بالكعكيين شركة وقف سيدنا الحسين رضى الله عنه ، ويبلغ ذلك سنويا نحو سبعة عشر ألف قرش وكسور ولها بستان نضر نحو فدانين فيه النخيل والأشجار ، ونظرها لشيخها الشيخ عبد الرحمن أفندى .

وفى الجبرتى : أن هذه التكية كانت تعرف بتكية البكتاشية لأنها كانت موقوفة على طائفة من الأعجام المعروفين بالكتاشية ، وكانت قد تلاشى أمرها وآلت إلى الخراب وصارت فى غاية من القذارة ومات شيخها وتنازع مشيختها رجل أصله من سراجين مراد بيك وغلام يدّعى أنه من ذرية مشايخها المقبورين بها وتغلب ذلك الرجل على الغلام لانتسابه إلى الأمراء وسافر إلى اسكندرية فصادف مجىء حسن باشا واجتمع به وهو بهيئة الدراويش ، وصار من أخصائه لكونه من أهل عقيدته وحضر معه إلى مصر ؛ فولاه مشيختها وصار له ذكر وشهرة وكان يقال له : الدوريش صالح ؛ فشرع فى تعمير التكية المذكورة من رشوات مناصب المكوس التى توسط لأربابها مع حسن باشا فعمرها وبنى أسوارها وأسوار الغيطان الموقوفة عليها المحيطة بها ، وأنشأ بها صهريجا فى فسحة القبة ورتب لها تراتيب ومطبخاً ، وأنشأ خارجها مصلى باسم حسن باشا وتم ذلك / فى منتصف شوال سنة إحدى ومائتين وألف ، ثم عمل وليمة دعا فيها جميع الأمراء فحصل عندهم وسوسة وركبوا بعد العصر بجميع مماليكهم وأتباعهم وهم بالأسلحة متحذرون فمدّ لهم سماطاً وجلسوا عليه وأوهموا الأكل لظنهم الطعام مسموماً وقاموا وتفرقوا فى خارج القصر والمراكب وعمل شنك وحراقة نفوط وبارود ثم ركبوا فى حصة من الليل وذهبوا إلى بيوتهم انتهى .

٥٧

تكية لؤلؤ

هى بشارع الركبية بها مساكن للصوفية وضريح للشيخ لؤلؤ الخازندار وآخر للشيخ اسماعيل الجزار ، ويعمل بها حضرة كل ليلة جمعة ولها مرتب بالروزنامجة كل شهر سبعة قروش بتقرير مؤرخ بسنة إحدى وسبعين ومائتين وألف وهى فى نظر محمد أفندى نور الدين .

تكية المغاورى

هى بأعلى المقطم مساكنها نقر فى الحجر ، وبها جملة من دراويش العجم ـ يشاع عنهم : أنهم يشربون الخمور ؛ ـ ويعمل بها موسم يوم عاشوراء فيجتمعون ويذكرون

ويصيحون ويصرخون وتذبح لهم الذبائح فيأكلون ويفرّقون على من حضر عندهم من الفقراء ولها مرتب بالروزنامجة .

تكية المولوية

هى بشارع السيوفية بين حدرة البقر والبندقدارية المعروفة الآن بزاوية الآبار ، وتلك التكية فى محل الرِّباط الذى أنشأه الأمير شمس الدين سنقر السعدى بمدرسته المعروفة بالسعدية التى هى الآن جزء من التكية والفرن الذى بجوارها ، وهى عامرة بالدراويش ولهم بها مساكن وفيها جنينة ولها بابان على الشارع ، ويعمل بها حضرة كل يوم جمعة يجتمع فيها جملة من حريم الأمراء والأعيان ، وإيرادها سنويا سبعون ألفا ومائتان وسبعة وستون قرشا وثلاثون نصفا فضة منه مرتب بالروزنامجة سبعة وثلاثون ألف قرش وستمائة وخمسون قرشا وستة وثلاثون نصفا فضة وإيجار أطيان سبعة وعشرون ألف قرش وستة قروش وثلاثون نصفا فضة

تكية السيدة نفيسة

هى بين مشهد السيدة رقية والمشهد النفيسى . كان أصلها مدرسة تعرف بأم السلطان تخربت هى وما حولها ثم فى نحو سنة ثمانين ومائتين وألف جرت فيها عمارة وجعلت فيها مساكن للدراويش وسكنوها إلى الآن وغرسوا فيها أشجاراً كثيرة ، وهى عامرة يصرف عليها من طرف الأوقاف .

تكية النقشبندية

هى فى شارع الحبانية بالقرب من قنطرة الذى كفر على يسرة الذاهب من باب الخرق إلى درب الجماميز . أنشأها والى مصر المرحوم عباس باشا فى سنة ثمان وستين ومائتين وألف كما فى النقوش التى على أبوابها ، وجعل بها مصلى وخلاوى للصوفية وفى وسطها حنفية بستة أعمدة من الرخام ، وحولها جملة من الأشجار وبنى بها سبيلاً وبيتاً لسكن شيخها عاشق أفندى وجعل له بابا من داخلها وعمل بها حديقة لأجل أن تشرف عليها مساكن الصوفية ، وشعائرها مقامة بنظر شيخها محمد أفندى عاشق .

تكية الهنـــود

هى بالمحجر تجاه ضريح الشيخ سليمان على يمنة السالك من المنشية طالباً القلعة وغيرها ، وهى عامرة وشعائرها مقامة إلى الغاية ، وبها جملة دراويش من أهالى بخارى ويعلوها مساكن تابعة لها ، وفى حدها البحرى مدفن تابع لها به جملة من القبور وإيرادها فى كل سنة ثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسة وتسعون قرشا وثلاثة وثلاثون نصفا فضة منها إيجار أماكن ثلاثة آلاف قرش وثلثمائة قرش وثلاثون نصفا فضة وأحكار خمسة وستون قرشا وثلاثة وثلاثون نصفا فضة .

• • •

ذكر السبل

السبل : جمع سبيل . وفى القاموس : أن السبيل هو الطريق وسبيل الله هو الجهاد وكل ما أمرر الله به من الخير وسبله جعله فى سبيل الله انتهى .

والمراد هنا : المواضع الموقوفة المعدة لأن يوضع فيها الماء المسبل . أى : المجعول فى سبيل الله ، وتارة يكون لخصوص الشرب وتارة للنفع العام على حسب شرط الواقف ، وهى من الأعمال الخيرية الجارى ثوابها على أربابها حتى بعد الموت ما دامت باقية منتفعاً بها فإن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من عشر خصال وردت بها الأحاديث النبوية يجمعها هذه الأبيات التى نظمها جلال الدين السيوطى :

إذا مات ابن آدم ليس يجرى عليه من خصال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل وغرس النخل والصدقات تجرى
وراثة مصحف وبناء ثغر وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوى إليه أو بناء محل ذكر

وزاد بيتا على ما فى بعض تآليفه فقال :

وتعليم لقرآن كريم فخذها من أحاديث بحصر

وذلك إذا قصد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة كما هو الأصل فى كل عمل خير وقد يقصد بإنشائها بقاء الذكر والثناء / الحسن فى الحياة وبعد الموت ومثلها الربط والخوانق والمساجد وغير ذلك من الأبنية التى ينطق لسان حالها بالثناء على أربابها ، وإنشاء السبل عادة جارية عند كل الملل فى جميع الأجيال إلا أنها فى المسلمين أكثر خصوصا فى الجهات القليلة ٥٨

الماء فكثيراً مّا يحفر أهل الخير آباراً فى الطرق بين البلاد أو بين الأقطار كما بين بلاد الشام وبلاد العرب وبين مكة والمدينة وغير ذلك ، وقد يبنون بجوارها بيوتا تأوى إليها المارة وأبناء السبيل وأول كثرة الأسبلة ونحوها بمصر كان فى ابتداء القرن السادس وكلها أو أكثرها من إنشاء الأمراء ونسائهم كأنهم يجعلونها كفارة لما فرط منهم من المظالم الكثيرة فإن من يتأمل فى التواريخ يرى أن كل زمن كثرت فيه الشدائد الموجبة للفقر والفاقة هو الذى يكثر فيه تلك الأعمال إذ هى آثار تستوجب دعاء المنتفعين لمنشئها بالمغفرة والرحمة ؛ فلذا تنافسوا فيها ووقفوا عليها أوقافاً ويبينوا فى كتب الوقفيات كيفية الصرف وشروطه وما على الناظر والخدمة ونحو ذلك رجاء دوام عمارتها واستمرار نفعها ، ولكن القائمون عليها على توالى الأزمان قد غلبتهم الأهواء وأسرتهم الأطماع فنسوا يوم التناد ، واستعملوا فيها طرق الإفساد والاستبداد حتى تعطل كثير منها لضياع أوقافها أو دخولها تحت أيدى الملاك ويا ليت الطامعين فيها دام لهم التمتع بها ، بل الغالب على ديارهم الدمار كيف ودار الظالم خراب ولو بعد حين خصوصا هذه الأعمال التى هى حقوق عامة المسلمين وغيرهم . لا جرم أن الطامعين فيها أضل من الأنعام ، ثم إن الموجود من السبل فى القاهرة ولواحقها يبلغ نحو مائتى سبيل ما بين عامر وخراب ولا يكاد يوجد سبيل إلا وتحته صهريج وهو المصنع المبنى تحت الأرض لخزن الماء فيه فكلما فرغ ماء السبيل يملأ منه حتى ينفد ماؤه على ميعاد ملئه من السنة الثانية وغالباً يكون فوق السبيل مكتب لتعليم أطفال المسلمين القرآن وما والاه وقد بيناها فى جزء مشتملات القاهرة من هذا الكتاب ، وإنما نذكر هنا المشهور منها فنقول :

سبيل إبراهيم أغا

هو بشارع اللبودية أنشأه إبراهيم أغا عزبان ، وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم الأطفال القرآن والكتابة ووقف عليه أوقافاً دارة وهو تحت نظر الديوان .

سبيل إبراهيم باشا

هو تجاه المشهد الحسينى بجوار خان الخليلى . أنشأته الست المصونة حرم المرحوم أحمد

باشا أخى الخديو إسماعيل ، وهو فى غاية الحسن والإتساع وأرضه مفروشة بالرخام وسقفه منقوش بالأصباغ الذهبية وغيرها ، وله أربعة شبابيك من النحاس الأصفر وفوقه مكتب متسع عامر بالأطفال ، وقد وقفت عليه أوقافاً دارة ورتبت فيه معلمين يعلمون الأطفال القرآن والكتابة والفنون التى تدرس فى المدارس الملكية من النحو والرياضة والألسن ، ورتبت للأطفال كسوة فى كل سنة يأخذونها بعد الامتحان السنوى .

سبيل إبراهيم جربجى

هو بشارع الداودية . أنشأه إبراهيم جربجى مستحفظان فى سنة إحدى عشرة وألف ، وأنشأ فوقه مكتب لتعليم أيتام المسلمين القرآن العظيم ، ووقف عليهما أوقافاً دارة يصرف عليهما من ريعها .

سبيل أبى سبحة

هو بحارة السادات الوفائية . أنشأه قاسم بيك أبى سبحة وجعل أرضه من الرخام الملون وكان علوه ربع ، وبجواره اصطبل هدمتها المرحومة والدة الأمير مصطفى باشا أخى إسماعيل باشا وجددت السبيل ووسعته والصرف عليه الآن جار من وقفها .

سبيل أحمد أغا جاهين

هو بالداوودية . أنشأه أحمد أغا جاهين فى سنة خمس بعد الألف ، وأنشأ فوقه مكتباً لتعليم الأطفال القرآن العظيم ، ووقف عليهما أوقافاً كافية ، والآن شعائرهما معطلة لخلل بهما وكانت لهما دار موقوفة عليهما أخذت فى شارع محمد على المستجد .

سبيل إسماعيل أفندى

هو بحارة نور الظلام بقرب الحلمية أنشأه السيد إسماعيل أفندى داخل منزله سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف ، وهو عامر من طرف منشئه وبه بزبوزان من النحاس الأصفر .

سبيل إسماعيل بيك الكبير

هو بالداودية . أنشأه الأمير إسماعيل بيك الكبير فى سنة خمس وتسعين ومائة وألف وأرضه مفروشة بالرخام الملون وشعائره مقامة من ريع وقفه بنظر محمد أفندى لاظ .

سبيل أم حسين بيك

هو بشارع جامع البنات بين قنطرة الموسكى وقنطرة الأمير حسين . أنشأته المرحومة والدة حسين بيك نجل العزيز محمد على فى سنة سبعين ومائتين وألف ، وهو فى غاية الحسن أرضه مفروشة بالرخام وواجهته من الرخام أيضا وبه ثلاث مزملات بشبابيك نحاس أصفر وعلى بابه هذه الأبيات :

لأم حسين شهرة بمحاسن ... من الخير ذكراها تدوم مدى الدهر
لقد أنفقت فيها احتسابا وأخلفت ... فيارب نولها الكثير من البر
على باب خير جاء تاريخه سنا ... بها حسنات أجرها سرمدابرى

/ وهو عامر إلى الآن ويصرف عليه من ريع وقفه بمعرفة ديوان الأوقاف . ٥٩

سبيل أم عباس

هو بشارع الصليبة الطولونية حيث مفارق الطرق . أنشأته المرحومة والدة المرحوم عباس باشا ابن عم إسماعيل باشا فى سنة أربع وثمانين ومائتين وألف ، وهو فى غاية الحسن والاتساع وأرضه مفروشة بالرخام وسقفه منقوش بالأصباغ الذهبية وشبابيكه من النحاس الأصفر ومكتوب بدائره بالذهب آيات قرآنية ، وفوقه مكتب متسع عامر بالأطفال وقد وقفت عليه أوقافاً دارة ، ورتبت فيه معلمين يعلمون الأطفال القراءة والكتابة والفنون التى تدرس فى المدارس الملكية من النحو والرياضة والألسن ، ورتبت للأطفال كسوة سنوية ومكافآت للمعلمين يأخذونها عند الامتحان السنوى .

سبيل الست بنبه

هو فى بركة الفيل أنشأته الست بنبه زوجة المرحوم حسن باشا طاهر سنة أربع وأربعين ومائتين وألف ، وهو عامر إلى الآن ويصرف عليه من ريع وقفه .

سبيل بشير أغا

هو بشارع درب الجماميز تجاه قنطرة سنقر . أنشأه بشير أغا دار السعادة وأنشأ فوقه مكتباً لتعليم أيتام المسلمين القرآن الكريم ، وذلك فى سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف ، وبواجهته شباكان من النحاس وأرضه مفروشة بالرخام وبدائر سقفه إزار من الخشب مكتوب فيه سورة الفتح وتاريخ الإنشاء ، وهذا السبيل مع المكتب شعائرهما مقامة إلى الآن من ريع وقفها .

سبيل التبانة

هو بشارع التبانة أنشىء فى سنة مائة وألف كما فى نقوش على شباكه ، وفوقه مسكن موقوف عليه وهو تبع رواق الأتراك بالأزهر ونظره لراشد أفندى شيخ الرواق .

سبيل جوهر اللالا

هو داخل درب اللبانة من خط المحجر . أنشأه جوهر اللالا وأنشأ فوقه مكتباً لتعليم أيتام المسلمين القرآن الكريم وشرط فى وقفيته المؤرخة بسنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة : أن يرتب عشرة أيتام بالمكتب وأن يصرف لكل يتيم شهرياً خمسون نصفا من الفلوس وللمؤدب مائتان ، وشرط أن يعطى لمن يختم القرآن من الأيتام خمسمائة درهم فضة ، وشرط أموراً أخرى ذكرناها عند الكلام على جامعه ، وهذا السبيل مع المكتب موجودان إلى الآن ويصرف عليهما من طرف الديوان .

سبيل حسن أغا الأزرقطلى

هو بشارع تحت الربع على يسار الذاهب من باب الخرق طالباً باب زويلة . أنشأه حسن

أغا الأزرقطلى وأنشأ فوقه مكتباً لتعليم أيتام المسلمين القرآن المجيد ، وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين وألف وشعائرهما مقامة من ريع وقفهما بنظر بنت الواقف .

سبيل حسن أغا كتخدا

هو بدرب الحصر أنشأه حسن كتخدا عزبان ، وأنشأ فوقه مكتباً فى سنة اثنتى عشرة ومائة وألف ، وبهذا السبيل شباك من النحاس بأعلاه لوح رخام فيه تاريخ الإنشاء ، وبالمكتب عمود رخام وشباكان وشعائره معطلة ونظره لمحمد القنيلى .

سبيل حسن كتخدا عزبان

هو فى حارة نور الظلام بجوار سبيل السيد إسماعيل . أنشأه حسن كتخدا عزبان فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف ، وبأعلاه مسكن موقوف عليه وهو عامر إلى الآن ونظره إلى حسن السمكرى .

سبيل خليل أغا

هو بجوار مشهد الإمام الشافعى . أنشأه خليل أغا باش اغوات والدة الخديو إسماعيل فى سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف ، وجعل بجواره مدفنا وبستاناً نضرا وعدة مساكن وشعائره مقامة من طرفه .

سبيل خليل أغا مستحفظان

هو بشارع المغربلين أنشأه خليل أغا مستحفظان ، وأنشأ فوقه مكتباً لتعليم القرآن العظيم ، وذلك فى سنة ثمانى عشرة بعد الألف وهما عامران إلى الآن ، ويصرف عليهما من ريع وقفهما بمعرفة الديوان .

سبيل الذهبى

هو بشارع البلاقسة من خط باب اللوق . شعائره مقامة بنظر الديوان وبجوار هذا السبيل

سبيل آخر بأعلاه مكتب وبه مزملة رخام مستعملة فى سقى الماء ، وشعائره مقامة بنظر عبد الله أفندى بن مصطفى كاشف وله أوقاف تحت يده .

سبيل رضوان بيك

هو بشارع القربية أنشأه رضوان بيك مع زاوية قصبة رضوان ، وزاوية القربية فى عام ستين بعد الألف ووقف على ذلك أوقافاً دارة تحت نظر الديوان .

سبيل سليمان الجناجى

هو بالجودرية أنشأه الأمير سليمان الجناجى وأنشأ فوقه مكتباً لتعليم الأطفال القرآن الكريم ، وذلك فى سنة أربع وتسعين وتسعمائة ووقف عليهما أوقافاً كافية ، شعائرهما مقامة منها بنظر الشيخ عبد البرّ ابن الشيخ أحمد منة الله المالكى .

سبيل سليمان الغزى

هو بشارع ميدان القطن يعلوه مكتب وعلى بابه لوح رخام منقوش فيه اسم الحاج سليمان الغزى وتاريخ سنة ستين ومائتين وألف وبه مزملة رخام داخل شباك حديد ، وله من الوقف منزل ودكان يملأ كل سنة من ريعها بنظر عبد الرزاق الغزاوى .

سبيل الست شوكار

هو بالقرافة الصغرى حيث مشهد الإمام الشافعى . أنشأته الست شوكار قاضن البيضاء بنت عبد الله / معتوقة المرحوم عثمان كتخدا القازدغلى ، وزوجة المرحوم إبراهيم كتخدا القازدغلى منقوش بأعلاه هذه الأبيات :

بنت بخلوص نيتها سبيلا ... بإخلاص وإحسان جميل
وشوكار المصونة ذات خير ... وخيرات وإنعام جزيل
فقل أرخ لها شربا طهورا ... كأن مزاجها من سلسبيل

٦٠

ومنقوش بالرقم سنة سبعين ومائة وألف وهذا السبيل عامر إلى الآن ويملأ سنويا من ماء النيل على طرف ديوان الأوقاف .

وفى حجة وقفيته المؤرخة بسنة خمس وثمانين ومائة وألف : أن الست شوكار المذكورة وقفت جميع المكان بخط الأزبكية بدرب شيخ الإسلام ابن عبد الحق السنباطى وجميع الجنينة فيما بين بولاق وقصر العينى المعروفة قديماً بغيط البحر ، وجميع الرزقة الكائنة بناحية دبرك بالمنوفية وجميع الرزقة بناحية طمويه بالجيزة وجميع خمسمائة عثمانى وأربع عثامنة مرتب علوفة ، وجميع المكان بخط الكعكيين تجاه حمام الجبيلى وجميع خلو بعض طبقات من وكالة الملح وجميع المكان بخط الكراشين بين الحيضان بالقرب من قنطرة الخرنوبى وجميع المكان بخط الشوّائين داخل عطفة الفاكهانى ، وجميع المكان بالخط المذكور فى العطفة المتوصل منها لباب جامع الفاكهانى الشرقى ولمطبخ السكر وجميع الحانوت تجاه جامع الفاكهانى وجميع ست قراريط من الوكالة داخل عطفة السبع قاعات ، وجميع المرتب وهو مائة وأربعون عثمانياً علوفة وجميع السبع حوانيت بخط قنطرة الموسكى ، وجميع الحانوتين بالدرب الأحمر وجميع الحانوت الكائن بالخط المذكور تجاه جامع الصالح ، وجميع الحصة التى قدرها ثلاثة وعشرون قيراطاً فى الوكالة بخط البندقانيين ، وجميع الحصة التى قدرها نصف قيراط وسدس قيراط فى كامل أراضى ناحية الأرجنوس وتوابعها بالبهنساوية ، وجميع ثلاثة حوانيت بخط باب الزهومة ، وجميع مرتب العلوفة وهو ثلاثة وستون عثمانياً . وشرطت لنفسها نظر وقفها هذا ومن بعدها للأولاد والعتقاء ، وأن يصرف فى ثمن ماء عذب يصب فى السبيل إنشاء الواقفة فى كل سنة أربعة آلاف وتسعمائة وخمسون نصفا فضة وفى ثمن سلب وبخور وغيره مائتان وخمسون نصفا وللمزملاتى سنويا سبعمائة وعشرون نصفا ولغفر السبيل سنويا ثلثمائة وستون نصفا وأجرة ملئه أربعمائة نصف ، وشرطت أيضا أن يصرف فى ثمن ما يصب فى السبيل الكائن بخط الخرنوبى ألف ومائتا نصف وللمزملاتى به ثلثمائة وستون نصفا وأجرة النزح وثمن القلل والبخور مائتان وأربعون نصفا وثمن زيت وقناديل بمقام الشيخ الخرنوبى مائة وثمانون نصفا ، وأن يصرف فى ثمن ماء يصب فى السبيل الحجر الكائن بخط الشوائين يومياً

اثنا عشر نصفا فضة ، وفى ثمن ضحايا ليوم العيد تفرق على الفقراء ثلاثون ريالاً حجرا بطاقة ولسبعة قراء يقرءون من أوّل رجب لليلة عيد الفطر سنوياً أربعون دينارا ذهبا زر محبوب ولناظر الوقف سنويا ثلاثون ديناراً وللناظر الحسبى عشرة وللمباشر مثله والجابى كذلك وأن يصرف فى وجوه الخير على تربتها فى أيام الجمعة والعيدين سنويا عشرة دنانير ذهبا وللتربى عشرة ريالات حجر بطاقة ولسبعة قراء بالحرم المكى عشرة ريالات بطاقة أيضا .

سبيل الشيخ صالح

هو بشارع الشيخ صالح تجاه مسجده . أنشأه حضرة الخديو إسماعيل سنة أربع وسبعين ومائتين وألف ، وهو فى غاية الحسن والاتساع واجهته جميعها بالرخام ، وبها ثلاث مزملات عليها شبابيك من الحديد المذهب منقوش بأعلاها آيات قرآنية وأرضه مفروشة بترابيع الرخام وبداثره من خارج كرنيش من الخشب منقوش بماء الذهب وفوقه مكتب يعرف بمكتب الشيخ صالح ، وهو من المكاتب الأهلية عامر بالأطفال ، ولهم معلمون من طرف الأوقاف يعلمون القرآن والخط بأنواعه والحساب والنحو والألسن ، ولهم مرتب من الديوان وامتحان فى كل سنة والصرف على هذا المكتب من إيراد محلات بجوارة موقوفة عليه من إنشاء الخديو المذكور أيضاً .

سبيل الصيـاد

هو بشارع سوق الزلط من وقف الصيادية شباك حديد وبزبوز ويملأ كل سنة من طرف ورثة الواقف .

سبيل طبطبـاى

هو بشارع الركيبة بين الصليبة ومشهد السيدة سكينة .

أنشأه مصطفى بيك طبطباى ، وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم القرآن العظيم ، وذلك فى سنة ست وأربعين وألف أرضه مفروشة بالرخام وبه شباك نحاس وبوسط المكتب عمود من الرخام ، وهو متخرب ونظره لمحمد أفندى نور الدين بتقرير تاريخه سنة ثمانين ومائتين وألف .

سبيل طبوزاغلى

هو بحارة غيط العدة بجوار سراى المرحوم حسين بيك طبوزاغلى .
أنشأه والده الأمير محمد بيك طبوزاغلى وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم القرآن الكريم ، ووقف عليهما أوقافا كافيه يصرف عليهما من ريعها وهذا السبيل مع المكتب ، شعائرهما مقامة إلى الآن بنظر الأمير/ مختار بيك نجل المرحوم حسين بيك طبوزاغلى .

٦١

سبيل طوسن باشا

هو بشارع العقادين داخل باب زويلة . أنشأه المرحوم طوسن باشا نجل العزيز محمد على باشا ، وهو سبيل كبير مبنى بالرخام وبه شبابيك نحاس بداخلها مزملات رخام يسقى منها الماء غير البزابيز ، وأنشأ فوقه مكتبا جعله لتعليم الأطفال القرآن وقد صار الآن مدرسة لتعليم القرآن والخط والنحو والرياضة والألسن ، وكان رتب له خدمة ومعلمين وله امتحان سنوى مثل المدارس الملكية .

سبيل الست عائشة

هو بالقرافة الصغرى حيث مشهد الإمام الشافعى على شباكه لوح رخام منقوش فيه :
أنشأت هذا الصهريج المبارك الست المصونة عائشة زوجة المرحوم إبراهيم أغا كتخدا ابن المرحوم إبراهيم بيك أبى شنب طاب ثراهما قاصدة بذلك الثواب من الله تعالى ورسوله سنة تسع وأربعين ومائة وألف ، وهذا السبيل شعائره مقامة إلى الآن بمعرفة ديوان الأوقاف .

سبيل عائشة هانم

هو على باب درب الشمسى من شارع اللبودية بخط درب الجماميز .
أنشأته عائشة هانم وأنشأت فوقه مكتبا لتعليم القرآن العظيم ، وذلك فى سنة أربع وخمسين ومائة وألف ووقفت عليهما أوقافا كافية وأرض هذا السبيل مفروشة بالرخام وعلى بابه تاريخ الإنشاء وبالمكتب نحو العشرة أطفال لهم كساوٍ سنوية من ريع وقفه وهو تحت نظر ورثتها .

سبيل العادلى

هو بكوم الشيخ سلامة يقال أنه من وقف العادلى به على الشارع شباك جديد وقد أجره ناظره صالح كراره للسكنى بأجرة بينتوكل شهر يملؤه كل سنة منها ، ويقال أن له ثمانية دكاكين وقفا عليه .

سبيل القاضى عبدالباسط

هو بالعقادين أنشأه القاضى عبدالباسط ثم تخرب فجدده السيد محمد التونسى فى سنة خمس وعشرين ومائة وألف وعليه مكتب . شعائره مقامة من وقفه تحت نظر السيد محمد المذكور .

سبيل الأمير عبدالله

هو بشارع الصليبة شرقى جامع شيخو على شباكه لوح رخام منقوش فيه : أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك من فضل الله تعالى وعظيم جوده الفقير لله تعالى الأمير عبد الله كتخدا عزبان تابع المرحوم مصطفى كتخدا عزبان سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف ، وبأعلاه مكتب به أطفال تنوف على المائة ، وفى حجة وقفيته المؤرخة بسنة تسع وثلاثين ومائة وألف أنه وقف الأماكن الكائنة بخط الصليبة بالقرب من مدرسة شيخو العمرى وأماكن غيرها من ذلك حانوت بخط الأمشاطيين بالقرب من الجامع الأقمر بظاهر سوق الغزل بالدجاجيين وثلاثة حوانيت بعطفة سوق الدجاجيين تجاه وكالة الغزل وأراضى بناحية الفشن ، وأرصد لعشرة أيتام بالمكتب فى كل يوم ثلاثين رغيفا وزن كل رغيف ثلاثة أواق ولمعلمهم ستة وللعريف أربعة وللمزملاتى وهو البواب خمسة ولبواب الحوش ثلاثة فجعله الخبز ثمانية وأربعون رغيفاً ، ويصرف فى السنة عشرة ظهور وفى رمضان مائة ذراع من القماش الأبيض وعشرة شدود وعشر طواق ومائة وخمسون نصفا فضة وللمعلم والعريف ظهران وللمعلم فى السنة اثنا عشر قرشا عبرة القرش منها ثلاثون فضة وللعريف فى السنة ستة قروش ، وفى ثمن ماء يصب فى الصهريج ألف ومائة وأربعون نصفا فضة ، وفى أجرة نزح الصهريج وملئه وتبخيره ستون نصفا ، وفى سلب وأدلية

وغير ذلك مائة نصف وللبواب والمزملاتى فى كل شهر ثلاثون نصفا فضة وللكاتب فى كل سنة خمسمائة نصف ، وللناظر فى كل سنة ستمائة نصف ولخمسة قراء بمنزل الواقف يقرءون فى كل صبح خمسون نصفا فى كل شهر ، وللداعى منهم زيادة عشرة أنصاف ولمولد سنوى فى سبع وعشرين من رمضان ستمائة نصف وثمن حصر بالمكتب ما يراه الناظر ، وشرط أن نصف ما يبقى يكون تحت يد الناظر للضرورة والنصف يفرق على المستحقين انتهى .

سبيل عثمان كتخدا

هو فيما بين سويقة السباعين وحارة عابدين داخل الدرب المعروف بدرب الشيخ نور الدين ابن العظمة .

أنشأه الأمير عثمان كتخدا طائفة مستحفظان وباش اختيار الطائفة وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم أطفال المسلمين القرآن الكريم ، وذلك فى سنة ست وأربعين ومائة وألف وفى حجة وقفيته المؤرخة فى سنة خمسين ومائة وألف : أنه جعل عدد الأطفال عشرة من أيتام المسلمين القصر وأرصد العلوفة التى قدرها أربعة عشر ألف نصف وثمانمائة نصف وخمسة وثلاثون نصفا من ذلك ثمن ماء عذب أربعة آلاف وخمسمائة نصف فضة وثمن سلب وأدلية وسفنج وقلل ثمانمائة نصف وللمزملاتى كل سنة تسعمائة نصف وثمن جراية لكل يتيم شهرياً عشرة أنصاف وأجرة معلم شهريا ستون نصفا وثمن جراية له شهريا عشرون نصفا وللعريف شهريا ثلاثون نصفا وثمن جراية له عشرة أنصاف وثمن حصر وتصليح الستارة سنوياً تسعون نصفا وثمن ظهور منزلاوى لعشرة الأطفال سنويا أربعمائة وخمسون نصفا كل ظهر خمسة وأربعون نصفا وللمعلم واحد وللعريف مثله ، وثمن سبعة مقاطع قماش أبيض كل سنة ثلثمائة نصف وخمسة / عشر نصفا لعشرة الأيتام خمسة وللمعلم والعريف مقطعان وثمن عشر طواقى جوخ أحمر لعشرة الأيتام كل سنة مائة نصف وثمن عشرة شدود قطن أبيض مائة نصف وأجرة نزح السبيل سنويا تسعون نصفا وللناظر سنويا ألف وثمانمائة نصف ولكل يتيم خمسة عشر نصفا توسعة فى رمضان وللمعلم ثلاثون وللعريف عشرون ولخمسة قراء يقرءون فى الربعة بالسبيل شهريا ثمانون نصفا ولمن يكون داعيا زيادة عنهم خمسة أنصاف فى كل شهر ولرجل حنفى واعظ يجلس بجامع الماس سنويا ألف وستمائة نصف انتهى .

٦٢

سبيل على أغا عزبان

هو بحارة بنت المعمار من ثمن الخليفة . أنشأه على أغا عزبان وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم الأطفال القرآن العظيم ، وهذا السبيل أرضه مفروشة بالرخام وبه شباكان من النحاس ، وله ريع من طاحون وفرن بقربه ونظره للست خدوجة من ذرية الواقف .

سبيل على أغا دار السعادة

هو بشارع السيوفية من وقف على أغا دار السعادة . أنشأه وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم الأيتام القرآن الكريم ، وذلك فى سنة ثمان وثمانين وألف وهذا السبيل أرضه مفروشة بالرخام وسقفه خشب منقوش ، وشعائره مقامة من طرف ديوان الأوقاف .

سبيل على باشا

هو غربى مشهد الإمام الشافعى من وقف الأمير على باشا به أربعة قباب من الحجر وعلى بابه لوح رخام منقوش فيه : أنشأ هذا السبيل المبارك الدَّارج إلى رحمة الله تعالى على باشا فى سنة ثلاث عشرة والف .

سبيل على بيك

هو بالقرافة حيث الإمام الشافعى من وقف على بيك الكبير . شعائره مقامة ويملأ سنويا من وقف الحرمين .

سبيل قايتباى

هو بالقرافة منقوش على بابه فى الحجر : أمر بإنشاء هذا السبيل الملك السلطان قايتباى سنة إحدى وتسعمائة من الهجرة النبوية وفوقه مكتب متخرب ، وله سبيل آخر بشارع السيدة زينب كان متخربا ثم جدد ، وجعل مكتبا لتعليم الأطفال مكتوب على بابه فى لوح رخام : أنشأ وجدد هذا المكتب لوقف السلطان قايتباى سعادة ميرميران إبراهيم أدهم ناظر أوقاف

الحرمين سنة ست وستين ومائتين وألف ، وهو يشتمل على مقاعد يتعلم فيها الأطفال القرآن والخط وفنون المدارس الملكية .

سبيل السلطان قلاوون

هو بشارع سوق المؤيد يقال أنه من وقف السلطان قلاوون وقد جدد بعد تخربه فى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف وشعائره مقامة من أوقاف له تحت نظر الديوان .

سبيل محمد أفندى برلى

هو داخل قنطرة الخليج المرخم عليه مكتب من وقف محمد أفندى برلى وبه مزملة من الرخام داخل شباك من النحاس الأصفر ، وفى المكتب أطفال يتعلمون القرآن ويملأ الصهريج كل سنة من ماء النيل من ريع وقفه تحت يد ناظرته الست ظريفة زوجة الواقف .

سبيل محمد أفندى المحاسبجى

هو بشارع الداودية . أنشأه محمد أفندى المحاسبجى ، وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم الأيتام القرآن الكريم وذلك فى سنة تسعمائة وتسعين وأوقافه تحت نظر الديوان .

سبيل محمد جلبى

هو بشارع جامع أزبك اليوسفى قرب الصليبة . أنشأه الأمير محمد جلبى وأرضه مفروشة بالرخام وبه شباكان من النحاس وبأعلاه مكتب عامر ونظره ليوسف أفندى سرور .

سبيل محمد كتخدا

هو بالداوودية خلف جامع الست صفية . أنشأه وجعل فوقه مكتبا الأمير محمد كتخدا كاشف سنة سبع وثمانين وتسعمائة ، وشعائره مقامة من ريع أوقافه بنظر الشيخ أحمد عامر .

سبيل السلطان محمود

هو برأس شارع الحبانية تجاه قنطرة سنقر منقوش على بابه فى لوح رخام هذه الأبيات :

هــذا سـبـيـل قـد بـدا يـا لحسن قـد تـفـردا
أنشـأه بشير أغـا دار السـعـادة والـنـدى
بـرسم سـلـطـان الورى محمود خـان المقـتـدى
لازل من رب السما مـظـفـرا مـؤيـدا
وقـد أتى تـاريخه من ضـمـن بـيـت سـيـدا
هــذا سـبـيـل مـاؤه نـيـل حـلا يـجـلـو الصـدا

وبه ثلاثة شبابيك نحاس بعمد رخام وبين كل شباكين منقوش : أنشأ هذا السبيل المبارك مولانا السلطان محمود عز نصره سنة أربع وستين ومائة وألف ، وبأعلى ذلك إزار خشب منقوش به أبيات ومحل البزابيز لوح رخام منقوش فيه :

ذا سـبـيـل بـدا يلوح بنـاه يا إلهى اغـفـر لمن قـد بنـاه

وأرض هذا السبيل مفروشة بالرخام الملون وبدائره إزار خشب منقوش فيه البردة ، وآخر منقوش بالليقة الذهبية وإزار ثالث به قصيدة مطلعها : الحمد لله أفضل ما يقال . وآخرها : معين ماؤه عذب زلال . وتاريخ سنة أربع وستين ومائة وألف وأبوابه مطعمة بالصدف وبه ثلاث مزملات ومحراب لوح واحد من الرخام الأزرق منقوش عليه : (كلما دخل عليها زكريا المحراب) إلى آخر الآية[١] وبوسط ذلك اللوح شكل سلسلة علقت بها قرّاية منقوش فيها البسملة مرتين / وبجوار السبيل باب المكتب التابع له يكتنفه عمودان من الرخام وبأعلاه أبيات بها تاريخ الإنشاء وهى :

٦٣

(١) سورة آل عمران ٣ : ٣٧ .

انظر لمكتب حلا صفا [وبالذكر] علا
أنشأه حضرة الأغا بشير موصوف الحلا
برسم خاقان الورى محمود السامى العلا
وحين تم مشرقا ضياؤه واكتملا
أنشأت فى تاريخه بيتا يروق النبلا
مكتب بر نافع من جله ساد الملا

وهذا المكتب يعرف الآن بمكتب الحبانية وهو من المكاتب الأهلية به خمس بوائك بأربعة أعمدة رخام ، وشبابيكه عليها شرائح خشب وزجاج ملوّن وبدائره إزار خشب كتبت فيه سورة الفتح بالبوية البيضاء وبه مقاعد للأطفال يتعلمون فيها القرآن والخط بأنواعه والنحو والرياضة والألسن كما يتعلم تلامذة المدارس الملكية ، وللمعلمين مرتبات شهرية من ديوان الأوقاف ولهم امتحان سنوى .

سبيل السلطان مصطفى

هو بخط السيدة زينب به خمسة أعمدة من الرخام وثلاث مزملات وشبابيكه من النحاس الأصفر وأرضه مفروشة بالرخام الترابيع وبابه بالقيشانى وبدائره إزار رخام بمرايات رخام ملوّن وبأعلى ذلك إزار خشب وقيشانى وسقفه خشب نقى بصنعه بلدية منقوش بالليقة الذهبية ومكتوب بدائره بيويه بيضاء هذه الأبيات :

هذا سبيل بديع وضعه عجب فيه لوارده بالرىّ إنتاج
أنشأه مالكا السلطان من شرفت به الممالك واستعلى به التاج
خليفة الله من دانت لهيبته كل البرية أفراد وأزواج
نسل الملوك الأولى صانوا الممالك أن يجول فيها من الكفار أفواج
أدام ذو العرش للإسلام صولته فالخلق كل له والله محتاج

حاز الهنا وعلا غرس لنعمته إذ طىّ خدمته للفوزادباج
وصار كل الورى يدعو لمالكنا بالنصر ما لاح صبح فيه ابلاج
فالله يكلؤه والله ينصره مادام ينقش أوراق وأدراج
لما تبدى كجنات مزخرفة واللاهفون جميعا نحوه عاجوا
أرّخته ضمن بيت لا نظير له كمبشر زانه بشر وافلاج
به تواريخ ست وضعها عجب وحسنها فيه إيضاح وإبهاج
فانظر إليه مع الإنصاف يا أملى واسمعه فهو سراج لاح وهاج
لو جاء صاد يرجى أمن حرقته صفا له واردا والورد ثجاج

وتحته بالرقم سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف . وهناك إزار خشب مكتوب فيه بالبوية هذه الأبيات :

بسر زينب بنت الطيب شافعنا خير البرية من عجم ومن عرب
قد عمنا الخير واستعلت منازلنا ومالنا ما نرجيه من الأرب
فكم لها من كرامات بلا عدد فلذ بها تعط مهما شئت من قرب
وانظر لرونق ذا البنيان قد حسنت أنحاؤه من سناها الباهر العجب
وارفع يمينك وادع الله خالقنا يبقى لنا حضرة السلطان ذى الحسب
بجدها هب له يا ذا العلا أبدا نصرا مبيناً على الاعدا بلا نصب
والحمد لله شكرا حيث وفقه لرى غلة ظمآن من اللهب
فاشرب هنيئاً فقد وافى مؤرخه ماء شفاء به يشفى من الكرب

وعليه من الخارج فوق الشباك هذه الأبيات :

ألا انظر حسن هذا الوضع داعى لمجرى مائه الملك الجليل
هو الخاقان سلطان البرايا يسمى مصطفى الزاكى الأصول
ورد عذبا زلالا سلسبيلا به يشفى العليل من الغليل

وشبهه بفردوس ففيه عذوبة كوثر مزجت بنيل
/ وللصاوى المؤرخ فناه داع عباد الله هذا للسبيل

٦٤

ويعلوه مكتب على بابه رخامة فيها خبر: أنشأه السلطان ابن السلطان مصطفى حسان خلد الله ملكه سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف ، وهذا المكتب يعرف الآن بمكتب السيدة وهو من المكاتب الأهلية مقام الشعائر وبه جملة من الأطفال يتعلمون القرآن والخط والنحو والحساب والألسن ، ولهم معلمون بمرتبات شهرية من طرف ديوان الأوقاف ولهم امتحان سنوى .

سبيل مصطفى أغا

هو بشارع السيوفية من خط الصليبة فى حدرة البقر تجاه تكية المولوية .

أنشأه مصطفى أغا ابن عبدالرحمن أغا دار السعادة وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم أيتام المسلمين القرآن الكريم ، وهو عامر إلى الآن ويصرف عليه من ديوان الأوقاف ، وفى حجة وقفيته المؤرخة بسنة اثنتين وثلاثين وألف أنه وقف جميع المكان المستجد الإنشاء بخط الصليبة الشيخونية بحدرة البقر تجاه تكية المولوية بواجهته سبيل يعلوه مكتب وبأسفله خمسة حوانيت ، وواجهته البحرية بزقاق جلب تجاه سكن المرحوم سنان بيك الدفتدار ، والآن سكن محمد بيك عجم زاده وجميع البناء المستجد الانشاء المجاور للمكان المذكور حده القبلى لما بيد الواقف وهو البيت والجنينة المعروفة بوقف سنان بيك ، وجميع الوكالة بثغر دمياط تجاه جامع البدرى وجميع الوكالة الكائنة بثغر رشيد والحوش الكائن بالثغر المذكور وجميع المكان الكبير بالقاهرة فيما بين قنطرة الموسكى والأمير حسين تجاه جامع الفخرى المعروف بإنشاء المرحوم عباس جاويش حده القبلى إلى الجامع تجاه حمام الفخرى والبحرى إلى الخليج والشرقى إلى ساحة الجامع والغربى إلى أماكن هناك ، وجميع الطين المرصد على السحابة وهو اثنا عشر فداناً بشلقان وستة فدادين بقلقشندة ، واثنا عشر ونصف بكوم السمن وخمسة بناحية مجول وبناحية الصفاية ثلاثة وببلاد الجيزة خمسة وسبعون فداناً يصرف من ذلك سنوياً خمسة آلاف

نصف لملء الصهريج ، وثمن سلب وأدلية وغير ذلك سنوياً خمسة وستون نصفا وللمزملاتى سنوياً سبعمائة وعشرون نصفا ، ويصرف لعشرة أيتام بالمكتب فى كل سنة خمسمائة نصف وللمعلم أربعمائة وثمانون نصفا ، وللعريف مائة وثمانون نصفا وفى كل يوم عشرة أنصاف ثمن رغيفين لكل يتيم وللمعلم فى كل شهر خمسة عشر نصفا ثمن ثلاثة أرغفة فى كل يوم ويصرف للأيتام والمعلم والعريف ثمن كسوة فى رمضان تسعمائة وستون نصفا يعطى لكل واحد كسوته فى يده ، وثمن حصر وسجادة للمكتب سنوياً مائة وعشرون نصفا ، ويصرف فى كل يوم لاثنين وثلاثين قارئا يقرءون بمقصورة الجامع الأزهر اثنان وثلاثون نصفا ولخادم الربعة نصف فضة فى كل يوم وللناظر خمسة عشر نصفا فى كل يوم انتهى .

سبيل الست منور

هو بالجودرية من وقف الست منور . أرضه مفروشة بالرخام الملوّن ، وهو عامر تابع لأوقاف سيدنا الحسين رضى الله عنه .

سبيل نذير أغا

هو بشارع تحت الربع . أنشأ نذير أغا وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم أيتام المسلمين القرآن الكريم ، وذلك فى سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف وأرضه مفروشة بالرخام الملوّن ، وشعائرهما مقامة من ريع وقفها بنظر الحاج محمد الفراش .

سبيل الست نفيسة

هو على رأس عطفة الحمام التى بأول السكرية . أنشأته الست نفيسة حريم المرحوم مراد بيك الكبير فى سنة إحدى عشرة ومائتين وألف ، وهو موجود إلى الآن وأوقافه تحت نظر محمد أفندى سليم .

سبيل الهياتم

هو بحارة الهياتم من خط الحنفى بجوار جامع الهياتم . أنشأه الأمير يوسف جريجى منشىء الجامع فى سنة سبع وسبعين ومائة وألف ، وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم أيتام المسلمين القرآن العظيم ، وهذا السبيل أرضه مفروشة بالرخام الملوّن وعلى بابه لوح رخام عليه بيت شعر يتضمن تاريخ الإنشاء ، وعلى باب من داخل هذا الباب لوح رخام منقوش فيه هذا البيت :

فى ماء هذا السلسبيل سرى الشفا   ومــزاجـه فى الشرب من تسـنيم

ومكتوب بأعلى شباكه :

لله بـالـتـقوى تـأسس مسـجـد   يـروى الـفضـائل بالفضائل يوصف
فـزهـا بـإشراق وزان بمكـتب   بسنى ضيا القـرآن أضحى يعرف
ويـدل يـا مـنشـيـه عنك بأنما   لله أخـلص فـيـه مـنك المصرف
فلك الرضا عـن مسـجد أرخته   وسبيلك الـفردوس بشرى يوسف

وهما عامران إلى اليوم ويصرف عليهما من ريع وقفها .

سبيل اليازجى

هو تجاه بوّابة رحبة السيدة / نفيسة من وقف اليازجى يملأ كل سنة من ماء النيل ، وهو موجود إلى الآن يصرف عليه من ريع وقفه بمعرفة ناظره حسن أفندى . ٦٥

سبيل يعقوب المهتدى

مكتوب على حائط مزملته : من بعض ما أنعم الله على العبد الفقير الحقير المعترف بالتقصير المرتجى عفو ربه القدير عمارة هذا الصهريج المبارك المنير يعقوب المهتدى فى شهر جمادى الأولى سنة ست وثمانين وثمانمائة فى عصر السلطان قايتباى عز نصره انتهى . وهذا السبيل موجود إلى الآن .

سبيل يوسف أغا

هو فى شارع البراذعية من خط الدرب الأحمر على يمنة السالك من باب زويلة طالباً التبانة .

أنشأه المرحوم يوسف أغا قزلار أغا دار السعادة وأنشأ فوقه مكتباً لتعليم أيتام المسلمين القرآن العظيم ، وهما موجودان إلى الآن ويصرف عليهما من ريع وقفهما .

وفى حجة وقفيته المؤرخة بسنة إحدى وتسعين وألف أنه وقف جميع ما هو فى ملكه وهو الوكالة والصهريج والمزملة والمكتب والمساكن والأروقة والحوانيت وبيت القهوة والمقابل لذلك والحوانيت والمساكن علو ذلك بخط الدرب الأحمر بالشارع الأعظم يمنة السالك ويسرته طالباً لسوق البراذعيين والتبانة حدود ذلك الحد القبلى ينتهى للجامع الذى هناك المقابل بابه لباب قهوة البراذعيين ، والحد البحرى ينتهى للزقاق الداخل فى درب اليانسية والشرقى إلى الشارع والغربى إلى الزقاق المتوصل منه لحارة اليانسية . والنصف الثانى المقابل لذلك حده القبلى ينتهى إلى الأماكن والحد البحرى للزقاق السالك فيما بين ذلك وبين جامع القسماسية والشرقى إلى الوكالة والغربى إلى الشارع الأعظم وقف ذلك على نفسه ، ثم على قدر عينه من عتقائه ومن بعده بعد المصاريف التى عينها للخيرات على جميع طائفة الأغوات المستعدين لخدمة الحرم النبوى بالمدينة المشرفة وشرط ملء الصهريج ، وأن يصرف للمزملاتى فى كل شهر تسعون نصفا فضة وثمن كيزان وأدلية وغير ذلك خمسة وأربعون ، وشرط أن يكون بالمكتب عشرة أيتام لكل منهم شهريا أربعة أنصاف بدل الجراية وللمؤدب شهريا أربعون نصفا وللعريف عشرون ولكسوة المؤدب والعريف والأيتام سبعمائة وخمسون نصفا فضة ، وبرسم وقود قنديل داخل المزملة فى رمضان خمسة عشر نصفا ، وشرط أن يصرف فى كل يوم سبعة أنصاف ونصف نصف فضة يعد لها خمسة عشر عثمانياً لمن يكون خطيباً بالحرم النبوى ، وشرط للإمام بالحرم كل يوم خمسة أنصاف فضة يرسل ذلك سنوياً عند توجه الحج ، وشرط أن يصرف لمدرس حنفى يقيم بجامع المؤيد بلوان الحنفى الذى علو زاوية سيدى على أبى النور فى كل يوم خمسة أنصاف فضة تعد لها عشرة عثامنة انتهى .

وهذا السبيل والمكتب موجودان إلى الآن وشعائرهما مقامة من طرف ديوان الأوقاف

سبيل يونس

هو بشارع السيدة زينب على رأس الدرب الجديد تجاه المشهد الزينبي . أنشأه الأمير يونس وجعل فوقه مكتباً لتعليم القرآن الكريم وهما عامران إلى الآن ويصرف عليهما من ريع وقفها .

* * *

ذكر الحمامات

هى جمع حمام كشداد وهو مذكر كما فى القاموس ، وقد يؤنث كما فى كثير من الكتب ويقال له : الديماس أيضاً ـ بفتح الدال وكسرها ـ وجمعه دياميس ودماميس معناه البيت المعد للاغتسال فيه بالماء الحار .

قال المقريزى : قال سيبويه : جمعوه بالألف والتاء وإن كان مذكراً حيث لم يكسر جعلوا ذلك عوضاً من التكسير ، والاستحمام : الاغتسال بالماء الحار . وقيل : هو الاغتسال بأى ماء كان .

وقال محمد بن اسحاق فى كتاب المبتدى : إن أوّل من اتخذ الحمامات والطلاء بالنورة سليمان بن داود عليهما السلام وانه لما دخل ووجد حميمه قال أواه من عذاب الله أواه . وذكر المسبحى فى تاريخه : أن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أوّل من بنى الحمامات بالقاهرة . وذكر الشريف أسعد الجوانى عن القاضى القضاعى : أنه كان فى مصر الفسطاط ألف ومائة وسبعون حماماً . وقال ابن المتوج : إن عدة حمامات مصرفى زمنه بضع وسبعون حماماً . وذكر ابن عبدالظاهر : أن عدة حمامات القاهرة إلى آخر سنة خمس وثمانين وستمائة تقرب من ثمانين حماماً ، وأقل ما كانت الحمامات ببغداد فى أيام الخليفة الناصر أحمد بن المستنصر نحو الألفى حمام انتهى . وقد زال كثير مما ذكره المقريزى وتجدّدت بعده حمامات قليلة ونحن نذكر ما تيسر من ذلك فنقول :

حمام أبى حلوة

هو بشارع القنطرة الجديدة من جهة درب الجنينة بجوار الحارة الموصلة للكنائس ، وهو معد للرجال والنساء وجار فى ملك محمد تكرورى والحاج إبراهيم شعبان التفكشى .

حمام الأفنــدى

هو فى عطفة الأفندى بوسط شارع المحكمة الكبرى بجوار شارع سيدنا الحسين ، وهى التى عناها المقريزى بقوله : حمام القاضى ؛ فقال : هى من جملة خط درب الأسوانى كانت تعرف بإنشاء شهاب الدين بدر الخاص أحد رجال الدولة الفاطمية ، ثم انتقلت إلى ملك القاضى السعيد / أبى المعالى هبة الله بن فارس ، وصارت بعده إلى ملك القاضى كمال الدين أبى حامد محمد ابن قاضى القضاة صدر الدين عبدالملك بن درباس الماردانى فعرفت بحمام القاضى إلى اليوم ، ثم باع ورثة أبى حامد منها حصة للأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، وصارت منها حصة إلى الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى فجعلها وقفاً على مدرسته المجاورة للجامع الأزهر انتهى . ٦٦

وقال صاحب قطف الأزهار من الخطط والآثار : هذه الحمام جملة درب الأسوانى وهى الآن تعرف بحمام الأفندى لمجاورتها لبيته انتهى . قلت : واستمر لها هذا الاسم إلى اليوم .

حمام الألفى

هو داخل حارة الألفى بشارع الصليبة وقف الست الألفية معد للرجال والنساء ويسلك إليه من جهة بركة الفيل ومن الصليبة .

حمام أمين أغا

هو بشارع باب البحر معد للرجال والنساء ويسلك إليه من شارع سوق الزلط ومن باب الشعرية ومن شارع الفجالة .

حمام بابا

هو بحارة البابا من خط حدرة الحناء التى بشارع الصليبة ملك حسن أفندى سامى يدخله الرجال والنساء ، ويسلك إليه من جهة بركة الفيل ومن الصليبة وأرضه محكورة لوقف الست فاطمة بنت السيد عبدالرحمن الصيرفى .

حمام باب الوزير

هو بشارع باب الوزير على يمين الذاهب إلى قلعة الجبل تجاه جامع ايتمش النجاشى من الجهة الغربية .

أنشأه أيتمش النجاشى عند إنشائه للجامع ، وهى عامرة إلى الآن يدخلها الرجال والنساء ، وعليها حكر لوقف أيتمش وجارية فى ملك ورثة حسن مفتاح وصالح بدر الحمامى .

حمام البارودية

هو بشارع باب الخرق بقرب جامع السلطان شاه على يمين الذاهب من باب الخرق طالباً باب اللوق ، وهو متسع جداً يدخله الرجال والنساء وجار فى ملك الأمير محمود باشا البارودى والمعلم محمد صبح الحمامى .

حماما بشتك

هاتان الحمامان بشارع سويقة العزى بالجهة الغربية القبلية لمسجد مير زاده إحداهما للرجال والأخرى للنساء ، ويعرفان أيضاً بحمام مصطفى كتخدا ويسلك إليهما من شارع سويقة العزى وهما فى ملك ورثة محمد كتخدا الدرويش .

حمام البشرى

هو بشارع البيومى على يسار السالك من باب الفتوح طالباً الحسينية معد للرجال والنساء ، وهو من الأوقاف الأهلية والبشرى بكسر الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة وكسر الراء المهملة بعدها ياء آخر الحروف .

حمام البنات

هو بوسط شارع جامع البنات بالقرب من قنطرة الأمير حسين ، وكان يعرف بحمام الكلاب وهو من الحمامات القديمة بناها الأمير فخرالدين عبدالغنى ابن الأمير تاج الدين

عبدالرزاق بن أبى الفرج الاستا دار صاحب جامع الفخرى المعروف اليوم بجامع البنات ، وقد زال الآن ودخلت مساحته فى بيت أم حسين بيك .

حمام البيسرى

هذه الحمام بأوّل شارع سوق السمك وهى من الحمامات القديمة . أنشأها الأمير بيسرى النجمى ، وذكرها المقريزى عند ذكر الدار البيسرية لكن لم يترجمها فى الحمامات .

ترجمة الأمير شمس الدين البيسرى

وبيسرى هذا هو الأمير شمس الدين الصالحى النجمى أحد المماليك البحرية للملك الصالح نجم الدين أيوب ، تنقل فى الخدم حتى صار من أجلّ الأمراء فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى واشتهر بالشجاعة والكرم وعلو الهمة ، وكانت له عدة مماليك راتب كل واحد منهم مائة رطل لحم وفيهم من له عليه فى اليوم ستون عليقة ، وبلغ عليق خيله وخيل مماليكه فى كل يوم ثلاثة آلاف عليقة سوى الجمال ، وكان ينعم بالألف دينار والخمسمائة ولما فرق الملك العادل كتبغا المماليك على الأمراء بعث إليه بستين مملوكاً فأخرج إليهم لكل واحد فرسين وبغلاً . وشكا إليه استاداره كثرة خرجه وحسن له الاقتصاد فى النفقة فحنق عليه وعزله وأقام غيره وقال : لا يرنى وجهه أبدا . ولم يعرف عنه أنه شرب الماء فى كوز واحد مرتين وإنما يشرب كل مرة فى كوز جديد ثم لا يعاود الشرب منه .

وتنكر عليه الملك المنصور قلاوون فسجنه إحدى عشرة سنة ثم لما مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الأشرف خليل أفرج عنه وأكرمه وأمر جميع الأمراء أن يبعثوا إليه ما يقدروا عليه من التحف والسلاح ، ثم إن الأمير منكوتمر أغرى السلطان عليه فأخذ وسجن وأحيط على جميع موجوداته واستمر فى السجن إلى أن مات فى تاسع عشر شوّال سنة ثمان وتسعين وستمائة ، ودفن بتربته خارج باب النصر رحمه الله تعالى .

حمام الشلاث

هو بحارة مكسر الحطب فى آخر شارع السكة الجديدة بالقرب من عطفة الست بيرم التى كان فى محلها المدرسة الصاحبية وهو من الحمامات القديمة التى ذكرها المقريزى وعرفها بحمام الصاحب ؛ فقال : هذه الحمام بسويقة الصاحب عرفت بالصاحب الوزير صفى الدين عبد الله بن شكر الدميرى صاحب المدرسة الصاحبية التى بسويقة الصاحب ثمّ تعطلت مدة سنين ، فلما ولى الأمير تاج الدين الشوبكى ولاية القاهرة فى أيام الملك المؤيد شيخ / جددها وأدار بها الماء فى سنة سبع عشرة وثمانمائة انتهى .

٦٧

وهى إلى الآن عامرة وجارية فى ملك الأمير راتب باشا الكبير ويدخلها كثير من النصارى لقربها من الموسكى .

حمام الجبيلى

هو داخل عطفة الجبيلى بأول شارع الكعكيين على يمين الذاهب من الكعكيين إلى الجامع الأزهر ، وله بابان أحدهما بالكعكيين والآخر بحارة خشقدم ، وهى حمام قديمة سماها المقريزى حمام الجوينى ، فقال : هذه الحمام بجوار حمام ابن الكويك فيما بينها وبين الفندقانييّن عرفت بالأمير عز الدين إبراهيم بن محمد بن الجوينى والى القاهرة فى أيام الملك العادل أبى بكر ابن أيوب . توفى سلخ جمادى الأولى سنة إحدى وستمائة فإنه أنشأها بجوار داره والعامة تقول : حمام الجهينى ـ بهاء ـ وهو خطأ وتنقلت إلى أن اشتراها القاضى أوحد الدين ياسين كاتب السر الشريف فى أيام الملك الظاهر برقوق بطريق الوكالة عن الملك الظاهر ، وجعلها وقفا على مدرسته بخط بين القصرين وهى الآن فى جملة الموقوف عليها انتهى .

وقال صاحب قطف الأزهار : وهى باقية إلى اليوم وتعرف بحمام الجبيلى انتهى . ولم تزل باقية إلى الآن يدخلها الرجال والنساء ، وعليها حكر لوقف السلطان الغورى وأظنها جدّدت فى عهده .

الحمام الجديد

هو بشارع باب البحر معد للرجال والنساء وجار فى ملك ورثة الألايلى .

حمام حارة اليهود

هذا الحمام داخل حارة اليهود المعروفة قديماً بحارة زويلة بوسط درب الطباخ من شارع الدهان بالقرب من مسجد القاضى بركات .

أنشأه الأمير عثمان كتخدا صاحب جامع الكيخيا والحمام الذى هناك ، ثم بعد سنة ثلاثين ومائتين وألف انتقل إلى ملك محفوظ عرفه السمكرى ، وهو برسم النساء فقط وليس به مغاطس سوى الحنفيات وفيه بئر معينة قطرها نحو خمسة أمتار ، ولها نحو خمس عشرة درجة ينزل عليها من يريد الاغتسال بها وكانوا يسمونها بالمطيل ، وللنساء فى هذه البئر اعتقاد كبير ويهرع إليها الكثير منهن للاغتسال فيها خصوصاً نساء اليهود ثم لما حدثت مياه الحنفيات وأدخلوها فى هذا الحمام قل نزول تلك البئر ، وهذه البئر هى بئر زويلة القديمة التى ذكرها المقريزى فى خططه حيث قال عند الكلام على حارة زويلة : فزويلة بنت الحارة المعروفة بها والبئر التى تعرف ببئر زويلة فى المكان الذى يعمل فيه الآن الروايا ، ثم قال عند الكلام على اصطبل الجميزة ما نصه : « وكانت بئره تعرف ببئر زويلة وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول » . قال : وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الأمير يونس الدوادارقيساريته والربع علوها فرأيت بئراً كبيرة جداً وقد عقد على فوهتها عقد ركب عليه بعض القيسارية وترك منها شيئاً ومنها الآن الناس تسق بالدلاء انتهى .

حمام الحلوجى

هذا الحمام بشارع الحلوجى بجوار مسجده بين الجامع الأزهر والمشهد الحسينى وهى حمام قديمة ينزل إليها بدرج مثل الحلزون ومستعمله إلى الآن للرجال والنساء .

حمام الخراطين

هو بشارع باب الشعرية وهو قسمان قسم برسم الرجال وقسم برسم النساء ولكل منهما باب يخصه ، ونصفه تعلق وقف حسن كتخدا الشعرانى والنصف الثانى تعلق وقف الأستاذ الشعرانى ، وهذا الحمام مستعمل إلى الآن ويتوصل إليه من جهة الميدان ومن شارع باب الشعرية .

حمام الخطيرى

هذا الحمام بشارع الخطيرى من خط بولاق وهى حمام قديمة يقال : إن الذى أنشأها هو الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى صاحب الجامع الذى هناك ، وهى حمام كبيرة جداً وماؤها من النيل ويدخلها الرجال والنساء ومنها حصة وقف أهلى والباق ملك .

حمام الخليفة

هذه الحمام بأول حارة السيدة سكينة على يمين الداخل من الحارة إلى جهة القبر الطويل تجاه باب مسجد السيدة سكينة القبلى ، وهى من الحمامات القديمة بنيت فى زمن سيدى محمد الخليفة المدفون بمسجد شجرة الدر ومعروف به الخط ، وهى عامرة إلى اليوم ويدخلها الرجال والنساء وعليها حكر الوقف الست فاطمة شجرة الدر .

حمام الخواجة

هو بشارع الواسطى ببولاق له بابان ويدخله الرجال والنساء ، وهو من الأوقاف الأهلية تعلق ورثة حسين كتخدا .

حمام الدرب الأحمر

هو بشارع الدرب الأحمر بجوار العطفة الموصلة إلى حارة الروم على يسار الذاهب من باب زويلة طالباً باب الوزير ، وهذا الحمام مستعمل إلى الآن ويدخله الرجال والنساء .

حمام الدرب الجديد

هو بوسط شارع الدرب الجديد . أنشأه المرحوم محرم أفندى الكاتب الكبير وجعله برسم الرجال والنساء ، وهو عامر إلى الآن ويتوصل إليه من قناطر السباع وسويقة اللالا وقنطرة عمر شاه .

حمام درب الجماميز

هذه الحمام بشارع درب الجماميز العمومى وقف عائشة الحامية ، وهى مستعملة إلى الآن ويدخلها الرجال والنساء .

حمام درب الحصر

هو بشارع درب الحصر . أنشأه خشقدم الأحمدى وجعله برسم الرجال والنساء ، وهو عامر إلى الآن وجار فى ملك / حسن مفتاح وعليه حكر سنوى لوقف خشقدم الأحمدى .

٦/٨

حمام الدود

هذا الحمام بشارع محمد على عند تقاطع الشارع من جهة الحلمية على يسار الذاهب من السروجية طالبا المنشية ، وهو من الحمامات القديمة التى عرفها المقريزى بحمام الدود فقال : هذه الحمام خارج باب زويلة فى الشارع تجاه زقاق خان حلب بجوار حوض سعد الدين مسعود ابن هنس عرفت بالأمير سيف الدين الدود الجاشنكيرى أحد أمراء الملك المعز أيبك التركمانى وخال ولده الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز أيبك ، فلما وثب الأمير سيف الدين قطز نائب السلطنة بديار مصر على الملك المنصور علىّ بن المعز أيبك واعتقله وجلس على سرير المملكة قبض على الأمير الدود فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة واعتقله .

وهذا الحمام إلى اليوم بيد ذرية الدود من قبل بناته موقوفة عليهم انتهى . وهى عامرة إلى اليوم ويدخلها الرجال والنساء وجارية فى وقف ورثة أصيل وعليها حكر لوقف قايتباى .

حمام الذهبى

هو بشارع البنهاوى بين جامع البنهاوى وجامع المزهرية .

أنشأه شيخ العرب شديد وهو من الحمامات الشهيرة معد للرجال والنساء وفى ملك شيخ العرب شديد ومحمد أبى بكر الحمامى .

حمام الروزنامجة

هذه الحمام بعطفة الروزنامجه وقف إبراهيم كتخدا عزبان ، وهى برسم الرجال فقط مستعملة إلى الآن ويتوصل إليها من جهة بركة الفيل ومن درب الجماميز .

حمام السبع قاعات

هذه الحمام بعطفة السبع قاعات بجوار شارع السكة الجديدة ، وهى من الحمامات القديمة التى عرفها المقريزى بحمام ابن عبود ؛ فقال : هذه الحمام فيما بين اصطبل الجميزة وبين رأس حارة زويلة عرفت بحمام الفلك وهو القاضى فلك الملك العادل ، ثم عرفت بالأمير علىّ ابن أبى الفوارس ثم عرفت بابن عبود .

ترجمة ابن عبود

وهو الشيخ نجم الدين أبو على الحسين بن محمد بن إسماعيل بن عبود القرشى الصوفى . مات فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شوّال سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة بعدما عظم قدره ونفذ فى أرباب الدولة نهيه وأمره .

ولم تزل هذه الحمام جارية على أوقاف ذريته إلى أن تسلط الأمير جمال الدين على أموال أهل مصر فاغتصب ابن أخته الأمير شهاب الدين أحمد المعروف بسيدى أحمد ابن أخت جمال الدين هذه الحمام ، واغتصب دار ابن فضل الله التى تجاه هذه الحمام ، واغتصب داراً أخرى بجوارها وعمر هناك داراً عظيمة انتهى ، وهذه الحمام عامرة إلى الآن يدخلها الرجال والنساء وجارية فى وقف الست بهانة .

حمام السدرة

هذه الحمام بشارع الواسطى ببولاق بالقرب من الجامع المعلق له بابان ، وهو معد للرجال والنساء ونصفه تابع للأوقاف والنصف الثانى وقف أهلى على حرم محمد بيك لاظ أغلى .

حمام السروجية

هو بشارع السروجية بين عطفتى المحكمة والحناء على يمنة السالك من باب زويلة إلى الصليبة ، وهى من الحمامات القديمة التى عرفها المقريزى بحمام قتال السباع ؛ فقال : هذه الحمام خارج باب القوس من ظاهر القاهرة فى الشارع المسلوك فيه من باب زويلة إلى صليبة جامع ابن طولون وموضعها اليوم بجوار جامع قوصون عمرها الأمير جمال الدين اقوش المنصورى المعروف بقتال السباع الموصلى بجانب داره التى هى اليوم جامع قوصون ، فلما أخذ قوصون الدار المذكورة وهدمها وعمر مكانها هذا الجامع أراد أخذ الحمام وكانت وقفاً ؛ فبعث إلى قاضى القضاة شرف الدين الحنبلى الحرانى يلتمس منه حل وقفها فأخرب منها جانبا وأحضر شهود القيمة فكتبوا محضرا يتضمن أن الحمام المذكورة خراب وكان فيهم شاهد امتنع من الكتابة فى المحضر وقال : ما يسعنى من الله أن أدخل بكرة النهار فى هذا الحمام وأطهر فيها ثم أخرج منها وهى عامرة وأشهد بعد ضحوة نهار من ذلك اليوم أنها خراب فشهد غيره ، وأثبت قاضى القضاة الحنبلى المحضر المذكور وحكم ببيعها فاشتراها الأمير قوصون من ورثة قتال السباع وهى اليوم عامرة بعمارة ما حولها اهـ .

(أقول) : أصل بناء هذه الحمام بشكل حمامين واحدة برسم الرجال والأخرى برسم النساء ، وكان لها بابان أحدهما للرجال والآخر للنساء ثم لما دخلت فى وقف أولاد أصيل بعد سنة أربعين ومائتين وألف سد ما بين البابين بحائط وجعلت حمامين ؛ فحمام النساء اليوم هى التى داخل عطفة الحناء وحمام الرجال هى التى بشارع السروجية وهما عامران إلى اليوم ومستوقدهما واحد وجاريان فى وقف أولاد أصيل وملك الست حسن شاه وعليهما حكر لوقف السلطان الأشرف .

حمام سعيد السعداء

هى بوسط شارع الجمالية بجوار جامع سعيد السعداء وهى من الحمامات القديمة ، وكانت تعرف أولا بحمام الصوفية .

قال المقريزى : أنشأ هذه الحمام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لصوفية الخانقاه ، وهى إلى الآن جارية فى أوقافهم لا يدخلها يهودى ولا نصرانى انتهى .

٦٩ وتعرف الآن بحمام الجمالية ، وهى / مستعمله إلى اليوم يدخلها الرجال والنساء .

حمام السكرية

هذه الحمام بوسط شارع السكرية تجاه الباب الكبير للجامع المؤيدى وهى من الحمامات القديمة ، وكانت تعرف أولا بحمام الفاضل لكن لم يترجمها المقريزى فى خططه بل ذكرها عند الكلام على درب البنادين حيث قال : درب البنادين بحارة الروم يعرف بالبنادين من جملة طوائف العساكر فى الدولة الفاطمية وهو ينفذ إلى حمام الفاضل المرسوم بدخول الرجال .

ثم قال فى الكلام على درب دغمش :

هذا الدرب ينفذ إلى الخوخة التى تخرج قبالة حمام الفاضل المرسوم لدخول النساء ا هـ فأخذ من كلامه : أن للفاضل حمامين إحداهما للرجال والأخرى للنساء فالتى للرجال هى حمام السكرية والتى للنساء هى داخل عطفة الحمام التى على يمين الداخل من باب زويلة بلصق السبيل .

وهذه العطفة هى درب دغمش الذى كان به سوق الخلعيين وكان يعرف قديما بسوق الخشابين . والخوخة المذكورة كانت بآخر العطفة من نحو السور ولابد أنها سدت لسبب من الأسباب .

وأما درب البنادين فهو عطفة الذهبى داخل حارة الروم .

ترجمة الفاضل عبدالرحيم

والفاضل هذا هو القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى صاحب القيسارية المعروفة بقيسارية الفاضل التى على يمنة من يدخل من باب زويلة ، وهاتان الحمامان موجودتان إلى اليوم واحدة للرجال فقط وهى حمام السكرية والأخرى للنساء وهى حمام العطفة ومستوقدهما واحد .

حمام السنانية

هذه الحمام بشارع السنانية ببولاق . أنشأها الوزير سنان باشا بعد إنشائه للجامع وبقيت عامرة إلى أن دخلت الفرنساوية فخربت وبقيت متخربة إلى زمن المرحوم عباس باشا فاطلع على الوقفية فوجد النظر لوالى مصر فأمر بإنشائها ــ وذلك فى نظارة المرحوم أدهم باشا ــ على الأوقاف العمومية فجددت كما كانت ، وهى عامرة إلى يومنا هذا يدخلها الرجال والنساء ونظرها للأوقاف .

حمام سنقر

هذا الحمام بشارع قنطرة سنقر على يمين الذاهب من شارع الخلوتى إلى حارة النصارى ، وهو من وقف مرزة يدخله الرجال والنساء وعامر إلى الآن .

حمام السيوفى

هذا الحمام بشارع مرسينة فى خط السيدة زينب ملك أحمد السيوفى الحمامى ، وهو عامر إلى الآن برسم الرجال فقط ويتوصل إليه من قناطر السباع ومن جهة الحوض المرصود ، وعليه حكر لوقف الدشيشة الكبرى .

حمام سوق السلاح

هذا الحمام بشارع سوق السلاح ملك يوسف أصيل ومحمود بيك العطار والشيخ مصطفى مبلغ عرفات ، وهى حمام كبيرة عامرة إلى اليوم يدخلها الرجال والنساء وعليها حكر لوقف مصطفى الغزى .

حمام السويدى

هو بمصر القديمة فى شارع السويدى ملك ورثة المرحوم محمد القلماوى ، وهو عامر إلى الآن يدخله الرجال والنساء ، ويتوصل إليه من شارع باب الوداع وشارع المرحومى وباب البحر ، وعليه حكر لمسجد سيدى عمرو بن العاص رضى الله عنه .

حمام الشرايبى

هذه الحمام بشارع الحمزاوى لها بابان أحدهما بجوار الحمزاوى الكبير بالقرب من كنيسة الأروام ، والثانى من جهة الفحامين بالقرب من ميضأة جامع الغورى وهى حمام قديمة . أنشأها السلطان الغورى بجوار منزل كان يسكنه ابنه ، ثم إن المنزل المذكور أخذه جانم الحمزاوى وعمله الخان المعروف الآن بالحمزاوى الذى عرف الخط باسمه .

وهذه الحمام الآن جارية فى وقف الست بهانة فى نظارة الشيخ حسن جلبى ، وكانت تعرف سابقا بحمام النملى ثم عرفت الآن بحمام الشرايبى ، وهى حمام كبيرة جدا ولها شهرة إلى اليوم ويدخلها الرجال والنساء .

حمام الشعرانى

هذه الحمام بأول حارة الشعرانى من خط باب الشعرية ، وهى حمام قديمة عامرة إلى الآن يدخلها الرجال والنساء وتابعة لوقف الشعرانى

حمام الصنادقية

هذه الحمام بأول شارع الغورية فى عطفة بالصنادقية وهى من الحمامات القديمة ، وسماها المقريزى بحمام الخراطين ؛ فقال : أنشأها الأمير نور الدين أبو الحسن على بن نجا بن راجح بن طلائع فعرفت بحمام ابن طلائع وكان بجوارها ، ثم حمام أخرى تعرف بحمام السوباشى فخربت ومستوقد حمام ابن طلائع هذه إلى الآن من درب ابن طلائع الشارع بسوق الفرانين الآن ولها منه أيضا باب ، وصارت أخيرا فى وقف الأمير علم الدين سنجر السرورى المعروف بالخياط والى القاهرة ، وتوفى فى سنة ثمان وتسعين وستمائة فاغتصبها الأمير جمال الدين يوسف الاستادار فى جملة ما اغتصب من الأوقاف والأملاك وغيرها وجعلها وقفا على مدرسته برحبة باب العيد انتهى ، وهى عامرة إلى اليوم يدخلها الرجال والنساء ، وباب مستوقدها من الزقاق المجاور لخان الهجين بشارع الغورية وأما بابها فمن العطفة التى بالصنادقية .

حمام الصليبة

هذه الحمام عند تقاطع شارع الصليبة تجاه سبيل أم عباس باشا ، وهى من إنشاء الأمير شيخو العمرى عندما أنشأ الخانقاه والمدرسة الشيخونية / ، وهى عامرة إلى اليوم يدخلها الرجال فقط وأنشأ بجوارها حماما أخرى برسم النساء ، وهى باقية أيضا إلى الآن يدخلها النساء فقط وللحمامين مستوقد واحد .

٧٠

حمام الطنبلى

هو بشارع الطنبلى على يمين السالك من الطنبلى إلى باب الشعرية وله بابان أحدهما من الشارع والثانى من درب الاقماعية ، وهو معدّ للرجال والنساء ويسلك إليه من جهة العدوى ومن جهة الجامع الأحمر.

حمام طولون

هو بشارع طولون ملك يوسف العماوى وحسين كريم ، وهو عامر إلى الآن يدخله الرجال والنساء وعليه حكر لوقف جقمق .

حمام العتبة الخضراء

هذه الحمام بأول شارع العتبة الخضراء بجوار جامع أزبك من داخل عطفة الميضأة ، وهى من الحمامات القديمة بناها الأمير أزبك صاحب الجامع المشهور وقد زالت هى والجامع عند تنظيم الأزبكية وكذا العطفة والوكالة التى كانت هناك ، وصار محل ذلك متصلا بمقابر الأموات التى كانت بالجبانة المعروفة بترب الأزبكية وقد أخرجت منها العظام وجمعت بصهريج عمل لها فى أول شارع العشماوى وبنى عليه جامع عرف بجامع العظام .

حمام العدوى

بكسر فسكون هو برأس حارة قصر الشوك له بابان : أحدهما تجاه عطفة الشنوانى ، والثانى من حارة قصر الشوك . أنشأه الشيخ حسن العِدْوى بعد إنشائه للجامع ، وهو عامر إلى الآن يدخله الرجال والنساء .

حمام العطارين

هذا الحمام بأول شارع الرماح من جهة المنشية مشترك بين الأوقاف وأولاد أصيل ، وهو برسم الرجال فقط وعامر إلى اليوم ، ويتوصل إليه من شارع الصليبة ومن جهة المنشية .

حمام الغورية

هذا الحمام داخل عطفة بشارع الكعكيين على يسار الذاهب من الكعكيين إلى الجامع الأزهر ، وهو من الحمامات القديمة بنى أيام السلطان الغورى وكان يعرف بحمام العرائس ثم عرف بحمام الغورية ، وهو عامر إلى الآن يدخله الرجال والنساء وجار فى وقف المرحوم حسن بيك الهجين .

حمام القاضى

هى فى شارع الأنصارى ببولاق لها بابان وعامرة إلى اليوم يدخلها الرجال والنساء وهى من الأوقاف الأهلية .

حمام القربية

هو بشارع القربية على يسار الذاهب من قصبة رضوان طالبا الداودية ، وهو حمام كبير يدخله الرجال والنساء وعامر إلى وقتنا هذا .

حمام القزازية

هو بأول درب الأنصارى بجوار جامع الأمير حسين بنى بعد بناء الجامع ، وهو عامر إلى اليوم ويدخله الرجال والنساء ، وجارٍ فى ملك المعلم محمد صبح الحمامى وعليه حكر لوقف الأمير حسين .

حمام قلاوون

هذا الحمام بشارع النحاسين على يسار الذاهب من النحاسين إلى سوق مرجوش وهو من الحمامات القديمة ، وعرفه المقريزى بحمام الساباط ثم قال : ويعرف فى زماننا بحمام المارستان المنصورى وهذا الحمام هو حمام القصر الصغير الغربى ويعرف أيضا بحمام الصنيمة ؛ فلما زالت دولة الخلفاء الفاطميين من القاهرة باعها القاضى مؤيد الدين أبو المنصور محمد بن المنذر بن محمد العادل الأنصارى الشافعى ـ وكيل بيت المال فى أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ للأمير عز الدين أيبك العزيزى هى وساحات تحاذيها بألف ومائتى دينار فى ذى الحجة سنة تسعين وخمسمائة ، ثم باعها الأمير عز الدين أيبك للشيخ أمين الدين قيماز بن عبد الله الحموى التاجر بألف وستمائة دينار ، ثم لما تملك الملك المنصور قلاوون الألفى وأنشأ المارستان الكبير المنصورى صارت فيما هو موقوف عليه ، وهى الآن فى أوقافه ولها شهرة فى حمامات القاهرة اهـ .

وهذا الحمام مستعملة إلى اليوم يدخلها الرجال والنساء وتعرف أيضا بحمام النحاسين .

حمام الكيخيا

هذا الحمام بشارع عابدين بجوار جامع الكيخيا . أنشأه الأمير عثمان كتخدا بعد إنشائه للجامع المذكور وجعله وقفا عليه ، وهو عامر إلى الآن ويدخله الرجال والنساء وجار تحت نظر ديوان الأوقاف العمومية .

حمام مرزوق

هو فى آخر عطفة مرزوق بوسط شارع سويقة اللالا مطل على الخليج . أنشأه حسين أغا نجاتى وهو عامر إلى الآن ويدخله النساء فقط .

حمام المصبغة

هذه الحمام بحارة لولية داخل شارع الكعكيين ، وهى من الحمامات القديمة التى سماها المقريزى بحمام القفاصين ، فقال : هى بالقرب من رأس حارة الديلم .

أنشأها نجم الدين يوسف بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب انتهى .

وقال صاحب قطف الأزهار : إنها تعرف اليوم بحمام المصبغة انتهى .

قلت : وهى إلى الآن تعرف بحمام المصبغة ويدخلها الرجال والنساء .

حمام مصطفى بيك

هذه الحمام بخط الحنفى بحارة خليل طينة .

أنشأها المرحوم مصطفى بيك برسم الرجال والنساء ، وهى عامرة إلى اليوم بالاشتراك بين الأوقاف وورثة منشئها .

حمام المقاصيص

هى بأول عطفة المقاصيص التى بشارع الخُردجية على يسرة من دخل من العطفة إلى حارة اليهود ، وهى من الحمامات القديمة التى ذكرها المقريزى وسماها بحمام خُشَيبة فقال : هذه / الحمام بجوار درب السلسلة كانت تعرف بحمام قوام الدين خير ثم صارت حماما لدار الوزير المأمون بن البطائحى ؛ فلما قتل الخليفة الآمر بأحكام الله وعملت خُشَيبة تمنع الراكب أن يمر من تجاه المشهد الذى بنى هناك عرفت هذه الحمام بخُشَيبة تصغير خشبة انتهى .

٧١

وهى باقية إلى اليوم وأكثر من يدخلها اليهود .

حمام الملطيلى

هذه الحمام بوسط شارع مرجوش بالقرب من جامع الغمرى وهى من الحمامات القديمة ، وكانت تعرف بحمام سويد وكان بقربها حمام أخرى تعرف بهذا الاسم أيضا .

وذكرهما المقريزى فى خططه حيث قال : حماما سويد هاتان الحمامان بآخر سويقة أمير الجيوش عرفتا بالأمير عز الدين معالى بن سويد وقد خربت إحداهما ويقال أنها غارت فى الأرض وهلك فيها جماعة وبقيت الأخرى ، وهى الآن بيد الخليفة أبى الفضل العباسى ابن محمد المتوكل انتهى .

وفى كتاب قطف الأزهار من الخطط والآثار للعلامة الشيخ أبى السرور البكرى : أن هذه الحمام كانت تعرف بحمام سويد وكانت حمامًا واحدة ثم قال : وهى الآن يعنى فى القرن العاشر داخلة فى أوقاف ذرية الملك المؤيد بن اينال وأنشأ حمامًا أخرى بجانبها للنساء ، والآن يقال لها حمام الغمرى بجوار مقام سيدى أبى العباس الغمرى انتهى ؛ فالحمام القديمة هى حمام الرجال والأخرى حادثة بعدها وهما عامرتان إلى الآن وتعرفان بحمامى الملطيلى ، وكانتا من ضمن الموقوف على مدرسة السلطان اينال التى بصحراء المجاورين ، ثم خرجتا من وقفه بطريق الاستبدال سنة أربع وتسعين ومائة وألف ودخلتا فى وقف إبراهيم جلبى وجدّه الحاج إبراهيم الملطيلى .

حمام المؤيد

هذه الحمام بحارة الاشراقية التى كانت تعرف قديما بالمحمودية ، لها بابان أحدهما بشارع تحت الربع والثانى من حارة الاشراقية ، وهى حمام قديمة .

أنشأها السلطان المؤيد بعد إنشائه للجامع عامرة إلى الآن يدخلها الرجال والنساء .

حمام الناصرية

هى بشارع الناصرية من خط السيدة زينب فى ملك الست خديجة بنت يوسف وشركائها ، وهى معدة للرجال والنساء وعامرة إلى الآن وأرضها محكورة لوقف قايتباى الرماح .

حمام الواجهة

هذه الحمام فى شارع الواجهة ببولاق لها بابان وهى من إنشاء المرحوم عبد الله جلبى عامرة إلى الآن يدخلها الرجال والنساء ونظرها للأوقاف .

* * *

ذكر الكنائس

قال المقريزى : قال الأزهرى : كنيسة اليهود جمعها كنائس وهى معربة أصلها كنشت انتهى . وقد نطقت العرب بذكر الكنيسة قال العباس بن مرداس السلمى :

يدوبرون بى فى ظل كل كنيسة   وما كان قومى يبتنون الكنائسا

وقال ابن قيس الرقيات :

كأنها دمية مصوّرة   فى بيعة من كنائس الروم

انتهى .

كنيسة الأرمن الأصلية

هى بوسط شارع بين السورين .

كنيسة الأرمن الكاتوليك

هى داخل عطفة الأحمر بدرب الجنينة .

كنيسة الأروام

هى بشارع الحمزاوى على يمين المار من الحمزاوى إلى الوراقين وهى كنيسة كبيرة جدا .

كنيسة الأروام

هى داخل حارة الروم من شارع السكرية .

كنيسة الـروم

هى داخل عطفة البطريق بحارة الروم .

كنيسة خميس العدس

هى بجوار مدرسة الفرنساوية بآخر شارع خميس العدس .

كنيسة درب الطباخ

هى بشارع حارة اليهود داخل درب الطباخ .

كنيسة الـديـر

هى داخل عطفة الدير بشارع وكالة الصابون الدير الكبير والدير الصغير هما بجوار بعضهما فى آخر درب المزين بشارع الموسكى .

كنيسة السريانى

هى فى داخل درب قطرى من درب الجنينة .

كنيسة السبع بنـات

هى بآخر حارة الدحديرة الموصلة لشارع كلوت بيك .

كنيسة الشـوام

هى داخل عطفة البحرى بدرب الجنينة .

كنيسة القبـط

هى بحارة زويلة من شارع بين السورين .

كنيسة القبط

هى داخل عطفة من شارع الدرب الواسع الموصل لشارع كلوت بيك .

كنيسة القبط

هى بأول درب المواهى من شارع حارة الحمام بقرب حارة السقائين .

كنيسة الموارنة

هى داخل درب الجنينة .

كنيستان بجوار بعضهما

هما داخل درب الكنيسة بشارع الخرنفش .

كنيستان بجوار بعضهما

هما داخل درب الدهان فى شارع الدهان .

كنيسة

داخل عطفة الفضة بشارع درب المبلط .

كنيسة

داخل شارع الدروة من شارع المبلط .

كنيسة

داخل درب الكتان من شارع المبلط .

كنيسة

داخل درب النصيرى من شارع الدهان .

كنيسة

بوسط شارع السقالبة .

كنيسة

داخل حوش الصوف بشارع الدهان .

كنيسة

داخل عطفة المصريين بشارع السقالبة .

كنيسة اليهود

هى بوسط درب البرابرة من شارع الموسكى .

/ تتمة الكلام على الكنائس والأديرة المصرية

٧٢

وهى الخاصة بالملة المسيحية القبطية الأصلية الارثدوكسية بالحالة التى هى عليها إلى شهر أمشير من سنة ١٥٩٧ للشهداء الموافقة لسنة ١٨٨١ مسيحية وشهر ربيع الثانى من سنة ١٢٩٨ هلالية .

كتب إلينا بهذه النبذة بعض من نعتمده ويرجع إليه فى هذا الشأن من أكابر القسس الشهيرة بمصر :

الكنيسة الكبرى البطريركية الكاتدرائية

أى : كنيسة الكرسى البطريركى وهى المعروفة بالمرقسية ، لأنها مرسومة باسم القديس

مرقس الحوارى المبشر بالإنجيل فى الديار المصرية وما يتبعها من الجهات الافريقية من الدار البطريركية العامرة ، وتعرف بالبطريكخانة وبالقلاية ومعنى القلاية مسكن الرئيس الروحى ، وهى بخط الأزبكية بالدرب الواسع وكان انتهاء عمارة هذه الكنيسة أولاً سنة ألف وخمسمائة وست عشرة للشهداء موافقة لسنة ١٨٠٠ مسيحية فى عهد البطريرك مرقس الثامن ، وهو الثامن بعد المائة من عدد بطاركة الإسكندرية فى أيام رياسة الأمير الشهير جرجس أفندى الجوهرى رئيس الكتبة المصريين ، وذلك أن البطريرك المومى إليه كان ساكنا أولا بالقلاية البطريركية بحارة الروم السفلى فأنشأ قلاية الأزبكية وبجوارها هذه الكنيسة وسكنها ، وسبب إنشاء هذه الكنيسة أن الأمير الشهير المعلم إبراهيم الجوهرى ــ رئيس كتبة القطر المصرى ــ اتفق له أن إحدى الستات المحترمات السلطانية ولعلها أخت السلطان كانت قد قدمت من القسطنطينية إلى مصر قاصدة الحج ، ولكونه متقدما فى الدولة تقدمًا مشهورًا باشر بنفسه أداء الخدمات الواجبة لمثلها فى الذهاب والعودة وقدم لها الهدايا اللائقة لرفيع مقامها فأرادت مكافأته على خدمته التى أبداها مع شهرة صداقته فى خدمة الحكومة واعتبار اسمه بدار السلطنة ؛ فسألت عن مرغوباته فالتمس منها المساعدة فى إصدار فرمان سلطانى بالرخصة فى إنشاء كنيسة بالأزبكية حيث مستقر سكنه والتمس منها أشياء أخرى كرفع الجزية عن الرهبان إلى غير ذلك فقوبل رجاؤه بالإجابة ، ولكنه توفى فى ٢٥ بشنس سنة ١٥١١ الموافق ختام سنة ١٢٠٩ هلالية قبل الشروع فى البناء ؛ فلما تولى أخوه جرجس أفندى منصبه اتحد مع البطريرك وباقى أكابر الأمة وشرعوا فى بنائها بجانب القلاية وانتهت عمارتها سنة ١٥١٦ كما ذكرنا .

ويقال : إن أصل الموقع الذى بنيت فيه الكنيسة كان ملكا للأمير يعقوب والمعلم ملطى اللذين كانا موظفين فى وظائف شهيرة بمصر مدة حكم الفرنسيس وتنازلا عنه للكنيسة ولاتخاذ البطريرك القلاية سكنه بجانبها صارت هذه الكنيسة الأولى من الكنائس المصرية .

ومن خصائصها : أن البطريرك لا يرسم إلا فيها وأول من رسم فيها بطريركيا البطريرك بطرس التاسع بعد المائة المتولى الرياسة سنة ١٥٢٦ للشهداء موافقة سنة ١٨١٠ مسيحية وما دام موجودا بالمحروسة لا يرسم مطارنته وأساقفه إلا بها ولو أراد رسم أى رئيس روحى بأىّ

كنيسة كانت فلا مانع ، ولكن خصوصية هذه الكنيسة مانعة من ذلك لكونها كنيسة الكرسى .

وكانت منذ إنشائها مجاورة للقلاية لها باب مخصوص بها فى عطفة بالدرب الواسع وكانت تنتهى من الجهة الشرقية إلى حوش القطرى بدرب الجنينة بالأزبكية ، وكان آخر من أقيم ناظرا عليها فى عهد البطريرك بطرس السابع وهو التاسع بعد المائة من عدد البطاركة جناب الوجيه يوسف أفندى جرجس مفتاح من معتبرى الأمة وفى مدة نظارته جدد فيها إصلاحات مهمة ، ولم تزل الكنيسة والقلاية على هذه الحالة فى تلك العطفة النافذة إلى أن تولى الرياسة الشهير البطريرك كيرلوس الرابع .

وفى سنة ١٥٦٩ الموافقة ١٨٥٣ شرع فى عمارة مدرسة كبرى تجاه الكنيسة من الجهة البحرية فأخذ المنازل اللازمة لاستيفاء المدرسة والقلاية والكنيسة بعضها استبدالاً بأماكن أخرى والبعض اشتراه بالثمن حتى حاز المنازل التى كانت مجاورة للقلاية والكنيسة والمقابلة لها من مدخل العطفة المذكورة إلى انتهائها ، وفى أثناء عمارة المدرسة سد الطريق الذى كان موصلا لحوش القطرى إذ لم يبق فى العطفة سوى أملاك الوقف ، وتمم عمارة المدرسة وبدّل نظامها الأول وحوّله إلى الوضع الذى هى عليه الآن ، وجلب إليها المعلمين وأباح لأبناء الطائفة القبطية وغيرهم من المسيحيين والمسلمين والاسرائيليين إدخال أبنائهم ليتعلموا فيها ما يريدون من العلوم العربية واللغات المعتبرة والآداب مجانا .

وكان أول افتتاحها سنة ١٥٧١ وقد عين للصرف عليها إيراد جملة من أماكن وقف الدار البطريركية ، ولم تزل للآن تصرف فى شئونها مع باقى المكاتب التى افتتحها بالقاهرة ، وقد نجحت هذه المدرسة منذ أوائلها وشاهد نجاحها مؤسسها وكثير من طلبتها الأول مشرفون / الآن بالرتب والخدم الميرية .

٧٣

هذا وقد صير موقع العطفة المذكورة دائرة واحدة تشتمل على الكنيسة والبطريكخانة والمدرسة ، وجعل على هذه الدائرة بابا شهيرا من الجهة الغربية وهو الباقى للآن بحالته بالدرب

الواسع ، وبعد إتمامه المدرسة وضمه هذه الجهة إليها وجعلها دائرة واحدة سافر إلى الأقطار الحبشية لزيارة ملكها تاودوروس وتفقد أحوال الكنائس الحبشية فإن الحبش جميعا متحدون دينًا ومذهبا مع القبط الارثدوكس وخاضعون لرياسة الكرسى البطريركى الاسكندرى ، وأقام فى تلك السفرة نحو سنتين فاستمرت الكنيسة والقلاية على حالتها الأولى إلى أن عاد من الحبش فشرع فى نقض الكنيسة القديمة .

وفى يوم الخميس التاسع والعشرين من برموده سنة ١٥٧٥ وهو الثانى والعشرون من نيسان سنة ١٥٨٩ مسيحية فى الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم وضع أساس الكنيسة الموجودة الآن فى موقع الأصلية وكان ذلك اليوم يوما شهيراً ولم يزل مجدًا فى البناء حتى توفى وبعد وفاته لم تزل الهمة جارية فى تكميلها من قبل تولية خلفه البطريرك ديمتريوس وبعد توليته حتى تم بناؤها فى عهده .

وقد كان مؤسسها عازمًا على جلب الأعمدة الرخام اللازمة لها من أوروبا مع باقى ما يلزمها من الأدوات التى لا توجد بمصر فلم يتيسر له الحصول على مرغوبه حتى مات فاشترت الأمة ما تيسر وجوده من العمد الرخام اللائقة بها من الاسكندرية ، ونصب من ذلك أربعة عمد مركبة من قطع الرخام مؤلفة بالتحكيم مع قواعدها من أسفل إلى فوق .

وفى وجود البطريرك ديمتريوس شرع فى استيفاء كمال العمارة فأقيم أربعة أعمدة أخرى من الخشب مضاهية للرخام فى الهيئة وعقدت القبة الوسطى من الخشب أيضا على الأعمدة الثمانية كما هى عليه الآن ، وعمل دائرها من الخارج مرتفعا عن الأرض نحو متر وراكزة عليه من ثلاث جهاته العمد الرخام الموجودة الآن ، وهى ستة عشر وعمر فوق الدائر بيت النساء يصعد إليه بسلم مخصوص مقابل للكنيسة من الجهة البحرية ، وهذا البيت مشرف من داخل على الكنيسة من الجهات الثلاث بحواجز من الخشب المخروط وأقيم حجابها المصنوع من خشب الجوز وركبت أبوابها وشبابيكها ولم تكمل فى مدته ، واستمرت على حالتها هذه مدة سنين فى وجوده وبعد وفاته إلى أن تولى الجناب المفخم كيرلوس الخامس وهو الموجود الآن البطريركية

فشرع فى تتميمها فى شهر كيهك سنة ١٥٩٦ الموافقة سنة ١٨٨٠ مسيحية أى فى السنة السادسة من توليته مسند البطريركية ؛ فأحضر لها المصورين والنقاشين وباقى الصناع فأتموا ما كان ناقصاً من النجارة بالطبقة العليا من بيت النساء وغيره ونقشوها من داخل الهياكل الثلاثة من فوق إلى أسفل ، وصوّروا الصور اللازمة فى قبة الهيكل الأكبر والهيكلين الآخرين ، ورقمت الصور على الحجاب ثلاثة صفوف مموّهة جميعها بالذهب ، وكذلك الحجاب موّهت بوارزه بالذهب وركز أمام الحجاب وقاية له دربزين من حديد بثلاثة أبواب مقابلة لأبواب الهياكل ، وصورت قباب الكنيسة خارج الهياكل ونقشت بالألوان الرائقة مموهة جميعها بالذهب وكذلك حيطانها من فوق إلى أسفل ونقش وصور الأنبل (وهو عبارة عن منبر للخطابة وتلاوة الانجيل جهرا) كل ذلك مموه بالذهب ومنقوش بالألوان الجيدة ، ثم رقم على أبواب وشبابيك الكنيسة بعض آيات مقدسة من نص الأنجيل والزبور ، ورصف دائر الكنيسة من الجهات الثلاث البحرى والغربى والقبلى بحجر الرخام ، وكذا نقشت دوائر الكنيسة الخارجة من فوق إلى أسفل .

وبالجملة فقد استوفى نظامها واستكملت زينتها من داخل ومن خارج . أما المحل البطريركى الأصلى فإن البطريرك ديمتريوس لم يجدد فيه شيئا مهما وإن كان قد عمر جانبا مخصوصًا بالجهة الغربية من دائرة البطريكخانة فنقض البطريرك الموجود الآن المحل القديم وعمر فى موقعه دائرة بطريركية جميلة جدًا ، وعمر دائرة للرهبان والخدمة والمسافرين كافية منتظمة فأصبحت الكنيسة محاطة بالنظام من كل جهة ، ففى الجهة البحرية المدرسة وفى الغربية العمارة التى أنشأها وتممها البطريرك السابق والدار البطريركية الجديدة التى عمرها ونظمها البطريرك الموجود الآن وفى القبلية الدائرة الأخرى التى عمرها أيضا .

ويلى هذه الكنيسة الكبرى من الجهة البحرية كنيسة صغيرة بينهما ضريح كيرلوس منشىء المدرسة والكنيسة ، ولما كانت هذه الكنيسة الآن ليس لها ناظر مخصوص بل هى تحت نظر حضرة البطريرك أقام جناب الوجيه الخواجه عوض سعد الله أمين صندوق البطريكخانة قيما على العمارة التى أجرَاها بها تحت ملاحظة حضرته ، فقام بذلك أحسن قيام وبذل فى هذه

الخدمة الخيرية غاية الاهتمام حتى انتهت هذه العمارة بهمة حضرة البطريرك ومساعدة وجوه الأمة / المعتبرين ونجبائها الخيرين وموالاة الخواجه عوض على أحسن ما يرام . ٧٤

وقسوس هذه الكنيسة الرسميون الآن الاغومانس فيلوتاؤس إبراهيم الذى كان منشؤه بمدينة طنتدا ورسم قسيسا عليها سنة ١٥٧٨ الموافقة لسنة ١٨٦٢ وفى أوائل سنة ١٥٩١ انتخب من الأمة بالقاهرة للكنيسة الكبرى المرقسية ونقل إليها وثبت فيها بأمر حضرة البطريرك الحالى فى أوائل توليته المسند البطريركى ، وكان إجراء هذه الأعمال الأخيرة بالكنيسة فى أثناء توظفه بها وشريكه فى قسوسية الكنيسة الاغومانس تادرس مؤنس ويليهما من يلزم من القسوس الرهبان للمساعدة فى الخدمة الدينية (والاغومانس هورئيس القسوس) وهى كلمة يونانية معناها المدير وتستعمل بدلها بين العوام لفظة قمص .

* * *

الكنيسة الأولى بحارة زويلة

قد ذكر المؤتمن أبو المكارم سعد الله بن جرجس فى مجموع له بين فيه كنائس القاهرة والجهات البحرية فى أواخر الجيل الثانى عشر للمسيح : أنه كان بحارة زويلة كنيسة عظمى جدابها من الأبنية المشيدة والأحجبة المطعمة بالعاج والآبنوس والتصاوير والنقوش المذهبة من عمل الصناع والمصورين المصريين الأقباط والعمد المرمر وغير ذلك ما يذهل الناظرين .

وممن له شركة فى تزيين هذه الكنيسة بذاك العهد أمير من الأمة يقال له : جمال الكفاة أبو سعيد . كان من المعروفين فى عهد الخلافة الحافظية ، وكذلك أبو المكارم سعد الله .

وممن كان يتردد للصلاة فيها الرئيس صنيعة الخلافة أبو زكرى يحيى المعروف بالأكرم الذى كان متوليا ديوان التحقيق ، ثم ديوان النظر على جميع الدواوين بالحضرة فى الخلافة المذكورة من سنة ٥٣٠ هلالية إلى آخر ربيع الأول سنة ٥٤٢ .

وكان بأعلى هذه الكنيسة كنيسة برسم الشهيد مرقوريوس أبى السيفين ، وكان موقوفا على الكنيسة الكبرى دور وساحات معتبرة .

وكان فى هذه الحارة كنيسة أخرى غاية فى اللطف وكان من عادة قسوس الكنيسة الكبرى أن يحتفلوا رسميًا ثلاث مرار فى كل سنة :

الأولى : يوم أحد الشعانين وهو الأحد الذى قبل أحد عيد الفصح .

والثانية : ثالث يوم من عيد الفصح .

والثالثة : يوم عيد الصليب وهو اليوم السابع عشر من توت .

وذلك أنهم كانوا بعد إقامة الصلاة الاحتفالية يخرجون من الكنيسة بالملابس الرسمية فى جمهور من الأمة حاملين صحف الانجيل وتتقدمهم المباخر والصلبان وأغصان الزيتون

والشموع الموقدة إلى خارج الدرب الذى هذه الكنيسة داخله ، ويقرءون الإنجيل ويرتلون ويهللون ويدعون للخليفة ووزيره ، ثم يعودون إليها ويكملون نهارهم وينصرفون . استمر ذلك لغاية سنة ٥٦٥ هلالية ، ثم بطل فى دولة الأكراد ثم أعيدت عادة يوم عيد الصليب خاصة فى السنين الأخيرة إذ كان القسوس يخرجون مع الاحتفال إلى خارج حارة زويلة حتى ينتهوا إلى قنطرة الخليج القريبة من الحارة ويتممون الرسوم السابقة أما الآن فلم يكن شىء من ذلك .

وذكر المقريزى : أن من الكنائس التى هدمت بمصر والقاهرة وغيرهما من الجهات فى يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر سنة ٧٢١ هلالية الكنيستين بحارة زويلة أما الموجود بها الآن أعنى سنة ١٥٩١ فكنيستان غير الأوليين :

الأولى وهى الكبرى برسم السيدة العذراء مريم وهى فى موقع الكنيسة الأصلية العظمى المذكورة سابقا ، وهى إن لم يكن بها من الرونق والجمال ماكان قديمًا على ما حكاه أبو المكارم سعد الله لكن ما يوجد بها الآن من الأحجبة المطعمة بالسن المحكمة الصنعة سيما الحجاب المتوسط المركوز على واجهة الهيكل الكبير العجيب الشكل والدقيق الصنعة فى تطعيم السن والزائد فى القدمية وما فيها من بديع الصنعة النجارية القديمة المصرية والجملونات والعمد الرخام المركوزة فى صحنها وفى هيكلها الكبير وشرقيه وغير ذلك من الآثار الجميلة الموجودة بها إلى الآن يدل على مزيد اعتبارها فى الكنائس المصرية القديمة ، وقد أوردها المقريزى فى ذكره كنائس القاهرة التى كانت موجودة فى عهده وأشار إلى اعتبارها لدى المسيحيين ، وذكر أنهم يرون أنها قديمة وتنسب للحكيم زايلون الذى كان قبل الإسلام بنحو مائتين وسبعين سنة .

ومما رقم على دوائر أبواب هياكلها ومقصورتها ولم يزل باقيا إلى الآن يعلم : أن تلك الدوائر والمقصورة أصلحت من نحو مائة وثلاثين سنة ولم تزل هذه الكنيسة فى غاية الاعتبار يتولى نظارتها دائما أكابر الأمّة ، ففى أوائل الجيل الثامن عشر للمسيح كان الناظر عليها الشهير المعّلم يوحنا أبو مصرى ، وفى عهد رياسة الشهير المعلم إبراهيم الجوهرى كانت نظارتها له ثم

لأخيه من بعده ولكل من هؤلاء النظار آثار حسنة تشهد باهتمامهم بها ، ويوجد بها إلى الآن جملة كتب اعتنى بها يوحنا أبو مصرى وإبراهيم الجوهرى وغيرهما من ذلك :

كتاب يشتمل على الفصول المقدسة التى تتلى كل عام فى أسبوع الفصح من التوراة والزبور/ والانجيل باللغتين القبطية والعربية ، وهو فى حسن الخط ودقة الضبط واتقان التصوير غاية وفى نهايته مقالة قبطية وعربية وتركية ، ألفها ناسخ الكتاب ومكلفه وهو القس يوسف تتضمن ذكر الخليفة المتولى السلطنة حين ذاك والوزير المتولى الحكومة وقد آتى فيها بتاريخه نفسه وذكر البطريرك المعاصر له وقسوس الكنيسة وناظرها وباقى خدّامها إلى غير ذلك من التعليقات ، وهذه المقالة محررة على السجع باللغة القبطية ومترجمة باللغتين العربية والتركية كما ذكرنا وتاريخ انتهاء نسخ الكتاب المذكور ٢٨ طوبة سنة ١٣٤٢ للشهداء الموافق سنة ١٦٢٦ مسيحية ، وبها كتب أخرى قديمة نفيسة . وقد امتاز من نظارها المتأخرين عن أقرانه إبراهيم الجوهرى بأن عمرّ من داخل هذه الكنيسة من الجهة البحرية كنيسة صغرى حسنة جدًا أنشأها سنة ألف وأربعمائة وتسعين للشهداء برسم الشهيد أبى السيفين ، ووقف عليها كتبًا مخصوصة وحبس عليها أماكن مخصوصة يصرف إيرادها فى مصالحها ، ولم تزل هذه الكنيسة باقية للآن يشهد ظرفها بهمة منشئها وكانت الكنيسة الكبرى كنيسة الكاتدراى أى كنيسة الكرسى البطريركى بعد كنيسة أبى السيفين بمصر القديمة وسيأتى ذكرها إن شاء الله ، واستمرت كذلك إلى زمن البطريرك متاؤس الرابع المتوفى سنة ١٦٧٥ مسيحية ، ثم نقل الكرسى البطريركى إلى كنيسة حارة الروم على ما يأتى ذكره ومع ذلك فلم تبرح هذه الكنيسة للآن فى غاية الاعتبار ، ولم تزل أكابر الأمة تتردد للصلاة فيها أيام الأعياد والآحاد .

والآن ناظرها جناب المعتبر الوجيه فرج أفندى مليكة سلامة وقسوسها اثنان المعتبر الاغومانس يوسف رزق والمعتبر الاغومانس ميخائيل منقريوس .

ويلى هذه الكنيسة دير للراهبات المتعبدات برسم السيدة مريم قديم الأصل ذكره المقريزى فى الأديرة المصرية ومما استفيد من التعليق أنه منذ مائتين وسبعة وعشرين سنة جدّدت عمارة بهذا الدير فى زمن البطريرك مرقس الحادى بعد المائة من عدد البطاركة .

الكنيسة الثانية بحارة زويلة

هذه الكنيسة عليا يصعد إليها بدرج متسع من المدخل الموصل للكنيسة الكبرى ، وهى باسم الشهيد جاورجيوس لطيفة جدًا محكمة الوضع ، وهى دون الكبرى فى القدم غالبا بالنسبة لأصل منشئها ، وفى الجيل الثانى عشر للمسيح كان يعلو الكنيسة الكبرى كنيسة باسم الشهيد أبى السيفين على ما ذكر أبو المكارم سعد الله ولم يحصل تجديدها فى موقعها عند إعادة بناء الكنيسة الكبرى ، ثم جرى تعميرها باسم جاورجيوس ، وقد قيل إن إدارتها لم تكن مستقلة كما هى الآن ، بل كانت تابعة لإدارة الكبرى فكان قسوس الكبرى وناظرها لهم التكلم عليها ، وفى عهد أن كان الكرسى البطريركى بحارة زويلة كانت الدار البطريركية مجاورة لها من العلو ، ثم خصص بعض القسوس الرهبان بإقامة الصلوات بها ، ثم استقلت إدارتها وأفرزت أوقافها عن الكبرى وتعين لها قسوس وناظر مخصوصون .

وفى سنة ١٤٨٠ الموافقة سنة ١٧٦٤ مسيحية جدّد بعض أحجبتها بنفقة المعلمين اقلوديوس ومينا . وفى السنين الأخيرة جدد حجابها الوسط جناب قسيسها الموجود الآن الاغومانس اقلوديوس قبل ارتسامه بدرجة القسوسية وأصلح جملونها وتمم زينتها واستكمل أدواتها على ما هى عليه الآن .

ويليها من الجهة الغربية دير للراهبات أيضا برسم الشهيد جاورجيوس عامر بالراهبات تحت رياسة الأم الفاضلة المشهورة بالبر والتقوى الرئيسة مريم التى لا تملُّ من مساعدة الأرامل وإعانة اليتامى سيما البنات وتربيتهن وتجهيزهن للزواج ، ولا تزال مهتمة بمواساة المنقطعين والمحتاجين وإكرام الغرباء المترددين إلى منزل ديرها مهما كانوا باذلة غاية إمكانها فى البر والإحسان ، وهى مع هذه المزايا قائمة بفرائض عباداتها وشعائر رهبانيتها .

وممن عرف من الرئيسات القديسات بهذا الدير القديسة أفروسنيه المشهورة لدى أمتها بالقداسة والنسك وفعل البر ، وهذا الدير والكنيسة فى دائرة واحدة والناظر عليهما جناب الوجيه الخواجه إبراهيم مليكه الوهابى ذو الهمة والمروءة ، ولكون الدير المذكور قد اختل بناؤه من مدة أعوام سعت الرئيسة الأم مريم من منذ تسع سنوات فى بنائه وتوسيعه بإدخال بعض أماكن فيه ، ولحصول العوارض المانعة لاتمام مرغوبها وقفت العمارة حتى ازداد الخلل ، وبعناية البطريرك ومساعدة الناظر المتقدم ذكره ومساعى الرئيسة زالت الموانع وتعينت الأماكن اللازم إدخالها ، وبعد صدور تصريحات الحكومة السنية بالبناء حسب الرسم المقصود قام جناب الناظر وباشر بنفسه نقض وعمارة الدير وأدخل فيه ما لزم إدخاله من أماكن الدير تحت ملاحظة حضرة البطريرك ، وفى هذا العام أعنى سنة ١٥٩٧ للشهداء صار الابتداء فى البناء الجديد وانتهى معظم / بناء الدور الأرضى وشرع فى بناء الدور العلوى واستتمام العمارة بمباشرة الناظر المذكور بنفسه ومساعدة البطريرك وأولى البر من المسيحيين . ٧٦

وفى شهر امشير من هذا العام تم بناء الطبقة العليا بكمالها وعمر بأعلاها أيضا جملة أود مخصوصة بالراهبات والهمة جارية فى استتمام العمارة .

كنيسة حارة الروم السفلى

قد شهد دلال البطاركة أن فى عهد البطريرك اخرسطادولو (أعنى عبد المسيح) وهو السادس والستون المتولى البطريركية سنة ٧٦٣ للشهداء جعلت كنيسة أبى السيفين بمصر وكنيسة السيدة بحارة الروم بطريركية أى من الكنائس المخصوصة بشخص البطريرك دون أسقف مصر وقتها ، وقد ذكر ذلك أيضا الشيخ المقريزى فى ذكره البطاركة وذكر أبو المكارم فى كتابه : أنه كان بهذه الحارة إلى وقته عدة كنائس للأقباط منها كنيسة السيدة مريم ، وكانت القداسات قد تعطلت فى عهد الخلافة الحاكمية وكان الأسقف يصلى فى داره بتلك الحارة إلى أن منّ الله بفتح البيع فعمرت هذه البيعة سنة ٧٧٢ للشهداء ، وكان لها رزقة بأرض المطرية بتوقيع المستنصر بالله أمير المؤمنين ، وفى سنة ٨٠٢ جدّد بياضها وتصويرها القس الرشيد أبو زكرى قسيسها ، ثم أن أبا الخير المعروف بسيبويه الكاتب كلف انبلا من الرخام تناهى فى صناعته

منصور المرخم الانطاكى ، وصرف عليه حين ذاك ثلثمائة دينار وكلف أيضا لوحا كبيرا مذهبا مرسوما عليه رسوم الأعياد الكبيرة المسيحية (أعنى عيد مولد السيد المسيح وعماده فى الأردن الخ) ، وكان المصور أبا اليسرى من مليح ونصب هذا اللوح بأعلى حجاب الهيكل ، وكان الحجاب المذكور من الصنعة المعروفة بالمقطع ، وكان جميعه وأبوابه من خشب الساج المطعم بالعاج والآبنوس صنعة اسحاق النجار ونقل إلى هذه الكنيسة أبو غالب بن بغام رخام داره ورخمها به ، وكان مجاورًا لهذه الكنيسة دار محبسة عليها عادمة النفع فأدخلها أبو زكرى ابن أبى البشر الكاتب وأبو المنا ابن عمه فى هذه البيعة وعقدت على الكنيسة مع ما أضيف إليها قبة واحدة ، وكانت النفقة على هذه العمارة من هذين الوجهين ومن غيرهما وتمت عمارتها سنة ٨٧٩ .

وفى سنة ٨٨٩ الموافقة لسنة ١١٧٣ مسيحية اهتم أبو الوفاء القس أخو أبى زكرى المذكور باتمام ترخيم داخلها وصور القبة وغيرها .

وكنيسة الميلاد المجيد كانت بأعلى كنيسة حارة الروم السفلى عمرها عصفور البناء والدهبة الشماس بالزهرى ، وجرى تبييضها سنة ٩٠٣ للشهداء فهذه كانت صفة كنيسة السيدة بحارة الروم فى أواخر الجيل الثانى عشر للمسيح .

كنيسة الشهيد جاورجيوس

كان بهذه الحارة أيضا كنيسة برسم الشهيد جاورجيوس عمرها أبو الفخر ابن أبى المنا الارشيدياقن (أعنى رئيس الشمامسة) فى عهد الخلافة الحافظية ، وجدّدها صنيعة الملك أبو الفرج ابن اخت أبى الفخر المذكور سنة ٨٩٩ .

وكنيسة أيضا برسم القديس تدرس المشرق تولى عمارتها الاغومانس مينا فى عهد الخلافة الآمرية على يد الشهير سعيد أبى المكارم بن بولس .

وكان بهذه الحارة أيضا كنائس صغيرة للملكيين منها : كنيسة مارنقولا ثم نقلت باسم

اندراوس التلميذ بالدرب المعروف بالنادين ، ومنها كنيسة الأربعين شهيدا ، وكنيسة برباره ، وكنيسة مارجرجس .

وكان الملكيون يدفنون موتاهم حذاء هذه الكنائس ؛ فهذا ما كان بحارة الروم من الكنائس العامرة على ما حكاه أبو المكارم سعد الله .

وذكر المقريزى : أن من جملة ما هدم من كنائس القاهرة فى ٩ ربيع الآخر ٧٢١ كنيسة حارة الروم ، وفى ذكره الكنائس الموجودة بوقته قال : إن بحارة الروم كنيسة تعرف بالمغيثة برسم السيدة مريم وإنه كان بها كنيسة برسم برباره وقد هدمت سنة ٧١٨ .

والموجود للقبط الآن كنيستان : الأولى الكبرى وهى التى ذكرها المقريزى برسم السيدة مريم ، وهى من الكنائس المشهورة وكانت أولا كنيسة الكاتدراى أى كنيسة الكرسى البطريركى إلى زمن البطريرك يؤانس ، وهو السابع بعد المائة من عدد البطاركة ولم يزل محل الدار البطريركية موجودا إلى الآن بجوار الكنيسة من الجهة الغربية ، ويعرف ذلك المحل بالقلاية ومن داخله باب نافذ للكنيسة .

ومن نحو مائة سنة تقريبا أصيبت بحريق ثم جدّدت عمارتها ، ومما رقم على باب حجابها الأوسط يعلم أن نجارتها انتهت سنة ١٥١٦ للشهداء ، وآخر من كان ناظرا عليها الشهير نصر الغزاوى وبعد موته تولى نظارتها ولده الشهير مسيحه نصر ، وبعد وفاته لم يقم عليها ناظر مخصوص واكتفى فى ذلك برياسة قسيسها الاغومانس بساده باخوم ، ولما تم نقشها وتصويرها بحسب الامكان فى مدة والده الاغومانس باخوم اجتهد هو كثيرا فى زيادة اصلاح نظامها ، وصار من عهد ما أحيل نظر أوقافها لعهدته مجتهدًا بماله ومساعيه ومباشرته فى إصلاح / أوقافها فقد عمر لها جملة بيوت ومحال نافعة واستوفى زينتها وأدواتها على ما ينبغى ، وهو أعنى الاغومانس بساده باخوم أول من جدد فيها الكراسى الراكزة لجلوس المصلين أوقات الجلوس .

٧٧

وقد علم مما سبق أنه كان بأعلى كنيسة السيدة كنيسة الميلاد قبل هدم الكنائس ، وهذه

الكنيسة وإن لم تكن من قبيل ماكانت عليه الكنائس الأول من النظام والجمال إلا أنها تعدّ الآن من أظرف الكنائس ، والمتواتر : أن ممن له الحظ الأوفر فى عمارتها الأخيرة الشهير المعلم منقريوس البتنونى المتوفى فى عهد المرحوم الكبير خديو مصر محمد على باشا ، والآن ناظرها الوجيه المعتبر باسيلى أفندى ابن تدرس أفندى عريان ، وهو من عهد توليه نظرها مواظب على إيفاء لوازمها وواجبات خدمتها واستكمال أدواتها وزينتها .

وبهذه الحارة أيضا دير للبنات الراهبات برسم الشهيد الأمير تادرس ، وقد ذكره المقريزى فى أديرة الراهبات وقال : إنه عامر بهن وهذا الدير من المواضع الدينية المشهورة لدى المسيحيين وكثير من أجناس المسيحيين وغيرهم يترددون إليه للزيارة واستمداد الشفاء من الله تبركا بالشهيد صاحب الدير لا سيما من هم مرضى بالجنون ونحوه وكثيرا ما يفوزون بالصحة والعافية ، وناظره الآن جناب الوجيه الفطن إبراهيم أفندى رفائيل الطوخى من رؤساء أقلام المالية حالاً .

كنيسة حارة السقائين

لما وجد البطريرك الكبير الشهير كيرلوس منشىء المدرسة القبطية بالأزبكية والكنيسة الكبرى بها ما عليه أبناء الأمة القبطية ساكنو حارة السقائين من الصعوبة لعدم وجود كنيسة بتلك الجهة سعى بجدّه واجتهاده وحرّض وجهاء الأمة على شكاية الحال للمقام الخديوى ، وطلب الرخصة ببناء كنيسة بها فصدر أمر سام من المرحوم محمد سعيد باشا فى ٥ ربيع الأول سنة ١٢٧٢ لمحافظة مصر بإجابة التماس الأمة ببناء كنيسة بحارة السقائين بأحد أماكن وقف الأقباط ، وإذ لم يكن ممكنا وقتئذ خلو موضع كاف لتعمير كنيسة مستوفية اكتفى وقتها بإخلاء إحدى دور الوقف واستعمالها للصلاة إلى حين التمكن من محل كاف ، ولم يزل البحث عنه جاريا حتى وجد .

وفى هذا العام أى سنة ١٥٩٧ الموافقة سنة ١٨٨١ مسيحية شرع حضرة البطريرك مع أكابر الأمة بهذه الحارة فى إدارة البناء فيه وعرض ذلك على نظارة الداخلية والجميع مستعدون للاشتراك فى عمارتها بغاية الجدّ والنشاط ، وكما تسبب مؤسس المدرسة بالأزبكية فى

إنشاء هذه الكنيسة أعنى التى بحارة السقائين كذلك فتح مدرسة بها للصبيان ومكتبا للبنات أيضا كما فتح غيره لهن بالأزبكية ولم يزالا مستمرين للآن وناجحين فى التعليم والتأديب بموالاة وهمة حضرة البطريرك .

فهذه الكنائس الست هى الموجودة الآن للأقباط بداخل القاهرة ، ويستفاد مما ذكره أبو المكارم فى كتابه فى أمر الكنائس : أنه كان للقبط أيضا فى عهده كنائس أخرى غير التى فى حارة زويلة وحارة الروم منها بخط الفهادين خلف دار الوزارة يومئذ كنيسة برسم الملك ميخائيل جدّدها عماد الرؤساء فى عهد البطريرك مرقس بن زرعة فى أواسط الجيل الثانى عشر للمسيح وبأعلاها كنيسة للسيدة ، ويجاورها كنيسة أخرى برسم اكلوريوس ثم كنيسة الأمير تادرس المشرق عمرها النجيب أبو البركات وانتهت عمارتها وزينتها فى برمهات سنة ٨٩٢ للشهداء فى الخلافة العاضدية ، وكان بهذه الكنيسة من صناعة النجارة الدقيقة المحكمة ما يروق الناظر ، وفى سنة ٩٠٢ اهتم الثقة أبو المجد بن الدقلى فى تبييضها وتجديد نقشها وتصويرها على ما ينبغى .

ومنها بالحارة المعروفة بالحسينية (وكانت خارج السور وقتها) كنيسة برسم السيدة ، وكانت من القدم قد وهنت وتشعثت فاهتم بعمارتها أبو المجد بن أبى المعالى الدخميسى على صورة حسنة جدًّا حتى صارت من المساجد المسيحية المقصودة لهم من جهات مختلفة نظرًا لحسن موقعها إلى أن كان جمادى الأولى سنة ٥٦٧ هلالية فتعرض القاضى أبو العلا الحسن ابن عثمان لأبى المجد المذكور وغرّمه غرامات كثيرة ، ولم يبرح منازعًا له حتى عملت مسجدًا للإسلام وأذن فيها ثم هدم ذلك المسجد ونقض بناؤه إلى الأرض .

وكان بهذه الحارة كنيسة جامعة للقبط والأرمن ثم قسمت بيعتين ، وكان بها للأرمن كنيسة مجاورة لكنيسة السيدة خربت سنة ٥٦٤ هلالية ، وكان من الأرمن والسريان بهذه الحارة جماعة عظيمة ، وبخط حارة تعرف بالريحانية كان للقبط أيضا كنيسة برسم السيدة مريم وبأعلاها كنيسة برسم الأمير تادرس المشرقى بجوار حارة الريحانية قبالة الحينية ، ثم نقلت مسجدًا يعرف بوقتها بمسجد زنبور قال : ومن جملة الكنائس التى بدلت أوضاعها ونقلت

مسجدًا أو دارًا كنيسة كانت بالزقاق المعروف بالشيخ أبى الحسن بن أبى شامة بخط دار الوزارة المعروفة الآن بدار الديباج ، وكان قبالتها جوسق كبير نقلت مسجدا وجعل الجوسق دارا للسكن وكنيسة / كانت بالخط المعروف بدار الأوحد بن أمير الجيوش بدر ، ودار شهاب الدولة بدر الخاص جعلت هذه الكنيسة دارًا تعرف بسكن القفول . قال : وقبتها ظاهرة للآن .

٧٨

وكان بحارة برجوان كنيسة توما التلميذ للملكية وبحارة العطوفية كنيستان للفرنج ، وكان بالموقع الذى كان يعرف بالمقس بالقرب من ساحل البحر بيعة الشهيد جاورجيوس للأرمن .

ثم حولت مسجدًا ثم هدمت من البحر .

فهذا ما دلت عليه الآثار من كنائس القاهرة لغاية الجيل الثانى عشر للمسيح .

ومما أورده المقريزى فى الكنائس التى هدمت فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون فى ٩ ربيع الآخر سنة ٧٢١ فضلا عما هدم سابقا فى عهد الملك الصالح والملك الحاكم بأمر الله وغيرهما ، ومما أورده فى سياق ذكر بطاركة القبط يعلم : أن الذى هدم بالقاهرة كنيسة الفهادين وكنيسة حارة الروم وكنيسة البندقانيين وكنيستان بحارة زويلة وكنيسة بخزانة البلور وكنيسة بالخندق .

ولنعد لاستيفاء ذكر كنائس القاهرة مع ظاهرها أيضا فنقول :

ظاهر القاهرة الآن من الجهة البحرية

قال أبو المكارم فى كتابه المذكور: وبالخط المعروف برأس الطابية وسقاية ريدان والبستان الكبير المعروف بإنشاء أمير الجيوش بدر ريدان الصقلبى (وهى الريدانية المذكورة فى كتاب المقريزى) : وكان الخلفاء ينزلونها فى غرة كل سنة وغرة شهر رمضان وتسمى الدورة الكبيرة كان الدير الشهير المعروف بدير الخندق موجودًا ، وكان هذا الدير على ما شاهده المؤلف محيطًا به حصن دائر فيه باب واحد معقود عليه قبة وعليه باب حجر وداخله جملة كنائس :

الأولى الكبرى :

برسم الشهيد جاورجيوس ، وهى الكاثوليكيا . أى : الجامعة . وكان أنبلها (أى منبرها) وكرسى الرياسة من الرخام عُمِّرت هذه الكنيسة فى الخلافة الظافرية ووزارة على بن الاسفهلار (وهو ابن السلار) وذلك منذ سبعمائة وخمسين سنة ، وفى علوها كنيسة عمرها أمين الملك أبوسعيد محبوب بن السعيد أبى المكارم وجدَّد تبييض الكنيسة الكبرى وتبليط أعاليها القس منصور بهذا الدير ، واستوفى تصويرها واحتفل بأول صلاة فيها بعد زخرفتها فى الأحد الثانى من امشير سنة ٩٠١ للشهداء ، وكان قبالتها الجوسق فيه طبقتان وبيت أسفل ، وكان معدًا لسكنى الأساقفة يصعد إليه من داخل الكنيسة ، وكان مطلاً على البرية والجبل الأحمر والبستان الكبير وخندق الموالى القصرية والبستان المعروف بالمختص وغيره .

الثانية :

كنيسة مجاورة للجوسق برسم الشهيد أبالى بن يسطس القائد وجسده فى الكنيسة الأولى فى تابوت خشب قال : ولما أخرج ابن الطويل السريانى وجماعته من الحبينية مقرهم الأول فى الخلافة المستنصرية سمح لهم القبط بالصلاة فيها .

وفى عهد المؤلف جرت توسعتها وتجديد عمارتها واحتفل فيها أول يوم من مسرى سنة ٩٠٧ ، وكان ابن الطويل حاضرًا وكان قبالة الجوسق بئر ماء معين .

الثالثة :

كنيسة السيدة مريم على يمين الداخل . أنشأها أبو الفضل ابن أسقف اتريب متولى ديوان الأفضل فى الخلافة الآمرية وذلك منذ ثمانمائة سنة .

الرابعة :

كنيسة الشهيد مرقوريوس مقابل الجوسق . أنشأها الرئيس أبو العلاء فهد بن إبراهيم فى الخلافة الحاكمية ، وكان ينظر فى أمر المملكة مع قائد القواد الحسين بن جوهر ، وكان الحاكم قد رغبه فى ترك مذهبه بكرامات عظيمة فلم يقبل ترك دينه فضربت رقبته وأمر بإحراق

جسمه ، ولكن حماه الله من الاحتراق وأخذ الجسم ودفن فى الركن القبلى من الكنيسة المذكورة .

وفى سنة ٥٦٢ هلالية جدَّد عمارتها أسقف بسطة وأبو البشر أخو أبى سليمان عامل المطرية ، وفى علوها كنيستان إحداهما برسم أبى بقطر والثانية برسم الشهيد فيلوثاوس

الخامسة :

كنيسة ملاصقة لباب الدير برسم القديس أبى مقار أعطاها القبط للأرمن فى عهد بطركية كيرلوس السابع والستين من عدد البطاركة فى الخلافة المستنصرية ورسمت باسم الشهيد جاورجيوس ، وكان للأرمن أيضا داخل هذا الدير كنيسة لطيفة أنشأها سركيس الأرمنى حامى المناخات فى الخلافة الظافرية قال : والسبب فى عمارة هذا الدير أنه كان فى الموضع المعروف ببئر العظام دير برسم جاورجيوس داخل القاهرة قبل إنشائها ، وكانت القوافل تنزل عند البئر الموجودة هناك قديما وهى بئر العظيمة فى المكان المعروف بالركن المخلق من القصر الكبير الشرقى ، ولما أنشىء ذلك القصر وانتهت العمارة فيه إلى هذا الدير هدم ودخل فى حقوق القصر وعوض المسيحيون الأقباط عنه بدير الخندق والبئر عوّض عنها أخرى فى البرية ، وكان الموالى القصرية ساكنو الخندق حينئذٍ تعرَّضوا لعمارة الدير الجديد ، وأنهى ذلك للإمام المعز فركب بنفسه ومنع المتعرضين ورسم بكمال العمارة ونفذ أمره حالاً وبنى الدير المذكور ، ولا يخفى أن إنشاء القصر المذكور كان فى أواسط الجيل الرابع للهجرة ، وعلى ذلك يكون بناء دير الخندق هذا فى أواخر / الجيل العاشر للمسيح . ٧٩

وقد كان قبالة هذا الدير بئر ساقية وشرقيها بستان لطيف وفيه بئر ساقية أيضا ، وكان منشئه سيف الدولة فى الخلافة الحافظية ولما كشف أرضه للزراعة وجد بها قبر فيه جسم أسقف وصليبه عليه فووري الجسم كما كان ، ومن هذا الأثر استدل على أنه كان هناك دير وكنيسة من القديم .

وأنشأ أيضا سيف الدولة هناك منظرة على باب البستان مقابل الكنيسة فى سنة ٥٧٣

هلالية ، ثم انتقل ملك هذا البستان إلى الست الجليلة ست الدار بنت أخته وهى زوجة مصنف الكتاب ، وكانت مدافن الأقباط منحصرة داخل دائرة الدير ، ولما ضاقت وأنهى ذلك للآمر بأحكام الله ووزيره الأفضل شاهنشاه أنعم عليهم بالساحة المعروفة وقتها بالزيارة ، وهى قبالة الخط المعروف برأس الطابية وعمل منها بستان بهمة أبى الفضل ابن الأسقف متولى ديوان المجلس الأفضلى ، وكان هناك بئر ساقية دائرة لسقى البساتين ويجاورها مغطس بقبة معقودة عليه كان يجرى الماء إليه ليلة عيد الغطاس فهذا حال دير الخندق على ما حكاه أبو المكارم .

وقال المقريزى فى ذكر الأديرة ما ملخصه : دير الخندق ظاهر القاهرة من بحريها عمرّه القائد جوهر عوضا عن دير هدمه بالقاهرة كان بالقرب من الجامع الأقمر حيث بئر العظيمة ، ثم هدم دير الخندق فى ١٤ شوال سنة ٦٧٨ فى أيام المنصور قلاوون ثم جدَّد هذا الدير الذى هناك بعد ذلك وعمل كنيستين يأتى ذكرهما فى الكنائس اهـ .

والموجود الآن بجهة الخندق كنيستان فى ديرين :

* * *

الكنيسة الأولى بالخندق

هى بدير القديس فريج المعروف الآن بدير أبى رويس ، وهو دير الخندق الذى ذكره المقريزى وكان أبو رويسٌ هذا عابدًا زاهدًا معتبرًا لدى قومه توفى سنة ١١٢١ للشهداء الموافقة سنة ١٤٠٥ مسيحية ودفن بالدير المذكور ، وفهم من سيرته أنه كان فى عهده بهذه الجهة خمس كنائس :

الأولى برسم السيدة مريم ، والثانية برسم الشهيد جاورجيوس ، والثالثة برسم الأمير تادرس ، والرابعة برسم أبى السيفين ، والخامسة برسم الشهيد أبالى .

ومن ذا يعلم أنه لما هدم الدير الأصلى بكنائسه المذكورة آنفا سنة ٦٧٨ ثم جدد بعد ذلك على ما حكاه المقريزى عمرت هذه الكنائس الخمس عوضا عما كان فى عهد أبى المكارم سعد الله .

وقد علمت مما ذكره المقريزى : أن من جملة ما هدم فى ٩ ربيع الآخر سنة ٧٢١ من الكنائس كنيسة بالخندق فالهدم والعمارة تكرر وقوعها بهذا الدير ، والذى فيه الآن كنيسة واحدة كبرى برسم السيدة مريم ظريفة الوضع ، ويليها من الجهة الغربية كنيسة صغيرة برسم القديس أبى رويس وبها ضريحه إلى الآن ، وقد دفن بهذا الدير جملة من أجساد البطاركة المتوفين بالمحروسة ، وفى داخل دائرة الدير أضرحة مشهورة بأربابها منها : ضريح الشهير دميان بك بن جاد أفندى شيحة المتوفى فى عهد الخديوى الشهير اسماعيل باشا حفيد المرحوم الخديوى الكبير محمد على باشا وذلك فى سنة ١٥٩٤ ، وأصل عائلته من زفتى وتدرج والده فى الخدم الميرية فى عهد المرحوم الخديوى الكبير ، وحاز التقدم فى الرتب والشهرة وعمر طويلا وتوفى سنة ١٥٧٧ للشهداء ، وكان من مباديه متقدمًا فى الوظائف المعتبرة الميرية وآخر خداماته كان موظفا برياسة كتبة عموم المالية المصرية وحائزا رتبة متمايز فى عهد الخديوية المشار إليها ، ومع

تقدمه وقبوله التام لدى الخديوى ووزرائه وأمراء الحكومة كان على غاية من التواضع محبًا للجميع مسعفا لقاصديه من أى جنس كانوا محسنا محافظًا على أصول مذهبه محبًا فى الناس ، ويوم وفاته حزن عليه جمهور الأقباط الارثدوكسيين وكثير من المسيحيين ، وتأسف عليه الخديوى وكثير من وزرائه وأمراء الحكومة وأهل مصر وتعطل ديوان المالية وكثير من الدواوين يوم دفنه ، وكان مشهد جنازته مهيبا مؤثرا جدا تتقدمه جملة من العساكر الميرية المنتظمة بهيئة الحزن ويتلوهم محفل جسيم جدا منتظم من البطريرك ومطران الأرمن وكافة قسوس الملة وقسوس الأرمن وأعيان القبط وغيرهم ، ولفيف من المسيحيين من كل جنس وبعض معتبرى الحكومة وصلى عليه بالكنيسة الكبرى بالأزبكية ، وتليت فى الحال خطبة مرثية لوفاته وبعد دفنه بمقبرة عائلته بالدير اجتهد أخوه الوجيه النجيب ميخائيل أفندى جاد وعمر له ضريحا جديدا فى آخر الدير من الجانب الغربى القبلى يتوصل إليه من داخل الدير ، وتتقدمه من بحريه قطعة مزروعة من الزهور والأشجار يمر بها الداخل ثم تنتهى للباب ، وعلى يمين الداخل محل منتظم لاستراحة المترددين من العائلة وفسقيتان كبيرتان لكل فسقية باب من الحجر ظاهر فى واجهتها الفسقية التى على اليمين منهما معدة لدفن المتوفين من العائلة ، والفسقية التى تقابل الداخل أعدت لدفن جسم البيك المذكور وجسم والده وبأعلى بابها لوح من الرخام مرقوم عليه / بالخط العربى الذهبى اسمه واسم والده وتاريخ وفاتهما ، ويعلو ذلك طبقة أخرى يصعد إليها بدرج من أعلى الدير تشتمل على محل منتظم للجلوس والنوم لايزال أخوه يتردد إليها فى أوقات معلومة للصلاة على أرواح المتوفين وهناك يزوره المحبون .

٨٠

ولما انتهت عمارة هذا المحل نقل إليه جسم البيك بتابوته فى يوم حافل بعد ما أقيمت الصلاة والقداس بحضور حضرة البطريرك وجمهور من الاكليروس والمسيحيين ، ووضع بالأدعية والترتيلات فى الفسقية المعدّة له ، وكان قد نقل إليها تابوت والده ولما توفى أخوه الكبير واصف أفندى دفن جسمه أيضا بها .

ومن الأضرحة الشهيرة بأربابها أيضا داخل دائرة هذا الدير ضريح الشهير تادرس أفندى عريان أصل عائلته من ناحية أم خنان بمديرية الجيزة ، وانتقل أجداده منها إلى القاهرة

وتوطنوا بها وكان جدّه ووالده من معتبرى الأمة ، وكان من مبدأ أمره متدرّجا فى الخدم المعتبرة الميرية لنجابته وحاز الرياسة فى عهد المرحوم الخديوى الكبير ، ونال من قبله الرتبة الثالثة حيث كانت الرتب عزيزًا منالها وتولى رياسة ديوان المالية فى عهد الخديوى سعيد باشا ، وكان مرعى الجانب وافرًا لحرمة لدى وزراء الحكم وأمراء مصر حال الخدّامة وبعدها ، واشتهر بين قومه بفعل الخير والإحسان شهرة بليغة فكم من كنائس قليلة الإيراد وبيوت مستورة وأشخاص منقطعة كان مرتبا لها عليه مرتبات شهرية أو سنوية كما دلت على ذلك دفاتره التى ماكان يطلع عليها أحدا حال وجوده .

أما عنايته البليغة بأمر فقراء الأمة القبطية فكانت أكبر قسم من أعماله ، ولما رتب حضرة البطريرك كيرلوس منشىء المدرسة على كثير من أبناء الأمة شهرية تتحصل وتصرف على الفقراء والمحتاجين كان المترجم أول مجتهد فى هذه المبرة ، ومن دأبه أنه كان إذا وجد فتورًا فى التحصيل والصرف يحرض الرؤساء والوجوه على ذلك ويتقدّمهم فى الاشتراك والمساعدة وكثيرًا ماكان يتعطل التحصيل والصرف فيلتزم تارة بالإسعاف والصرف من جهته خاصة وتارة يلزم من يمكنهم المساعدة فى ذلك خارجا عن المرتب ، ولرغبته فى أن تكون حسناته مستمرة بعد وفاته أيضا وقف حصة خيرية من أملاكه جميعها ما بين أطيان زراعية ومنازل عقارية يصرف جزء من ريعها على الفقراء وجزء على خدمة الكنائس وجزء لإحياء الصلوات والقداسات على روحه كل سنة ، وباقى أملاكه وقفها وقفًا أهليا على ورثته وأقام وصيًّا على ذلك بعده حضرة نجله الأكبر الوجيه الشهير عريان بك تادرس ، وأخرج بذلك حجة شرعية وحرر وصيته بنفسه ثم توفى فى برمهات سنة ١٥٨٨ للشهداء ، وكان مشهد جنازته ودفنه حافلا معتبرا جدًا وبعد وفاته أنفذ نجله المذكور وشقيقه المحترم الوجيه باسيلى أفندى مضمون وصيته على التمام ولم يكتفيا بحفظ الحجج الدالة على ذلك وإنفاذ مضمونها بل حرّرت حرفيا وضمت فى مجموع واحد وطبع من هذا المجموع عدة نسخ بمطبعة الأقباط الأهلية ، ووزعت على الورثة وحفظت نسخة منها بالبطريكخانة العامرة ، ولقد اقتدى به فيما عمله من الوقف والوصية بعض أكابر الأمة كالشهير دميان بك وغيره ، ولم تزل أنجاله المحترمون مواظبين على

إنفاذ مضمون وصيته وكل عام يجتمعون مع جمهور من الأمة والرؤساء والروحيين فى دير القديس أبى رويس لإقامة الصلاة الاحتفالية والتقديس على روح والدهم وزيارة قبره ، ويفرقون هناك الصدقات الوافرة على اكليروس الدير وخدمته والفقراء ، ويصنعون وليمة معتبرة عمومية يحضرها كافة المصلين والزائرين والمقيمين فى الدير ، ولهم محل معدّ يعلو الضريح يستقبلون فيه المصلين والزائرين وغيرهم فضلاً عما يصنعونه من هذا القبيل بأيام أخرى كل سنة على روح والدتهم وغيرها من المتوفين من العائلة ، ومع مواظبة حضرة البيك نجله على القيام بتوزيع ريع حصة الوقف على جهاتها سنويا جارى والده أيضا فى العناية بأمر فقراء الأمة من جهة تحصيل وصرف مرتباتهم .

ويوجد غير ذلك من الأضرحة داخل الدير قديمة وحديثة ومن الحديثة أيضا ضريح الشهير فى الرهبان والاكليروس الاغومانس بطرس بن جرجس مفتاح شقيق يوسف أفندى جرجس مفتاح المتوفى فى توت سنة ١٥٩١ للشهداء ، وكان عابدا محبًا للعلم مجدًا فى إحياء المدارس محسنا للغاية توفى بدير الملاك البحرى ، ونقل جسمه بجنازة شهيرة حضرها جميع أكابر الأمة والرؤساء الروحيين وصلى عليه بدير أبى رويس وتليت إذ ذاك خطبة مرثية لوفاته ، ودفن فى مقبرة القسوس داخل الدير والناظر الآن على هذا الدير المعلم الشهير ميخائيل بن جرجس الزيات صاحب الهمة الزائدة فى نظام الكنيسة وعمارة الدير وتحسين حالة أوقافه وتدبير خدمته على أحسن ما يكون ، ومن عادته أنه كان يهتم فى كل عام فى يوم الحادى والعشرين من بابه القبطى باحتفال عيد القديس أبى رويس ويدعو / البطريرك وأكابر الاكليروس وجمهورًا كبيرًا من الشعب ، وبعد القداس يصنع وليمة معتبرة للجميع فقراء وأغنياء يخدم فيها بشخصه مع أنجاله .

٨١ب

الكنيسة الثانية بالخندق

هى بدير الملاك ميخائيل وهى باسمه وهذا الدير يعرف الآن بدير الملاك البحرى ، وهو بحرى دير أبى رويس يفصل بينهما جسر السكة الحديد الموصل للعباسية ، وهو فى موقع حسن للغاية تحيط به الرياض والحقول من الجهات الأربع ، وهى كنيسة جليلة قديمة المنشأ .

ومما يوجد من الكتب القديمة الموقوفة عليها كتاب محرر سنة ١٠٠٨ للشهداء أعنى من نحو ٥٩٠ سنة .

ونظارة هذا الدير من مدة لعائلة دميان بك وهى الآن مخصوصة بحضرة الوجيه ميخائيل أفندى جاد ، وقد جدَّد نظام هذه الكنيسة وزاد فى رونقها وجمالها الأفندى الناظر المذكور منذ أربع سنوات وعمر بالدير عمارة حسنة للغاية يتردد إليها من يريد من أكابر الأمة فى أوقات معلومة .

وكان من عادة البطريرك الكبير بطرس أن يتردد كل يوم خميس إلى هذا الدير ويستمر فى قصر بناه مخصوصا فى حديقة الدير كان أولا صغيرا بوسط الحديقة ثم نقل إلى آخرها بالجهة الشرقية البحرية ، وبعد وفاته لم يزل خلفاؤه يترددون هناك .

وقد نقض هذا القصر جناب البطريرك الموجود الآن وبناه وجعله فى غاية الظرف ، من جهة الموقع فإنه يشرف من الجهة البحرية على الحقول الممتدة لجهة القبة ومن الجهة الشرقية على الحدائق والحقول الممتدة لجهة العباسية ومن الجهتين القبلية والغربية على حديقة الدير ؛ ولحسن موقع هذا الدير يهرع إليه المسيحيون من كل جنس للزيارة والتروح فى أماكنه المشرفة على الرياض والحقول الرائقة ، وله مواسم حافلة كل سنة منها عيد الصليب فى السابع عشر من توت وعيد الملاك ميخائيل فى الثانى عشر من بؤنه ، وهناك يجتمع كثير من الأمة من القاهرة والجهات القريبة للزيارة والصلاة والنزهة ويسمى هذا الدير دير الفرح ، ويرجد قريبا

من هذا الدير بالجانب البحرى الشرق آثار كنيسة الملك غبرئيل ، وهى المذكورة فى كتاب المقريزى دثرت من مدة مديدة ولم يبق من آثارها إلى الآن إلا بعض بناء صهريجها . ومما دلت عليه الكتب الموقوفة عليها الباقية إلى الآن أنها معاصرة لكنيسة ميخائيل المذكورة آنفا هذا إذا لم تكن أقدم منها .

ظاهر القاهرة من الجهة القبلية
دير مارمينا العجائبى

قبلى القاهرة بطريق مصر العتيقة قديم العهد .

وقد ذكره المقريزى فى الكنائس وقال : إن موقعه قريب من السد بين الكيمان بطريق مصر داخله كنيسة معتبرة برسم مارمينا ، ويوجد فى دائرتها هيكل مخصوص بطائفة السريان الأصليين الأرثدوكس وخارجا عنها مدافن المسيحيين الأقباط وكثير من أكابرهم مدفون بها ويحيط بالمدافن سور ويليها بستان عظيم ملك الدير ، وكان هذا الدير تحت نظارة المعلم الشهير إبراهيم الجوهرى ، وله فيه وفى كنيسته أتعاب فى العمارة والاصلاح كما له فى غيره ، وفى المدة الأخيرة كانت نظارته للشهير من معتبرى المحروسة المعلم تادرس جرجس جلبى ذى الهمم والمآثر الحميدة والمساعدات الجزيلة لكثير من كنائس الأمة وأديرتها سيما الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية التى حين شرع البطريرك كيرلوس فى عمارتها كان له الحظ الأوفر من المساعدة فيها .

ولما توفى البطريرك المذكور أقيم وكيلا على عموم إدارة البطريكخانة ، وكان مع سعة اقتداره ونفوذ كلمته لين الجانب متواضع النفس جدًّا محسنا محبوبا للجميع توفى سنة ١٥٧٧ للشهداء ودفن فى ضريحه الكائن بهذا الدير من الجهة الغربية البحرية يحيط به سور مخصوص ويعلوه منزل منتظم يجتمع فيه أولاده المحترمون وعائلاتهم فى أيام مخصوصة ، وقسيس هذه الكنيسة الاغومانس النجيب تادرس ابن الاغومانس مينا ، وقد اجتهد ونظم بعض أبنية مهمة فى منازل الكنيسة وخارجا عنها حتى صار الدير والكنيسة فى رونق بهيج ، وبجوار هذه الكنيسة من الجهة البحرية فى دائرة الدير كنيسة للأرمن الأصليين وحولها مدافنهم وعليها سور مخصوص .

تتمة فى تاريخ بطاركة الاسكندرية مختصرا

وهم بطاركة الأقباط الأصليين الأرثدوكسيين تكميلاً لما أورده المقريزى بتاريخه : ولما كان آخر من ذكره منهم عند التكلم على دخول الأقباط فى الدين المسيحى هو البطريرك أثناسيوس ابن القس أبى المكارم بن كليل الذى تقلد البطريركية فى عهد الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى واستمر فى الرئاسة إحدى عشرة سنة ونحو شهرين ، وتوفى فى أول كيهك سنة ٩٧٨ للشهداء الموافقة سنة ١٢٦٢ مسيحية ، وكان البطريرك المذكور السادس والسبعين فى عدد البطاركة الذين تولوا الكرسى البطريركى الاسكندرى شرعنا نذكر من تولوا بعده بالتتابع لتتمة التاريخ فقلنا :

السابع والسبعون : غبرئيل الثالث .

٨٢ والثامن والسبعون : يوأنس / السابع .

لما توفى اثناسيوس انتخب جماعة من أكابر الملة بمصر القديمة يوأنس أى يوحنا بن أبى سعيد السكرى وجماعة أخرى من القاهرة غبرئيل بن تريك ، ثم تقارع الفريقان على أيهما يولى فجاءت القرعة باسم غبرئيل ، ومع ذلك نهضت فرقة يوحنا ونازعت الأخرى إلى أن تغلبت عليها وأخر أمر غبرئيل وقدم يوحنا فى ٢٢ طوبه سنة ٩٧٨ للشهداء الموافقة سنة ١٢٦٢ مسيحية فى أيام الملك الظاهر بيبرس ، واستمر متصرفا فى البطريركية ست سنوات وتسعة شهور ، ثم أخر وقدم غبرئيل وأقام فى الرئاسة سنتين وشهرين ، ثم أخر وأعيد الأول وبقى غبرئيل منعزلاً عن البطريركية إلى أن توفى ، واستمر الآخر فى البطريركية إلى أن توفى فى ٢٦ برموده سنة ١٠٠٩ للشهداء الموافقة سنة ١٢٩٣ مسيحية ؛ فجملة الاثنين ٣١ سنة ونحو ثلاثة أشهر منها جملة ما أقامه يوحنا ٢٩ سنة ونحو شهر وغبرئيل سنتان وشهران ، وكان فى أيامهما ضيق شديد على المسيحيين من قبل الحكومة .

التاسع والسبعون :

ثاودوسيوس الثانى وكان أولا يدعى عبد المسيح بن رويل وهو من منية بن خصيم قدم بطريركيا فى ١٨ مسرى سنة ١٠١٠ للشهداء الموافقة سنة ١٢٩٤ مسيحية فى عهد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون بعد أن خلا كرسى البطريركية سنة واحدة وثلاثة أشهر ونصفا ، واستمر فى الرئاسة خمس سنوات ونحو خمسة أشهر وتوفى فى ٦ طوبه سنة ١٠١٦ للشهداء الموافقة سنة ١٣٠٠ مسيحية ، وقد كانت قلوب الجماعة غير مؤتلفة مع هذا البطريرك حيث كان ارتقاؤه للرئاسة من غير اختيارهم فضلاً عن كونه نسب لأخذ الرشوة وحدث فى أيامه غلاء وفناء شديدان ، وبقى بعد وفاته كرسى البطريركية خاليا نحو أربعين يوما .

الثمانون :

يوأنس الثامن (أعنى يوحنا) بن قديس وهو من المنية كان رئيس دير شهران المعروف الآن بدير العريان وسيأتى ذكره ، وقدم بطريركيا فى ١٦ أمشير سنة ١٠١٦ للشهداء الموافقة سنة ١٣٠٠ مسيحية برضا الجماعة فى أيام الملك الناصر المذكور سابقا ، وحدث فى أيامه شدة منكية للمسيحيين وأمر بغلق كنائسهم ، وكان فى عهده القديس برسوم العريان صاحب الدير المشهور باسمه الكائن قبلى طرا على الساحل الشرقى ، وتوفى يوأنس فى وجوده ومدة مقامه على الكرسى البطريركى ٢٠ سنة وثلاثة أشهر وعشرون يوما ، وتوفى فى ٤ بؤنه سنة ١٠٣٦ للشهداء الموافقة سنة ١٣٢٠ مسيحية وخلا الكرسى بعده أربعة أشهر .

الحادى والثمانون :

يوأنس التاسع كان من جهة المنوفية قدم بطريركيا فى أول بابه سنة ١٠٣٧ للشهداء الموافقة سنة ١٣٢١ فى عهد الملك الناصر المذكور ، واشتد فى أيام رئاسته الكرب على المسيحيين وتزايد الضيق عليهم بأنواع مختلفة إذ كان يحرق بعضهم ويسم بعضهم وقهر الجميع بلبس الثياب الزرق ، ثم تدارك الله خلقه برحمته وارتفع الضيق عن الأمة ، وبعد أن استمر فى الرئاسة ستة أعوام ونصفا توفى فى ٢ برموده سنة ١٠٤٤ للشهداء الموافقة سنة ١٣٢٨ مسيحية وخلا الكرسى بعده ثلاثة وأربعين يوما .

الثانى والثمانون :

بنيامين الثانى من أهل الدمقراط كان راهبًا بجبل طرا وأقيم بطريركا فى ١٥ بشنس سنة ١٠٤٤ للشهداء الموافقة سنة ١٣٢٨ مسيحية فى أواخر ملك الملك الناصر ، وفى أيامه أعيد الكرب على المسيحيين من ولاة الأمور على الرجال والنساء لا سيما على الرهبان والاكليروس ، وعمرً هذا البطريرك دير بشوى الكائن ببرية النطرون المعروفة عند المسيحيين ببرية شيهات ، وبعد أن أكمل فى الرئاسة عشر سنوات وثمانية أشهر توفى فى ١١ طوبه سنة ١٠٥٥ للشهداء الموافقة سنة ١٣٣٩ ، واستمر كرسى البطريركية بعده خاليا عاما واحدًا .

الثالث والثمانون :

بطرس الخامس كان يدعى أولا داود وكان راهبًا بدير القديس مقاريوس أقيم بطريركا فى ٦ طوبه سنة ١٠٥٦ للشهداء الموافقة سنة ١٣٤٠ فى آخر سنى ملك الملك الناصر ، واستمر فى البطريركية ثمان سنوات وستة أشهر وفى أوائل مدته توفى الملك الناصر ، واستولى بعده أولاده على التوالى الملك المنصور أبو بكر والسلطان كجك والسلطان أحمد والملك الصالح عماد الدين والأشرف شعبان والسلطان حاجى والسلطان حسن ، وكانت الأمة المسيحية فى أيامه آمنة مطمئنة ، وتوفى فى ٤ أبيب سنة ١٠٦٤ الموافقة سنة ١٣٤٨ وخلا كرسى البطريركية بعده شهرين وبعض أيام .

الرابع والثمانون :

مرقس الرابع وهو من قليوب كان يدعى أولا فرج الله ترهب ورسم قسيسا بدير شهران ثم أقيم بطريركا فى ١٠ توت سنة ١٠٦٥ الموافقة سنة ١٣٤٩ فى مدة تملك السلطان حاجى ، وفى أوائل مدته توفى السلطان حاجى وتملك أخوه السلطان حسن ، ثم خلع وتولى أخوه السلطان صالح ، ثم عاد الأول للسلطنة وحدث فى أيامه فناء عظيم حتى خرب / أغلب القرى ، ومع ذلك تطلب الولاة أن يدمروا المسيحيين ومن ذلك هاج عَوَامُّ الناس عليهم وضايقوهم كثيرا ، وبعد أن استمر هذا البطريرك فى الرئاسة مدة أربع عشرة سنة وخمسة أشهر . توفى فى ٦ أمشير سنة ١٠٧٩ الموافقة سنة ١٣٦٣ وخلا كرسى البطريركية بعده ثلاثة أشهر وستة أيام .

٨٣

الخامس والثمانون :

يوأنس المؤتمن وهو (يوحنا العاشر) كان يلقب بالشامى أقيم بطريركا فى ١٢ بشنس سنة ١٠٧٩ الموافقة سنة ١٣٦٣ فى زمن تملك الأشرف شعبان ، واستمر فى الرئاسة ست سنوات وشهرين وثمانية أيام وتوفى فى ١٩ أبيب سنة ١٠٨٥ الموافقة سنة ١٣٦٩ وخلا كرسى البطريركية بعده ستة أشهر .

السادس والثمانون :

غبرئيل الرابع (أعنى جبرائيل) كان راهبًا بدير المحرق وأقيم بطريركا فى ١١ طوبه سنة ١٠٨٦ الموافقة سنة ١٣٧٠ فى زمن تملك الأشرف شعبان ، واستمر فى الرئاسة ثمان سنوات وثلاثة أشهر واحدا وعشرين يوماً ، وتوفى فى ٢ بشنس سنة ١٠٩٤ الموافقة سنة ١٣٧٨ وخلا الكرسى البطريركى بعده ثلاثة أشهر .

السابع والثمانون :

متاؤس الكبير كان راهبًا بدير المحرق وأقيم بطريركاً فى أول مسرى سنة ١٠٩٤ الموافقة سنة ١٣٧٨ فى عهد تملك على بن الأشرف شعبان ، واستمر فى البطريركية ثلاثين سنة وخمسة أشهر وبعض أيام وفى أوائل مدته توفى الملك المذكور وتولى بعده أخوه السلطان صفرخان حسين آخر الأتراك ثم تولى بعده السلطان برقوق أول دولة الجراكسة ، وتوفى البطريرك المذكور فى ٥ طوبه سنة ١١٢٥ الموافقة سنة ١٤٠٩ وخلا كرسى الرئاسة بعده أربعة أشهر وأياما .

الثامن والثمانون :

غبرئيل الخامس وهو من دير القلامون بالجيزة أقيم بطريركا فى ٢٦ برموده سنة ١١٢٥ الموافقة سنة ١٤٠٩ فى عهد تملك السلطان الناصر فرج بن برقوق ، واستمر فى الرئاسة ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وتوفى فى ٨ طوبه سنة ١١٤٤ الموافقة سنة ١٤٢٨ وخلا كرسى الرئاسة بعده أربعة أشهر وأياما .

التاسع والثمانون :

يوأنس الحادى عشر كان بالقاهرة أقيم بطريركا فى ١٦ بشنس سنة ١١٤٤ الموافقة سنة ١٤٢٨ فى عهد تملك الملك الأشرف أبى النصر برسباى من ملوك الجراكسة ، واستمر فى البطريركية نحو خمسة وعشرين سنة ، وتوفى فى ٩ بشنس سنة ١١٦٩ الموافقة سنة ١٤٥٣ وخلا كرسى الرئاسة بعده أربعة أشهر وأياما .

التسعون :

متاؤس الثانى وهو من الصعيد كان راهبًا بدير المحرق وأقيم بطريركا فى ١٣ توت سنة ١١٧٠ الموافقة سنة ١٤٥٤ فى عهد تملك الأشرف أبى النصر اينال العلائى ، واستمر فى البطريركية اثنتى عشرة سنة ، وتوفى فى ١٣ توت سنة ١١٨٢ الموافقة سنة ١٤٦٦ وخلا الكرسى البطريركى بعده خمسة أشهر .

الحادى والتسعون :

غبرئيل السادس ويعرف بالغرباوى قدم بطريركا فى ١٥ أمشير سنة ١١٨٢ الموافقة سنة ١٤٦٦ فى تملك الملك الظاهر خشقدم الناصرى ، واستمر فى البطريركية ثمان سنوات وعشرة أشهر وبعض أيام ، وتوفى فى ١٩ كيهك سنة ١١٩١ الموافقة سنة ١٤٧٥ وخلا بعده الكرسى البطريركى سنتين ونحو الشهرين .

الثانى والتسعون :

ميخائيل الثالث وهو من سمالوط أقيم بطريركا فى ١٣ أمشير سنة ١١٩٣ الموافقة سنة ١٤٧٧ فى عهد الملك الأشرف أبى النصر قايتباى الظاهرى المحمودى ، وأقام فى البطريركية سنة واحدة وثلاثة أيام ، وتوفى فى ١٦ أمشير سنة ١١٩٤ الموافقة سنة ١٤٧٨ وخلا بعده كرسى الرياسة سنتين وشهرين وسبعة أيام .

الثالث والتسعون :

يوأنس الثانى عشر وهو من نقادة أقيم بطريركا فى ٢٣ برموده سنة ١١٩٦ الموافقة سنة ١٤٨٠ فى عهد الملك الأشرف المذكور سابقًا ، أقام فى البطريركية ثلاث سنوات وأربعة أشهر وأياما ، وتوفى فى ٧ توت سنة ١٢٠٠ الموافقة سنة ١٤٨٤ وخلا كرسى الرئاسة بعده خمسة أشهر .

الرابع والتسعون :

يوأنس الثالث عشر ويعرف بابن المصرى ، أقيم بطريركا فى ١٥ أمشير سنة ١٢٠٠

الموافقة سنة ١٤٨٤ فى عهد الملك الأشرف المذكور سابقا ، وكان هذا البطريرك عالما وله مؤلفات كثيرة فى الدين الميسحى ، وكان محسنًا على الجميع بدون استثناء استمر فى الرئاسة إحدى وأربعين سنة إلا أربعة أيام وتوفى فى ١١ أمشير سنة ١٢٤٠ الموافقة سنة ١٥٢٤ ، وفى مدته توفى الملك الأشرف وتولى بعده سبعة ملوك آخرهم الملك العادل طومان باى ابن أخى قانصوه الغورى الذى قتله السلطان سليم خان ملك القسطنطينية ، وبموته انقطعت دولة الجراكسة وبطلت السلطنة من مصر وصارت تابعة للمملكة العثمانية ، وبعد وفاة البطريرك المذكور استمر كرسى الرئاسة خاليا سنة وثمانية أشهر.

٨٤

/ **الخامس والتسعون :**

غبرئيل السابع كان يدعى أولا رفائيل وهو من منشاة المحرق وترهب ببرية شيهات ، وأقيم بطريركا فى ٤ بابه سنة ١٢٤٢ الموافقة ١٥٢٦ فى عهد السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان ، استقر فى البطريركية ثلاثة وأربعين سنة .

وكان له اهتمام زائد فى عمارة الأديرة فعمر دير الميمون وديرى القديس انطنيوس الكبير والقديس بولا ببرية العربة بعد دمارهما وعمر أيضا دير المحرق بالوجه القبلى ، ولما قام عرب بنى عطية ونهبوا دير القديس بولا وأخربوه وقتلوا راهبا من رهبانه وشتتوا شمل الباق اجتهد واهتم فى عمارته ثانيا وعمره بالرهبان ، وكان مهيبًا ذا نفوذ آمر لدى أمته وفى أواخر حياته طالبه متولى الأمر بمصر بما لا يقدر عليه من الغرامة ؛ فرحل قاصدًا الأديرة ببرية العربة وبينما هو عابر النهر من جهة الميمون توفاه الله فى ٢٩ بابه سنة ١٢٨٥ الموافقة سنة ١٥٦٩ ، وبعد وفاته لم يوجد له شىء من المال مخلفًا عنه لأن إيراداته صرفها بأسرها فى منافع الأمة ، واستمر كرسى البطريركية خاليا بعده خمس سنوات ونحو ستة أشهر.

السادس والتسعون :

يوأنس الرابع عشر وهو من منفلوط وكان راهبًا بدير العذراء المعروف بالبراموس ببرية النطرون ، أقيم بطريركا فى ٢٢ برموده سنة ١٢٩٠ الموافقة سنة ١٥٧٤ فى أوائل تملك السلطان مراد خان الأول ابن السلطان سليم الثانى .

وكان من أمره أن الدولة كلفته بجمع الجزية من المسيحيين فطاف بلاد مصر القبلية وجمعها وأدّاها للحكومة ، ومن المضايقات التى كان يتقصده بها الوزراء رحل مرة ثانية إلى الصعيد وثالثة وأخيرا إلى الاسكندرية ، ولما سكن الاضطراب عاد منها إلى النحارية وبها ضعف ، وتوفى فى ٣ من نسىء سنة ١٣٠٥[1] الموافقة سنة ١٥٨٩ بعد أن استمر فى البطريركية خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وأيامًا وخلا الكرسى بعده عشرة أشهر .

السابع والتسعون :

غبرئيل الثامن وهو من منبير .

الثامن والتسعون :

مرقس الخامس وهو من البياضية .

التاسع والتسعون :

يوأنس الخامس عشر وهو من ملوى .

المتمم للمائة :

متاؤس الثالث من طوخ دلكة .

الحادى بعد المائة : مرقس السادس وهو من بهجورة .

هؤلاء البطاركة الخمسة الذين تولوا البطريركية القبطية الاسكندرية استغرقت مدتهم نحو خمسة وستين سنة ، ولم يذكر التاريخ مفصلات وقائعهم غير أنه قد تحقق أن الأول منهم أقيم بطريركا فى ١٦ بؤنه سنة ١٣٠٦ الموافقة سنة ١٥٩٠ فى عهد السلطان مراد خان الأول وكان يدعى أولا شنوده وهو راهب من دير القديس بيشوى .

وبعد إقامته اختلف القوم فى بقائه وافترقوا إلى أحزاب فأقاموا عوضه وخلعوه وبعد مدة

(١) فى الأصل سنة ١٣٥٠ وما أثبتناه هو الصواب .

أعيد إلى رئاسته وثبتت له البطريركية إلى أن توفى فى ٩ بشنس سنة ١٣٢٦ الموافقة سنة ١٦١٠ .

والثانى والرابع : لم تتعين مدة توليهما الرئاسة . والثالث أقام عشر سنوات وكذلك الخامس أقام عشر سنوات وبوفاته انتهت مدة الخمسة البطاركة المذكورين وكان آخرها فى برموده سنة ١٣٧١ الموافقة سنة ١٦٥٥ .

ومن المحقق : أن هذه المدة ابتدأت من أواخر عهد السلطان مراد خان الأول وتولى بعده ولده السلطان محمد خان وبعده ولده السلطان أحمد خان وبعده أخوه السلطان مصطفى خان ثم خلع وتولى ابن أخيه السلطان عثمان خان ثم أعيد السلطان مصطفى وبعده السلطان إبراهيم ، ثم خلع وتولى ولده السلطان محمد خان وفى عهده انتهت مدة البطاركة المذكورين وخلا كرسى البطريركية بعد ذلك أربع سنين وسبعة أشهر ونصفا .

الثانى بعد المائة :

متاؤس الرابع كان يدعى أولا جرجس وهو من ناحية مير وترهب ببرية النطرون بدير البراموس ، انتخب للبطريركية وأرسلت الجماعة تطلبه فامتنع ؛ فقام حزب من المصريين ورغبوا فى تعيين خلافه فلما لم يتم لهم الأمر أحضر المنتخب الأول بواسطة الدولة وحضر الاثنان وعملت بينهما القرعة فى الكنيسة ، وفى دار الولاية وفى الجهتين جاءت باسم جرجس المنتخب أولا فأقيم بطريركا فى آخر هاتور سنة ١٣٧٦ الموافقة سنة ١٦٦٠ فى عهد السلطان محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان ، واستمر هذا البطريرك فى الرئاسة أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ونصفا وقاسى شدائد مختلفة ، وكان هذا البطريرك آخر من سكن من البطاركة فى حارة زويلة ومن بعده انتقل مركز البطريركية إلى حارة الروم على ما سيأتى ذكره ، وتوفى فى ١٦ مسرى سنة ١٣٩١ الموافقة سنة ١٦٧٥ وخلا كرسى البطريركية بعده سبعة أشهر .

الثالث بعد المائة :

يوأنس / السادس عشر كان يدعى أولا إبراهيم وهو من طوخ دلكة ترهب بدير

القديس انطونيوس ، وأقيم بطريركا فى ١٢ برمهات سنة ١٣٩٢ الموافقة سنة ١٦٧٦ فى عهد السلطان محمد خان المذكور ، واستمر فى البطريركية اثنتين وأربعين سنة وثلاثة أشهر ، وفى أثناء مدته طاف الوجه القبلى والبحرى متفقدًا أحوال المسيحيين وزار القدس ، وكان فى صحبته رجل من أكابر النصارى يدعى جرجيسا الطوخى ، وقد ساعده هذا الرجل فى عمارة ما دثر من الكنائس والأديرة وخصوصا دير القديس بولا الذى كان تخرب من أعوام مديدة فعمره هذا البطريرك وأعاد إليه الرهبان بعد أن بقى خاليا منهم مائة سنة ، وبنى دار البطريركية (وتسمى قلاية أيضا) فى حارة الروم . وكان هذا البطريرك ممدوح الخصال محسنا إلى الفقراء والمحتاجين فاتحًا داره لاستقبال الغرباء والمنقطعين ، وتوفى فى ١٠ بؤنه سنة ١٤٣٤ الموافقة سنة ١٧١٨ وخلا كرسى البطريركية بعده شهرين وخمسة أيام .

الرابع بعد المائة :

بطرس السادس كان أولا يدعى مرجانا وهو من مدينة أسيوط ، أقيم قسيسا على دير القديس بولا وانتخب للبطريركية وتولاها فى ١٥ مسرى سنة ١٤٣٤ الموافقة سنة ١٧١٨ فى عهد السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان .

وكان هذا البطريرك وجيها لدى أولى الأمر طاف الوجه البحرى والقبلى لتفقد أحوال قومه ، وكان شديد المحافظة على أمته مانعًا لهم عن الوقوع فيما يحرمه المذهب المسيحى من جهة الزواج أو الطلاق ونحو ذلك ، وأجتمع بالسنجق ابن ايواز وغيره من المتكلمين وجرت له معهم خطوب فيما يختص بحدود مذهبه ؛ فأفتى له العلماء وأصدر له فرمان من الوزير المتولى بإقراره على قانون مذهبه ومنع التعرض له فى مثل ذلك ، واستمر فى الرئاسة سبع سنوات وستة أشهر وأياما ، وتوفى فى ٢٦ برمهات سنة ١٤٤٢ الموافقة سنة ١٧٢٦ وخلا منصب البطريركية بعده تسعة أشهر .

الخامس بعد المائة :

يوأنس السابع عشر كان يدعى أولاً عبد السيد وهو من ملوى وترهب بدير القديس بولا

وأقيم بطريركا فى ٦ طوبه سنة ١٤٤٣ الموافقة سنة ١٧٢٧ فى أواخر مدة السلطان أحمد خان المتقدم ، واستمر فى البطريركية ثمان عشرة سنة وبعض أشهر.

وفى أثناء مدته أنشأ كنيستين فى ديرى انطونيوس وبولا بمساعدة الشهير جرجيس السروجى أمير قومه بوقته .

وفى سنة ١٤٥١ الموافقة سنة ١٧٣٥ فى عهد السلطان محمد خان ابن السلطان مصطفى خان صدرت أوامر سلطانية بزيادة الجزية على النصارى واليهود وجعلت ثلاث درجات : الأولى أربعة دنانير والثانية اثنان والثالثة دينار . ثم تزايد أمرها بعد ذلك حتى ألزم بها القسوس والرهبان والصبيان والفقراء ، وفى آخر رئاسته حدث غلاء عظيم ثم حصلت زلزلة وقع فيها جملة أماكن ، وتوفى فى ٢٣ برموده سنة ١٤٦١ الموافقة سنة ١٧٤٥ وخلا منصب البطريركية بعده أحدا وثلاثين يوما .

السادس بعد المائة :

مرقس السابع كان يدعى سمعان ترهب بدير القديس بولا ، وأقيم بطريركا فى ٢٤ بشنس سنة ١٤٦١ الموافقة سنة ١٧٤٥ فى عهد السلطان محمود خان المتقدم ذكره.

وكان هذا البطريرك طلق اللسان محسنًا ممدوح السيرة محبوبًا فى قومه ، واستمر فى البطريركية أربعا وعشرين سنة ، وتوفى فى ١٢ بشنس سنة ١٤٨٥ الموافقة سنة ١٧٦٩ وخلا منصب البطريركية بعده خمسة أشهر وثلاثة أيام.

السابع بعد المائة :

يوأنس الثامن عشر كان يدعى أولا يوسف ترهب بدير القديس انطونيوس ، وأقيم بطريركا فى ١٥ بابه سنة ١٤٨٦ الموافقة سنة ١٧٧٠ فى عهد السلطان مصطفى خان ابن السلطان أحمد خان ، واستمر هذا البطريرك فى الرئاسة ستا وعشرين سنة وسبعة أشهر وسبعة عشر يوما ، وفى أثناء رئاسته نالته شدائد من مأمورى الأحكام واختفى من الظلم ، وكان المعارض له الأمير الشهير فى أعيان المسيحيين إبراهيم الجوهرى رئيس كتاب البر المصرى ،

الذى شمر عن ساعد الجد وأصلح ما دمره مرور الأيام من أديرة الأمة المسيحية وكنائسها ومعابدها وأوقافها ففى القدس توجد دلائل همته .

وفى الأديرة للآن تشاهد آثار خيريته والعمارات والأوقاف الخيرية الناطقة رسومها وحججها باسمه تشهد بما لهذا الرجل من المآثر فضلا عما ينسب إليه من المروآت وبذل الهمم فى إغاثة الملهوفين وإنقاذ المكروبين والإفراج عن المتضايقين من كل ملة ونحلة حسبما تصل إليه قدرته وتساعده عليه وظيفته مما شهدت به الآثار ونطقت به ألسنة القوم المعترفين بالجميل ، وتوفى البطريرك فى ٢ بؤنه سنة ١٥١٢ الموافقة سنة ١٧٩٦ وخلا منصب البطريركية بعده نحو أربعة أشهر .

الثامن بعد المائة :

مرقس الثامن كان يدعى أولا يوحنا وهو من طما وترهب بدير القديس انطونيوس ، وأقيم بطريركا فى ٢٨ توت / سنة ١٥١٣ الموافقة سنة ١٧٩٧ فى عهد السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى . ٨٦

وفى أوائل مدته أتى أمير الجيوش الفرنسية بونابارتو نابليون الأول إلى الديار المصرية بجنود فرنساوية ، وكان من أمر أخذه بلاد مصر وإقامة الفرنساوية بها ثلاث سنوات ما هو مشهور ، ثم رحلوا من مصر وعاد زمام حكمها للسلطنة العثمانية وحان سعدها وتلألأ رونق مجدها بتولى المرحوم الخديوى الكبير محمد على باشا الذى حاز خديوية مصر لنفسه ولذريته الفخيمة من بعده فهذا البطريرك وافقت مدته ثلاث حكومات :

الأولى حكومة الولاة المعينين من السلطنة ، والثانية حكومة الفرنساوية ، والثالثة الحكومة الخديوية السنية التى جاءت عليه وعلى أمته الأرثدوكسية بأحسن ختام .

وكان فى مدته المعلم الشهير جرجس الجوهرى أخو إبراهيم الجوهرى ، وكان هذا البطريرك رجلاً محسنا وهو أول من نقل مركز البطريركية إلى الأزبكية ، واستمر فى الرئاسة ثلاث عشرة سنة وشهرين وستة عشر يوما وتوفى فى ١٣ كيهك سنة ١٥٢٦ الموافقة سنة ١٨١٠ .

التاسع بعد المائة :

بطرس السابع كان يدعى أولا منقريوس وهو من الجاولى وترهب ، ثم رسم قسيسا بدير القديس انطونيوس .

وفى عهد رئاسة سلفه انتخب للمطرانية لاجل تعيينه لبلاد الحبشة ولأمر يعلمه الله تأخر أمر تعيينه ورسم مطرانا على الكنيسة عموما ، واستمر فى الدار البطريركية مدة فلما توفى مرقس البطريرك اتفقت الجماعة قاطبة على إقامته بطريركا ، وقد تم تعيينه فى ١٦ كيهك سنة ١٥٢٦ الموافقة سنة ١٨١٠ بعد وفاة سلفه بثلاثة أيام ، وذلك فى عهد خديوية المرحوم محمد على باشا الكبير .

وكان هذا البطريرك محبًا للدرس غير مكترث بالدرهم حليمًا فى رئاسته محكما فى تصرفه وقورًا مهيبًا فى لقائه محبوبًا لدى الكل ، ولقد تمتع هذا البطريرك بحظوظ قلما سبقه فيها غيره فكانت الحكومة راضية عنه وعن أمته ، وكان قومه حاصلين على الأمن والرفاهية والكنيسة مشهورة فى القطر المصرى حاصلة على إقامة شعائرها ، وكان فى مدته أساقفة منهم : كيوساب الأخميمى وكاثناسيوس الغمراوى وتوماس المليجى وكالاسقف صراباموں صاحب المنوفية وغيرهم .

وكانت الأمة زاهرة بأكابر ذوى درجات فى الحكم واعتبار فى القطر ، وقد عمر كثيرا حتى بلغت مدة بطريركيته اثنتين وأربعين سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً ، وكانت مدته جميعها سليمة فى مذهبه وقومه ونفسه ورسم نحو ثلاثة وعشرين أسقفا لجهات مصر ومطرانين للحبش .

وتوفى ليلة الاثنين ٢٨ برمهات سنة ١٥٦٨ الموافقة سنة ١٨٥٢ ودفن بالإكرام اللائق لمقامه فى الأزبكية وخلا منصب البطريركية بعده سنة واحدة وأحد عشر يوما .

العاشر بعد المائة :

كيرولس الرابع كان يدعى أولا داود وكان رئيسا على دير القديس انطونيوس ، انتخب للبطريركية وأحضر للقاهرة حالا نظرا لما كان متصفًا به من الشهامة والذكاء ، ولكن لما كان

بعض القوم لم يخل من الأغراض لعدم موافقته مشربهم قام ذلك البعض من الأمة مضادًا لانتخابه وإن كان المتفقون على انتخابه أكثر إلا أن تحزُّب هذا البعض بلغ إلى أن عُرِض الأمر فى ذلك لأولى الأمور المدنية ومن ذلك أخر أمره مدة ما ، وحيث كانت أصوات المتخبين أفوق كثيرا كما ذكرنا ولم يكن لتقدمه مانع سوى التحزب ولتلافى الاصلاح بين الفريقين استقر رأى أولى الأمر على جعله أولا مطرانا على عموم الملة ، وقد حصل ذلك وأقيم مطرانا عاما فى ١٠ برموده سنة ١٥٦٩ الموافقة سنة ١٨٥٣ ، وبذلك ارتفعت المضادة واستمر متولّيا إدارة أمور الملة برتبة مطران سنة واحدة وشهرين ، وحيث إن تصرفه الخاص ومشروعاته النافعة للأمة كانت نشهد بانفراده باستحقاق البطريركية أقيم بطريركًا فى ١١ بؤنه سنة ١٥٧٠ الموافقة سنة ١٨٥٤ فى أواخر خديوية المرحوم عباس باشا حفيد الخديوى الكبير الذى توفى فى تلك السنة وتولى الخديوية بعده المرحوم سعيد باشا نجل الخديوى الكبير ، وبعد توليه البطريركية جد فى تكميل مشروعاته النافعة ؛ فأنشأ المدرسة الكبرى القبطية بالأزبكية وفتح مدرسة أخرى بحارة السقائين ، وجدَّد فيهما اللغة القبطية بعد دثورها وجدَّد فيها لغات وعلوما أخر ، ونظم مكتبين للبنات وجدد كنيسة للأمة بحارة السقائين .

وفى السنين الأخيرة من حياته نقض الكنيسة البطريركية القديمة وأسس خلافها بالنظام اللائق بمثلها ، ولو لم تكن مدته قليلة لاسيا وقد تخللها سفره لبلاد الحبشة الذى عاقه عن إتمام أعماله إذ تغرب عن مركزه نحو السنتين لتمم الكنيسة الكبرى وغيرها على أحسن نظام ، ومع ذلك فإن حالة الإدارة البطريركية من جهة سياسة الاكليروس ورعاية الأمة ونحو ذلك قد امتازت / فى مدته كثيرًا جدًا عن السابق . ٨٧

ولقد كان هذا البطريرك حاذقًا نبيها ذا عناية شديدة بالمنقطعين وذوى البيوت من أمته طلق اللسان عارفًا بالتاريخ مدققا فى علوم الدين المسيحى محافظًا على حدود المذهب ماقتًا للرشوة غير مكترث بالمال قائمًا بأعباء وظيفته .

وفى الحقيقة : أنه كان لم تعب سيرته بشىء ما ولو لم يكن حادا فى المشروعات سريع الإقدام على الأمور التى تفتقر للتأنى والمشورات لكان يعجز القلم عن تحبير صفاته ، ومع ذلك

كان محبوبا لدى الدولة الخديوية مألوفًا عند جميع ملل النصرانية وغيرها مهيبًا عند رجال أمته .

وفى مدته أقام مطرانا خصوصيًا لمصر ولم يكن بها من قبل مطران نظرًا لوجود مركز البطريرك بها ، وأقام على البحيرة والاسكندرية مطرانًا وعلى المنوفية مطرانًا آخر ، وقد كان على الجهتين رئيس واحد من قبل ورسم مطرانا بالقدس وأسقفين بالوجه القبلى بعد وفاة أسلافهم ، فجملة الرؤساء الذين عينهم ستة .

وفى أيامه أنشئت كنائس للأمة فى مواقع ضرورية جدا بأوامر من الحكومة السنية كمدينة طنتدا والمحمودية وغيرهما ، واستمر فى الرئاسة سبع سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يومًا مطرانا وبطريركا ، وتوفى فى ٢٣ طوبه سنة ١٥٧٧ الموافقة سنة ١٨٦١ وخلا الكرسى بعده سنة واحدة وثلاثة أشهر وسبعة أيام .

الحادى عشر بعد المائة :

ديمتريوس الثانى كان أولا يدعى ميخائيل رئيس دير القديس مقاريوس ببرية النطرون ، انتخب للبطريركية ثم قرر فى ٩ بؤنه سنة ١٥٧٨ الموافقة سنة ١٨٦٢ فى أواخر خديوية المرحوم سعيد باشا ، وبعد تقليده زار الجناب الخديوى وذوات الحكومة ثم شرع فى تكميل الكنيسة الكبرى بالأزبكية التى أسسها سلفه حتى تمت على نظامها الحالى ، واستمر مديرًا لحركات المدارس التى أنشأها سلفه أيضا ومع كونه كان ذا تأن فى المشروعات الأدبية والحركات المادية لا يرى فى نشاطه فى أوائل أمره ما كان يرى من سلفه ، لكن توفر له الحظ بتولى الخديوى اسماعيل باشا الذى أمدّه بوافر إحسانه وشمل قومه بجزيل امتنانه إذ أنعم عليه بجملة كثيرة من الأراضى الزراعية للقيام بلوازم مدارسه ولوازم الدار البطريركية ، ولم يبرح مرادفًا له بصلاته مسعفا له بإصدار أوامره الكريمة مرقيا جملة من قومه الأقباط الأصليين للرتب والخطط الفخيمة ، ونشط وبذل الجهد فى تكميل الكنيسة المذكورة وأحسن إدارة المدارس لاسيا وقد ساعدته الحظوظ بأن أنعم عليه من قبل الخديوى المذكور بإجراء امتحان

مدارسه بعد امتحان المدارس الأميرية كالرسوم الجارية بها ، وذلك بأن يصير الامتحان باحتفال يتزين كل عام بالذوات الكرام والعلماء الأعلام والأمراء الفخام.

وهذا الأمر هو الذى أضحت المدارس القبطية تفتخر به على ممر الزمان وقد بلغه أن بعضا من قومه بالجهات القبلية نبذوا عنهم بعض عقائدهم الارثذوكسية واتبعوا آراء أجنبية طارئة ؛ فقام بنفسه فى برمهات سنة ١٥٨٣ للشهداء ليتفقد تلك الجهات ، وعينت له مركب بخار من طرف الحكومة السنية حسب التماسه وزار مدن وبلاد وكنائس الوجه القبلى إلى أن بلغ إسنا واستمر فى هذا السفر ثلاثة أشهر ، وبعد حصوله على إقناع وارتداد أولئك الأشخاص وضمهم للكنيسة عاد إلى مركزه .

وقد كان هذا البطريرك ذا حلم ووقار ونباهة حسن الإدارة سعيد الحظوظ ، ولما حجبته أعباء رئاسة ديره الأولى قبل البطريركية عن التعمق فى بعض دقائق مهمة تستدعيها أحوال هذه الرتبة الكبرى كلف نفسه بعد ترقيه واختباره الأمور المثابرة على ما فاته .

وفى الحقيقة : كان كلما تقدّمت سنو رئاسته مع ما كان فيه من تلك التوفيقات المدنية تمتد مزاياه النافعة لقومه ، واستمر فى الرئاسة سبع سنين وسبعة شهور وسبعة أيام ، وتوفى ليلة عيد الغطاس أعنى ليلة ١١ طوبه سنة ١٥٨٦ الموافقة ١٨٧٠ .

الثانى عشر بعد المائة :

كيرلوس الخامس وهو البطريرك الحالى كان يدعى أولا يوحنا ولد فى بنى سويف سنة ١٥٤٨ للشهداء وتربى فى مديرية الشرقية مع عائلته ، ولما بلغ سن الرشد رسم شماسا من مطران القدس ابنا ابراآم المتوفى ، وفى سنة عشرين من عمره أعنى سنة ١٥٦٧ للشهداء ترهب بدير السيدة بالبراموس ، وفى سنة ١٥٦٨ رسم قسيسا من أسقف المنوفية المتوفى ابنا طر بامون ، وإذ كان قد سلم له تدبير أمور مجمع الرهبان بنفس الدير فظهر ناجحاً فى المعرفة والسيرة رسم أغومانس (أعنى مدير القسوس أو رئيسهم) من البطريرك سلفه سنة ١٥٧٩ ، واستمر متعاطيا تدبير مجمع الرهبان من إرشاد وتأديب وسياسة على أحسن حال ، وطالما رغب سلفه

وكثير من الأمة فى إحضاره للقاهرة وتعيينه فى رتبة أعلى مماكان عليه فلم يقبل ولم تسمح كبار الرهبنة بتركه إياهم .

٨٨

ولما توفى سلفه أقامت الأمة ـ باستئذان الحكومة السنية ـ / جناب المطران مرقس مطران البحيرة ووكيل اسكندرية وكيلاً لأجل عدم توقيف حركة إدارة الدار البطريركية فجعلت ألحاظ الجميع تتوجه نحو الاغومانس يوحنا المذكور وأصوات الانتخاب صارت تترادف عليه ، ولولا ما حصل من الأسباب الاعتيادية والأعراض الشخصية التى نشأ عنها خلو المنصب البطريركى من الرئيس أربع سنوات وتسعة أشهر لأحضر وقلّد حالاً ولم ينتخب الجمهور لهذه الرتبة سواه ولم يكن ثمّ باعث يمنع تقليده .

وكانت الأمة رتبت لها مجلسا مليا يتعاطى تدبير أمورها الخصوصية وتأيد مجلسها هذا بأمر عال كريم ؛ فبعد ترتيبه بسنة التمست الأمة بواسطة مجلسها من مقام الخديوية السنية إحضاره بمساعدة الحكم برسمه بطريركًا فتم ذلك وأحضر للقاهرة فى ١٦ بابه سنة ١٥٩١ .

وبعد العرض للأعتاب السنية الاسماعيلية بحضوره ورضا الجمهور عن شخصه دون غيره صدر الأمر الكريم برسمه ، وقد تم ذلك ليلة الأحد ٢٣ بابه سنة ١٥٩١ الموافق سنة ١٨٧٥ باحتفال عجيب مشرف بالذوات الأجلاء الكرام وأمراء الوطن الفخام والرؤساء الاكليريكين ، وجميع أصحاب الرتب الروحانية وجمهور عظيم من الملة القبطية الارثذوكسية وغيرها فى الكنيسة الكبرى البطريركية بالأزبكية وتم ارتسامه على أحسن نظام وأكمله .

وفى ثانى يوم من بطريركيته زار الجناب العالى الداورى والأنجال الكرام ، والذوات الفخام واستمر ثلاثة أيام فى مركزه البطريركى يقبل تهانى الأمة والمتحابين من رجال الوقت . هذا وقد أجرى حال قبوله التهانى رسوم التشكرات والدعوات المبرورات بحفظ بقاء الذات العلية الخديوية وبعد استتمام الرسوم المعتادة الملية شرع يتعاطى واجبات رياسته الروحية داعيًا للجناب الخديوى بدوام العز والإقبال وحفظ جميع الأنجال .

* * *

تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع
أوله مدينة الإسكندرية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٣٩٤٩

ISBN ٩٧٧ - ٠٤ - ١٣٨٤ - ٠

مركز تحقيق التراث

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة

ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة

تأليف

علی باشا مبارك

الجزء السابع
مدينة الإسكندرية

الطبعة الثانية

عن طبعة بولاق سنة ١٣٠٥ هـ



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

إعداد
أحمد صلاح زكريا
باحث أول
مركز تحقيق التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة الجزء السابع
من الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة

مدينة الإسكندرية

صفحة

مطلب الفصل الأول ، فى مدينة إسكندرية .

صفحة

صفحة

مطلب الفصل الثانى ؛ فى الكلام على مينا إسكندرية .

مطلب الفصل الثالث
فى الكلام على ما عاد على مدينة إسكندرية
من فوائد السكة الحديد ، والإشارات التلغرافية .

بسم الله الرحمن الرحيم

مدينة إسكندرية

/لم يوجد فى الأقطار المصرية من المدن الشهيرة التى حفظ المؤرخون حوادثها وقيدوها فى كتبهم مثل مدينة اسكندرية ، وإن لم يبق من آثارها القديمة إلا القليل ، ولعل سبب حفظهم لحوادثها وإطنابهم فى آثارها ، أهمية موقعها عند من حكموا الديار المصرية وغيرهم بالنسبة للتجارة ، التى بلغت فيها درجة علائقها الغاية عند جميع الأمم المتفرقة بسواحل البحر الأبيض ، فبتلك الواسطة صارت تحت المملكة متسعة الأطراف ، قد مدَّت شجرة العلوم فيها أغصانها ، واتسعت دائرة المعلومات البشرية فى مدارسها ، وانجلت غياهب الشك عن حوادثها من ذلك الحين ، وصار كل ما سُطِّر فى صحائف أوراق كتب التاريخ يكشف عن حقائق صحيحة بالنسبة لأحوال هذه المدينة وغيرها ، ويبين لنا أسباب خرابها وخراب ما حولها ، بذكر التقلبات والحوادث التى كانت تمتد من أطراف هذه الجهة إليها فتعطل أسباب الرزق من المزارع والمتاجر وغيرها . ٢

ولذا نجد فى الكتب وصف أبنية عجيبة وآثار غريبة كانت بهذه المدينة وغيرها من مدن الوجه البحرى ، وإن لم يبق الآن منها ما يدل على ماكانت عليه هذه المدينة من العزّ فى الأزمان الماضية .

ولنذكر لك نقلا عن السلف ما شاهدوه وما علموه من أمرها ، وكيف انقلب الدهر عليها على حسب الترتيب الزمانى ، ليعلم القارىء سلسلة تلك التقلبات وما حدث فيها من خيرٍ وشر ، ويعرف قدر ماكانت عليه من العز والأسباب التى أزالته عنها فنقول :

المدة الأولى

بقيت الديار المصرية رافلة فى حلل سعدها وعزها قرونا عديدة ، والعلوم فيها زاهية زاهرة حين كانت الأمم الأخر سابحة فى بحار الجهل ، وذلك كان قبل بناء إسكندرية ، التى لم يظهر ذكرها إلا بعد انحطاط درجة مدينة منف وخرابها .

وأقوال المؤرخين مضطربة فى تقدير مدة التقدّم فى هذا القطر ، والوقت الذى ابتدأ فيه ظهوره ، ولكنهم متفقون على أن منشأه شواطىء النيل ، ثم انتقل منها إلى ما جاورها من البلاد التى على سواحل البحر الأبيض .

وكانت مصر زمن الفراعنة كعبة[1] يحج إليها طلاب العلم من كل جهة ، ويقيمون بمدارسها ويتلقون عن علمائها وأحبارها ، إلى أن دخل قمبساس[2] هذه الديار وجعلها ضمن مملكة الفرس سنة ٥٢٥ قبل الميلاد فأخذت فى الخراب من ذلك العهد ، وتهدمت أبنيتها ، ودمرت مدنها ، وامتدت يد الظلم والجور على العلماء والمدرسين ، فتلاشى أمر التقدم والعلم ، وانحط قدر الأمة المصرية ، وصارت المعلومات والتقدمات ممنوعة عن السير ـ جميع مدة الفرس ـ كما أطبق عليه جميع المؤرخين .

والرومانيون تلك المدة كانوا فى أوائل ظهورهم ، فكانت دولتهم فى مهد الطفولية لا ذكر لها أصلاً بخلاف الأروام فإن التقدم الذى غرسه المصريون فى جزيرتهم ـ زمن الفراعنة ـ أخذ فى أهبة الظهور عندهم ، وكان لا يوجد فى موضع إسكندرية غير قرية صغيرة تسمى (رقودة) كان يسكنها قبل الفراعنة نفر[3] من العرب .

---

(١) فى الأصل : كقبة .

(٢) يعنى : قمبيز .

(٣) فى الأصل : خفر .

المدة الثانية

وهى سنة ١٩٣ ؛ ومن حين استيلاء الفرس على هذه الديار إلى دخول اسكندرية وتغلبهم على مصر ، لم ير فيها غير فتن داخلية أضرت بالقطر ، وترتب عليها فقر الأهالى وإهانة العلم وأهله ، ولم يلتفت إلى أهمية موضع اسكندرية أصلاً ، وبقيت قرية (رقودة) خامدة الذكر . ومن النصر المتتابع للجيوش الرومية فى محاربتها جيوش الفرس قويت شوكتهم ، وعظمت صولتهم ، وزادت شهرتهم ، وأخذت شجرة العلم التى غرسها المصريون فيهم تتسع وتعظم تبعا لعظم قدرهم .

وعلى قدر عز الروم ذلت الفرس وتفرقت بها الفتن ، واضمحل حالها ، وساقها إلى الزوال سوء / تدبيرها . ولما حلّت الأروام محل الفرس أقاموا زمنا طويلا منفردين بالحكم على باقى الأمم . ٣

ثم انحطت دولة الروم بمثل الأسباب التى كانت للفرس ، ولمجاورة روما لهذه الأمة كانت تقتبس من معارفها ، وتتحلى بفضائلها ، حتى صارت تأخذ الروم فى التقهقر إلى أن ظهرت ظهورها ، وأخذت جميع ذكرها وملكها .

المدة الثالثة

وهى سنة ٣٠٢ ؛ فى تلك المدة زال ملك الأكاسرة من آسيا بالكلية ، ودخلت مصر فى ضمن فتوحات الإسكندر سنة ٣٢٢ قبل الميلاد ، بعد قمبساس بقرنين تقريباً ، ونشأ عن هذا الانقلاب تغير كلىّ فى أحوال جميع الأمم المتمدينة[1] التى تغلب عليها الإسكندر ؛ لأنه

(١) فى الأصل : بالمتدينة .

نظر فيا يوجب ربط علائق هؤلاء الأمم ، فلذا أسس مدينة الإسكندرية وسماها باسمه ، وجعلها مركزاً للتجارات بدل مدينة صور التى هدمها وخربها ، فوردت إليها التجارة ، وعمرت فى مدة يسيرة ، وملأها الأغراب ، سيا الأروام ، وبلغت فى مدة قريبة درجة عظيمة فى الثروة والعمار ؛ بسبب كونها مقرّ حكومة البطالسة ، وانحط بها قدر منف .

وبسبب تحلية ملوك البطالسة لها بالمبانى والمعابد والمدارس ، صارت مدينة إسكندرية مركزاً لجميع أمور العالم ، وشاع ذكرها حتى ملأ الآفاق ، وقصدها جميع الناس ، فاتسعت حدودها ، وعظم أمرها ، وفاقت جميع مدن الدنيا فى تلك الأزمان ، وانتقل إليها العلم والعلماء ، وصارت مركزا للعلم والأدب كما كانت مركزا للتجارة والسياسة ، وبقيت كذلك تلك المدة الطويلة رافلة فى حلل العزّ ؛ لما اشتملت عليه من علوم المصريين والروم وتمدنهم ، فكانت كالشمس يستضىء بها كل إنسان من أى بقعة ، ونُسى بها غيرها من المدن .

وفى أغلب تلك المدة كانت مدينة روما فى حال التبربر ، فأطلقت عنان طمعها ، وخربت مدينة قرطاجة وكرت بجيوشها على ما جاورها ، فاتسع سلطانها باستيلائها على القلواء وجزائر الروم . ولم تكتف بذلك بل قصدت الممالك المشرقية ، ومن ذلك الوقت بدا فى الكون ذكرها ، واستمر ذلك إلى وقت قيصر الروم (أغسطس) .

ولنذكر لك ملخص تاريخ تقلبات هذه المدة وحوادثها ، من ابتداء إسكندر الأكبر إلى زمن دخول قياصرة الروم فنقول :

مطلب تقلبات الأحوال من ابتداء إسكندر الأكبر إلى زمن قياصرة الروم

بعد موت الإسكندر صارت قسمة مملكته المتسعة بين رؤساء جيوشه ، فكانت مصر فى نصيب (بطليموس بن لاغوس) ، وكان أعظم الجميع عقلا وأكملهم فضلا ، فأسس دولة البطالسة سنة ٣٢٣ قبل الميلاد .

وذكر المؤرخون أن بطليموس المذكور أخو إسكندر من السِّفاح ؛ لأن (أرسينوى)

والدة بطليموس هذا ولدته من (فليبش) الذى هو والد الإسكندر وملك مقدونيا ، وهو الذى زوّجها إلى (لاغوس) والده ، وكان من نسل أحد العامة ، وكان بطليموس هذا من أعز أحباب إسكندر ، وصاحبه فى جميع حروبه واشتهر بلقب (سونير) أى المنجى ؛ وسبب ذلك - كما قال بعضهم : أنه نجّى أهل جزيرة رودس من ظلم (ديمتريوس) ملكهم . فلقبوه بهذا اللقب . وقال آخرون : سبب ذلك أن نجاة الإسكندر كانت على يديه فى وقعة من وقعات الهند ، فمن ذلك لقب بهذا اللقب .

وبطليموس هذا كان صاحب تدبير ، وعقل وافر غزير فلذا كان ابتداء جلوسه على تخت الديار المصرية آخذاً فيما يوجب لملكه الدوام والبقاء ، وصارفا جل همته فى استمالة قلوب المصريين . فنشر فيهم ألوية العدل والإنصاف ، وأوسع لهم فى العطاء فأحبوه ، ولاذ بساحته أغلب الرجال من ذوى العقل من رجال الإسكندر وغيرهم ، وتوصل لعقد معاهدات مع حكام الجهات المجاورة لملكه ، فاستقام حال مصر ، واستبشر أهلها بالأمن والراحة ، ونمّت فيهم الثروة التى كانت رحلت من بلادهم منذ زمن مديد . ولم يمض عليه زمن يسير إلا وقد ظهرت ثمرة حسن رأيه وإصابته ؛ فإن(بيردنكاس)أحد أقرانه فى مدة الإسكندر ، رغب فى أخذ مصر منه وحزب عليه جيوشا ، لكن اخترمته المنية أثناء ذلك ، وبقى بطليموس مستريحا بعد هذه الفتنة التى كانت نتيجتها دخول بلاد القدس ضمن سلطنته لحفظ القطر المصرى من عدوّ يقصده من الشام ، وربط به معاهدات صار بها مستقلاً فى مصر وما والاها من بلاد العرب ، وبلاد ليبيا التى فى حدود مصر ، ومن ذاك الحين صار مالكاً متصرفاً لا يعارض ، وبذل الجهد فى إتمام مقاصد إسكندر من تمكين تجارة المشرق والمغرب من أرض مصر

وفى زمنة وزمن من أعقبه فى الملك ، كثر ورود التجارة الهندية إليها ، بسبب ما حدث فى سواحل البحر الأحمر من المين[1] العظيمة ، والمسالك الموصلة لتلك التجارة إلى نيل مصر ، لتمر فى مدنها حتى تصل إلى إسكندرية وتنقل إلى أوروبا . ومن تلك المسالك :

(١) جمع ميناء .

الخليج الذى كان يوصل إلى السويس بالنيل فى الأزمان القديمة ، والطريق المنتظمة فى الصحراء الشرقية فى الوجه القبلى ، بين النيل والقصير ، وجعل فيها الصهاريج والخفراء لأمن المارين والمترددين فى تلك الفيافى ، فكانت المصريون ترسل تجارتها ومحصولاتها المعتادة : كالصوف والحديد والرصاص والنحاس ، وبعض أوانٍ من الزجاج وغير ذلك إلى بلاد الهند وتستبدل تلك الأنواع / بالعاج والأبنوس والصدف ، والثياب الملوّنة وغير الملوّنة ، وأنواع الحرير واللؤلؤ والأحجار الثمينة ، والبهارات وأنواع البخور .　٤

مطلب بطليموس الثانى

كانت أيام بطليموس لاغوس كلها ، بالنسبة لمصر ، أيام رفاهية وتقدم ، وظللت أرض مصر أجنحة السعد ، وأخذت الأهالى فى ازدياد الثروة .

ثم لما تقدم فى السنّ خاف على ملكه من بعده ، فأشرك معه فى حكمه ولده من زوجته الثانية ، وقدمه على أولاده الذين قد رزقهم من الأولى ليدرّبه على سياسة الملك ، فكان الأمر بينهما بالسوية إلى أن توفى بعد ذلك بسنتين وذلك سنة ٢٨٣ قبل الميلاد ، فاستقل بالحكم بعده ولقب (بفيلادلفوس) أى محب الإخوة ، لأن بعض المؤرخين ذكر أنه اجتهد فى استمالة قلوب إخوته فلقب بذلك . وذكر بعضهم أنه قتلهم واحداً بعد واحد بحيل مختلفة ، فلقبه أهل إسكندرية بهذا اللقب ، تهكماً واستهزاء . ومع ما فيه فقد اقتفى أثر والده فيما يجلب لأهل مصر السعادة ، فنمت التجارة والمعارف فى أيامه نموا شهدت به التواريخ .

والمدة التى كانت ورثة إسكندر تشعل فيها نار الحروب وتسوق بها الجيوش ، إلى أن خربوا جميع جهات آسيا ، كان فيها بطليموس المذكور مشغولاً بما يوجب رفاهية أهل مملكته ، فأوسع دائرة التجارة والفلاحة ، ووزع مياه النيل على الأراضى بإنشاء خلجانٍ وجسور ، حتى اكتسب بذلك شهرة لم تمحها حوادث الزمن .

مطلب الكتبخانة

واعتنى بالعلم وأسس الكتبخانة ، التى أطنب فى مدحها المؤرخون ، وصارت فريدة يقصدها الناس من الآفاق ، ولم تزل فى ازدياد إلى زمن كليوباترا ، فحرق أغلبها فى محاصرة قيصر بمدينة إسكندرية .

وفى زمنه أحضر كتبا كثيرة من كتب العبرانيين ، بناء على إشارة رئيس الكتبخانة ، وكتب إلى رئيس أحبار بيت المقدس ، فطلب ستة أحبار من كل قبيلة من قبائل العبرانيين الإثنى عشرة ، ولما حضروا عنده أكرمهم وغمرهم بإحسانه ، فترجموا له توراة موسى عليه السلام سنة ٢٧١ قبل الميلاد بمدينة إسكندرية ، فى المكان المعروف بجامع الألف عمود ، وهى النسخة الأصلية التى أخذ منها جميع نسخ التوراة التى فى أيدى الناس .

وفى تلك الأيام كانت الأغراب كثيرة بديار مصر ؛ لأنه من وقت وفود إسكندر وبنائه إسكندرية كانت الأغراب تتوارد ، وكثرت الأروام وأهالى السواحل الشامية بالإسكندرية ، وكانت التجارة بأيديهم فتأكدت العلائق بين المصريين وغيرهم من أهل المغرب .

ومُلك الرومانيين حينئذ ، وإن كان قد أخذ فى الظهور ، لكن شهرته كانت محصورة بإيطاليا ، ولما اشتهرت حروبهم وشاعت ووصلت أخبارها مصر ، رغب بطليموس فى تجديد علائق المحبة بينه وبينهم ، فعمل معهم شرائط الإتحاد فمن ذلك الوقت دخلت الرومانيون ضمن من دخل مصر ، واتجروا واستوطن أكثر الواردين منهم إسكندرية كغيرهم .

وفى تلك المدة كانت الغلواء ، وهم المسمون الآن بالفرنساوية ، تشن الغارات على الأمم البعيدة ، وبالجملة أغاروا على الرومانيين ، ودخلوا أرض اليونان وآسيا وأرض مصر . وبسبب تجلدهم على القتال كان منهم قوم فى جيش بطليموس ، وقوم فى جيوش إسكندر . وفى مدة غياب بطليموس رفع أربعة آلاف منهم لواء العصيان عليه ، وهمّوا بنزع الحكومة منه ، فلم ينجحوا وقهرهم بطليموس ، فحصروا أنفسهم فى إحدى جزائر النيل ، ولما تحققوا

عدم الخلاص قتل بعضهم بعضا ، حتى لم يبق منهم أحد وفى عقب ذلك جمع (انتكورس طيوس) ملك الشام عساكر كثيرة ، وهجم على ديار مصر لدولة البطالسة حسدا منه ، ثم انتهى الأمر على الصلح بينهما .

وسبب ذلك أن فئة من المصريين كانوا قد خرجوا عن الطاعة ، فعظم ذلك الأمر على بطليموس ولكنه تداركه بتزويجه بنته لملك الشام ، فانحسم أمر النزاع وزال ما كان فى النفوس .

لكن لم يتمتع بطليموس بثمرة هذا الصلح زمناً طويلاً ، فإن موت زوجته (أرسينوى) أخته أوجب تعجيل منيته ، لفرط حزنه عليها . وكان موته سنة ٢٤٦ قبل الميلاد .

مطلب بطليموس الثالث

وجلس بعده على تخت الملك ابنه بطليموس الثالث ولقبه (أويرجيت) أى المحسن ، وسبب تلقيبه بذلك ؛ وأنه أحضر معه بعد رجوعه من حرب الفرس أصناما كثيرة من أصنام آلهة قدماء المصريين ، وكانت أخذت من المعابد زمن (جمشيد) .

ومن ذلك يعلم أن المصريين ـ كانت فى تلك الأزمان ـ تغيرت عن حالها القديم وداخلها الطيش والخفة ، فإن بطليموس هذا كان غير مستحق لهذا اللقب ؛ فإنه كان مشتغلا بالحروب فى بلاد بعيدة ، ولم يسر سير أبيه ، بل أهلك مال الدولة فى تلك الحروب ، وأتلف رجالها ، ونقصت درجة ثروة الإقليم عما كانت أيام أبيه وجدّه .

وجميع هذه الحروب التى فى سواحل الشام ، والفرات ، والعجم ، وحدود آسيا منشؤها أمرٌ واهٍ ، كانت تسويته ممكنة بدون سفك دم ، وذلك هو الانتقام لأخته من زوجها ملك بلاد الشام ؛ لأنه كان هجرها . وهذه الحروب لولا أنهم تعصبوا عليه بمصر لدامت ، لكنه لما رأى ذلك رجع وأطفأ نار الفتنة ، وبعدها بقليل مات مسموما بواسطة أحد أولاده ، وذلك سنة ٢٢٠ قبل الميلاد .

مطلب بطليموس الرابع

وتولى بطليموس الرابع الذى قتل أباه وتلقب بـ (فيلوباتور) أى محب الأب ، لقبه بذلك أهل الإسكندرية تهكماً ، وكانوا من أشد الناس عنادا وأقربهم للفتنة انقيادا ، ومع ذلك فتلقيبهم له بهذا اللقب مما يدل على جراءتهم ، فإنه وإن لم يُرَ فى تواريخ تلك المدة ما يثبت بطريق قطعى أن هذه الفِعلة حصلت منه ، لكن ما وقع منه بعد جلوسه على التخت فى عائلته الملوكية يحقق ذلك ؛ لأنه لم يكتف بقتل أخيه وأخته ـ التى كان متزوجاً بها ـ بل قتل والدته أيضاً ، واحتظى بامرأةٍ فاجرة لجمالها ، فلقبوه أيضا بـ (تريفون) أى الجبار الشديد القسوة لقسوته وفجوره ، فلم يرتدع بل ازداد طغيانا ، وفسادا ، وفجوراً ، وفسوقا وقسوةً ، وانهمك فى اللذات والمعاصى ، وترك أمور الملك ، وأكثر من ظلم الرعية ، وأجحف فى طلب الأموال ، فتلاشى حال مصر.

وكانت أخبارها تصل إلى ملك الشام (انتيكوس الثالث) أولاً فأوّلاً . فظن أن الوقت وقت الانتقام من البطالسة ، فجرد على مصر . لكن لم تساعده المقادير فانهزم أشنع هزيمة .

وبقى بطليموس بعد ذلك سبع عشرة سنة وهو فى لهوه ولعبه ، وما عمل شيئا يستحسن ذكره ، غير تجديد المعاهدة التى عقدها أجداده مع الرومانيين ، إلى أن مات سنة ٢٠٤ قبل الميلاد .

مطلب بطليموس الخامس

وترك الملك لولده بطليموس الملقب بـ (أبيفان) أى المحترم ، وكان عمره حين موت أبيه خمس سنين ، فحدثت فتن واضطراباتٌ داخل البلاد ؛ لأن والدته من فجورها أخفت وفاة أبيه مدة طامعة أن تكون السلطنة لها ، واتحدت مع أخيها وبعض أخدانها ، وهمت بقتل ولدها ، فعلم بذلك أهل الإسكندرية ، فأخذوه منها قهراً وجعلوه تحت رعاية الرومانيين ، وقتلوها مع من اتفق معها أشنع قتلة .

ومن ذلك يعلم أن كلمة الرومانيين كانت بلغت عند المصريين حد الاعتبار . وكانوا تداخلوا فى أمور بيت ملك المصريين ، حتى كان يحتمى بهم ، ويمتثل رأيهم .

ولصغر سن بطليموس أقاموا له ولياً ، وكانت الأمور فى اضطراب ، فنتج من ذلك أن صاحب الشام اهتم فى أن يسترد البلاد التى كانت بطالسة مصر اغتصبتها منه ، فرأى أنه إن زوَّج ابنته لبطليموس الخامس ، جمع بين العائلتين ووصل لمرغوبه ، ففعل ولكن خاب ظنه ؛ فإن كليوباترا ـ بنته ـ فضلت زوجها عليه ، ولم تساعده على قصده ، ومع ذلك لم تتحصل على شكر صنيعها من زوجها ، بل تمادى على الفجور ، والفسق ، واللهو واللعب ، إلى أن قتل مربيه ووزيره (أرسومين) بالسم ، وكان مربيه ـ هذا ـ شريفا فى قومه فاضلا .

ومن شدة قسوته وتجبره قامت الأهالى فى حياته مراراً ، وطفئت نار الفتن جميعها بواسطة رئيس جيوشه . وأخيرا اتفقت جماعة من رجال الدولة فقتلوه وخلصوا الملك من شره سنة ١٨٠ قبل الميلاد .

وأعقب من زوجته ولدين وهما (فلومطور) (وفسكون) وكان عمر الأول ـ حين مات أبوه ـ سبع سنين فاختارته الأهالى ، وجعلت أمر السلطنة موكولاً إليه .

مطلب بطليموس السادس

وكان بطليموس السادس لا يحب أمه ، لميلها لأخيه مدة ملكه ، ولذا لقب بلقبه الذى معناه : محب الأم . وفى صغره استحوذ ملك الشام على بلاد فلسطين وغيرها من بلاده .

ولما تملك مقاليد الملك جرَّد عليه وحاربه ، فلم يُنصر عليه وأخذ أسيرا ، وتغلب ملك الشام على قلعة الطينة ، ودخل مصر فقام أهل الإسكندرية وجعلوا عليهم (فسكون) ملكا ، فلم يحاربه ملك الشام ، وخلى سبيل بطليموس (فليوباتور) من الأسر ، وسلمه جميع البلاد ـ التى كان أخذها منه ـ سوى قلعة الطينة ، فإنه حفظها ليكون بسببها واقفا على حقيقة ما يصير بأرض مصر ، وما يقع بين الأخوين ، وينتهز فرصة عداوتهما لبعض .

هذا ما كان منه ، وأما هما ، فاتفقا وأقاما فى الملك سوية ، فخاب ظنه ، وقهره الرومانيون على ترك مصر والرجوع إلى بلاده .

ثم بعد ذلك وقعت الفتن بينهما ، وحزّبا الأحزاب واقتتلا ، فغلب (فيلامتور) وطرد (فسكون) ففر إلى روما ، والتجأ بها ، فاغتنمت الرومانيون فرصة الشقاق ؛ لأنها كانت تطمع فى الاستيلاء على مصر ، فتوسطت بينهما ، وحكمت (لبطليموس فيلوباتور) بالأقطار المصرية وجزيرة رودس ، ولأخيه (فسكون) ببلاد ليبيا وبلاد السيرانك ، أى القيروان ، فلم يقنع بذلك بل ذهب إلى روما وطلب جزيرة قبرص ، فحكموا له بها .

كانت تلك الحالة باعثة حكومة الرومانية ، على أن تدخل فى أمر الديار المصرية دخولا تاما .

وبسبب فصلها قضايا البطالسة ، اتسعت دائرة سطوتها ، وقويت شوكتها فى هذه الديار . ومن ذلك الوقت نفذت كلمتها فى حكومة المصريين ، فمهدت طرق الطمع فى الاستيلاء عليها . وقد حصل ــ ولاشك ــ أن عدم الاستقامة وكثرة الظلم ينشأ عنهما كثرة الفتن .

وهذا كان حال مصر والشام ؛ فإن (اسكندر بلاص) أحد الأمراء ، طرد ملك الشام عن ملكه ، واتحد بملك مصر ، ورغبا فى تمكين علائق الاتحاد بين أولادهما بتزويج إسكندر المذكور بنت بطليموس ، فرضى بذلك ، ثم عدل عنه فيما بعد وزوجها من (سورتير) ملك الشام المطرود ، وجمع عسكره مع عسكره ، وطردوا (بلاص) المذكور ، واستقر صهره على ملك أبيه بالديار المصرية والديار الشامية ، ونشأ عنها استيلاء إسكندر بلاص .

ثم / بعد تمهيد الأمر ، تزوج ملك الشام بإبنة ملك الملوك المجاورة له ، فحنقت عليه زوجته ، ودخل فى نفسها من جهته ما دخل . وبعد موته أرادت قتل ولدها ــ الوارث للملك عن أبيه ، بالسم ، رغبة منها فى التصرف فى بلاد الشام ، وجعل ابنها الثانى الصغير بدله ، فلم ينجح مكرها ؛ فإن ولدها ــ ولىّ العهد ــ اطّلع على ذلك ، فأسقاها السم الذى كانت أعدته له . ٦

ومن ذلك يعلم أن (بطليموس فيلاماتور) أراد أن يفعل بحكومة ملك الشام ما أراد فعله ملك الشام قبله بحكومته ، فخاب قصد كل منهما . وبعد ذا بقليل مات بطليموس سنة ١٤٥ قبل الميلاد ، وبعد ما بلغه موت إسكندر بثلاثة أيام جلس على التخت ، ولقب نفسه بالمحسن ، ولقبه أهل الإسكندرية بالمسىء ؛ لأنهم يعرفونه قبل بالفسق والقسوة .

والذى مكنه من الجلوس على التخت : أن بطليموس لم يترك غير ولد صغير ، وهو الحقيق بالجلوس ، لكنه أبعده وجلس هو . لكن شرط عليه أهل الإسكندرية شروطا منها : بأنه يتزوج بأخته زوجة أخيه ، وأن يكون ابن أخيه ولىّ عهده ، فأظهر القبول وفى يوم زفاف زوجة أخيه له ، ذبح ولدها فى حجرها ؛ فلما رأى أهل البلد ذلك قاموا عليه ، فهرب إلى جزيرة رودس ، فتنصبت بعده زوجته .

ثم بعد ذلك بمدة رجع وطلقها ، وقدم لها على المائدة قطع ولدها التى كانت أتت به منه ، وتزوج بإبنة أخيه (فيلاماتور) وبقى بعد ذلك يتنوع فى الفجور إلى أن مات قبل الميلاد سنة ١١٧ .

ومدة تملكه ، كانت تسعا وعشرين سنة ، ولم تنقطع الفتن فيها .

وذكر بعض المؤلفين ، أنه ألف تاريخاً لمصر ، لم تعثر الناس منه إلا على القليل .

وأعقب من ابنة أخيه ولدين ـ غير ولد له من السفاح ـ كان أعطاه بلاد القيروان ، ومات هذا الولد ولم يعقب ، وكان قد أوصى ببلاد القيروان للرومانيين ، فوضعوا عليها أيديهم ، وبهذه الطريقة كان أخذها من البطالسة ، وصارت من هذا العهد من ضمن ملك الرومانيين ، وبسبب قربها من الديار المصرية ، ازداد تداخلهم فى أمور مصر وقوى طمعهم فيها .

مطلب بطليموس الأصغر

وكانت الملكة كليوباترا ممتثلة لجعل الملك لأصغر ولديها بطليموس إسكندر ، وكان أهل الإسكندرية لا يوافقونها على ذلك ، بل يميلون إلى الأكبر ، فوافقتهم على ذلك ظاهراً

لا باطناً ، وأسرت إلى (إسكندرجانى) ملك اليهود أن يعينها ، فأجابها وأرسل لها عساكر ، وحصلت وقعة عظيمة بينه وبين بطليموس ، ثم انهزم ملك اليهود وخابت مساعى كليوباترا ، ومع ذلك فلم ترتدع ، بل أخذت فى ازدياد المكر والحيل ، حتى قهرت ولدها الأكبر على الفرار إلى جزيرة رودس ، وأقام بها ، وتخلى عن السلطنة لأخيه الأصغر . فلم يمض غير يسير حتى طلبته للحضور ، فلما حضر خاف على نفسه ، وخشى أن تكون والدته مضمرة له سوءا ، فعجّل عليها وقتلها ، ففزعت الأهالى من ذلك ، وقاموا عليه وطردوه سنة ٩١ قبل الميلاد ، وبعد مدة قليلة قتله أحد الملاحين ، وانقطع ذكره من ذاك الحين .

وبقى أخوه ـ بطليموس الأصغر ـ منفردا فى الملك ثمانية وستين سنة ، وحصل فيها سنة ٨١ قبل الميلاد فتنة عظيمة فى الجهات القبلية من مصر ، فجرد عليها جيوشا وحاربها ، وانتصر عليها . لكن من بقى من رجال الفتنة انحاز لقوم آخرين ، ودخلوا مدينة طيبة ، وتحصنوا بها ، فحاصرهم بطليموس ثلاث سنين ، على ما قيل . ثم انتصر عليهم ، وبدد شملهم ، وهدم المدينة وشتت أهلها .

مطلب كليوباترا

وبعد موت بطليموس لم يكن له غير بنت تسمى (برينيس) .

وسميت كليوباترا ، جريا على عادة بيت البطالسة ، فورثت والدها فى الملك ، وجلست على التخت وأقامت ستة أشهر بدون منازع . وبعدها حضر فى مدينة الإسكندرية من طرف (سلا) رئيس جمهورية الرومية ، أحد أولاد بطليموس ، وكان اسمه إسكندر الأول ، وكان قد ترقى عند ملك البون . ولما بلغه موت بطليموس توجه إلى روما ، والتجأ إليها وحضر بمساعدة إلى مصر ، ومعه مكاتبة بجعله ملكا على أرض مصر ، باسم بطليموس العاشر ؛ حيث أنه الأحق لأنه الأقرب لبطليموس من الرجال ، فلم ترض المصريون بذلك ، ولكن خافوا حصول فشل ، فاتفقوا على أن يزوّجوه بكليوباترا ، ويكونا معا فى الملك فتزوجها

وبعد قليل قتلها ، فغضب أهل المدينة وحقدوا عليه ما فعل . ومن خوفهم من (سلا) لم ينتقموا منه عاجلاً وما زالوا منتظرين الفرصة حتى مات سلا ، بعد أيام قليلة ، فقاموا عليه ، ففر منهم إلى مدينة (صور) سنة ٦٥ ، ومات فيها بعد زمن يسير ، وجعل فى وصيته الديار المصرية للرومانيين ، ومع هذا لم تتعجل الرومانيون وضع أيديهم عليها . وأسباب ذلك غير معلومة ، لكن يقال إن الأمة المصرية تلك المدة ، كانت آخذة فى الضعف ، والرومانيون كانوا منتظرين تمام ضعفها ، سيما ، وهى المتصرفة فى أمر الدولة المصرية وبيدها الحل والعقد ، فكانت آمنة من نقلها من يدها ، جازمة بأن مصر تؤول إليها ، حتى أنه لم يكن للبطالسة إلا الإسم ، والدليل على ذلك أن تولية البطالسة كانت برأى الرومانيين ، وأغلب أموال مصر تذهب إليهم على سبيل الرشوة ، وكانت أفراد العائلة الملوكية المصرية تتسابق فى العطايا فكان / الرومانيون ينتصرون للأكثر عطاء . ٧

وترك (بطليموس) غير ابنته (بيرنيس) ولدين من السفاح ، فأحضروا أحدهما وقلدوه الملك ، ولقب بأوليت (النايانى) وجُعلت جزيرة رودس للثانى ، وكانت ـ إلى ذاك الحين ـ لم تفصل عن حكومة مصر ، ولكن حكم الرومانيون بانفصالها ، وأسسوا ذلك الحكم على وصية إسكندر ، وأرسلوا من طرفهم (كاتون) لإتمام هذا الأمر ، فلم يقبل المصريون هذا الانفصال ، بل جعلوا رودس تابعة لمصر كما كانت ، وسعى (بطليموس) بالمال عند الرومانيين حتى تم له ذلك ، وتعاهد معهم ، وعد من أحبابهم بواسطة حبيبيه (قيصر وبومبيوس) فإنه دفع لهما ستة آلاف طالان هدية ، وهى عبارة عن مليون وخمسمائة ألف بينتو ، وضربها على البلاد المصرية ، فضجروا ضجراً شديداً ، ونتج من ذلك خروج الأهالى عن طاعته وطردهم له ، وتولية بنته (بيرنيس) بدله ، فذهب إلى روما وأقام بها زمنا ، حتى استمال قلوب أكثر أمرائها بالمال .

وطال عليه الحال هناك وابنته غير غافلة فإنها تزوجت بأكبر القسس بمملكة البون ، وتمكنت فى مكانها . ولما رأى والدها أن إقامته بروما غير مفيدة ذهب إلى الشام ، ودفع أموالا

إلى رئيس الجيش الرومانى ، ووعده بعشرة آلاف طالان إن هو ساعده ، فساق الجيوش على مصر ، فقابلتهم جيوش مصر واقتتلوا ، فمات فى تلك الواقعة زوج (بيرنيس) .

مطلب رجوع بطليموس إلى ملكه

ورجع بطليموس إلى ملكه ، وجلس على التخت ، وأخذ يظلم ويتعدى ويجمع ما وعد به من المال وقتل ابنته بيرنيس ، وبقيت الديار المصرية فى الهوان ، إلى أن مات سنة ٥١ قبل الميلاد ، وترك ولدين وبنتين . وكان قد أوصى قبل موته ، بأن الملك من بعده يكون للبكرىّ من أولاده وأكبر بنتيه .

وحيث أنه كان متعاهداً مع الرومانيين ، وتحت كنف (ديوبوس) ترجاه فى تنفيذ ذلك ، وجعل أولاده تحت رعاية الأمة الرومانية . فلما مات اتحد ابنه البكرىّ مع أحبابه وأقاربه ، واتفقوا على طرد أخته كليوباترا من حكومة مصر ، فانحاز لها طائفة من الأمراء والأعيان ، وتحزبوا ، وقاموا على أخيها ، فاشتعلت نيران الفتن فى جهات مصر .

وفى تلك المدة كانت نيران الحروب مشتعلة بين (بومبيوس) و(قيصر) رئيس الجمهورية ، وفى الواقعة الأخيرة كان المهزوم (بومبيوس) ففر إلى مصر . وبالنظر للألفة التى كانت بينه وبين بطليموس المتوفى ، ظن أنه يأمن على نفسه فى الإسكندرية ، وبناء على هذا وصل بمراكبه إلى الطينة ، وكان هناك (بطليموس) فحيا رسله ، وأكرمهم ، فأطمأن خاطر بومبيوس ، لكن فى الحال أحضر (بطليموس) (اشيلاس) أحد رجاله ، وأمره بأن يتوجه إليه ويكون معه ، وأمره بقتله عند انتهاز فرصة ، فتوجه إليه وقابله ، فكان الرومانى آمناليس محترسا ، وخرج من سفينته ، وركب زورقا بمفرده ، ورغب الخروج إلى البر ، فقبل أن يصل انفرد به (اشيلاس) وقتله .

ولما بلغ قيصر أن (بومبيوس) قصد جزيرة رودس ، ظن أنه يتوجه بعد ذلك إلى مصر ، فسبقه إليها لينتظره هناك ، وأخذ معه ثمانمائة من الخيالة سوى البيادة ، ولما وصل

صعد بعسكره إلى مدينة الإسكندرية ، فلما رآه أهلها لا يوقر ملكهم ، غضبوا وهجموا على عساكره ، فقتلوا منهم جملة فى طرق المدينة ، فعظم ذلك على (قيصر) وتحفظ على نفسه إلى أن تحضر العساكر ـ التى أمر بحضورها من جهة آسيا ـ للقصاص من أهل الإسكندرية ، ولأخذ حقوق الرومانيين منهم بناء على وصية (بطليموس) المتوفى ، وفصل النزاع بين الأخ وأخته فى الحكومة ، وأمر بترك القتال ، وطرد العساكر ، وإحضار الأخ وأخته ليفصل بينهما ، فلم يرض بذلك (قوتان) وكيل (بطليموس) حتى يصير رشيداً ، وظن أنه يقدر على طرد قيصر وعساكره ، وأرسل سراً إلى العساكر التى بالطينة لينجدوه . ولما حضروا ، وبلغه قدرها ، علم أنه لا يقدر على مقاومتها ، فتحصن بالمكان الذى كان به مع عساكره ، وحبس نفسه منتظراً حضور العساكر الشامية لنجدته .

وأما (اشيلاس) فوقع بينه وبينهم واقعات كثيرة ، حرق فيها جزء عظيم من الكتبخانة الكبرى التى جمعتها البطالسة فى المدد الماضية . وأما كليوباترا فلم تتأخر عن شىء يوصلها إلى قيصر ، وبذلت له المال وعرضت نفسها عليه ، وكانت ذات جمال ، فتعلق بها وواقعها فحملت منه ، وأتت بغلام وسمته (قيصروم) فمال إليها قيصر ، ودافع عنها ، وكان لكليوباترا هذه أخت تسمى (ارستوى) وكانت متحدة بأحد الأمراء ، فحصل منه ـ تحت ظل اسمها ـ أمور غيرت قلوب الأهالى ، فعرفوا أن مقصودهما زيادة اشتعال النار ؛ لتخلو لهما الدار .

ومن طول مدة الحروب تعطلت تجارتهم ، وكثرت المصائب ، وزاد اشتعال نار البغضاء بين بطليموس وأخته ، وصار قيصر يقلّب عليهم جميع أنواع الحيل ، التى لم تفده شيئا ، وأخيرا صار الاتفاق معه على أن يطلق ملكهم (بطليموس) فرضى بذلك وأطلقه ، فلم يسع بعد الاطلاق فى إخماد نار الفتن بل ازدادت . وكانت العساكر التى طلبها (قيصر) حضرت ، فقصدها قيصر بعساكره لينضم لها ، فتوسط بينهما (بطليموس) ليمنعها عن الانضمام ، فوقعوا وقعة قتل فيها كثير من الطرفين ، وهزمت العساكر المصرية ، وقتل / (بطليموس) غريقا سنة ٤٧ قبل الميلاد ، وبقى (قيصر) متصرفا فى مصر جميعها بما فيها الإسكندرية ، وأقام كليوباترا ملكة مع أخيها ، فما رضيت ، وطلبت منه أن يرسله إلى جزيرة رودس ،

ويتزوج بأخته (ارستوى) فأرسله بعد زواجه . ثم بعد مدة قتل ، فقامت زوجته وأعلنت بالحرب مع قيصر ، فحاربها وغلبها ، وأخذها أسيرة إلى مدينة روما ، وطيف بها فى طرق المدينة فماتت غيظا ، وبقيت كليوباترا وحدها على سرير ملك مصر ، من ابتداء سنة ٣٧ قبل الميلاد بدون منازع .

وأعقب ذلك موت قيصر ، فاتهموها بأنها ساعدت من قتله ، فطلبها (انتوان) رئيس الجمهورية ، للمرافعة والمدافعة عن نفسها ، فقامت وتحلت بأحسن ما عندها من الحلى والملابس ، وركبت فى مركب مزينة بالذهب ، ومجاديفها من الفضة ، وقلوعها من الحرير ، وسارت فى نهر سيدنوس ، وكانت الفرش التى معها من أقمشة الذهب . وليلة دخولها صنعت ولبيمة فاخرة ، وتجملت بجميع ما يزيد فى جمالها ، ثم دعت (انتوان) فلما حضر ورآها ، أخذت بقلبه من أول وقوع بصره عليها ، ورغب فى تزوجها ، وإن كان متزوجا بـ (اوكتافى) أخت (أوغسطس) فكان ذلك داعيا لقيام الحرب بينهما ؛ محتجا (أوغسطس) بأنه ينتقم لأخته ، وكان قد أشركه (انتوان) معه فى الرئاسة ، فحصلت معركة انهزم فيها (انتوان) ففر إلى مصر ليكون مع صاحبته كليوباترا ، ويكتفى بها ، فلم يمكنه (أوغسطس) ولحقه فلم يتخلص (انتوان) منه إلا بقتل نفسه ، ولحقته كليوباترا أيضا ؛ لأنها لم تتحصل على صيد (أوغسطس) بشرك مكايدها ، واستعملت الطرق التى استعملتها مع (قيصر وأنتوان) فلم تنجح ، وخافت على نفسها أن يأخذها مع الأسرى إلى روما ، فقدّمت الهلاك على العار ، واستحضرت حية ، ووضعتها فى سبت فيه تين ، على ما قيل ، وعمدت إليها بيدها فلدغتها ، وماتت فى وقتها .

وبموتها انتهى ملك البطالسة ، ودخلت مصر تحت حكومة الرومانيين ، وصارت مديرية كباقى المديريات ، يحكم فيها والٍ من طرف الجمهورية الرومانية .

هذا ، وإن كانت الفتن فى المدد الأخيرة . لم تنقطع ؛ وسببها ذرية البطالسة ، وعداوتهم لبعضهم التى هى نتيجة الوراثة . وكانت الرومانيون دائما ، تتداخل فى أرض

مصر ، ووصلت لأن تجعل أمر تولى الوارث للملك بمعرفتها ، لكنها غير مانعة من تقدم العلوم والمعارف ، بل ما زالت مدينة الإسكندرية متقدمة فى العلوم فى مدة كل منهم . وكان التقدم سائراً نحو الأوج ، ولما انضمت إلى الرومانيين ، وصارت تابعة لدولتهم وقفت العلوم ، واضمحل حال مصر ، ورجعت إلى أسوأ ماكانت عليه فى زمن الفرس .

وكانت أعياد المصريين ومواسمهم ، فى زمن البطالسة ، على قديم عادتهم ، وكان المستعمل فى نقش الآثار والهياكل ، هو الكتابة المقدسة . ولما كثرت الأروام بتخت البطالسة ، كانت عقائد الروم داخلة معهم فى الديار المصرية ، سيما فى الإسكندرية ، وباختلاطهم بالمصريين ، تولدت عقائد جديدة ، تخالف عقيدة الأصليين ، فبذلك تبدلت الحِكم المصرية بغيرها ، وصارت أوهاما وشعوذة ، لا يمكن الوقوف على صحيح القواعد التى هى أساس الديانة المصرية فى الأزمان القديمة .

وفى مدة قياصر الرومانيين ، بلغ الظلم غايته ، واحتقروا الديانة المصرية ، حتى ضاعت من أصلها وابتدىء فى تخريب العمارات ، ونقلها إلى أوروبا ، من ابتداء استيلائهم ، فنقلوا الهياكل والأحجار المكتوبة ، والمسلات التى كانت مدن القطر الشهيرة متحلية بها ؛ كطيبة ، ومنف ، والإسكندرية ، وظهرت فى روما وفى القسطنطينية الآثار التى اعتنت بتشييدها الفراعنة أمام معابدهم .

المدة الرابعة

وهى سنة ٣٩٣ ، فى هذه المدة دخلت الديار المصرية فى حيازة القياصرة ، بدون أدنى مشقة ، ومع ذلك كانت الفتن الداخلية باقية ، فتسبب عنها تخريب بعض مبانى الإسكندرية ، سيما دار الكتب ، فإنها تلف منها مقدار عظيم ، بعضه بالحرق ، وبعضه بالنهب ، وذلك من أنفع الكتب ونادرها ، التى كانت البطالسة جمعتها مدة سلطنتهم بالديار المصرية . ولحق العلم وأمكنة تدريسه ، من الإهانة ما لحق غيره ، وانحطت درجة مدرسة

الإسكندرية ، التى كانت هى المشار إليها بأطراف البنان ، مدة اعتناء البطالسة بها ورعايتهم لها .

وبقى الاضمحلال يزداد ـ طول المدة الرابعة ـ إلى سنة ٣٦٤ ، فانقسمت المملكة الرومانية ، ولكن بقيت الإسكندرية حافظة لبعض مزاياها ، فكانت هى الثانية بعد روما ؛ لأن روما تقدمت عليها واستولت على سكانها .

وبظهور الديانة المسيحية ، وإقرار القياصرة لأهلها عليها ، وإحاطة قياصرة القسطنطينية برعايتها ، أخذت مدينة الإسكندرية تنتقل عن حالها القديم ، وكثر التغير فى جميع أمور أهلها ، بظهور المدرسة المسيحية ، المؤسسة فيها على المدرسة القديمة ، وباستمرارها على سيرها فى نشر العلوم والفوائد ، انفردت بالشهرة ، واشتهرت بذلك الإسكندرية بعض شهرة .

ولكن الفتن كانت دائمة فى خلال تلك المدة ، وكانت أمور العلم مضطربة ، وازداد الاضطراب بغارات (زنوبيا) ملكة تدمر ، على ديار مصر سنة ٢٦٥ بعد الميلاد ، وسبب ذلك أن (أودنيات) صاحب / تدمر كان ساعد جيوش الرومانيين مساعدة عظيمة ، حين حربهم (لسابور) ملك الفرس ، فمكافأة له على ما بذله ، عُدّ من الرومانيين ، وجُعِل ملكا على تدمر ، سنة ٢٦٤ ميلادية ، ثم توفى بعد مدة وترك ولدين ذكرين ، فلم تكتف والدتهما (زنوبيا) بملك تدمر ، بل طمعت فى مملكة الرومانيين المشرقيين جميعها ، ولقبت ولديها بالقيصرية ، وتلقبت بلقب القراليجة . وطمعت فى جميع الولايات المشرقية ، مع أنها كانت تحت يد الرومانيين ، وجهزت جيوشا وأغارت بها على مصر ، ووضعت يدها عليها ، ووقع بينها وبين القيصر (أورليان) وقعات ، انتهت على أخذ مصر من يدها وطردها ، فتبعها القيصر المذكور فى بلادها ، واستولى على تدمر نفسها وهدمها سنة ٢٧٠ .

٩

فباشتغال دار الحروب الداخلية والخارجية ، توقفت أسباب الثروة والرفاهية بالديار المصرية . وحيث كانت إسكندرية ميدان حروب الأحزاب ، تخرب أغلب مبانيها ، وأزيل أغلب آثارها .

وفى تلك المدة كان تمام ظهور الديانة العيسوية ، فإنها ظهرت مدة قيصر الروم (أوغسطس) ثم اشتهرت وانتشرت بمملكة الرومانيين ، التى من ضمنها مصر .

وأول من حضر للديار المصرية ، ونشر بها الديانة المسيحية ، المقدس (مارك) تلميذ المقدس (القديير) وكان حضوره سنة ٤٣ ميلادية ، ونشر بها إنجيله ، الذى كان ألفه بروما ، تحت نظر المقدسين ، وتبعه خلق كثير من المصريين والإسكندرانيين ، فأسس لهم كنيسة عرفت بكنيسة إسكندرية .

وبسبب أن أعين المخالفين لهذه الديانة هم الأمة بتمامها ، ومنهم القياصرة ، كانوا ينظرون إليها نظر احتقار وإهانة ، فصارت من عهدها عرضة لجميع أنواع الإهانة والذل فى كل جهة ، وصدرت أوامر من الدولة بضبطهم وقتلهم ، فتركوا المعمور ، وفروا إلى الصحارى ، وسكنوا المغارات المنحوتة فى الجبل المقطم ، وجبال الأقاليم القبلية . واختاروا تلك الحالة على ترك اعتقادهم ، وبعضهم بنى ديورا وأقام بها ، وتعرف جميعها إلى الآن بـ (ديورانطون) .

والذى سل سيف الهوان على النصارى ، وبالغ فى أنواع تعذيبهم ، أكثر من غيره ، من القياصرة ، القيصر (ديوكليتيان) خصوصا فى أرض مصر ، وسيأتى شرح ذلك إن شاء الله تعالى .

المدة الخامسة

وهى سنة ٢٧٧ ، كان فيها تقسيم الدولة الرومانية ، ونتج من ذلك فوائد كثيرة للقطر المصرى ، سيما إسكندرية ، منها : إضمحلال الدولة الرومانية المغربية بقيام الأمم المتبربرة عليها . ومنها : إشتغال الأروام بالعلوم والتقدم ، فلم يمنعهم عنها تهاون القياصرة وإهمالهم لها ، وتصديهم للمجادلات الدينية . ومنها : تسلطن المعارف البشرية فى مملكة المشرق ، ومنها : حفظ مدينة إسكندرية لدرجة عظيمة فى التقدم مشتهرة بها بين المدن .

وأما الديانة العيسوية ، فكانت آخذة فى الانتشار فى مملكتى المشرق والمغرب ، وعظم شأنها بمدينة إسكندرية . ومن كثرة الجدال الذى كان يحصل بين علمائها وبينهم ، وبين أضدادهم ، تمكنت قواعدها وعظم حزبها بإسكندرية ومصر. ومن تسلط يد العدوان والقسوة على المتدينين بها فى جهات المغرب ، هاجر كثير منهم لمصر ، وسكنوا صحاريها وبنوا بها الديور ، فنشأ عن ذلك وعن عداوتهم لديانة المصريين ، تهديم المعابد ، وتخريب الهياكل ، وتعذيب رجالها بأنواع العذاب ، فتضعضعت أركانها ، وزال بذلك أكثر مبانيها الفاخرة ، التى كانت تباهى بها مدن الأقطار ، خصوصا إسكندرية ، فإنه حصل بتخريبها إزالة الآثار القديمة منها .

فمن ذلك يعلم أن أكثر التخريب سببه لهذه الديانة الناسخة للديانة المصرية العتيقة والوثنية المتولدة عنها فى زمن البطالسة وقياصرة الروم الأول. فأغلب ما حصل فى القطر من الأمور ، التى تغيرت بها أحواله وأحوال أهله ينسب إليها ، فإن التغير الذى به دُمرت المبانى ، وَخرَّجت الأهالى عن طباعها وعوائدها وأخلاقها ، لا ينسب إلا لها .

وبقيت الديار المصرية تتقلب على لظى المظالم المتنوعة ، إلى أن ظهرت فرقة دينية ، انفصلت عن كنيسة روما والقسطنطينية ، وأخذت تتقوى ، واستقلت بالإسكندرية ، وبعدها بقليل ، سرت إلى باقى الديار المصرية ، ونشأ عنها جميع المصائب لمدينة إسكندرية . ومع ذلك لم تنحط فى جميع هذه المدة عن درجتها التجارية .

وما سنذكره من الآثار ، هو ما بقى منها بعد المدد الثلاث ، التى تعاقبت على الإسكندرية ، أى مدة البطالسة ، والقياصرة الأول ، وقياصرة القسطنطينية.

وقبل ذلك نورد ما وقع من الديانة العيسوية بالديار المصرية ، فنقول : إن الديار المصرية ــ حين القسمة ــ صارت من نصيب (ديوكليتيان) فكان له مملكة الشرق ، وكان حاكم هذه الولاية قبل القسمة أميراً رومانياً ، اسمه (اشيى) وكان يطمع فى القيصرية ، ولما لم ينلها ، رفع لواء العصيان فى مدينة إسكندرية ، وتلقَّب بقيصر بين الأهالى والعسكر ، وبقى

متمتعا بهذا اللقب خمس سنين ، إلى أن صارت الدولة المشرقية من نصيب (ديوكليتيان) فحضر بالجيوش / إلى إسكندرية ، يريد الانتقام من حاكمها ، فدخلها ، وقبض على الحاكم وقتله ، ونهب بيوت الأهالى ، وجميع البلاد التى دخلت تحت لواء العصيان ، وعمَّ النصارى بجبروته زيادة عن غيرهم ؛ فإن مأمورى الحكومة جمعوا منهم أناسا كثيرين ، نحو ثمانين ألف نفس ، وساروا بهم إلى مدينة إسنا ، وقتلوهم هناك عن آخرهم بأمر القيصر.

١٠

والكنيسة الموجودة هناك ، بنيت محل المعركة لتخليد ذكرها ، وهذه الوقعة كانت سنة ٢٨٤ من الميلاد ، وجعلتها نصارى مصر مبدأ تاريخ لهم .

ثم بعد موت (ديوكليتيان) المذكور و (عالير) الذى أخذ القيصرية بعده ، زالت السحب عن سماء الديانة العيسوية ، وسوعدت كل المساعدة بشمول نظر القيصر (قسطنطين) من وقت جلوسه على تخت قيصرية المشرق .

ومع هذا ، فقد تشعبت الديانة فى هذه المدة إلى مذاهب وفرق ، بسبب الاختلاف الذى حصل بين رجالها فى بعض قواعدها ، ونشأ من ذلك تعدى الفرق على بعضها ، وهلاك خلق كثيرين ، ونتج منه فشل عظيم بالديار المصرية وغيرها .

وكان عدد الفرق فى مبدأ القرن الرابع من الميلاد خمساً وخمسين ، ولكن ـ لهذا التاريخ ـ كانت جميعها متحدة فى الأصل ، ولو اختلفت فى الفروع . ومعظم الأسباب التى نشأ عنها تفرق تلك الديانة إلى فرق وشعوب : دخول قيصر الروم (قسطنطين) فى دين النصرانية ، وجعل هذا الدين وحده هو دين الحكومة القيصرية دون غيره من الأديان .

فمن ذلك العهد كثرت المجادلات الدينية ، وتضعضعت أركان الدولة ، واضمحلت قوتها ، وكان عاقبة ذلك طمع الأقوام المتبربرة فيها ، التى وفدت من الجهات الشرقية والشمالية وأول من قاسى مشاق هذه الشعوذات ، الديار المصرية .

مطلب فى ذكر أربوس ، ومناقضته مع غيره

ظهر فى إسكندرية رجل يقال له (أربوس) ، وفى كون أصله من القيروان أو من إسكندرية خلاف ، وكان قد بلغ درجة عالية فى العلوم وعرف بالفصاحة فى زمن (اسبين) وكان لين العريكة ، طلق اللسان ، عذب الألفاظ ، فبسبب هذه الأمور ، تحصل فى زمن هذا الحاكم على أن يكون قسيسا فى كنيسة من كنائس إسكندرية ، وبقى فيها إلى موت (اشيىّ) ثم قام وطلب أن يكون بطريقاً بإسكندرية لموت البطريق الذى كان فيها ، فاختلف الناس فى ذلك ، ثم اختاروا (إسكندر) وقلدوه البطريقية ، فبغضه وعاداه من ذلك الحين ، وصار ينسب إليه ما يشينه فى كل مجلس ، مع كونه متصفا بحميد الصفات ، وحسن العقيدة : فلما لم يجد (أربوس) بداً من نيل أغراضه ، غير أسلحة عدوانه ، وأخذ يذم عقيدته ، وينسبه للجهل .

وكان فيما يُدرسه (إسكندر) للقسس : أن الإبن يساوى الأب ، وأن مادة الاثنين واحدة ، فعلى هذا يكون التثليث وحدة بلا خلاف ، فنقض (أربوس) هذا عليه ، وقال : إن كان للولد علوق ، فبالضرورة يكون له أول ، وقد مر زمن لم يكن فيه موجوداً ، فيكون وجوده بعد عدم ، فلم تكن مادته مادة الأب .

وفى مبدأ الأمر نصح (إسكندر) (أربوس) لعله ينتهى ، فلم يزدد إلا طغياناً . ودخل معه فى رأيه ومذهبه كثير من الأهالى ، فلما رأى (إسكندر) منه ذلك طرده من وظائفه ، فنشأ من ذلك : أن قام كل حزب على الآخر ، فكان ذلك فى كل مدينة وقرية ، من القطر المصرى ، وصار لا يسمع غير محاورات ومناقشات فى هذا الشأن ، وصار كل بيت أو مجمع كأنه مدرسة ، لا يسمع فيه إلا المباحثة ، فأنتج ذلك كون عامة الخلق الذين عادتهم أن يميلوا مع الغالب ، صاروا تارةً مع هذه الفرقة ، وتارة مع الأخرى .

وحيث أن الحزب لايقوى إلا بميل الحكومة لمذهبه ، فكانت الأهالى عرضة للإساءة ، ودخل الفشل جميع البيوت ، وقامت أفراد العائلات على بعضها ، وعادى الأخ أخاه ، والأب ابنه .

وعمت هذه البلوى جميع الديار المصرية ، من أقصى الصعيد إلى إسكندرية ، فلما بلغ قسطنطين أمر بانعقاد جمعية من رؤساء الديانة ، لفصل الكلام فى المسائل الخلافية ، وكان ذلك فى سنة ٣٢٥ من الميلاد ، فاجتمع من الأحبار جمع عظيم بمدينة أزنيق ، التابعة لولاية بروسه ، وسألوا فى المسئلتين الموجبتين للاختلاف :

الأولى : فى أى يوم يكون عيد الباك (عيد الفصح) ؟

والثانية : هل مادة الإبن غير مادة الأب كما يزعم (أربوس) وحزبه ، أو هما من مادة واحدة ، كما تعتقد الطائفة الأخرى ؟

وكانت جميع الأساقفة ، وأحبار الأمة النصرانية ، مجتمعة ما بين مشرقيين ومغربيين ، وحضر (أربوس) وشرح مذهبه ، وأقام البراهين عليه ، فكان تارة يستدل بعبارات الإنجيل ، وتارة يسبح فى بحور الفصاحة ويغوصها ، ويستخرج منها درر المعانى ، ويكلل بها تاج مذهبه ، حتى بهر عقول الحاضرين .

وكان بالمجلس شاب من تلامذة بطريق إسكندرية ، والمقربين عنده ، يقال له (عطاناز) فقام ، وأخذ يقيم الأدلة على بطلان ما ادعاه (أربوس) ويتكلم على كل دعوى بما ينقضها من أسها ـ سواء كانت معقولة أو منقولة ـ حتى تحول جميع من/ بالمجلس عن مذهب (أربوس) فيه ، وحكموا بفساد عقيدته ، وجعلوا لعنَهُ ولعن من اتبعه ، ضمن الصلوات فى جميع الكنائس .　١١

وأما عيد باك (عيد الفصح) فقرروا وقته يوم الأحد الذى يعقب الهلال الجديد ، الذى يهل بعد الاعتدال الخريفى ، ونشر ذلك فى جميع أرجاء المملكة الرومانية .

وكان المظنونُ أن تطفأ بذلك نار الفتن ، فلم يحصل ، لأن طائفة (أريوس) لم تترك معتقدها ، بل بقيت عليه وتمكنت فيه ، واشتغلت بنشره ، وترغيب الناس فيه وترجيحه ، فثارت الفتن فى الديار المصرية . وصار أهل إسكندرية فريقين : فريق على مذهب (عطاناز) ، وكان قد بلغ رتبة البطريقية ، وفريق على مذهب (أريوس) .

وأهل هذا المذهب ، كانوا دائما ينظرون فى الأسباب التى تقوى مذهبهم ، ويحتالون على استمالة قلوب الأمراء ، والأعيان ، وأرباب الكلمة ، فبلغوا بذلك إلى قبول كلامهم لدى القيصر ، وتكلموا فى حق البطريق بأمورٍ مخلة ، فغضب عليه ، ونفاه إلى ناحية طريف من بلاد الأندلس ، فأقام بها ستا وأربعين سنة ، يتقلب بين أنواع الإساءة .

ومع هذا لم يزل متمسكا بمذهبه ، مدافعا عنه ، إلى أن رضى عنه القيصر (قسطنطين) سنة ٣٣٦ ، ورده إلى وطنه ، فلم يقنع بذلك ، بل دبر فى إزالة البطريق عن وظيفته ، فجاءه هادم اللذات ، فمنعه عن إتمام ما أضمر عليه فى تلك السنة .

وبقيت فرقته — بعدُ — تثير الفتن والشقاق ، وكان فيهم كثير من أصحاب الكلمة ، فبذلك لم تزل هذه الفرقة تزداد مدة ثلاثة قرون متوالية .

وكانت الديار المصرية ، تتقلب فى ثياب الشعوذات الدينية ، وخصوصا بدخول القياصرة ضمن هذه الفرق ، واشتراكها معها .

ومن حين انقسام المملكة الرومانية بين (ولانتينيان) وأخيه (والنص) سنة ٣٦٣ ، وانفصال مملكة قسطنطين من مملكة روما ، واشتهارها بالمملكة الشرقية ، اتسعت الفتن باستتباع كل من الأخوين فريقاً ، وعادى كل منهما أرباب المذهب الآخر ، فكان بمصر (والنص) وهو تابع مذهب (أريوس) ، فانحط قدر مذهب (عطاناز) وعُدّ أتباعه خوارج ، كفارا ، وقست عليهم الحكام وأمراء الدين .

ومن تفرقهم واختفائهم فى بلاد الريف ، لحق الأهالى ضررٌ لا مزيد عليه ، فإنه كان

لا يمر أحد ببلد إلا اتهمه أهلها بأنه من أتباعه ، وعاقبوه بالضرب ، والقتل ، ونهب المال ، فصار هذا لم يسمع بمثله فى مدة عبادة الأوثان ولا فى غيرها .

وفى عقب فتنة من الفتن ، صدرت أوامر من القيصر (طيوروز) سنة ٣٨٨ من الميلاد ، بهدم جميع المعابد القديمة بمدينة إسكندرية ، وأخذ ما فيها من حلىّ الذهب والفضة ، وإعطائه للكنائس .

والفرق التى ظهرت بعد فرقة (أربوس) ، وهى فرقة (نستيربوس) ، ومن اعتقادها : أن جوهر عيسى عليه السلام ، مركب من جوهرين : إلهى ، وبشرى ، وأن العذراء ليست والدة له .

وفرقة (انتيشيس) ، وهذه تجعل الجوهر الإلهى والبشرى واحداً فى المسيح عليه السلام .

وفرقة (مونواطيليط) ، وهذه لا تجعل للمسيح غير إرادة واحدة ، وقد انضم لها القيصر (هيراكليوس) وانتصر لها ، وجعلها المعتمدة فى جميع جهات مملكته ، وألف كتبا فى ذلك ، ونشرها بين الناس ، وشغل جميع أوقاته فى ذلك ، وترك أحوال المملكة وسياستها . وهو ـ وإن كان أصله من طائفة العسكر ، وخلّص الملك من يد الظالم (قوكاس) وتولى مكانه ـ إلا أنه كان يكره الحرب بطبعه ، فأهمل أمر الجيوش حتى تلاشت قوة المملكة ، وطمع فى ملكه خسرويه ـ ملك الفرس ـ وزحف بعساكره ، وأخذ من ملكه عدة ولايات منها : مصر ، والشام ، وبلاد فلسطين ، وذلك سنة ٦١٦ ، فخاطبه (هيراكليوس) فى الصلح ، ورضى أن يفرض له على نفسه جزية ، فلم يقبل خسرويه منه ذلك ، وزحف على بيت المقدس وأخذه ، ونقل خشبة الصليب منه إلى بلاده ، وطلب من (هيراكليوس) ورعاياه أن يتركوا الديانة العيسوية ، ويتدينوا بديانة الفرس . فغضب (هيراكليوس) وجرد جيوشه ، وتلاطم مع خسرويه فكسره وأخذ منه الخشبة ، ورجع إلى بلاده ، واشتغل

بالشعوذة أكثر من الأول ، وأهمل الحكومة ، فصارت المملكة الرومانية مضطربة ، فى جميع جهاتها ، بسبب الفتن الداخلية ، والحروب الواقعة بينها وبين الفرس ، إلى أن ظهر دين الإسلام بجزيرة العرب ، وابتدأ نوره يكشف غياهب الجهل عن عقول سكانها ، فاجتمعت كلمة المسلمين ، وصاروا يداً واحدة على نصر الحق ، وإعلاء كلمة الدين ، فعلا الحق على الباطل ، واستولى الإسلام على فارس والروم ، فمن عهدها ، تضعضعت أركان دولة الفرس والرومانيين ، وفى زمن قريب أزيلت الفارسية بالكلية ، وبقيت الرومانية على ولايات قليلة ، واستولى الإسلام على أرض النصرانية ، والديانة الوثنية ، واستولت المملكة الإسلامية على المملكتين المذكورتين . ثم بعد زمن يسير ، سطع نور الإسلام فى المشرق والمغرب ، كما سنورده فى محله ، إن شاء الله تعالى .

المدة السادسة

وهى سنة ٣٢٩ ، وفى جميع المدد الماضية كانت / إسكندرية تحت ملك الديار المصرية ، وإن كانت التقلبات الزمنية جلبت لها تغيرات كثيرة ، وصيرتها ميداناً لفتن متنوّعة ، لكنها مع ذلك ، كانت أول مدينة فى القطر ، إلى أن ظهرت الديانة المحمدية بأرض الحجاز ، وأخذت تمتد حتى علا قدرها ، وسار مسير الشمس فخرها ، وطمست معالم الديانة العيسوية ــ بل زالت بالكلية ، من جميع جهات المشرق ــ ودخلت الديار المصرية تحت تصرف العرب ، فانتقل الفخر الذى كان للإسكندرية ، إلى مدينة الفسطاط ، التى أُسست على شاطىء النيل .. ١٢

ومن ذاك الحين ، أخذت الإسكندرية فى النقص والخراب ، وصارت لا تذكر ، إلا كما يذكر غيرها من المدن .

ولما دخلها عمرو بن العاص ، سنة ٦٤٢ ميلادية ، كان الخراب عم سراياتها الملوكية ، وأعظم شوارعها ــ المسمى بروشيوم ــ كان بلقعا ، لا يرى فى جانبيه غير تلال من أنقاض البيوت .

ومع ذلك فكانت معدودة من ضمن المدن العظيمة ، وكانت أسوارها قائمة ، محيطة بها من كل جهة ، على غاية من المتانة .

ومما يدل على ذلك أنها صدت الجيوش الإسلامية ، ومنعتهم عن دخول المدينة مدة . ولكن بظهور الفسطاط ، وعدم إقامة الحاكم بها ، تلاشت مبانيها وهُدم سورها الذى بنته العرب ، عوضا عن السور القديم ، ولم يُعمَّر إلا فى القرن العاشرَ ، زمن أحمد بن طولونَ ، بناء على ما ذكره المكين[1] .

ثم إن ما بقى بها من المبانى والآثار الموروثة عن الديانة العيسوية ، تسلطنت عليه رجال الديانة المحمدية ، فخربوه كما أن الديانة العيسوية خربت ما كان للديانة المصرية من المعابد وغيرها ، وترتب على ذلك محو أكثر آثارها ، حتى صار لا يسمع به إلا فى الكتب .

وبعد انفصال الديار المصرية ، صارت مملكة المشرق عرضةً لتسلط الديانة المحمدية ، ومن غارات جيوش الإسلام المتوالية ، انفصل أكثر من نصف المملكة الرومانية المشرقية عنها ، وانضمت حدودها ، ومع ذلك لم تزل مملكة متسعة الأطراف إلى القرن الثامن من الميلاد .

وأما المملكة القيصرية المغربية ، فقد آل أمرها إلى تقسيمها ممالك صغيرة ، بعد إغارات كثيرة من المتبربرين الوافدين عليها من جهة الشمال ، فكانوا دائمًا فى محاربات ومناوشات لا تنقطع ، واستمر ذلك قرنين كاملين ، فحصل فيهما لتلك المملكة مصائب لا تُحصى ، واضمحل حالها ، وتضعضعت أركانها ، حتى أتى زمن (شارلكان) وصار لها بعض اعتبار ، ومع ذلك فهى فى طفولية وتوحش ، لأن أهلها كانوا بمعزل عن التجارة ، مع أنهم أحق بها من غيرهم ، لإقامتهم بالسواحل .

وكان مركز التجارة وقتئذ لأهل المشرق والمغربَ الإسكندرية ، وباختصاصها بهذه

(١) يعنى : جرجس بن العميد بن الياس المعروف عند الإفرنج بالمكين المتوفى سنة ٦٧٢ هـ . معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ١٦١

المزية كانت متميزة ، ودائما تتجدد فيها المبانى الفاخرة ، وتزداد بها المدارس والعلوم . ولحقها من عناية الخلفاء العباسيين بعض شرف ، سيما المأمون ، وبقيت أعظم مدينة بالقطر إلى سنة ٨٦٨ ، ثم انفصلت عن الديار المصرية ، وخرجت عن تحت المملكة بخروج عاملها أحمد بن طولون عن طاعة مولاه ..

واستمرت الديار المصرية فى هذا الانفصال والاستقلال مدة تقرب من مائة سنة ، وتفصيل حوادث هذه المدة موجود فى كتب شتى مطوّلة ، فليراجعها من يريد ذلك .

وأما نحن ــ ههنا ــ فلسنا نذكر إلا ملخصًا لطيفًا ، يفهم منه سلسلتها ، وما نشأ عنها .

وحيث أن أعظم شئ وأهمه منها ، هو ظهور الديانة المحمدية ، بظهور نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكونها نتج منها جميع حوادث هذه المدة ، فيجب علينا أن نذكر سيرته بأخصر كلام فنقول :

مطلب ذكر السيرة النبوية

ولد عليه الصلاة والسلام سنة ٥٧٠ من الميلاد ، وتربى فى حجر جده عبد المطلب ، ثم بعد سنتين من عمره مات جده فكفله أبو طالب عمه ، وبقى عنده إلى أن اشتد وقوى ، فصار يسافر معه فى تجارته ، ثم تاجر لخديجة بنت خويلدَ ، وكانت من أغنى الناسَ ، وسافر بمتجرها إلى الشام ، فأعجبها استقامته وحسنِ معاملته ، فتزوجت به وعمره ــ إذ ذاك ــ خمس وعشرون عاما ، وعمرها أربعون ، وَأتت منه بثلاثة ذكور ، ماتوا فى حداثة السن ، وأربع بنات تزوّجن برؤساء المسلمين .

ولما بلغ عمره ، عليه الصلاة والسلام ، أربعين سنة ، بعثه الحق ، جل جلالهَ ، لهداية الخلق إلى طريق الحق ، فتبعه أبوبكر وابن عمه علىٌ ، وزيد بن حارثة وزوجته خديجة ، ولحقهم غيرهم ، فأنكرت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعه معتقدهم ، وهموا بقتلهم ، فهاجر إلى مدينة يثرب ، التى بينها وبين مكة ٧٥ فرسخا ، فى الجهة البحرية من

مكة ، وهاجر بعض أتباعه إلى بلاد الحبشة ، فقام أهل المدينة مع النبي ونصروه ، وغيَّر اسم المدينة فقال : (لا تقولوا يثرب إنما هي طيبة) ، ثم صار الناس يقولون : المدينة المنورة .

واتخذ المسلمون الهجرة مبدأ تاريخ الإسلام ، وسمى بالتاريخ الهجرى .

وحيث كانت هجرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليلة الجمعة ستة عشر شهر يوليه الإفرنجى ، سنة ٦٢٢ من الميلاد ، جُعل هذا اليوم مبدأ تاريخهم . والسنة الهجرية : اثنا عشر شهرا قمرية ، فمن هنا تكون السنة الهجرية أقل من / الشمسية بأحد عشر يوما ، ويكون الاثنان وثلاثون سنة شمسية ، قدر ثلاث وثلاثين سنة قمرية . فإذن ينبغى لمن أراد أن يستخرج السنة الهجرية من التاريخ الميلادى ، أن يطرح من التاريخ الميلادى ما مضى منه قبل الهجرة وهو ٦٢٢ ، ثم يضيف إلى كل ٣٢ سنة مما بقى منه سنة فما بلغ فهو التاريخ الهجرى ، مثلاً لو أردنا أن نعرف السنة الهجرية الموافقة لسنة ١٨٧٣ ميلادية ، نطرح منها ٦٢٢ سنة ، التى مضت قبل الهجرة ، فيبقى معنا ١٢٥١ ، نضيف إليه ٣٩ سنة ، وهى عدد احتواء ١٢٥١ على ٣٢ ، فما بلغ فهو التاريخ الهجرى . ١٣

وقد اتخذ عليه الصلاة والسلام المدينة مركزاً ، وصار يعلّم الناس ويهديهم ، ودخلت الناس فى دين الله أفواجاً ، وقدر سبحانه وتعالى أن يكون مبدأ نصرة دينه ، وإعلاء كلمته ، يوم هجرته من مكة ، فكان ذلك هو الأساس ؛ لعدول خلق كثيرين عن معتقدهم القديم ، واتخاذهم دين الإسلام دينا .

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى ذلك الحين يخطب الناس . ويبلغهم كلام الله ، ولكن كان أكثرهم ينكر عليه ولا يصغى إليه ، فجرّد المسلمون السيف لإعلاء كلمة الله وانتصار الدين القويم ، فرفعت كلمة الله على أقوى أساس ، وتمكن المسلمون بما حصل لهم من النصر المتتالى ، وكثرة الداخلين فى الإسلام ، ممن كانوا يعبدون الأوثان وغيرهم ، فلم يلبثوا غير يسير ، إلا وقد ظهر من صحارى جزيرة العرب ، رجال ذوو علم وبأس ، واجتمع منهم جيوش إسلامية ، سطت بقوّتها وحسن تدبيرها على الممالك المجاورة من ممالك الشرك ،

فعظمت سطوتها واتسعت دائرتها ، وظهرت المملكة الإسلامية ، وتسمى بالمملكة العربية ، لا يسمع فيها مشرقا ومغربا غير التوحيد ، وما يختص بدين الإسلام ، وتألفت قلوبهم ، وزال الشقاق والخلف من بينهم .

وفى السنة الثانية من الهجرة ، حصل بينه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبين قريش وقعة ، كان لحزبه ـ عليه الصلاة والسلامَ ـ فيها النصر من الله ، ومع هذا ، فكان عدد جنوده ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ، وعدد جنود الأعداء ألف رجل ، ومعهم مائة فرس ، وسبعمائة بعير ، وبعدها دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة المشرفة ، وتمكنت قواعد الإسلام ، وخضع المخالفون وانقادوا .

ومن عهدها أقبلت جميع القبائل المنتشرة فى أرض الحجاز ، ودخلوا فى الإسلام ، وكسرت عصىّ المخالفة ، وصار الجميع تحت اللواء المحمدى ، وكبرت عصابة الإسلام ، وقويت شوكته ، وسُمع به فى أطراف البلاد المجاورة لأرض الحجاز .

مطلب معاهدة قيصر

وارتج تحت الرومانيين ، وخاف القيصر (هير اقليوس) على بلاده من المسلمين ، فتدارك الأمر ، واجتهد فى استمالة الإسلام إلى معاهدته ، وترك لهم جهة من الجهات ، التابعة لحكومته من بلاد العرب ـ وكانت هذه الجهة تجنح للفرس ـ حتى أنها ساعدتهم عليه فى المحاربات ، فأرسل النبى ـ عليه الصلاة والسلامَ ـ لأمراء تلك الجهة رسوله يدعوهم إلى الإسلام ، فقام من بينهم حاكم بوسترا ، واتحد مع حاكم مدينة مؤتة ، من مدن الشام خلف نهر الأردن ، وقتلوا الرسول ، فغضب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لفعلهم ،

مطلب فى الوقائع التى جرت بين المسلمين والقياصرة

وأرسل لهم ثلاثة آلاف مقاتل تحت إمرة مولاه زيد ، وتقابلوا مع عساكر الرومانيين عند مدينة مؤتة المذكورة ، وكانوا أكثر منهم عددًا ، والتطم الفريقان ، وحصل بينهما مقاتلة

عظيمة ، فمات كثير منها ، ومات أيضا جملة من رؤساء المسلمين منهم : زيدَ ـ رضى الله عنه ـ فقام مقامه خالد بن الوليد ، فحصل منه ما يبهر العقول ، فإنه بعد أن كان يظن أن المسلمين مهزومون ، جمع المسلمين ، وقوّى قلوبهم ، وهجم بهم على عساكر الرومانيين هجمة بدد فيها شملهم ، وولوا الأدبار ، وتم النصر للمسلمين ، وغنموا ، ثم رجعوا إلى المدينة ، ومعهم السبى والغنيمة .

وهذه كانت افتتاح الوقعات ، التى جرت بينهم وبين القياصرة ، فى جهات آسيا وأفريقيا وجزء من أوربا ، وتمامها بزوال ملك القياصرة من بلاد المشرق ، ووضع الإسلام يده على الدولة الرومانية .

لكن بعد ثمانية قرون ، كلها مضت فى حروب ، هلك فيها من الفريقين ما لا يحصى .

ومن جملة الولايات التى توجه لها نظر المسلمين : ولاية مصر ، وكان حاكمها (المقوقس) المصرى الأصل ، من طرف قيصر ، وكان له شهرة عظيمة فى الرفعة والاعتبار ، وكان من فريق (أوتيشيس) ، وكان يكره الروم لإنكارهم على أهل فريقه ، وابطالهم اعتقادهم فى جميع ديار مصر والرومان وغيرها ، وكان الطمع وحب الاستبداد عنده يغلبان على الأمر الدينى ، لكنه اغتنم فرصة قيام الفتن على المملكة الرومانية فى بلاد العرب ، ولقب نفسه بلقب إمارة بمصر ، وصار يأمر وينهى فى ديار مصر .

ومن مخافة تقلب الأيام ، أراد أن يعاهد المسلمين ، فلم يقبل النبى منه غير الدخول فى الإسلام ، وكتب كتابا إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعترف له فيه بالرسالة ، ويطلب منه الإمهال زمنا ، ليتمكن مما يريده ، وكانت الحروب من المسلمين قائمة فى جهات كثيرة ، ما عدا / مصر ، فإنهم تركوها فى ذلك الوقت ، وبعد ذلك توجهت همتهم إلى محاربتها ، ٢٤ وشن الإغارات عليها ، فنظر عليه الصلاة والسلام أن هذا لا يتم إلا بالاستيلاء أولاً على ديار الشام ، لأنه ليس لمصر غير طريقين : الأولى : طريق البحر الأحمر ، وليس للمسلمين فى

ذلك الوقت مراكب . والثانية : طريق البر ، التي في الصحارى التي بين مصر والشام . فأخذ في أهبة الدخول بالعساكر إلى أرض الشام .

ولكن لم يتم هذا الأمر ، لوفاته عليه الصلاة والسلام ، بالمدينة المنورة ، في السابع عشر من شهر يونية الإفرنجي سنة ٦٣٢ ، الموافق لليلة الاثنين ، من آخر صفر سنة عشر من الهجرة ، وعمره ثلاثة وستون سنة .

مطلب خلافة أبي بكر الصديق

اتفقت الأمة الإسلامية على تولية أبي بكر رضي الله عنه ، فقام بأحوال المسلمين ، وسار على أثر صاحب المعجزات ، ففتح الله في أيامه على المسلمين عراق العرب وبلاد الشام ، وأُخذت مدينة دمشق سنة ٦٣٤ ، واتسع الإسلام ، واشتهر ذكره في الآفاق ، ومات رضي الله عنه يوم فتحت دمشق .

مطلب خلافة عمر بن الخطاب

تولى الخلافة بعده ، عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ولقب بأمير المؤمنين ، واستمر حرب الشام سنة ٦٣٥ ، وأُخذت مدينة بعلبك ، ومدينة قنسرين ، من المدن الشهيرة ، وبينها وبين حلب خمسة فراسخ .

وفي السنة التي بعدها ، فتحت مدينة درستيون (١) ، وحماة ، وشيزر ، وايميز (٢) .

ومن توالي النصر للمسلمين جُبر (هيراقليوس) على أن يتنبه من غفلته ، ويتوجه بنفسه مع جيوشه لمحاربتهم ، فذهب إلى سواحل الشام ، وأقام بمدينة ايمز مدة ، ثم انتقل إلى أنطاكية ، ولما بلغه أَخْذُ دمشق ، يئس من السواحل الشامية ، فتوجه إلى القسطنطينية ،

(١) لعله يقصد مدينة الرستن .

(٢) لعله يقصد مدينة حمص .

وجمع فيها ما تفرق من عساكره فى المشرق والمغرب ، فكان جيشًا جرارًا ، وأمّر عليه رئيسا من رجاله اسمه (منويل) فسار بهم حتى تقابل مع المسلمين عند مدينة يرموك سنة ٦٥٦ ، فحصلت بينه وبين المسلمين وقعة قتل فيها من الفريقين عدد عظيم ، وآل الأمر بنصر المسلمين النصر التام ، الذى خلت الديار الشامية بعده من جيش النصارى ، ودخلت جميعا فى قبضة المسلمين .

ثم سار المسلمون إلى مدينة القدس ، ومعهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فدخلوها بلا حرب فى شهر مايو الإفرنجى سنة ٦٣٧ .

وبعد دخول هذه المدينة فى حوزة الإسلام ، دخل باقى البلاد الشامية فى الإسلام ، كما دخل جميع بلاد العرب فيه بعد دخول مكة ؛ لأن كلا من هاتين المدينتين له شرف على البلاد المجاورة له ، ومن قديم الزمان يتبركون بهما ، ويحجونهما فى مواسم معلومة ، فكان هذا هو الداعى لقصدهما فى الفتح أولا ؛ فإن الحكم لا يتمكن فى هاتين الجهتين إلا بالاستيلاء على هاتين المدينتين .

مطلب فى فتح مصر

ولما تمّ فتح الديار الشامية ــ كلها ــ للمسلمين سنة ٦٣٨ ، أزيلت جميع الموانع عن قصد مصر . فخاف (المقوقس) من إغارة المسلمين على مصر . فاتفق مع بطريق إسكندرية (قيروس) ، وكتب إلى أمير المؤمنين كتابة ، طلب فيها أن لا يحارب مصر . وجعل له فى مقابلة ذلك مائتى ألف دينار يدفعها سنويا ، وأرسل بعض هذا المبلغ مع الكتاب ، فبلغ ذلك (هيراقليوس) فغضب على (المقوقس) وأرسل العساكر لتدافع عن مصر . وتمنع عساكر المسلمين من الدخول فيها . فشاع ذلك حتى بلغ أمير المؤمنين ، فأمر رضى الله عنه . عمرو بن العاص ، وكان وقتئذ عاملا على الجهات الشامية الملاصقة لوادى النيل ، أن يتوجه إلى مصر . وأرسل معه أربعة آلاف من المسلمين ، فقام وسار من وقته إلى أن وصل حدود مصر . وتقابل مع العساكر الرومانية هناك . فاصطدم الفريقان وفاز المسلمون بالنصر .

ودخل عمرو بالمسلمين الديار المصرية . فلما وصلوا شاطئ النيل ، حصل هناك وقعة أخرى ، ونُصر على النصارى نصرة خلت له بها البلاد ، وسهلت الطرق ، فسار حتى وصل مدينة باب الأون ، وكانت مكان مصر العتيقة الآن ، وكان بها قلعة منيعة تعرف فى كتب العرب بقصر الشمع ، فحاصرها المسلمون ، وحصروا من فيها حصراً شديداً

والمقوقس ، وإن كان وقتها يدافع ، لكنه كان مائلا إلى الصلح مع المسلمين ، حتى أنه فاتح عمراً فى ذلك ، فرضى عمرو بما قرره المقوقس : من أن يدفع عن كل قبطىّ دينارين ، غير الهرم والنساء والأطفال .

مطلب فى فتح إسكندرية

وبعد ما تم الكلام بينهما ، وعقدت الشروط ، ذهبت العساكر الرومانية إلى إسكندرية ، وتحصنت فيها لأنها هى التى بقيت فى حكمهم وحدها ، وجميع الجهات المصرية ـ بحرية وقبلية ـ صارت فى يد المسلمين . وكان أخذ إسكندرية أهم شئ عند المسلمين ؛ لأنها لو بقيت تحت يد الرومانيين لكانت معسكر رجالهم التى ترسل من القسطنطينية ، وتكون منبع الغارات على مصر .

فلما رأى المسلمون ذلك ، قام عمرو برجاله ، وحاصرها محاصرة عنيفة ، مدة أربعة عشر شهراً ، حتى فتحها فى اليوم الحادى عشر من شهر ديسمبر الإفرنكى سنة ٦٤١ ، وكان المدد قُطع عنها من مدة موت (هيراقليوس) ، فأحاط الكرب بأهلها من الحصار . وجنحوا / للصلح ولما دخلها المسلمون منعهم عمرو عن نهب الأهالى ، والتعرض لهم بسوء .   ١٥

وكان بالمدينة كتبخانة ، لم يوجد مثلها فى الأقطار ، لما اشتملت عليه من نفائس الكتب العلمية والكنوز العقلية ، جمعها ملوك مصر السالفون . وادعى مؤرّخو الفرنج ، أنه كان بالمدينة قسيس يعرف بإسم (جان) ، تعرّف به عمرو وأحبّه لعلمه ، فرغب هذا القسيس أن يغتنم فرصة هذا الحب ، وطلب منه أن يعطيه كتب الفلاسفة ، فجنح عمرو لتنفيذ غرضه ، لكنه خاف أن لا يأذن له أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فحرر

له خطابًا ، يخبره فيه بما طلبه القسيس من الكتب بالكتبخانة الموجودة هناك ، فكتب له أمير المؤمنين « إن كانت تحتوى على ما فى القرآن فلنا حاجة بها ، وإلا فلا فائدة لنا فيها ، وعلى كلا الحالين ينبغى حرقها » فلم يسعه غير الإطاعة والامتثال ، وأمر بحرقها فحرقت .

وهذه الرواية الإفرنجية عارية عن الصحة ، لأن عمر رضى الله عنه برئ من ذلك ، فإن احتراق الكتبخانة المذكورة كان قبل إشراق نور الإسلام ، ولم يكن عمر مولودًا إذ ذاك ، وأن الذى أعدم هذه الكنوز العقلية النفيسة هو (جول القيصر) ، وسبب ذلك أنه كان محصورًا فى المحلة ، التى كانت بها الكتبخانة ، ولما أحاطت به الأعداء من كل الجهات ، لم يجد له منجى سوى أنه أضرم النار فى جميع المنازل القريبة للكتبخانة ، فحرقها واحترقت الكتبخانة معها .

نعم ، إنه بعد مضىّ مدة من الزمن قد أهدى الملك (انطوان) إلى (كليوباترا) نحو أربعمائة ألف مجلد من كتبخانة (برجام) ، وأنشأ فى السيرابيوم كتبخانة جديدة سميت : بنت الأولى ، وهذه الكتبخانة الجديدة قد احترق أيضا معظم كتبها فى أثناء الفتن التى ظهرت بمدينة إسكندرية ، ثم انعدمت بالكلية فى عهد الملك (ديتوز) ، حيث سطت عليها أيدى الرعاع المتعصبين ، ومزقوا جميع ما كان فيها من الكتب المشتملة على المؤلفات الوثنية ، وفعلوا بها مثل ما فعلوا بالمعابد العتيقة ، والهياكل القديمة المصرية .

فبناء على ذلك ، لم يكن لهذه الكتبخانة وجود بالكلية حين افتتحها عمرو بن العاص ، رضى الله عنه .

ويعلم مما سبق ، كيفية انفصال مصر من حكومة القسطنطينية ، وصيرورتها ولاية تابعة لمملكة العرب . ومن ذاك الحين ، صار تاريخها ملحقًا بتاريخ المسلمين ، كما كان فى السابق ملحقًا بتاريخ الرومانيين . وهذا الانفصال ، قد خلص قلوب أهلها من أوحال الشرك والوساوس الشيطانية ، وملأها بأنوار الحق المبين بدخولها فى الإسلام ، كما تخلصت من أهوال تقلب الأحوال الزمانية عليهم ، فصارت أمورها مبنية على منهج العدل والإنصاف ، اللذين

هما أساس الدين المحمدى ، وقطعت يد الظلم ، وكسر عصا الجور والعدوان ، وذلك كله فى الصدر الأول ، وإن كان قد حصل بعد ذلك شغب كثير ، وفشل بين المسلمين نشأ منه اضمحلال حال ديار مصرَ ، سيما فى الحروب التى تولدت عن ذلك ، كما يعلم ذلك من تاريخ سلسلة حوادثها المتتالية .

مطلب عدد من تولى مصر من العمال

فإنه من حين فتح المسلمين مصر فى سنة ٢٠ من الهجرة ، التى هى سنة تولية عمرو بن العاص عليها ، إلى سنة ١٣٢ ، التى هى سنة انتقال الخلافة من بنى أمية إلى العباسيين ، تولى عليها ثمانية وعشرون عاملا تناوبها اثنتين وثلاثين مرة ، لأن بعضهم كان يعزل ثم يعود كعمرو ابن العاص فإنه حكم مرتين ، ومدته فيهما إحدى عشرة سنة ، وكعبد الملك بن رفاعة الفهمى ، فإنه حكم مرتين أيضا ومدته فيهما ثمان سنين ، وكحفص بن الوليد ، فإنه حكم ثلاث مرات ومدته فيها أربع سنين .

ويظهر من طول مدة بعض العمال الأول ، أن الأحوال ابتداء كانت غير مضطربة ، وإنما اعتراها ذلك فيما بعد ، ويظهر أنه بتقادم الزمن كان الاضطراب متزايدًا ؛ فإنا نجد أنه تبدل على هذه الديار من سنة ١٣٢ ، التى هى ابتداء خلافة العباسيين ، إلى زمن فصل مصر عن بيت الخلافة . فى زمن أحمد بن طولون سنة ٢٥٤ ستون عاملا ، فى ظرف مائة واثنتين وعشرين سنة . فتكون مدة العامل نحو عامين ؛ فكان العزل متقارباً ، بل ربما حصل فى العام الواحد تبادل عاملين أو ثلاثة .

ومن هذا يعلم أن قلة الأمن هى الباعثة على كثرة اضطراب أحوال البلاد ، من عدم استقامة الإدارة العامة . وعدم طول إقامة الحكام ذوى العدل بين أهلها ؛ لتطاول أيدى أهل البغى عليهم بكثرة الحروب والقتل ، إلى أن دخلت الفرنساوية أرض مصر ، وانجلوا عنها وحصلت العناية الربانية . واستولى مولانا العزيز محمد على باشا ، عليه الرحمة والرضوان ،

على الديار المصرية ، فزالت تلك الأكدار ، وتغيرت هذه الأحوال كما سنقصه عليك فى محله .

مطلب عدد من تولى مصر من الأتراك والجراكسة

وفى رحلة (ولين) الفرنساوى نقلا عن (ابن مرعى) أن الذى تولى الملك من الأتراك ٢٤ ، ومن الجركس مثلهم فالكل ٤٨ ، وأن مدة حكمهم جميعا ٢٦٣ سنة ، فتكون مدة الواحد بالتوسط ٥ سنين ونصفا تقريبا . ومن غريب الاتفاق أن الذين ماتوا بالقتل من التركمان ١١ ، والذين عزلوا / ستة ، وبالعكس فى الجركس ، فإن الذين ماتوا بالقتل منهم ٦ ، والذين عزلوا ١١ .

١٦

وتولى من حين استيلاء السلطان سليم ، إلى دخول الفرنساوية ٧٢ باشا ، فى مدة ٢٨٧ سنة ، فلو جمعت حكام مصر من إنتهاء حكم البطالسة لوجدتهم ٢٠٠ حاكم ، كل منهم له سير مخصوص . وفى تلك المدد كان الغالب عدم النظر ، لرفاهية الأهالى وعمار بلادهم ، وإن حصل ذلك واستقامت الأحوال فلا يكون إلا بعض سنين ثم يتغير .

ومن كثرة الفتن الداخلية وإهمال المصالح العامة ، تعطلت أسباب الثروة والصحة ، وقلت الفلاحة ، وتطاولت الأيدى على جميع جهات القطر بالقتل والسلب ، فقل بهذه الأسباب الأمان على النفس والمال . ومن ترك تطهير الترع والخلجان ، حُرمت أغلب الجهات من ماء النيل ، ونشأ عن ذلك غلوّ أسعار الأقوات ، بل وإنعدامها فى بعض السنين ، وتسلطنت الأمراض ، وسكن الوباء بأرض مصر ، حتى صار عوده دورياً منتظماً فى تلك الديار . ونزل بالناس من المصائب ما يبث الجبال ، فهاجر الخلق من بلادهم ، وملئت الطرق بجيف الأموات من مهاجرى المصريين .

وصار هذا الأمر شائعا فى جميع بقاع الأرض ، ووصفه مؤرخو العرب والفرنج بأوصاف تفتت الأكباد ، وتشيب منها الولدان .

وللمقريزى رسالة ، جمع فيها مرات الغلاء والقحط ، من دخول العرب مصر إلى سنة ٦٠٠ هجرية تقريبا ، فبلغت ثلاث عشرة مرة .

وفى رحلة (ولين) الفرنساوى ، نقلا عن كتاب (مرعى بن يوسف الحنبلى) ، الموجودة نسخته بكتبخانة باريس : أن عدد مرات القحط والوباء ، من ابتداء فتح مصر إلى سنة ٨٤٣ هجرية ، الموافقة سنة ١٤٤٠ ميلادية ، إحدى وعشرون أو ست وعشرون ، على قول العلامة (خليل بن جاهين الظاهر) وزير السلطان الأشرف .

وأسباب هذا الغلاء غالبا : إهمال الحكام تدبير ماء النيل ، وتوزيع المياه على الأراضى ، وكذا اتجار الحكام والسلاطين فى الأقوات ، فينشأ من إهمال النيل ، عدم زرع جميع الأراضى ، فلا يكفى ما يخرج من المحصول جميع أهلها ، وينشأ من الإتجار فى القوت غلوّ الأسعار غلواً فاحشاً ، فكانت أسباب البلايا كثيرة متنوعة ، تتفنن فيها ولاة الأمور بما كانوا يبتدعونه من المظالم وسوء التدبير .

ولولا الخوف من التطويل ، لذكرنا ما حصل للديار المصرية فى كل زمن ، ولكن ، هذا للقارئ أنموذج يعلم منه أحوال تلك الأزمان ، وما كانت تقاسيه الناس من حكامهم ، والمقصود أنا نقارن ذلك بزماننا ، فنجدنا الآن فى أرغد عيش بالنسبة لمن كان فى تلك الأزمان ، وليس ذلك إلا بهمّة الخديوى المعظم ، فإنه لا يشغله شاغل عن التفكر فى الأحوال الموجبة لرفاهية الرعية ، فبحول الله وقوّته ، وعناية الحضرة الخديوية ، لا نخاف من حصول مثل ما كان فى تلك الأزمان ، لأن الإكثار من الترع والخلجان والجسور ، وإحكام تقسيم المياه بالقناطر فى الجهات البحرية والقبلية ، صيرَ ريّ جميع الأراضى ممكنًا . إذا وصل النيل ستة عشر ذراعا ، بل يمكن بأقل من ذلك ، إذ تمت عمارة القناطر الخيرية . وبوجود سكك الحديد فى البر ، والسفن البخارية فى البحر الملح والحلو ، صار نقل ما يحتاج إليه من محصولات البلاد البعيدة فى أى وقت سهلا .

مطلب أول غلاء حصل فى مصر

وأول غلاء حصل بمصر فى الإسلام سنة ٨٧ هجرية ، وكان أمير مصر وقتئذ : عبد الله ابن عبد الملك بن مروان .

وبعد ذلك فى زمن الإخشيد ، ثم فى زمن أبى القاسم أبى الفوارس بن الإخشيد سنه ٣٣٨ . وبعدها بثلاث سنين كثرت الفيران فى أعمال مصر ، وأتلفت جميع الغلال والكروم ، ولم يرو النيل البلاد ، وغلا السعر واشتد الأمر إلى سنة ٣٤٣ ، وطُلب القمح كل ويبتين ونصف بدينار ، فلم يوجد ، واستمر هذا العذاب تسع سنين متتابعة ، وأمير مصر علىّ بن الإخشيد .

وفى سنة ٣٥٦ عظمت البلوى بعد موت كافور ، لأنه كان مجتهدا فى تدبير الأحوال ، ثم قامت الجند على الأمراء ، فهلك خلق كثيرون ، ونهبت الأسواق ، وأحرقت مواضع كثيرة من المدينة ، واختلفت العسكر ، فتبع أكثرهم الحسن بن عبد الله بن طغج ، وهو يومئذ بالرملة ، وكاتب أغلبهم المعز لدين الله الفاطمى ، وصار الهول عظيماً واستمر إلى أن دخل جوهر القائد سنة ٣٥٨ ، وبنى مدينة القاهرة .

ولم ينقطع الغلاء إلى سنة ٣٩٠ ، فاشتد الوباء ، وكثرت الموتى ، وعجز الناس عن دفن موتاهم ، فكان من مات بطرح فى النيل والطرق ، واستمر هكذا إلى سنة ٣٦١ . ثم نزل السعر بعض النزول ، ثم غلا بعد ذلك فى أيام الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٧ ، وبلغ النيل ستة عشر ذراعاً .

وفى سنة ٣٩٥ لم يتم النيل ستة عشر ذراعاً إلا فى آخر شهر مسرى ، وعم الكرب ، وتغيرت أصناف المعاملة ، وكثر فيها الغش حتى وصل الدينار أربعا وثلاثين درهما ، فى سنة ٣٩٧ . واشتد الكرب على الناس ، فصدرت الأوامر بضرب دنانير جديدة ، وفى يوم واحد وزعوا عشرين صندوقا منها على الصيارف ، بقصد جمع الدنانير القديمة ، وأمهلوا الناس

ثلاثة أيام ، وتلف للناس أموال كثيرة . لأن الدرهم الجديد صار يبدل بأربع دراهم قديمة .
١٧ ونودى بأن / سعر الدينار الجديد ثمانية عشر درهمًا جديدة ، فخسر الناس خسارات كثيرة .
وعلا سعر الغلال وجميع أصناف المأكول . حتى عز وجودها ، فضرب الحاكم الطحانين
والخبازين . وقبض على مخازن التجار . وسعَّر أصناف الحبوب .

واستمر الغلاء إلى سنة ٣٩٩ ، فاجتمع الأهالى بين القصرين ، وشكوا إلى الحاكم ،
فركب حماره وخرج من باب البحر ، ووقف هناك ثم قال : « أنا متوجه لجامع راشدة ، وإنى
أقسم بالله ، إن عدت ووجدت مَوضعاً غير مستور بالغلة يطؤه حمارى ، لأضرب عنق من
يقال لى إن عنده شئ منها ، وأحرقن داره ، وأنهبن أمواله » .

ثم توجه وتأخر هناك لقريب المغرب ، فلم يبق أحدٌ من أهل مصر والقاهرة عنده غلة إلا
وحملها من بيته أو مخزنه ، وجعلها كيمانًا فى الطرق ، وأمر بحصر ما يحتاج إليه الناس فى كل
يوم ، فحصر وعمل به كشف عُرِض عليه ، فأمر بعرضه على أصحاب الغلال ، وخيَّرهم بين
أن يبيع كلٌّ بقدر ما يناسب تجارته بسعر معلوم قدّره لهم ، وبين أن يختم على غلالهم إلى حين
دخول الغلة الجديدة . فنزل السعر ، وباعوا بما قدرَّه لهم .

وفى خلافة المستنصر غلت الأسعار ، سنة ٤٤٤ ، غلاءً شديداً ، وقصَّر النيل ، وخلت
المخازن السلطانية من الغلال ، فحصل كربٌ شديد زاد على ما كان فى الأزمان السالفة . وكان
من العادة الجارية ، فى ذلك الوقت ، أن السلطان يتجر فى الغلال ، فكان يُشترَى له منها كل
سنة بمائة ألف دينار ليتجر فيها ، فدخل عليه وزيره ، أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن
البارزى ــ رحمه الله ــ وكان قد أمر بترخيص الأسعار ، وعرّفه بما منَّ الله عليه به من رخص
السعر ، وتوالى الدعاء من الناس للسلطان ، وذكر أن فى التجارة فى الغلال مضرّة على
المسلمين وربما نزل السعر بعد شرائها ، فتباع بأقل مما اشتريت به ، أو تتلف بالمخازن . والأَوْلى
التجارة فيما لا كلفة على السلطان فيه ، ولا مضرَّة بالناس ، وفائدة التجارة فيه أضعاف فائدة

التجارة فى الغلة ، ولا يخشى عليه من إنحطاط السعر ولا من غيره . وهو : الخشب ، والصابون والحديد ، والرصاص ، والعسل ، وما أشبه ذلك ، فأمضى السلطان له رأيه .

والغلاء الذى حصل فى أيامه أيضًا ، سنة ٤٤٧ ، زاد على ما سبقه ، ولم يكن وقته بالمخازن السلطانية إلا جرايات مَنْ فى القصور ، ومطبخ السلطان وحواشيه ، فقام الوزير أبو محمد ، وكتب إلى عمال النواحى بحجز الغلال وأخذها للديوان ، وتربيح التجار فى كل دينارين دينارًا . وبعد ذلك أرسل المراكب فأحضرت جميع الغلال من البلاد ، وأرسل إلى مصر سبعمائة أردب ، وإلى القاهرة ثلثمائة . فحصل الرخاء ، إلى أن قتل الوزير ، فصار بعده لا يُرى للدولة صلاح ولا استقامة حال .

واختلت الأمور ، ولم يستقر لها وزير تحمد سيرته ، أو يرضى تدبيره ، وخالط الناس السلطان ، وكاتبوه مكاتبات كثيرة ، وكان لا ينكر على أحد مكاتبته ، فتقدم كل شقشاق ، وحظى لديه الأوغاد ، وكثروا حتى كانت رقاعهم أكثر من رقاع الرؤساء الأجلة . وتنقلوا فى المكاتبة إلى كل نوع ، حتى كان يصل إلى السلطان كل يوم ثمانمائة رقعة ، فاشتبهت عليه الأمور ، وتناقضت الأحوال ، ووقع الخلاف بين عبيد الدولة ، وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدتهم ، فكان الوزير منهم ــ من توليته إلى خلعه ــ لا يفيق من التحرز ممن يسعى به .

وكانت الفترات بعد عزل من ينعزل منهم ، أطول من مدة وزارته ، فتعدوا الواجبات ، وتفننوا فى المصادرات ، فاستنفدوا أموال الخليفة ، وأخلوا منها خزائنه ، وأحوجوه إلى بيع عروضه ، فاشتراها الناس نسيئة ، وكانوا يعترضون ما يباع ، فيأخذ من له درهم واحد ما يساوى عشرة دراهم ، ثم زادوا فى الجراءة حتى تصدروا إلى تقويم ما يخرج من العروض ، فإذا حضر المقوّمون أخافوهم ، فيقوّمون ما يساوى ألفا بمائة فما دونها ، ويعلم المستنصر وصاحب بيت المال بذلك ، ولا يتمكنان من إجراء ما يجب عليهم ، فتلاشت الأمور ، واضمحل الملك ، وعلموا أنه لم يبق ما يلتمس إخراجه لهم ، فتقاسموا الأعمال ،

وأوقعوا التساهم على ما زادت فيه الرغبات ، وكانوا ينتقلون فيها ويتداولونها على حسب غلبة بعضهم لبعض .

ودام ذلك بينهم خمس أو ست سنوات ، ثم قصَّر النيل ، فغلت الأسعار غلواً بدد شملهم ، وفرق ائتلافهم ، وأوقع الله تعالى بينهم العداوة والبغضاء ، فقتل بعضهم بعضاً حتى بادوا وعفت آثارهم ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

ثم وقع فى أيام المستنصر ـ أيضا ـ الغلاء الذى فحش أمره ، وشنع ذكره ، ومكث بمصر مدة سبع سنين ، وسببه : ضعف السلطنة واختلال أحوالها ، واستيلاء الأمراء عليها ، وتوالى الفتن بين الأوغاد ، وعدم علو النيل ، وعدم من يزرع ما شمله الرى ، وكان ابتداء ذلك سنة ٤٥٧ ، فعلا السعر ، وتزايد الغلاء وأتى عقبه الوباء ، حتى تعطلت الأراضى من الزراعة ، وعمَّ الخوف وخيفت السبل برا وبحرا ، وجاعت الناس ، وعُدِم القوت ، حتى بيع رغيف خبز ـ فى سوق القناديل من الفسطاط ـ بخمسة عشر دينارا ، وأُكلت الكلاب والقطط حتى قلّت ، وبيع الكلب بخمسة دنانير ، وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا .

١٨ / وكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ، ومعهم حبال فيها كلاليب ، فإذا مر بهم أحدٌ ، ألقوها عليه ، وأخذوه فى أسرع زمنٍ ، وشرَّحوا لحمه وأكلوه .

ثم آل أمر المستنصر إلى أن باع كل ما فى قصوره من ذخائر ، وثياب ، وسلاح وغيره ، وصار يجلس على حصير ، وتعطلت دواوينه ، وذهب وقاره ، وكانت نساء القصور يخرجن ناشرات شعورهن ويصحن : الجوع الجوع ، يردن المسير إلى العراق ، فيسقطن عند المصلى ، ويمتن جوعا . واحتاج حتى باع حلية قبور آبائه .

وجاء الوزير يوما ـ على بغلته ـ فأكلتها العامة ، فشنق طائفة منهم ، فاجتمع الناس عليهم فأكلوهم . وأفضى الأمر إلى أن عُدِم ـ المستنصر نفسه ـ القوتُ .

وكانت الشريفة ، بنت صاحب السبيل ، تبعث إليه كل يوم قعبًا من فتيت ، من جملة ما كان لها من البر والصدقات فى ذلك الغلاء ، حتى أنفقت مالها كله فى سبيل البر ـ وكان يجلُّ عن الإحصاء ـ . ولم يكن للمستنصر قوت سوى ما كانت تبعثه إليه ، وذلك فى اليوم والليلة مرة واحدة .

ومن غريب ما وقع ، أن امرأة من أرباب البيوتُ أخذت عقداً لها قيمته ألف دينار ، وعرضته على جماعة ، فى أن يعطوها به دقيقاً ، فكان كلٌّ يدفعها عن نفسه ، إلى أن رحمها بعضٌ ، وباعها به زنبيل دقيق بمصر ، فلما أخذته أعطت بعضه لمن يحميه من النهب فى الطريق ، فلما وصلت باب زويله ، تسلمته من الجمالة ومشت قليلا ، فتكاثر الناس عليها ونهبوه ، فأخذت هى أيضا ـ مع الناس ـ من الدقيق ملْءَ يديها ، ولم يتيسر لها غيره ، ثم عجنته وسوته ، فلما صار قرصة أخذتها معها ، ووصلت إلى أحد أبواب القصر ، ووقفت على مكان مرتفع ، ورفعت القرصة على يديها بحيث يراها الناس ، ونادت بأعلى صوتٍ : يا أهل القاهرة ، ادعوا لمولانا المستنصر ، الذى سعدت الناس بأيامه ، وأعاد عليهم بركات حسن نظره ، حتى صار ثمن هذه القرصة ألف دينار . فلما بلغه ذلك أحضر الوالى ، وتوعده وهدده ، وأقسم له إن لم يظهر الخبز فى الأسواق ، ويرخص السعر وإلا ضرب عنقه ، ونهب أمواله . فخرج من بين يديه وذهب إلى الحبس ، وأخرج قوما استحقوا القتل ، وأفاض عليهم ثيابا واسعة ، وعمائم مدورة ، وطيالس سابلة ، وجمع تجار الغلال والخبازين والطحانين ، وعقد مجلسا عظيما ، وأمر بإحضار واحد من القوم الذين استحقوا القتل ، فلما مُثّل بين يديه قال له : ويلك ، ما كفاك أنك خنت السلطان ، واستوليت على مال الديوان ، حتى أخربت الأعمال ، ومحقت الغلال ، فأدى ذلك إلى اختلال الدولة ، وتلاشى الأحوال وهلاك الرعية ، ثم قال للجلاد : اضرب عنقه ، فضُربت فى الحال ، ووقع على الأرض بين يديه ، ثم أمر بإحضار آخر منهم فقال : كيف قدرت على مخالفة الأمر ، واحتكرت الغلال ، وتماديت على ارتكاب ما نهيت عنه ، إلى أن تشبَّه بك سواك ، فهلك الناس ، اضرب عنقه فضُرب فى الحال ، واستدعى آخر ، فقام إليه الحاضرون من التجار ، والطحانين ،

والخبازين وقالوا : أيها الأمير ، فى بعض ما جرى كفاية ولحن لمخرج الغلة ، وندير الطواحين ، ونعمّر الأسواق بالخبز ، ونرخص الأسعار على الناس ، ونبيع الخبز كل رطلٍ بدرهم ، فقال : ما يقنع الناس بذلك ، فقالوا : الرطلان بدرهم ، فأجابهم : بعد اللتيا والتى ، ووّفوا بالشروط ، وتدارك الله الخلق باللطف ، وأجرى النيل ، وسكنت الفتن ، وزرع الناس ، وانكشفت الكروب .

ثمّ حصل الغلاء ، بعد ذلك ، أيام الخليفة الآمر بأحكام الله ، ولم تطل مدته ، فلم تعم بليته ، كما حصل بعده فى أيام الخليفة الحافظ لدين الله ، بوزيره الأفضل بن وحش ، ولكن الحافظ تدارك الأمر بنفسه ، إلى أن منّ الله بالرخاء . وجاء بعده الغلاء ، فى مدة الفائز ، ووزارة الصالح طلائع بن رزيك .

وهكذا كان الغلاء والوباء ، شعار أكثر هؤلاء الخلفاء .

فلم يجلس أكثرهم على تخت هذه الديار ، إلا وجلس بجانبه بلوى من البلايا ، وحصل فى زمنهم خراب أكثر البلاد ، وتعطل أكثر الأراضى عن الزرع .

ولم يختلف الحال بزوال ملكهم ، بل تبدل فى صورة غير الصورة ، ولبس ثوبا غير الثوب .

وحصل فى زمن الأيوبيين مثل ما حصل فى زمن الفاطميين ، ولم يلتفت الكثير منهم إلى أحوال الصحة والرفاهية ، والسير على نهج السلف فى الحكم والإدارة ، وبقيت البلاد عرضةً للضرر ، الذى كان مستوليا قبل ، فكان الظلمْ والجور وتعدّى الحكام ، وغاراتهم ، وعدم الزرع ، والقحط ، والوباء ، والأمراض ، ومصائب آخر ، مما غرسه الطوائف الواردة على الديار المصرية ، إلى أيام استيلاء مولانا العزيز ، محمد على باشا ، على الديار المصرية .

ولم يعمل أحدٌ ممن تقدّم فى هذه الديار أعمالاً تستحق الذكر .

وفى رسالة العلامة المقريزى ــ التى ألفها فى حوادث سنة ٥٩٠ هلالية ــ أنه حصل فى

هذه السنة جوع عم الخلق فى القرى والأرياف ، فتركوا بلادهم وانتقلوا إلى القاهرة ، ودخل فصل الربيع ، فهبَّ هواء تبعه وباء ، وفناء ، وعدم القوت ، حتى أكل الناس أطفالهم شواء وطبخاً ، ثم نهوا عن ذلك ، فلم يُفِد ، فكان يوجد بين ثياب المرأة ، وكذا الرجل ، كتف طفل أو فخذه أو شئ من لحمه ، ويدخل بعضهم بعض حارات ، فيجد القدر على النار فينظرها فإذا فيها / لحم طفل ، وأكثر ما وجد ذلك فى بيوت الأكابر . وأغرق فى أقل من شهرين ثلاثون امرأة بسبب ذلك .

١٩

ثم اشتد الأمر حتى صار أكثر غذاء الناس من لحم بعضهم ، ولم يمكن منعهم لعدم القوت ، من جميع الحبوب والخضراوات . فلما كان آخر الربيع ، انحسر الماء عن المقياس إلى بر الجيزة ، وتحوّل وتغير طعمه وريحه ، ثم أخذ فى الزيادة ـ قليلاً قليلاً ـ إلى الثانى عشر من مسرى ، فزاد إصبعاً واحداً . ثم وقف أياما وأخذ بعد ذلك فى الزيادة القوية ، وأكثرها ذراع ، إلى أن بلغ خمسة عشر ذراعاً وستة عشر أصبعاً ، ثم انحط من يومه ، فلم تنتفع به البلاد لسرعة نزوله . وكان أهل القرى قد فنوا ، حتى أن القرية ، التى كان أهلها خمسمائة نفر ، لم يبق بها غير اثنين أو ثلاثة .

ولم تعمل الجسور ولا مصالح البلاد لعُدم البقر ، فإنها فقدت حتى بيعت البقرة بسبعين ديناراً ، وملأت الجيف جميع الطرق بمصر والقاهرة ، وغيرهما من بلاد الإقليم ، والذى زرع ـ على قلته ـ أكله الدود ولم يمكن زرع غيره . وكانت التنانير لا يوقد فيها بغير خشب البيوت ، وكانت جماعة من أهل الستر يخرجون ليلاً ، ويحتطبون من المساكن الخربة ، فإذا أصبحوا باعوها . وكانت الأزقة كلها بمصر والقاهرة لا يرى فيها من الدور المسكونة غير القليل . وكان الرجل بالريف ـ فى أسفل مصر وأعلاها ـ يموت وبيده المحراث ، فيخرج آخر فيصيبه ما أصاب الأول .

واستمر النيل ـ ثلاث سنين ـ بدون أن يطلع منه غير قليل ، حتى بلغ الأردبَ أو المدُّمن القمحَ ثمانية دنانير . فأطلق العادل للفقراء شيئا من الغلال ، وقسَّم الفقراء على أرباب

الثروة ، وأخذ منهم اثنى عشر ألفا ، وجعلهم فى مناخ القصر ، وأفاض عليهم القوت ، وكذلك فعل جميع الأمراء وأرباب السعة . وكان الواحد من أهل الفاقة إذا امتلأت بطنه الطعام ، سقط ميتا ، فكان يدفن منهم كل يوم العدّة الوافرة ، حتى أن العادل ـ فى مدة سيرة ـ دفن لحو مائتى ألف وعشرين ، فإن الناس كانوا يتساقطون فى الطرق من الجوع ، ولا يمضى يوم واحد إلا ويؤكل عدة من بنى آدم .

وتعطلت الصنائع فلما أغاث الله الخلق بالنيل ، لم يوجد أحد يحرث ولا يزرع ، فخرج الأجناد بغلمانهم ، وتولوا ذلك بأنفسهم . ومع ذلك لم يزرع أكثر البلاد ، لعدم الفلاحين والحيوانات ، وبيعت الدجاجة بدينارين ونصف ، ومع ذلك كانت المخازن مملوءة من الغلال ، وكان الخبز متيسر الوجود ، يباع كل رطل منه بدرهم ونصف .

وزعم كثير من أرباب الأموال ، أن هذا الغلاء كسنى يوسف ـ عليه السلام ـ وطمع أن يشترى بما عنده من الأقوات ، أموال أهل مصر ونفوسهم ، فأمسك الغلال ، وامتنع من بيعها ، فلما جاء الرخاء لم ينتفع بشئ منها ، بل رماها لأنها تلفت . وأكثر أرباب المال أصيبوا ، فبعضهم مات عقب ذلك شرّ ميتة ، وبعضهم أصيب فى ماله ، إن ربك لبالمرصاد ، وهو الفعّال لما يريد .

ثم بعد ذلك جاءت دولة الأتراك ، فكانت المصائب أشنع وأفظع ، وتسلحت بأسلحة أحدّ وأقطع ، فكان الغلاء والقحط فى سلطنة كتبغا سنة ٦٩٤ فى بلاد مصر ، وهجم عليها من سكان برقة ٣٠,٠٠٠ نفس من الجوع ، لقلة المطر ببلادهم ، وجفاف العيون ، فهلك جلهم جوعًا وعطشًا ، ووصل القليل منهم فى جهد وقل . وتأخر الوسمىُّ ببلاد الشام ، حتى فات أوان الزرع ، واستسقوا ثلاثا فلم يسقوا ، ثم اجتمع الجميع وخرجوا للاستسقاء ، وضجوا وابتهلوا إلى الله سبحانه وتعالى فأغاثهم وسقاهم .

والنيل بمصر وقف عن الزيادة ، فتحولت الأسعار ، وتأخر المطر عن بلاد القدس والساحل حتى فات أوان الزرع ، وجفت الآبار ، ونضب ماء عين سلوان ، وكان مبلغ النيل

فى تلك السنة ـ أعنى سنة ٦٩٤ ـ ستة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا ، ونزل سريعا ، وكسر بحر أبى المنجى ـ قبل أوانه بثلاثة أيام ـ خوفا من النقص ، فبلغ أردب القمح مائة درهم ، والشعير ستين درهماً ، والفول خمسين ، ورطل اللحم ثلاثة دراهم ، فأخرجت الغلال من المخازن ، وفرقت فى المخابز ، ورُتب لكل صاحب جراية ست جرايات فى شهرين . وكان راتب البيوت وأرباب الجرايات ـ كل يوم ـ ستمائة وخمسين أردبا ما بين قمح وشعير ، ومن اللحم عشرين ألف رطل .

وكان قد ظهر خلل فى الدولة ، لقلة المال وكثرة النفقات ، فتعددت المصادرات للولاة والمباشرين ، ووزعت البضائع بأغلى الأثمان على التجار .

ودخلت سنة ٦٩٥ ، والناس فى شدة من الغلاء وقلة الوارد ، لكنهم كانوا يمنون أنفسهم بمجئ الغلال الجديدة ـ وكان قد قرب أوانها ـ فعند إدراك الغلال ، هبت ريح مظلمة ، من نحو بلاد برقة هبوباً عاصفاً ، وحملت ترابا أصفر كسا زرع تلك البلاد ، فأتلف أكثرها ، وعم ذلك التراب إقليم الجيزة ، والغربية ، والشرقية ، وزرع الصعيد الأعلى ، وفسد زرع الصيف كالأرز ، والسمسم والقلقاس ، وقصب السكر ، وكل ما يزرع على السواقى ، فتزايدت الأسعار . وبعد تلك الريح جاءت حمى عمت الناس ، فغلا سعر السكر والعسل وما يحتاج إليه المرضى ، وعُدمت الفواكه ، وبيع فرخ الدجاج بثلاثين درهماً ، ووصل سعر أردب البُر مائة وتسعين ، والشعير مائة وعشرين ، والفول والعدس مائة وعشرة ، ورطل البطيخ درهمين ، وحبة السفرجل ثلاثة دراهم .

وتزايد القحط فى بلاد / القدس والساحل ، ومدن الشام إلى حلب ، فوصلت غرارة القمح سعر مائتين وعشرين درهماً ، والشعير نصف ذلك ، ورطل اللحم عشرة دراهم ، والفاكهة أربعة أمثالها .

وكان ببلاد الكرك ، والشوبك ، وبلاد الساحل لما يرصد للمهمات والبواكير ما ينوف عن عشرين ألف غرارة ، فحملت إلى الأمصار .

وأجدبت مكة ، فبلغ أردب القمح بها تسعمائة درهم ، والشعير سبعمائة ، فرحل أهلها حتى لم يبق بها من الناس إلا اليسير.

وعُدم القوت ببلاد اليمن ، وكثر بها الوباء ، فباعوا أولادهم ، واشتروا بهم قوتا ، وفروا إلى حلل بنى يعقوب ، فتلاقوا مع أهل مكة ، وضاقت بهم الأرض بما رحبت ، فأفناهم الجوع جميعا ، ماعدا طائفة قليلة .

وحصل القحط ببلاد المشرق ، وفنيت دوابهم ، وهلكت مراعيهم ، وأمسك المطر عنهم . واشتد الأمر بمصر ، وكثر بها الناس من الآفاق ، فعظم الجوع حتى كان الخبز ينهب من المخبز والحوانيت ، وكان العجين ـ إذا خرج به صاحبه ليخبزه ـ نُهب قبل أن يصل ، فكان لا يصل إلا إذا كان معه عدة يحمونه من النهابين .. ومع ذلك ، فكان من الناس من يلقى نفسه عليه ليأخذ منه بلا مبالاة ، بما أصابه من ضرر الضرب .

فلما تجاوز الأمر حده ، أمر السلطان بجمع الفقراء وذوى الحاجات ، وفرقهم على الأمراء ، فأرسل إلى أمير المائة مائة ، وإلى أمير الخمسين خمسين ، حتى وزع على أمير العشرة عشرة ، فكان منهم من يُطعم مَنْ خصه من الفقراء ثريد لحم البقر ، ومنهم من يعطى كل واحد رغيفين ، ومنهم من يعطى كعكاً ، ومنهم من يعطى رقاقاً ، فخف ما بالناس .

ولكن عَظُم الوباء فى الأرياف ، وفشت الأمراض بالقاهرة ومصر ، وعظم الموتان ، وكثرت طلبة الأدوية ، حتى أن عطارًا بباب حارة الديلم ، باع فى شهر واحد باثنين وثلاثين ألف درهم ، وبيع من حانوت شخص ، يعرف بالشريف عطوف ، من سوق السيوفيين ، بمثل ذلك ، وكذلك حانوت بالوزيرية ، وآخر خارج باب زويلة ، باع أيضا بمثل ذلك . وطلبت الأطباء ، وبذلت لهم الأموال ، وكثر ما تحصلوا عليه ، فكان الواحد منهم يكتسب فى اليوم الواحد مائة درهم . ثم أعيا الناس كثرة الموتى ، حتى بلغت عدة من يصل اسمه الديوان السلطانى ـ فى اليوم الواحد ـ ما يزيد عن ثلاثة آلاف .

وأما الطرحى ، فلم يُحص عددهم بحيث ضاقت بهم الأرض ، وحفرت لهم حفر وآبار . وألقوا فيها ، وجافت الطرق والنواحى والأسواق ، وكثر أكل لحم بنى آدم ـ خصوصاً الأطفال ـ فكان يوجد عند رأس الميت لحم ابن آدم الميت ، ويمسك بعضهم فيوجد معه كتف طفل ، أو فخذه ، أو شئ من لحمه .

وخلت الضياع من أهلها ، حتى أن القرية التى كان بها مائة نفس ، لم يوجد بها غير نحو عشرين ، وأغلبهم يوجد ميتا فى مزارع الفول ، لا يزال يأكل منه حتى يموت ، ولا يستطيع الحرّاس ردّهم لكثرتهم . ومع ذلك وجد المحصول ـ بعد الحصاد ـ أضعاف المعتاد .

ولقد كان للأمير فخر الدين الطنبغا المساحى ، من جملة زرعه مائة فدان من الفول ، لم يمنع أحداً من الأكل منها فى موضع الزرع ، ولم يُمكّن أحداً أن يحمل منها شيئا زيادة عن أكله ، فلما كان أوان الدرس خرج بنفسه ، وقف على أجران المائة فدان المذكورة ، فإذا تلٌّ عظيم من القشر الذى أكلت حبه الفقراء ، فطاف به وفتشه ، فلم يجد فيه من الحب شيئا ، فأمر به أن يدرس لينتفع بتبنه ، فلما دُرِسَ جاء منه سبعمائة وستون أردباً ، فعدّ ذلك من بركة الصدقة ، وفائدة أعمال البر ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .

وكثرت أرباح التجار والباعة ، وازدادت فوائدهم ، فكان الواحد من الباعة يستفيد فى اليوم ثلاثين درهما ، وكذلك كانت مكاسب أرباب الصنائع ، واكتفوا بذلك مدة الغلاء ، وأصيب جماعة كثيرون ممن ربح فى الغلال ، من الأمراء ، والجند ، وغيرهم ، مدة الغلاء ، إما فى نفسه وإما فى ماله ؛ فلقد كان لبعضهم ستمائة أردب باعها ، سعر كل أردب مائة وخمسون درهماً ، بل بعضها باعه بأزيد ، فلما ارتفع السعر عما باع به ، ندم على بيعه الأول حيث لم ينفعه الندم ، فلما صار إليه ثمن الغلال أنفق معظمه فى عمارة زخرفها ، وبالغ فى تحسينها ، حتى إذا فرغ منها ، وظن أنه قادر عليها ، أتاها أمر ربها فاحترقت ، وأصبحت لا ينتفع بها أصلاً .

مطلب أول وزن الفلوس

ولما ضربت الفلوس ، لعبت الناس فيها ، فنودى أن يستقر الرطل منها بدرهمين ، وزنة الفلس درهم ، وهذا أول وزن الفلوس .

واشتد ظلم الوزير الصاحب فخرالدين الخليلى ، لتوقف أحوال الدولة من كثرة الكلف ، فأرصد متحصل المواريث للغداء والعشاء ، وأخذ الأموال الموروثة ـ ولو كان الوارث أبا أو ابنا ـ فإذا طالبه الوارث بما يستحقه ، كلفه إثبات نسبه واستحقاقه ، فلا يكاد يثبت ذلك إلا بعد عناء طويل ومشقة ، فإذا تم الإثبات أحاله على المواريث .

وهكذا كان يفعل بتركة كل من مات ، فتضجر الورثة من الطلب ، فتترك المطالبة واشتد الأمر على التجار ، لرمى البضائع بالأثمان الزائدة ، والقيم الكثيرة ، وكثرت المصادرات ، وعظم الأمر ، واشتد الجور على أهل النواحى ، وحملت التقاوى السلطانية من الضياع ، واشتد الأمر على أهل دمشق ونابلس وبعلبك وغيرها ، فكانت تلك الأيام فى / غاية الشدة .

٢١

وهذا كله ، وجدته مسطوراً برسالة المقريزى ، ونقلت بعضه حرفياً ، ليعلم القارئ فظاعة تلك الأيام ، وسوء تدبير حكامها .

ولم تنته الشدة على أهل مصر ، بانتقال الملك من الدولة الأيوبية إلى التركية ، بل زادت زيادة فاحشة أضرت بالبلاد والعباد ، واستمر ذلك إلى عهد قريب منا .

وفى جميع هذه المدد ، كان القحط والوباء متعاقبين ، وحصل منهما خراب البلاد فى الأقاليم البحرية .

وهاك بيان مما حدث منهما ، فى الأقطار المصرية إلى سنة ١٢١٣ ، التى كان فيها دخول الإفرنج ديار مصر .

سنة ٦٩٤ : حصل طاعون وقحط ، وفتن وحرب ، فى زمن محمد بن قلاوون ، الملقب بالملك الناصر .

سنة ٧٤٨ : حدث وباء شديد فى زمن السلطان حسن ، وهلك فيه كثير من الناس .

سنة ٨٤٢ : حدث وباء عظيم فى زمن جكمك ، الملقب بالملك الظاهر .

سنة ١٠٠٧ : حدث طاعون عظيم ، وقحط أليم ، فى زمن على باشا السلحدار .

سنة ١٠٢٧ : حدث طاعون شديد ، فى زمن الوزير جعفر باشا ، فخربت البلاد ، وأقام أربعة أشهر ، وكان أغلب من يموت عمره من ١٥ إلى ٢٥ عاما ، وعدد من مات فيه ٦٠٠٠٠٠ نفس .

سنة ١٠٢٨ : حصل غرق عظيم ، تلاه وباء أليم ، وقحط مهين .

سنة ١٠٢٩ : حصل غلاء ووباء شديدان ، فى زمن ابراهيم باشا .

سنة ١٠٣٤ : طغى النيل ، وخافت الناس الغرق والقحط ، ولكن الله سلم ، وزرعت الناس ، وأخصب الزرع ، لكن حدث وباء .

سنة ١٠٣٥ : مات أكثر من ٣٠٠٠٠٠ نفس من القاهرة . ولتسكين روع الخلق ، حرّج الباشا على الصياح ، فكان الميت يمر بالحارة ولا يسمع به ، وكان الباشا يستحوذ على التركات .

سنة ١٠٣٩ : جاء سيل عظيم إلى مكة المشرفة ، فخرب أغلبها ، وهدم حوائط الكعبة ، فكتب السيد مسعود ـ شريف مكة المشرفة ـ إلى الباشا والى مصر ، ومن طرفه كاتب الآستانة ، فأمر ببناء الكعبة ، وأرسل من مصر جميع ما يلزم من عملة ومهمات ، وصرف على ذلك مائة ألف قرش ، وقرش ذاك الوقت ، يعدل أربع فرنكات .

سنة ١٠٤٩ : قصّر النيل فزادت الأسعار ، وتلاه وباء ، وكثر السارقون وقطاع

الطريق ، فكان لا تمضى ليلة إلا وتنهب فيها حارة من الحارات ، وذلك زمن الوزير مصطفى باشا البوستانجى .

سنة ١٠٥٠ : فى زمن منصور باشا ، حصل طاعون لم يسمع بمثله ، وكان ابتداؤه ببولاق ، ولم يظهر بالقاهرة إلا بعد شهرين ، والذين ماتوا وصلى عليهم ٩٠٠٠٠٠ نفس ، كما قال أبوالسرور ، وكثر الموت ، حتى صارت الموتى تدفن بدون صلاة ، وخُرِب بهذا الطاعون ٢٣٠ بلدة من الجهات البحرية .

وفى سنة ١٠٦٠ : قصَّر النيل ولم يبلغ غير ستة عشر ذراعا ، فشرق ثلث الأراضى القبلية ، ولم يرو غالب أرض الوجه البحرى ، وعلا السعر علوا فاحشا ، وتعطلت الأموال الميرية ، وكثرت المظالم ، وفشا النهب .

ثم من سنة ١٠٦٣ إلى سنة ١١١٢ : تبادل على حكومة مصر ٢٢ من الباشاوات ، فكان الأمر بين قتل ونهب ، ولم أعثر على أمرٍ يخص الأهالى .

سنة ١١٤٢ : حصل طاعون شديد ، يعرف فى كتب الإفرنج : بطاعون كاوى ، وذلك زمن شياخة ذى الفقار على القاهرة ، ولم أر أعظم منه .

وسبب تسميته بهذا الإسم ـ على ما ذكر المؤرخون ـ أن فقيراً زنجى الأصل ، كان يجرى فى الحارات ، وينادى . كاوى كاوى ، وبعد ذلك رمى نفسه فى النار فمات .

ثم حدث طاعون زمن شياخة عثمان بيك ، واستمر مدة مع قحطٍ شديد ، ولكن تدارك عثمان بيك أمر الناس ، فلم يحصل لهم كبير عناء .

ومن بعد هذا التاريخ حصلت حروب متوالية ، وفتن على سوقها قائمة متتابعة لا تنقطع ، لا داخلاً ولا خارجاً .

سنة ١٢٠٥ : حدث طاعون فظيع سماه أهل مصر : طاعون إسماعيل بيك ، وذكر المؤرخون أنه لم يحصل مثله فى الأيام السابقة ، فإنه كان يموت بالقاهرة ـ كل يوم ـ زيادة عن

ألف نفس ، وتغيرت الحكام فى اليوم الواحد أربع مرات من هوله وشدته ، فإنه كان يتعين الحاكم منهم فيموت من يومه ، فيتعين بدله ، وهكذا . ومات فيه إسماعيل بيك وأهل بيته ، وذريته وأتباعه ، وخلا بيته مرة واحدة .

وتلا ذلك قحط شديد ، وغلاء عظيم لم ير مثله ؛ بسبب أن إبراهيم بيك ، ومراد بيك احتكرا غلال الصعيد ، وصارا يتجران فيها فى الخارج .

هذا ، ولم أذكر من حوادث تلك الأيام غير المهم منها ، وإلا فما تركته أكثر مما ذكرته .

والآن قد أزال الله سبحانه وتعالى جميع ذلك ، وخلصنا من مهاوى هاتيك المهالك ، حتى صرنا لا نسمع به ، فلأى سبب كان يوجد فى الماضى ، ولأى سبب لم يوجد الآن ؟ ولأى شئ لم يكثر فى أرض مصر زمن الفراعنة ، ومن أتى بعدهم ، وفشا فى مدة العرب ومن عقبهم ؟ وكيف بعد أن كان تعداد أهالى مصر ثمانية ملايين ـ كما قال استرابون ـ وقبلهم ، صار يتناقص حتى وصل لثلاثة ملايين ، حين دخول الفرنسيس ؟ وكيف انتقل حتى صار الآن خمسة ملايين ، ولم يزل يزداد سنة فسنة ، فهل يعرف لذلك سبب غير سوء التدبير ، والجهل بسياسة أمور الأمة فى تلك الأزمان ؟

وزال ذلك كله والحمد لله فى الأزمان الحالية ، فإنا نعلم أن الطاعون كان يظهر فى القطر كل خمس أو أربع سنين / مرة ، والآن ذهب من أصله ، بسبب ترتيب مجالس الصحة ، ٢٢ وإزالة الأمور الضارة : كالبرك والمعاطن ، وإحكام المدافن ، واختيار المقابر فى المواضع اللائقة ، خصوصاً حين ابتدئ فى تلقيح الجدرى للأطفال ، فخلص منه كثير ، وأخذ تعداد الأمة يزداد كل سنة ، مع أنه كان فى السابق يموت الأغلب ويبقى القليل .

وكذلك لو سردنا الأمراض التى كانت قاطنة ببيوت الأهالى ، تحصد فيهم حصد الزرع ، لوجدنا أن أغلبها ذهب ، ونجى الله الخلق منه ، وليس هناك سبب ، غير عناية الحكومة المحمدية العلوية ، وتوفيق الله إياها لإجراء ما يصلح العباد ، فكم من مرة مرزت ـ

وأنا صغير - بطرق القاهرة ، وكنت أفزع من النظر للمبتلين والمجذومين المنتشرين فى أزقة البلد والطرقات ، فانظر ما الذى صار ، حتى أنا لا نرى منهم الآن أحداً ؟ ، هل لذلك سبب غير ضبطهم ومعالجتهم بالمستشفى المنتظم فى كل بندر ومدينة ، فمن يمر الآن فى أزقة القاهرة لا يرى شيئاً مما ذكره أحد السياحين : من أنه رأى فى العشرة من أهل مصر ثمانية ، ما بين أعمى وأعور ، أو على عينه نقطة ، أو به رمد ، فهل ينبغى لنا تكذيب السياح المذكور ؟

بل الذى نقوله : إن الناس تشبثت بمعالجة أمراض العيون ، وكثر الكحّالون ، واتبعت طرق تلطفت بها أمراض العيون .

ولا ينكر أحد ماكانت الناس تعانيه فى الأرياف من أمر معالجة المرضى ، فإنه كان يندر وجود طبيب بالجهات البحرية ، وكان أمر المعالجة موكولاً للحلاقين وعجائز النساء ، أما الآن فقد صار بكل مديرية اسبتالية ، وأجزاخانة ، وأطباء ، وتمرجية ، وبكل قسم طبيب .

فمن ذلك الترتيب الحسن صفا الهواء من العفونات ، التى كان يحملها من مناقع الماء والبرك والمعاطن ، وتخلص أهل القرى من القاذورات ، ونظفت أماكنهم ، وأجروا بين مزارعهم ترعاً وأنهاراً ، وغرسوا أشجاراً ، فما يزرع الآن بأرض مصر أكثر مما كان يزرع بها زمن البطالسة والرومانيين ، فإن الأصناف المعتادة أخذت فى الزيادة ، باتساع أسباب دائرة النموّ والفائدة : كالإكثار من الجداول والأنهار والجسور والمساقى ، التى أوصلت مياه النيل إلى أطراف أراضى البلاد جميع فصول السنة ، وكانت - قبل - لا تصلها إلا نادراً ، وذلك كله ليس إلا من وجود المهندسين ، وتفننهم فى ريّ ماكان يتعسر أو يتعذر ريه ، فكان النيل وقت فيضانه لا يعم البلاد ، مع أنه يغرق بعضها ، ووقت النقصان تحرم منه .

فمن ينظر إلى حسن سير ولاتنا فى هذه الأزمان وسير الولاة السابقين ، يجد أنا وصلنا الآن إلى درجة عظيمة فى الثروة ، صرنا بها من ضمن الأمم المتمدنة ؛ خصوصاً بالتفات الخديو إسماعيل ، فإنه بذل مجهوده فى توسيع دائرة المنافع العامة ، وهذا بخلاف ماكانت عليه الحكام فى الأزمان الماضية ، التى ذكرتها لك آنفاً .

ولنورد لك أنموذجاً لتكون على بصيرة فى أمور الولاة ، بحيث إذا حكمت لهم وعليهم بشىء يكون حكمك عن تصوّر ، فإن الحكم على الشىء فرع عن تصوّره فنقول :

إنه فى سنة ٩٧١ من الهجرة ، كان الوالى على مصر على باشا الصوفى ، فبدلاً عن أن يحضر إليها ، ويولى أمورها من شاء من أمرائها وأهلها ، أحضر معه جملة من حلب ، ووظفهم فى قبض الأموال وضرب النقود ، فنزل سعر العملة من كثرة الغش الداخل فى العيار ، وضرر ذلك لا يخفى .

وفى زمنه كثر السارقون وقطاع الطريق ، لا سيا حول القاهرة ، فاضطر إلى بناء حائط من قنطرة الحاجب إلى الجامع الأبيض ، خوفاً من السارقين والأشرار أن يدخلوا البلد ، فإنهم كانوا لا يكترثون بشىء ، لا ليلاً ولا نهاراً .

وتولى بعده على مصر محمد باشا ، وكان مشهوراً بالظلم وسفك الدماء ، فكان لا يمشى فى البلد إلا ومعه الطوباش ، أى الوالى ، فيقتل بذنب وغير ذنب ، فمتى أشار إلى أحدٍ وقعت رأسه ، وكان له جواسيس تخبره عن أصحاب الثروة وأرباب الأموال ، فيحبسهم ويطلب منهم مبالغ يقرّرها عليهم ، وينوع لهم العذاب حتى يسلبهم أموالهم ، واستعمل المصادرة وضرب الجرائم .

وفى سنة ١٠٠٧ ، كان الوالى على مصر الوزير على باشا السلحدار ، وكان أيضاً غشوماً ظلوماً سفاكاً للدماء ، لم يعهد أنه خرج فى البلد مرة ورجع إلى بيته بدون سفك دم ، فإنه كان يقتل العشرة أو الأكثر ثم يدوس رممهم بفرسه ليعتاده . وكان يأمر بترك القتلى فى الطرق الأيام العديدة .

وفى زمن الوزير حسين باشا ، المتولى على مصر سنة ١٠٤٤ ، كثر الظلم ، وفشا الغدر حتى صار يضرب به المثل ، ولما حضر أحضر معه جملة من الدروز ، ثم سلطهم على نهب الأموال ، فكانوا يدورون فى البلد ، وينهبون الأموال جهاراً ، حتى أغلق الناس حوانيتهم ، وتعطلت الأسواق ، وقل الأمن فى جميع الرعية على المال والنفس .

وتفنن ذلك الباشا فى جوره ، واستحوذ على نقود التركات ، فكان أكثر من يقتله يستولى على ماله ، ووضع يده على إيراد الأوقاف ، ومرتبات الأرامل والفقراء .

ولنقتصر على ذلك لئلا يطول الكلام ، ونخرج عما نحن بصدده ، فمن أراد استيفاء أحوال تلك الأزمان ، فعليه بملخص تاريخها فى آخر هذا الكتاب ؛ ليعلم أن جميع الباشوات الذين تولوا / مصر كان مطمح نظرهم ، ومسرح فكرهم الحصول على المال ، بدون التفات إلى أحوال الخلق ، وقلّ من وجه منهم نظره لهذا الأمر. ٢٣

وأيضاً لو فرض أن لبعضهم رغبة وميلاً لفعل الخير ، لا يتيسر له ذلك لأمور منها :

أن القوانين فى تلك الأيام كانت موكولة إلى الديوان العالى ، لا استقلال للولاة بشىء منها ، فلم يكن لهم من الحكم إلا الاسم .

ومنها : أن البلد كانت بيد أمرائها ومشايخها ، فمن وافقهم أحبوه وأبقوه ، ومن خالفهم عزلوه ونفوه .

ومنها : أنه كان كل من يأتى إلى مصر من الولاة لا يستغنى عن بطانة من الآستانة ، وتكون له مستنداً يستند إليها فى أوقات شدته ، فكان مضطراً إلى مواساة بطانته ، فمن أين يتحصل على ذلك ــ بل على مؤنته ــ لو لم يتملق إلى كل من كان له فى البلد كلمة ؛ ولو اشتهر بالفجور أو كان أحد الظلمة .

ومنها : ما استقر فى أذهان ولاة ذلك الزمان ، وربما شاهدوه بالعيان . أن الوالى قد يولى فلا يصل إلى ديوانه ، إلا وقد لحقه الأمر بعزله ورجوعه إلى مكانه ، فلذلك كان من يلى مصر لا يستقر ، ولا يهدأ له سر ، حتى يدور مع الأيام حيث دارت ، ويوافق أعيان البلد فى كل ما به عليه أشارت ، ويداهن العدوّ والحبيب ، ويجامل البعيد والقريب ، ليطمئن على وظيفته ، ويحصل على ما يلزم لمؤنته .

وهناك ما هو أدهى من ذلك كله ؛ وهو علمه بأن روحه بيد البيكوات الذين كانوا

بمصر وقتئذٍ إذ كان من عوائدهم أنهم إذا غضبوا على والٍ أرسلوا له من يهدده ، فإن رجع إلى رأيهم ووافقهم على أغراضهم ، وإلا أرسلوا له الطوباش فيذهب إليه فى هيئة غير معتادة راكباً حماراً ، فإذا رآه العامة بهذه الحالة عرفوا ما هو بصدده ، واجتمعوا حوله وتبعوه إلى القلعة ، فيكون لهم هناك ضجيج وغوغاء ، فإذا أُدخل على الوالى قبّل الأرض بين يديه ، ثم سلمه الأمر ، وطوى طرف البساط الذى هو جالس عليه ، فيقوم من فوره وينزل إما إلى منزله ، أو السجن أو القتل .

فكان كل من ولى مصر من هذا القبيل . ولا ينجو منهم من يد البيكوات ومشايخ البلد إلا القليل ، لأنه إن أرضى البيكوات أغضب الدولة ، وإن أرضى الدولة أغضب البيكوات ، وإن أرضاهما أغضب الأهالى .

ولا تسل عما يكون خلال ذلك مما يغضب المولى – جل جلاله – فأين ما كان فى ذلك الزمان مما نراه الآن ، فقد أمن الخلق ، واتسعت أسباب الرزق – خصوصاً أيام أفندينا إسماعيل – وفقه الله لكل أمر جليل جميل .

المدة السابعة

٢٠٢ سنة من ذاك الزمن نزلت مدينة الفسطاط عن درجتها ، وانحط قدر مدينة الإسكندرية انحطاطاً كلياً ، وانفردت مدينة القاهرة بما كان لهاتين المدينتين من المزايا العلمية والسياسية ، وصارت تتزين بالمبانى الفاخرة ، إلى أن حصل حرب الصليب فى منتصف القرن الحادى عشر ، الذى بعده اختلطت الأورباويون بالمشرقيين ، وظهر صلاح الدين سنة ١١٧١ .

فإنه فى القرن الحادى عشر من الميلاد ، كانت أوروبا فى أرض الخمول ، ولا دخل للمعقول فى أحوالها ، وكانوا جميعاً فى انقياد تام للديانة ، تقتبس طباعها وأخلاقها وإدارة

احوالها من رجالها ، وكانت كلمة القسوس هى الكلمة النافذة ، لا يخالفها الملك ولا أحد من الرعية .

ولما اتسعت دائرة الإسلام وتتابع نصره وتمكن ببلاد المشرق ، انحصر النصارى ببلاد المغرب ، وكانت أهالى القسطنطينية ـ حينئذ ـ على وجلٍ من قيام الساعة ، لا يتكلم فى مجالسهم إلا بقربها فنهم من ينسبه إلى طوفانِ عام ، ومنهم من ينسبه إلى حريق عام .

وكانوا جميعاً قائلين بزوال هذا العالم ، موجهين أفكارهم نحو الديانة ، طالبين من الله الرحمة .

ثم قصدوا بيت المقدس ـ من كل ناحية ـ وفيهم رجل فرنساوى اسمه عندهم (بيراى الحجر) فتردد على بطرق بيت المقدس مراراً واتفق معه على أن يوصل مكاتيب يكتبها للبابا وملوك أوربا : أن يتعاهدوا على طرد المسلمين من القدس ، فتوجه إلى البابا وعرض عليه الكيفية فاستحسنها .

وفى سنة ١٠٥٥ حصل الاتفاق من كبار الديانة على محاربة المسلمين ، ولما أعلنوا بالحرب صارت الناس تطلب الدخول فى المجاهدين تطوّعاً منهم ، وباع أغلب الناس ما يملكه ليصرفه فى سبيل الله .

مطلب حرب الصليب

ثم لما جاءوا وتصادموا مع المسلمين ، نجحوا أول مرة ونصروا على المسلمين ، واستولوا على بيت المقدس ، وانتصب (جودفروى) ـ أحد الرؤساء ـ على أرض القدس وذلك سنة ١٠٩٩ .

ثم طمع النصارى فى المسلمين ، ورغبوا فى الإستيلاء على باقى بلاد الإسلام ، لضعف الخلفاء وتساهلهم فى حفظ البلاد وذلك مدة العباسيين والفاطميين فقام (أمورى الأول) ـ

ملك القدس ـ وقصد الديار المصرية سنة ١١٦٨ بجيش عظيم ، واستولى على بلبيس ، وتوجه نحو القاهرة ، فصالحه الخليفة العاضد رغم أنفه ؛ لعجزه عن المدافعة ، وقرر على نفسه مليوناً من الدنانير ، ورغب الدخول فى المدينة للحصول على الدراهم ، فخاف أهل القاهرة خوفاً شديداً ، فاتفق أمراء الدولة مع الخليفة على أن يحرروا مكاتيب إلى الملك نجم الدين ، يطلبون منه النجدة ، فأرسل لهم صلاح الدين على جيش عظيم ، وكان صلاح الدين حاز شهرة عظيمة فى محاربة نورالدين مع النصارى ، لكن / بعد قدومه بالعسكر ، رأى العاضد ٢٤ أن إبعادهم عن مصر خير له ، فتمّم أمر المصالحة مع النصارى ، وصرف الجميع عن بلاده ، ثم اضطر ثانياً إلى طلب المعونة من نورالدين ؛ لأن (أمورى) وملك القسطنطينية كانا اتحدا معاً ، وأرسلا جيشاً عظيماً فى البحر إلى ثغر دمياط ، فأرسل له نورالدين ، يوسف صلاح الدين ، فلما حضر ثانياً جلا هم عن الديار المصرية بعد محاصرة دمياط شهرين ، فكافأه العاضد على ذلك ؛ بجعله أكبر وزرائه ورئيس جيوشه ، ولقبه بالملك الناصر.

فلم يكتف بذلك صلاح الدين ، بل أخذ يبدى ما هو كامن فى ضميره ، وما أسرّ إليه سيده .

وأول شىء أظهره إبطال اسم الخليفة الفاطمى من الخطبة ، وتعويضه باسم الخليفة العباسى الثالث والثلاثين من بنى العباس ، وإكرام من بقى من نسل العباسيين الذين بمصر ، فخصهم بجميع مزايا الأبهة والشرف ـ فى الأمور الدينية فقط ـ وبقيت لهم هذه المزايا فيما بعد ، ومن ذاك الحين صار لا يسمع بذكر شيعة علىّ وجعلت الإمامة للشافعية .

وفى أثناء جميع تلك التغيرات ، كان العاضد مريضاً ثم مات ، فاغتنم صلاح الدين فرصة موته ، وجعل الملك باسم سيده ، ومحا ذكر الفاطميين من الديار المصرية ، واستولى على أموالهم وذخائرهم .

مطلب استقلال صلاح الدين بالحكومة المصرية

وبعد ذلك رأى فى نفسه القدرة على الإستقلال فاستقل بحكومة مصر ، وأسس بها العائلة الأيوبية ومات نور الدين سنة ١١٨٣ ، فطمع فى مملكته ، وأغار عليها ، واستحوذ عليها جميعها ، وجرد أولاد سيده نور الدين من ملك أبيهم .

ثم فى سنة ١١٨٨ توجه إلى بلاد القدس وحاصرها ، وتغلب عليها ، وطرد ملكها منها ، وسطا على ملك النصارى بالبلاد الشامية وبلاد فلسطين ، وجلاهم عنها ، وشاع ذكره ، واشتهر أمره ببلاد أوروبا والمشرق ، وخافه الخلق أجمعون ؛ لشهامته وحسن تدبيره ونظره فى الأمور .

وهو الذى لهج المؤرخون بمدحه ، من بين من جلس على تخت هذه الديار قبله وبعده ، ومع ذلك لما مات لم يوجد فى خزائنه إلا سبعة وأربعون درهماً ودينار واحد ، ولم يخلف ملكاً ولا عقاراً ، ولكن لا تخفى فعلته التى فعلها بسيديه الأول: نور الدين وأولاده ، والثانى: العاضد وأولاده ، لأنه لما توفى العاضد ، استحوذ على القصر بما فيه من نفائس الأموال ، واعتقل أقاربه من نساء ورجال ، ومنعهم عن نسائهم لئلا يتناسلوا ، ولكن أين صاحب فضل لم يغلب عليه الطمع ؟ ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ؟ .

ثم مات سنة ١١٩٣ ، فقسمت دولته بين ولديه العزيز والأفضل ، وعلت كلمة الأيوبية فى الديار المصرية .

ولكنها لم تبق على ذلك إلا زمناً يسيراً ، فالذى كان على تخت مصر من أولاده هو الملك العزيز ، وأما الملك الأفضل فكان على الديار الشامية ، والأول مات ولم يترك ذرية ، فصار الأفضل على الولايتين ، وجعل تخت ملكه القاهرة ، ولم تطل مدته بل طرده عمه الملك العادل وقام مقامه .

وهو الذى لجماله عشقته أخت (ريشار) وكان حصل الاتفاق بين صلاح الدين وأخيها على زواجها به ، لكن توقف المسلمون . ومن ذاك العهد صارت أولاده تتوارث ملكه إلى زمن الملك الصالح الملقب بنجم الدين . ثم حصلت وقعة سنلويز المشهورة ، وهاك بعض تفاصيلها .

مطلب وقعة سانت لويز[1] المشهورة

فى سنة ١٢٤٤ ، حصل لجيش النصارى ـ فى ضواحى غزة ـ هزيمة عظيمة ، وصل خبرها بلاد النصرانية ، فأمر البابا بانعقاد مجلس من أمراء الروحانيين ، وذلك سنة ١٢٤٥ ، فانحط الرأى على تجريدة سابقة على المسلمين .

وفى تلك المدة كان ملك قسطنطينية ، وملك ألمانيا ، وملك ايطاليا فى ارتباك تام ، فلم يمكنهم أن يرسلوا جيشاً ، فانفرد بهذا الأمر ملك فرنسا ، فجمع العساكر ووكل على المملكة والدته سنة ١٢٤٨ ، وسار بهم فى البحر ، وكان معه إخوته الثلاثة وجميع رؤساء دولته .

وفى شهر سبتمبر وصل جزيرة رودس ، فأقام هناك إلى فصل الصيف من السنة القابلة ، وهى سنة ١٢٤٩ ، ثم قام فوصل دمياط بعد خمسة عشر يوماً ، فاغتنم الصالح نجم الدين الفرصة ، وحصَّن مدينة دمياط ، وجمع ما يلزم من السلاح ، والذخيرة ، والرجال ، وجعل على الساحل جيشاً من الخيالة رئيسهم فخر الدين ؛ لمنع النصارى من الخروج إلى البر ، وأغلق بوغاز النيل .

ومع هذا ، فقد هجمت النصارى وخرجت ، وانهزم فخر الدين بمن معه ، ودخل دمياط مرعوباً فاغتمّ الأهالى والعسكر ففروا هاربين منها ، فدخلها الفرنسيس بدون ممانع ، واستحوذوا على ما فيها .

(١) فى الأصل : سنلويز .

ولولا غفلة الفرنسيس عن اتباع أثر المنهزمين لدخلت مصرفى قبضتهم ، لأنه لم يكن بها حينئذ جيش غير هذا الجيش ، ولكن قضى الله بذلك لأمرٍ يعلمه . وأقام الملك ينتظر حضور أخيه بمن معه من العساكر.

وأما نجم الدين أيوب ، فبعد أن أفاق من دهشته وتفكر فى الأمور ، أقام فى مدينة المنصورة ، وجعل الاستحكامات فيها بين المدينة والبحر الصغير ، وجمع من جميع جهات القطر ما تعظم به القوة ، وتتم به المدافعة .

وفى أثناء ذلك اشتدّ مرض السلطان ومات ، فأخفت زوجته شجرة الدر موته ، خوفاً من فتور همة الجيش عن الحرب ، وذلك باتفاقها مع رئيس الجيش عزالدين أيبك ، وعقد الكلام بينهما ، على أن ذلك الإخفاء يستمر إلى / حضور ولدها الملك ــ الملقب بطوران شاه ــ من ديار بكر.

٢٥

ثم حضر جيش النصارى من البر الشرقى إلى البحر الصغير ، ورغبوا مجاوزته والعبور عليه ، فمنعهم المسلمون من ذلك ، ثم دلهم بعض الناس على جهةٍ يخوضونه منها نظير مبلغ ألف فرنك جعلوها له ، فساروا إلى ذلك الموضع ، فعلم المسلمون بذلك فمانعوهم ، واقتتل الفريقان ولم يُجْدِ ذلك شيئاً ، بل جاز جيش النصارى البحر ، وساروا حتى دخلوا المنصورة ، فدخل أخو الملك داخلها مع جماعة من العسكر ، وانفرد عن الجيش فتفرق جمعه ، ولكن قيض لهم من جمع شملهم ، ولولا ذلك لأخذت مصر وقتها .

وفى هذه الواقعة ، نزل أهل المنصورة المقبرة الإسلامية ، وقاتلوا من دخل المدينة وأفنوهم عن آخرهم ، وفيهم أخو الملك ، وكان جيش النصارى متفرقاً بعضه فى البر البحرى ، وبعضه فى البر القبلى ، فكان المسلمون ينتهزون الفرصة ، ويحاربون هذا الفريق تارة والآخر تارة ، ومع ذلك لم يتم النصر لأحد الفريقين فى هذا اليوم . وكانت النصارى زحزحت المسلمين عن معسكرهم ، وفى اليوم الثانى حضر طوران شاه وتقلد بأعباء الملك ، فاصطدم الفريقان صدمةً هلك فيها كثير من الفريقين ، ولم يتم الفوز لأحدٍ من الفريقين على الآخر فى هذا اليوم أيضاً .

ثم إن طوران دبر تدبيراً ؛ وهو أن يمنع ما يرد إلى جيش النصارى فأرسل خلقاً إلى المراكب التى بها مأكلهم ، فلحق جيش النصارى من الكرب ما لا مزيد عليه ، وهجم عليهم الطاعون والأمراض ، فانهزموا فلحقهم المسلمون ، فجازوا البحر على قنطرةٍ من خشب كانوا صنعوها على البحر الصغير ، فالتقى الفريقان بفارسكور ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً ، انتصر المسلمون فيه على النصارى ، وأسروا ملكهم ومن معه من الرجال والعساكر ، وكر المسلمون راجعين إلى المنصورة ، فرحين بما أوتوا .

وهناك اشترطوا على ملك النصارى شروطاً ، منها : أنه يخرج من مصر ، وأن يسلم نظير فك أسره مائة ألف وزنة من الذهب ـ والوزنة خمسة ليورا باريزى ـ . وعلى هذا ذهب جيش النصارى من مصر ، وسلم دمياط .

ولما وصل ملك النصارى عكا ، أرسل ما فرض عليه .

وإنما خرجنا عن الموضوع ، وأطلنا فى تفصيل حوادث هذه الأوقات ؛ ليعرف القارىء ما ورد على الديار المصرية . ومع ذلك فالغارة الأولى التى كانت فى سنة ١٠٩٦ ، والثانية التى كانت فى سنة ١١٤٨ ، لم يحصل منهما إنتقال لمدينة إسكندرية عما كانت عليه .

ثم أنه يقال : إن الفرنساوية كانوا تحت إمرة (أمورى الأول) ملك بيت المقدس ، الذى أغار على الديار المصرية وحاصرها ، ولم يتمكن منها ؛ لمدافعة أهلها عنها وارتد خائباً ، كما صار له فى هجومه على القاهرة ودمياط . ثم أنه عقب تلك الغارات هجم صلاح الدين على بلاده فخربها .

المدة الثامنة

٧٩ سنة ، وهى دولة الأيوبيين والأكراد ، التى أعقبت الفاطميين ، وكان فى إمكان الفاطميين أن يبقوا الأسباب الموجبة لاضمحلال ملك العباسيين ، ويجعلوا العدل أساس

ملكهم ، ويسيروا على منهج الشرع لتتمكن حكومتهم فى الأرض وتبقى ، وذلك إنما يكون بتأليف قلوب الأهالى .

ولكن لم يلتفتوا لذلك أصلاً ، بل تبعوا فى سيرهم الخلفاء ببغداد ، وأكثروا من الظلم والزهو ، واشتغلوا بالمحاورات الدينية ، واشتركوا مع العلماء فى المجادلات المذهبية ، وأكثروا من العدوان بقصد الحصول على رجال يدخلون فى مذهبهم .

وأضلهم الحاكم بأمر الله ، الذى ادعى الألوهية ، فأشعل النار بالقاهرة للتسلى ، فضاق الحال بالخلق ، وآل أمر الخلافة الفاطمية إلى ما آلت إليه من الإضمحلال ، وضعفت شوكتهم وطمع فى الخلافة المقربون منهم .

وفى زمن الخليفة العاضد ـ آخر سلسلتهم ـ توعده أحد رؤوس الجيش ـ وكان قد عزله ـ بأنه يخليه من الخلافة . فمن خوفه وعدم أمنه على حاشيته وأهله ـ لكثرة ظلمة استعان بالأجانب ، وطلب النجدة من نور الدين ملك حلب ، ولم يتفكر فى العاقبة ، فأرسل له جيشاً فخلصه مما رضى أن يدفعه للإفرنج بعد وقعته معهم فى الشام ، ونصره على القائمين عليه من رجاله ، وما علم أنه تخلص من عدوّ ضعيف ، ووقع فى مخالب من لا طاقة له به .

فبهذه الكيفية أنشب صلاح الدين ـ رئيس الجيش من طرف نور الدين ـ مخالبه بملك العرب ، فأزاله عنهم ، وانتقلت حكومتهم إلى طائفة من الأكراد والأتراك ـ عرفت بالطائفة الأيوبية ـ وأوّلهم صلاح الدين ، فإنه هو الذى أتى بجيوشه المركبة من الأكراد والأتراك ، وأزال الفاطميين من الديار المصرية ، وجلا الإفرنج عن الديار الشامية ، بعد أن كانوا مستولين عليها من زمن مديد .

وفى زمنه حصلت غارات منهم متعددة :

ففى الأولى ، وهى الرابعة بالنسبة لحرب الصليب ـ وكانت تكونت ببلاد الونديك سنة ١١٢٢ ـ أخذت مدينة قسطنطينية .

وتلاها غارة سانت لويز سنة ١٢٤٨ على الديار المصرية ، ولم تضر بالقطر إنما أضرت بإسكندرية ؛ لأن الفرنساوية والبندقين أضرموا فيها النار ، وتركوها حين علموا أنهم لا يمكنهم الإقامة بها ، وذلك سنة ١٢٥٠ .

وعلى نسق الفاطميين إتخذ الأيوبيون القاهرة تخت مملكة ، وزادوا فى زخارفها بما أحدثوه فيها من المبانى / العظيمة ، واتسعت دائرة العلم فيها بعناية صلاح الدين وخلفائه من حين إلى حين . ٢٦

وأما إسكندرية فإنها كانت آخذة فى الانحطاط .

مطلب واقعة التتار

وحينما كانت مصر تتقلب فى شباك هذه التقلبات ، كانت جهة شمال آسيا عرضةً لأمر فظيع ، لم يسمع بمثله ، وهو أن (جانجيسخان) بعد أن آلت له الرياسة على جميع قبائل التتار ، كان يترقب فرصة الإغارة على البلاد المجاورة ونهبها . فلم يمض عليه زمن إلا وحصل ما يرومه ، وأغار على بلاد بَلْخ بدعواه أن ملكها تعدى على تجار تحت حمايته ، وسبى أهلها ودمر بلادها .

وكذلك أغار على الفرس ، وحصل من ذلك هولٌ عظيم لجميع سكان هذه البلاد .

وفى هذه الغارة الفظيعة ، حصل ما لم يُسمع بمثله ، وعم النهب والسبى والحرق والقتل جميع مدن هذه الممالك وقراها .

ولم يكتف بهاتين المملكتين بل تعدى إلى بلاد الروسيا وغيرها ، وأوجب الخراب لكافة بلاد هذه الجهات ، ونتج من ذلك دخول المماليك أرض مصر ، وزوال سلطنة الأيوبيين منها ؛ لأن التتار بعد أن فعلوا ما فعلوا ، ساقوا الأهالى على الأسواق المعلومة فى آسيا ، فلثت ، وصاروا يبيعونهم بأبخس الأثمان ، فاستحوذ سلطان مصر الملك العادل ــ بسبب

إغواء رجاله الأكراد ـ على مقدار عظيم منهم ليجعلهم جيوشاً له ـ سيما ـ وقد كان بين الأيوبيين وبين هذه الجهات علائق محبة .

وفى سنة ١٢٣٠ اشترى اثنى عشر ألفاً من الشبان ، فكانوا من الجركس والأباظة والجرج وغيرهم ، ورباهم وأحسن تعليمهم ، فصار جيشه بهم أحسن جيوش الإسلام ، وإنما سموا البحرية لأنهم أتوا مصر من طريق البحر .

ومن إعتنائه بهم وقربهم منه ، قويت شوكتهم ، وعلت كلمتهم ، حتى صار لهم الأمر والنهى فى المملكة ، وتصرفوا فى جميع أمور السلطنة ، وفى أحوال سيدهم ، ثم استولوا على الملك بقتلهم آخر سلاطين الأيوبية ، وأسسوا دولة عرفت بدولة المماليك وهى :

المدة التاسعة

وكان لرئيسهم[1]، عزالدين أيبك ، شهرة عظيمة فى حربه مع الفرنج فى واقعة المنصورة ، وعلت كلمته عند شجرة الدر ورجال الحكومة .

وكان ذلك على غير مراد (طوران شاه) ، الذى تولى بعد موت أبيه ، فاجتهد فى إزالة هذه الشهرة عنه مع أصحابه الذين حضروا معه من ديار بكر . ولم ينجح فى ذلك لأنه كان مكباً على اللهو ، محباً للزهو . ولما طلب عمال أبيه من والدته ـ شجرة الدر ـ إلتجأت إلى (أيبك) المذكور ، فقام عليه وقتله ، وبعد ذلك بقليل استولى على الملك ، وأسس دولة بقيت زمناً مديداً ، تتصرف فى أحوال الديار المصرية ، على غير قانون معروف ، فكان كل فعلهم تبعاً لهوى النفس والشهوات .

ومن وقت ظهور هذه الطائفة بأرض مصر إلى زمن الغورى ـ أى سنة ١٢٦٧ ـ استولى ٤٧ ظالماً ، نتج من توالى أفعالهم : تضعضع حال ديار مصر ، وامتُهنَ العلم وهجرت

(١) رئيس المماليك البحرية .

مدارسه ، وهاجر منها السعد والعز الذى كان لا يفارقها ، وافتقر أهلها واضمحل حالهم ، وخربت البلاد ، من كثرة الفتن وتوالى الظلم والجور .

واستمر ذلك إلى دخول السلطان سليم هذه الديار سنة ١٥١٧ ، فتغيرت الحكومة ولم تتغير حالتها ، حتى دخل الفرنسيس .

وفى كل هذه المدة كانت البلاد الأورباوية آخذة فى التقدم ، واتسعت دائرة التجارة فيها ودائرة العلمُ ، بما ظهر من الإختراعات النافعة ـ لا سيما ـ بيت الإبرة ، فإنه كان سبباً قوياً أعانهم على السير فى البحار والتوصل للأقطار البعيدة ، بخلاف جهة المشرق فإنها دفنت نفسها فى أرض الخمول ، ونامت فى مهاد الجهل ، فكرَّ عليها الفقر بجيوشه .

وفى سنة ١٥٠٤ تفكرَّ الغورى ، الذى ولاه المماليك على حكومة مصر ، فيما يقطع به حبال عنادهم ويكسر به شوكتهم ، التى تسبب عنها إستمرار الفتن من إبتداء سنة ١٢٥٠ ، فأرسل منهم جيشاً إلى الهند قصد به طرد البرتغاليين عنها ، ورجوع التجارة إلى طريق مصر ، لأنها كانت أخذت تسلك طريق عشم الخير .

ولكن لم ينجح هذا القصد ، بل انكسرت عساكره البحرية ،

ومع هذا فكانت شهرته سارية فى جميع جهات المشرق ، وكان فى القدر مثل إسماعيل ـ شاه العجم ـ ، والسلطان سليم ـ سلطان آل عثمان ـ ، وهذا السلطان كان يحب أن تمتد غصون شجرته ، فاغتنم فرصة فرار ولد أخيه وإحتمائه بشاه العجم ، فأعلن له بالحرب ، وسار له بجيش جرّار ، ولما وصل إلى حلب أغراه حاكمها (خيرى بيك) على محاربة المصريين ، فقبل منه ذلك .

وفى سنة ١٥١٦ كانت واقعة حلب ، التى مات فيها الغورى ، وانهزمت العساكر المصرية ، فكر بعدها السلطان سليم بجيوشه على مصر القاهرة سنة ١٥١٧ ودخلها ، وأخذ

(طومان باى) ـ الذى ولته العسكر بعد الغورى على مصر ـ وَصلّبهُ على أحد أبواب القاهرة . وبه انتهت دولة المماليك .

المدة العاشرة

٢٩٩ سنة ، جاء بعد المماليك على مصر دولة العثمانيين ، ولم تخالف دولة المماليك ، ومن مبدأ ظهورها ـ فى صحارى الجهة العليا من آسيا ـ وهى تشن الغارات ، وتشعل نار الحرب .

وأول شيء أغارت على ما بقى لدولة الرومانيين الشرقية فى سواحل البحر / الأبيض ، ٢٧ واستولت عليه فى أواخر القرن الثانى عشر . ثم دخلت أرض أوربا فى القرن الرابع عشر ، وأشعلت نيران الحروب فى نواحيها .

وفى القرن الخامس عشر استولى السلطان محمد على القسطنطينية . وأزال ملك الرومانيين بالكلية من جهات المشرق . ثم بعد ذلك بقليل صارت مصر داخلة فى حكومة آل عثمان . وأما أهل البلاد الأوروباوية ، فأخذوا فى طريق المدافعة عن أنفسهم وبلادهم ، ووقفوا عند حدود لا يتجاوزونها ، فنجحوا بسبب ذلك .

ومن إجتهادهم وغيرتهم على أوطانهم ، نمت قوتهم العسكرية والسياسية ، حتى فاقوا على عدوهم وأدخلوا فى ملكهم ماكان للأوروباويين من بلاد أوروبا .

وفى خلال تلك الفتن والحروب ، عمَّ الخراب مدينة الإسكندرية ، ولم يبق شيئاً منها ، وصارت فى مدة البيكوات لا إعتبار بها بين المدن إلى زمن الفرنسيس . والذى أتم خرابها ، وأزال سعدها إتخاذ الأوروباويين طريق العشم للتجارة ، وتركهم طريقها ، فوقعت بذلك فى أسوأ حال ، وتجردت عن كل مزية .

مطلب تاريخ الحوادث من إستيلاء الدولة العثمانية

وحيث انجرّ بنا الكلام إلى ذكر تلك الحوادث ، فلا بأس أن نذكر ملخص تاريخ

الحوادث التى تقلبت فيها الديار المصرية ، من إستيلاء الدولة العثمانية عليها ؛ ليقف القارىء على أسباب إضمحلال الديار المصرية ، وسقوط هذه المدينة عن الدرجة التى كانت إكتسبتها فى الأزمان السالفة .

ونبدأ بالأهم منه فنقول : إن السلطان سليم لما أخذ مصر ، ورأى غالب حكامها من المماليك الذين ورثوها عن ساداتهم ، رأى أن بُعد الولاية عن مركز الدولة ربما أوجب خروج حاكمها عن الطاعة وتطلبه الإستقلال ، فجعل حكومة مصر منقسمة إلى ثلاثة أقسام ، وجعل على كل قسم رئيساً ، وجعلهم جميعاً منقادين لكلمة واحدة هى كلمته .

ورتب الديوان الكبير ، وجعله مركباً من الباشا ــ الوالى من قبله ــ ومن بيكين : السبع وجاقات ، وجعل للباشا مزية توصيل أوامر السلطان إلى المجلس ، وحفظ البلاد ، وتوصيل الخراج إلى القسطنطينية ، ومنع كل من الأعضاء عن العلو على صاحبه ، وجعل لأعضاء المجلس مزية نقض أوامر الباشا بأسباب تبدو لهم ، وعزله إن رأوا ذلك ، والتصديق على جميع الأوامر التى تصدر منه فى الأمور الداخلية .

وجعل حكام المديريات الأربع والعشرين من المماليك ، وخصهم بمزية جمع الخراج من البلاد ، وقمع العربان وصدهم عنها ، والمحافظة على ما فى داخلها ، وكل ذلك بأوامر تصدر لهم من المجلس ، وجردهم عن التصرف من أنفسهم ، ولقب أحدهم المقيم بمصر : شيخ البلد .

ثم رتب الخراج ، وقسمه أقساماً ثلاثة :

وجعل من القسم الأول : ماهية عشرين ألف عسكرى بالقطر من المشاة ، واثنى عشر ألفاً من الخيالة .

والقسم الثانى : يرسل إلى المدينة المنوّرة ومكة المشرفة .

والقسم الثالث : يرسل إلى خزانة الباب العالى . ولم يلتفت إلى راحة الأهالى ، بل تركها عرضة للمضار كما كانت .

ومن هذا الترتيب تمكنت الدولة العلية ، من إبقاء الديار المصرية تحت تصرفها نحو مائتى سنة ، ثم أهملت بعد ذلك القوانين التى وضعها السلطان سليم - من حين إستيلائه عليها - وكانت هى الأساس .

ولم تلتفت الدولة لما كان يحصل من المماليك من الأمور المخلة بالنظام ، فضعفت شوكة الدولة وهيبتها ، التى كانت لها على مصر ، وأخذت البيكوات تكثر من المماليك وتتقوى بها ، حتى فاقت بقوتها الدولة العثمانية فى الديار المصرية ، وآل الأمر والنهى لهم فى الحكومة ، وصارت حكومة الدولة صورية غير حقيقية ؛ وسبب ذلك إكثارهم من شراء المماليك .

ولو كانت الدولة العلية تنبهت لهذا الأمر ومنعت بيع الرقيق ، لكانت الأمور باقية على ما وضعها السلطان سليم ، ولكن غفلت عن هذا الأمر كما غفلت عن أمور كثيرة ، ومن ذلك لحق الأهالى الذل والإهانة ، وهاجر كثير منهم إلى الديار الشامية والحجازية وغيرهما

وخربت البلاد وتعطلت الزراعة من قلة الزرّاعين ، وعدم الإعتناء بتطهير الجداول والخلجان الذى عليه مدار الخصب ، ونتج من ذلك ، ومن خوف الدولة العلية من تمكن الباشا فى الحكومة ، أن تغلبت البيكوات ، وصارت كلمتهم هى النافذة ، وانفردوا بالتصرف ، ومن قرب الطائفة العسكرية منهم بالزواج ، دخلوا ضمن عيالهم وأهلهم ، وصاروا من حزبهم ، فكان مقرّر الوجاقات - من العلوفات والمرتبات - منحصراً فى صندوق واحد ، لا يصرف لأحد من البيكوات بإرادته ، بل كان التصرف للديوان .

وظاهر أن ذلك كان على غير رغبة الرؤساء ، فاجتهدوا فى تغيير هذا النظام ونالوا مرغوبهم ، وصارت لهم الأرض ، وتملكوا بلاداً من بلاد الأرياف .

ومن مساعدة حكام المديريات لهم داخلهم حب المال ، فتحولوا عن واجب وظيفتهم الأولى ، وأمكن البيكوات أن يضموهم إلى أحزابهم ، ويستعينوا بهم على نفوذ أغراضهم ، بعد ما كانوا معدين لردعهم وقهرهم على طاعة السلطان .

ومن ذاك الحين قويت شوكة البيكوات ، وضعفت شوكة الباشا ، واستقلوا بالكلمة ، وأكثروا من /جمع المال ونوّعوا المظالم ، وصار كل منهم يجعل لنفسه جيشاً من المماليك ، ٢٨ ويوسع فى دائرة سطوته بالإستحواذ على الوظائف لمعاتيقه فصارت الحكومة المصرية عبارة عن حكومات متعدّدة بعدد البيكوات ، وقوة كل بالنسبة لقوة حزبه والرؤوس المتفرعة عن رأيه ، وصارت كلمة الباشا منبوذة لا يُعوّل عليها ، واستقل الديوان بحكومة الديار المصرية ، وتصرف فيها بالطريق التى يستحسنها .

وفى سنة ١٧٤٦ ، وصل إبراهيم كيخيا ، أحد أعضاء المجلس للإستحواذ عليها بكثرة رجاله وجيشه ، لأنه كان من مماليكه ثمانية حكام بالمديريات من ضمن الأربعة والعشرين بيكا

وحيث أن الباشا كان يتحصل من بيع الوظائف على مبالغ جسيمة ، كان ذلك داعياً لإبراهيم باشا إلى الإستيلاء على كل وظيفة خلت ، بأى سبب من الأسباب ، فعلت كلمته على أقرانه ، سيما بإنضمامه إلى رضوان كيخيا صاحب الكلمة .

ومن ذاك الحين سقط إعتبار الباشا المعين من قبل الدولة ، وصارت أوامر الدولة غير مسموعة ، وبقى له التصرف حتى مات سنة ١٧٥٧ . ثم انتقلت الكلمة لعتقائه ، ثم بعد طرد رضوان كيخيا وقتله بعصبة المماليك ، صارت الرياسة لمن غلب وحصلت فتن أدّت إلى حروب داخل القاهرة وخارجها ، فلحق الخلق من ذلك ما لا مزيد عليه من الضرر والكرب ، وبلغت الشدّة منتهاها ، وعم الخراب المدن والقرى .

مطلب تمكين على بك أباظة

واستمر ذلك إلى زمن على بيك الذى أصله من الأباظية ، وكان قد أهداه الجركسى إلى إبراهيم كيخيا ، فحظى عنده لما كان يرى فيه من البسالة ، فأعتقه وزوجه ورقاه إلى رتبة الكشوفية ، ثم جعله من ضمن البيكوات حكام المديريات ، فكان جميع ذلك باعثاً له على الطمع وتمنى الرياسة ، فأخذ فى الأسباب ، وصار يكثر من البر للأصحاب وغيرهم ، فألفوه حتى صار له حزب عظيم ـ بعد موت سيده ـ مركب من مماليكه ومماليك غيره ، فاستعمله فى إيقاد نار الفتن مدة رضوان كيخيا ـ الذى أعقب سيده ـ ومدة عبدالرحمن كيخيا ، المتولى بعد رضوان كيخيا .

وبمكره واستمالته القلوب توصل إلى نفى عبدالرحمن كيخيا ، ومنعه من دخول مصر ، وكان توجه أميراً على الحاج ، ولكن لم يتمتع بثمرة هذا المكر زمناً طويلاً ، بل رجع عبدالرحمن كيخيا ونفاه إلى غزة .

وفى أثناء الطريق تحيَّل ورجع إلى الصعيد ، وهناك اجتمع بأصحابه الذين وصلوا له من القاهرة ، وصار يدبر أمراً يمكنه من الملك ، ولم يكن غافلاً عن ذلك فى مدة السنتين اللتين أقامهما بجدة ، وكان يبذل الأموال فى القاهرة لاستمالة القلوب ، فكثر حزبه وقوى ، ودخل القاهرة على حين غفلة ، وقتل فى ليلة واحدة أربعة من البيكوات ، ونفى أربعة وتمكن من أمر الرياسة .

ولم يكتف بذلك ، بل رغب فى الإستبداد ورفض حكومة الدولة العلية سنة ١٧٦٨ ، وضرب المعاملة باسمه ، وشاع أمر خروجه عن الطاعة . ولم تقدر الدولة العلية ـ حينئذ ـ على رده إلى إمتثاله لها ، لاشتغالها بحرب الموسكو ، التى كانت نيرانها مشتعلة وذلك سنة ١٧٦٩ .

والظاهر أن الداعى ـ لعلى بيك المذكور ـ على رفض الطاعة للدولة ، ما بلغه من عصيان عرب الشام ، وكان كبيرهم ـ إذ ذاك ـ رجل يقال له : ضاهر ، فاتحد معه البيك

المذكور ووافقه على ذلك ، وصار يجمع الرجال ، ويغدق عليهم المال حتى اجتمع حوله نحو ستين ألف مقاتل .

وأرسل محمد بيك أبا الذهب ، فاستولى على مكة والبلاد الشامية ، وكان ما صرفه على تجريد مكة ـ خاصة ـ ستة وعشرين مليوناً من الفرنكات ، وهى تعدل خمسمائة وعشرين ألف كيس من الدراهم ، فما بالك بما صرف على غيرها فاشتد الكرب وقحط الناس سنتين أولاهما : سنة ١٧٧٠ ، ولم يعد عليه من ذلك أدنى فائدة ، بل كان منبع المصائب التى غرق فى بحرها ؛ فإن أبا الذهب لما التقى بجيش الدولة فى حلب وغلبهم ، اجتمع برئيسهم عثمان باشا فوعده ومنّاه بإمرة مصر ، وأراه أن الإلحاق بالسلطنة أقرب لمقصوده من الإلحاق بأحد أتباعها ، وذكر له أموراً حوّلته عن صداقته لسيده وأصل غرس نعمته ، فقام وعزم على الرجوع إلى مصر ، فلحقه شيخ العرب ضاهر ، ولامه على ما حصل منه ، فلم يصغ لقوله وكر راجعاً ، وكان قد بلغ سيده ما حصل فصمم على الإنتقام منه ، فلم يتيسر له ذلك بما رآه من كثرة جيشه ، فكتم الأمر إلى أن تلوح له فرصة ، فلم ير طريقاً غير الغدر ـ وإن كان وقع فيه فيما بعد ـ لأنه لما أصدر أمره بغلق أبواب القاهرة ، وقتل كل من يخرج من المماليك ، خرج محمد بيك فلم يتعرض له أحد ؛ ظناً منهم أنه خارج لمأمورية من طرف على بيك ، فتخلص وذهب إلى الصعيد ، ونزل على أيوب بيك ، فأكرم نزله .

ولم يدر أن هذا الإكرام ربما يكون خداعاً ، فإن أيوب بيك من رجال على بيك ، وبقى عنده ، وكان أيوب يخاطب على بيك ، فوقعت مكاتبته فى يد محمد بيك ، فأخذه وقطع لسانه ويده وأرسله إلى القاهرة .

ثم جمع المتشتت من المماليك والهوّارة ـ رجال همّام الذى قتل بسبب قيامه مدة على بيك ـ وقصد بهم مصر ، فقابله على بيك بجيش من المماليك .

٢٣٩ ولخوفه وعدم إعتماده على / صداقة إسماعيل بيك ـ أمير جيشه ـ خرج بعياله من

القاهرة ، ولما بلغه إتحاد إسماعيل بيك بمحمد بيك ،فرّ بماله وعياله ومن بقى معه من المماليك إلى الشام ، واجتمع بالشيخ ضاهر ، وكتب إلى الدولة الموسكية أن تمده ، فوعدته بذلك . ولكن لم يصبر إلى أن يأتيه المدد ، بل رجع إلى مصر معتمداً على ما كتب له به رزق كيخيا ـ أمينه ـ من أن المنجمين حكموا بأنك لو عدت لمصر تمكنت من حكومتها ، وكان ذلك بإغواء محمد بيك وتدبيره ، فرجع ، وحين وصل الصالحية قام عليه ألف خيّال ـ كانوا كامنين له بمركبٍ من طرف محمد بيك ـ فشتتوا شمل رجاله ، وقتل مراد بيك على بيك ؛ رغبة فى أن يأخذ إمرأته ـ فإنها كانت من أجمل النساء ـ وكان طلبها من محمد بيك فوعده بها إن قتل زوجها .

ولما قتل انقطع ذكره ، ولم تنقطع سلسلة الفتن ، بل أخذت فى الزيادة ؛ بتوالى الفجار من المماليك الذين أتوا بعده .

وأول من فتح أبوابها أبو الذهب ؛ لأنه من ابتداء قيامه بأحوال مصر سنة ١٧٧٣ ، أخذ فى أسباب إتساع دائرة الخراب ، حيث التزم بدفع الخراج المعطل مدة ست سنوات ليبين للدولة صداقته .

ثم إنه استأذن الدولة فى محاربة الشيخ ضاهر لينتقم لها منه على قيامه عليها ، فأذنت له ، فاستمرت سلسلة المصائب التى زرعها على بيك بديار مصر ، ولحق ذلك بلاد الشام أيضاً ؛ فإنه لما دخل يافا بعد حصارها ، أمر بنهبها وقتل أهلها عقاباً لهم على المدافعة عن وطنهم . وقتل فى هذه الوقعة أغلب أهل المدينة ، والذى نجا من القتل فرّ هارباً ، وتفرقت الناس بالطرق ، ومات أكثرهم جوعاً وعطشاً .

وفى هذه الوقعة تبينت شدة قسوته ، كما تبينت منه الخيانة ـ قبل ـ فإنه على ما يقال ، لم يكتف بما فعل بأهل المدينة من شنيع الأمور ، بل جمع رؤوس القتلى ، وجعل منها هرماً ، ثم سار خلف الضاهر ، وحاصر عكا وأخذها ، ونهب وسلب .

ولولا أخذ الموت له بغتة ، لألحق أهل هذه المدينة بأهل يافا . وبموته كفوا عن القتال ، ورجع فى الحال مراد بيك بالعساكر إلى مصر ، وكان يروم الإستقلال بحكومتها مكان سيده . وإبراهيم بيك يرغب فى ذلك أيضاً ـ وفى مدة الحرب كان وكيلاً عن سيده ـ فاستعمل ما تزيد به قوته ، فكانت الناس تخاف إتساع دائرة الفتن بينهما ، وحصول الحرب الموجب إتساع دائرة الهموم بالقطر المصرى ، فحصل إضطراب عام فى القاهرة وسائر البلاد ، وكانت الناس لا تتكلم ـ سراً ولا جهراً ـ إلا فى هذا الأمر ، وأخذوا فى طرق التحفظ على أموالهم وعيالهم . ولكن لم يحصل شئ مـمَّا تظنهُ الناس ؛ لتساوى قوتى إبراهيم بيك ومراد بيك .

مطلب إتفاق إبراهيم بيك ومراد بيك

فاتفقا على المشاركة فى الأمر بالتساوى ، مع إبقاء وظيفة مشيخة البلد لإبراهيم بيك ، واشترطا شروطاً ، فكانت مصر كسفينة فيها رئيسان مختلفان فى الرأى : إن طلب أحدهما الشرق يطلب الآخر الغرب ، فهى تسير تبعاً لريح الشهوات ، وما تقطعه بالأمس ترجعه بالغد ، لأن كلاً منهما كان يرغب فى الإنفراد ، ويرى أن ذلك لا يتم إلا بموت الخصم ـ طبيعة أو رغماً ، أو تخليته ، رغبة أو كرهاً ، الأول يستلزم الصبر أو القوة ، والتخلى رغبة لا يتصوّر ؛ لعدم رضا النفس بذلك إلا بأحد أمور منها : أن الخصم يتخلى من نفسه ، ويرضى بالتجرد من علائق الإمرة والعظمة والسلطنة ، ويكون تحتً الطاعة بعد أن كان آمراً ناهياً ، متمتعاً بنفوذ الكلمة والجاه .

وحيث أن قوة الحرب تستدعى الإكثار من الرجال ، وهذا يستدعى كثرة المال ، وبالطرق المعتادة كميته منحصرة فى حدود ، فلا يبقى إلا الطريق المعتاد التى أسسها الظلم والغدر والعدوان .

فكانت هذه الفكرة ـ الأخيرة ـ فكرة كليهما ، وصار كل منهما يجمع المال بأى طريق سوّلتها له نفسه ، من الأهالى . برجاله ونفسه ، ويؤلف قلوب من يحب الفتن ، من باقى العائلات القاطنة بمصر ومدن القطر ، وبذلك وقعت الأهالى فى عميق بحور شهواتها .

ومن كثرة الفتن ، صارت أرض القطر جميعها ميداناً لحروب متتالية ، نشأ عنها ترك الأهالى أسباب الحصول على القوت ، وغرس أسباب الأمراض والعاهات بين الأهالى ، وكثر الموت من شدة القحط والوباء ، وهرع إلى القطر المصرى جميع أهوال الأقطار الأُخَر .

وفى أثناء هذه الفتن ، قامت فئة من مماليك على بيك ، ورأست عليها إسماعيل بيك ـ الذى مر ذكره ـ ورغبت فى رجوع الرياسة إلى بيت سيدها ، وبذلت جهدها فى ذلك ، وصرفت المال وحرضت الرجال ، فاجتمعت قوتها ولم يقدر إبراهيم ومراد على مقاومتها .

وبعد مناوشات ـ فى حارات القاهرة ـ بين الفريقين التجئوا إلى القلعة ، وبعد ذلك توجها نحو الصعيد ، وبعد أن جمعا ما تفرق من رجالها ومماليكها وصار جيشاً جراراً ، حضرا مصر وتحاربا مع إسماعيل بيك ، فغلبوه وفر إلى الشام ، ثم جاء مصر من جهة وزنة ، الواقعة فى الجهة الغربية من إسكندرية ، ومن هناك توجه إلى الوجه القبلى ، واجتمع بحسن بيك ، الذى كان نفى إلى جدة قبله وجاء إلى الصعيد ، وأقام هناك مدة ثوران الفتن ، وانضم لهما كثير من المماليك المطرودة ، وغيرهم من الهوارة والأشرار من كل طائفة ، فحدث من ذلك جيش سوء ، انتشرت رجاله بالقطر القبلى ، والفيوم ، والأقاليم الوسطى ، / وضربوا الجرائم على الأهالى ، ووضعوا أيديهم فى أرزاقهم ، وعم النهب للمقيم والمسافر ، فانقطع الأمان وصار لا يدخل القاهرة شىء من الغلال ، فشق ذلك على البيكوات أصحاب الإلتزام لحرمانهم من محصول إلتزامهم ، فألحوا على إبراهيم بيك ومراد بيك فى رفع أسباب هذه الأحوال ، فأمرا بتشكيل جيش من ثلاثة آلاف خيّال ، وضربا على التجار خمسمائة ألف ريال نظير مصرف العساكر ، فضج أهل القاهرة من ذلك ، ومن تسخير المراكب وأهلها لحمل الحملة

٣٠

انقطع ورود الميرة عن البلد بالكلية ، فصار لا يرد إليها شيء ، وغلت أسعار الحبوب ، وقهرت التجار على البيع ، وباعت المأكولات بثمن بخس .

فمن كل ذلك جرت أمور شنيعة ، ولم تنقطع إلا بفرار حسن بيك إلى اسوان سنة ١٧٨٣ ، بعد تشتيت شمل حزبه ، ورجوع مراد بيك بالعسكر إلى القاهرة .

لكنها لم تدم ، لأن بعض البيكوات المتروكين القاطنين بمصر ، اغتنم الفرصة فى أثناء هذه الحادثة ، وحزب حزباً رغب به الإستحواذ على الرياسة ، واشتعلت نيران الفتن فى القاهرة ، فكان سفك الدماء فى كل ناحية ، وآل أمرهم ـ كغيرهم ـ إلى الإلتجاء لجهة قبلى ، بعد رجوع مراد بيك لأن هذه الجهة كانت مطمح نظر العصاة ، وميدان المقاتلات . وبإنضمامهم إلى هذين البيكين حسن وإسماعيل صارت عصبة قوية .

وكان مركز الأفعال السيئة المنية فأخذت هذه العصبة فى قطع الميرة عن القاهرة ، ومنعوا المراكب ونهبوا وسلبوا ، فصالحهم إبراهيم بيك ، وأعطاهم أراضى وآمنهم ، فدخلوا القاهرة . فلم يوافق هذا التدبير رأى مراد بيك ، صاحبه ، بل ظن أن ذلك تقوية لحزبه ، وخاف منه الخيانة ، فقام برجال وتوجه نحو الوجه القبلى ، وجرد جيشاً لحرب صاحبه ، وحضر به فى الجيزة أمام جيش إبراهيم بيك ، الذى كان بالبر الآخر ، وأقاما بدون حرب أربعة أشهر ، وهما فى مكالمات .

فهذه المدة حصل فيها للناس ضرر عظيم ، فإن العسكر المقيمين بالبر الغربى أضروا البلاد التى على النيل والقريبة منه ، والذين بالشرق أضروا بمن فى الشاطىء الشرق ـ ومن ضمن ذلك القاهرة ـ ، وانقطع السير فى البر والبحر من التسخير والسلب ، وبطلت التجارة ، وكثر الموت فى الناس . ولم تطفأ هذه الفتن إلا وتزداد . ولم يتم الصلح وقام مراد بيك بجيشه إلى المنية ليجمع من الأهالى الرجال والمال .

فكانت ولاية مصر بين هذين الظالمين الغشومين ، أحدهما يظلم فى الوجه البحرى والآخر فى الوجه القبلى . فبهذه الحالة كان الإنسان أينما توجه وجد المظالم والأهوال ، إلى أن حصل بينهم الصلح ، وأخذت البيكوات الخمس ـ بعد فرارهم ـ وخُرج عليهم بالقاهرة بعد مصادرتهم فى مالهم .

ومن النظر فيما تقدم من أخبار المدد السابقة ، والتقلبات التى مرت على تلك الديار ، علم أن مدينة إسكندرية ـ وغيرها من بلاد القطر ـ بعد أن كانت متوّجة بتاج المهابة والإجلال ، رافلة فى حلل السعادة والإقبال ، وكان وادى النيل مزيناً من كل جانب بالمدن الفخيمة ، ذات المعابد والهياكل المشيدة العظيمة ، تلوح على صغير أهلها وكبيرهم لوائح الثروة والإبتهاج ، نالها من شدائد الأزمان ما أخرها عن هذه التقدّمات ، كلٌّ على حسب حاله ، وتبدلت سرّاؤهم بالضراء ، واختلفت عليهم الأهوال والأهواء ، إلى أن منّ الله عليها بالعائلة المحمدية العلوية ، التى نزعت عنها ثياب الأحداد ، وألبستها حلل الثروة والإسعاد .

مطلب الكلام على مدينة إسكندرية

ولنصف لك ـ الآن ـ المدينة وبعض ما بقى من آثارها ، تابعين فى ذلك طريق (أمبير) الفرنساوى الذى ساح فى الديار المصرية ، زمن العزيز المرحوم محمد على باشا سنة ١٨٣٠ ، فنقول :

مدينة إسكندرية بناها إسكندر الأكبر ، ولم تطل مدته حتى يتمم بناءها الذى تصوره فى اليقظة أو فى الرؤيا ، كما قال بعضهم . إن (أميروس) الشاعر ألهمه صورتها فى نومه ، وهو حضر تخطيطها لا غير . والمتمم لبنائها وتحليتها بفاخر البناء ، (بطليموس سوتير) فالإسكندر له الفكرة الأصلية ، وإلى بطليموس ينسب تجسيمها .

وزعم أكثر الناس أن بطليموس أخوه ، وقد بنى بها معابد ، ونقل إليها ما تمّم به

رونقها ، وأحاطها بالأسوار ، وحصنها بأمنع الحصون وحدودها من الشمال إلى الجنوب ، منحصرة بين البحر وبحيرة مريوط .

ويستفاد من كلام (استرابون) أن هذا الجزء من الأرض كان أقل مما هو عليه الآن ، فإن الإنتقالات التى حصلت لهذه المدينة ـ من الثروة والعز ـ تسبب عنها ردم بعض مواضع ، كانت مغطاة بالماء والبناء فوقها .

وكان طول المدينة من الشرق إلى الغرب ، قريباً من خمسة آلاف وستمائة متر ، وعرضها من الشمال إلى الجنوب ثلث الطول تقريباً .

ومن حيث أن موقعها بين البحر وبحيرة مريوط ، كان شكلها ذا أربعة أضلاع غير منتظم ، ولذلك شبهه الأقدمون بشكل البرنس المقدونى ، جرياً على العادة القديمة من تشبيه صورة الإقليم أو المدينة بشىء يناسبها .

وكان على يمينها وشمالها حفرتان فى البحر : إحداهما بجانبها الغربى ، وثانيتهما بجانبها الشرقى ، وبينهما لسان من الأرض طوله سبع غلوات ، يوصل إليها بجزيرة صغيرة ، كان الأقدمون يسمونها جزيرة خاروس / والآن هى رأس التين ، وهذا اللسان كان قنطرة للعبور ، وفيه عيون لتوصيل الماء من الأرض إلى الجزيرة ، وكان فيه فتحتان : إحداهما بجانب الجزيرة ، والأخرى بجانب الأرض ، وكانتا مستعملتين لمرور المراكب من مينا إلى أخرى . والمينا الغربية كانت متصلة بالبحيرة ، وهذه متصلة بالنيل بخليج . ٣١

وبهذه الكيفية الحسنة ، سهلت الملاحة فى تلك المدينة وسائر بلاد القطر ، فكانت مينتها مملوءة بالمراكب جميع أوقات السنة ، حتى قال (استرابون) إنه لم يكن مثلها فى جميع مين الدنيا .

وداخل المدينة كان فى غاية الإنتظام ، من حيث التخطيط ، كما هو عادة المدن التى تتأسس على رغبة ملك أو أمة من الأمم ، بخلاف المدن التى أوجب اتساعها حوادث الأيام .

فنى الوسط كان يشقها شارع مستقيم ، يمتد من باب من أبوابها إلى باب آخر ، وفى وسط ذلك الشارع شارع آخر عمودى عليه ، وأطول الاثنين كان فرسخا ونصفا ، وعرضه مائة قدم . وباقى الحارات كان بعضه موازياً لأحد الاثنين ، والبعض موازياً للآخر ، فكان رسم المدينة أشبه شيء بالضامة أو الشطرنج ، فأين هذا الشكل من شكلها التى اكتسبته فيما بعد ؟ فتأمل كيف تغيرت هذه الإستقامة التى كانت فى الشوارع والحارات ، وبدلت بغيرها معوجة فى كل ناحية ، على حسب سير الزمان وتقلباته ، من طورٍ إلى طور ، ومن حالٍ إلى حال .

ويقال إن حاراتها إستقامت حين كان الزمان مقبلاً عليها ، واعوَّجت حين أدبر عنها ، فنحمد الله تعالى ونشكره ، حيث ردّ لها إستقامة حالها ، لأنها الآن متحلية بشوارع مستقيمة ، وعمارات بهجة ، وكل عام تزيد عمارتها وبهجتها من جلوس العزيز محمد على باشا ــ عليه سحائب الرحمة والرضوان ــ .

وما تم حسن منظرها وعلوّ شأنها ، من أوّلها إلى آخرها ، إلا زمن الخديوى إسماعيل باشا ، فإنه لم يكتف بجعل استقامة الطرق دليلاً على استقامة أحكامه ، بل أدخل ذلك فى خليجها ومينتها .

وموقع هذه المدينة فيه فائدة عظيمة : هى مرور ريح الشمال فيها ، زيادة على تلطيف حرارة الجوّ فى فصل الصيف .

وفى القرن الرابع من الميلاد ، كانت من أحسن المدن وأبهجها ، وقد وصفها (أشيل تايتوس) فى رحلته بقوله : قد دخلنا مدينة الإسكندرية بعد سيرنا فى البحر ثلاثة أيام ، فمن حين دخولى من باب الشمس ، تعجبت كل العجب من حسن منظرها ، وكنت أرى وأنا سائر فى شوارعها ــ عن يمينى وشمالى ــ عمداً قائمة ، فوقها قناطر على حافتى الشارع الموصل باب الشمس لباب القمر ، لأن هذين النيرين هما مقدسا هذه المدينة . وفى وسط الشارع متسع ، يوصل لجهات متفرّقة ما بين شوارع وحارات كثيرة ، وكانت الناس تغدو وتروح فى الشارع الكبير والحارات ، أشبه بقوم مهاجرين . وبعد قليل وصلت إلى الباب المسمى : باب

إسكندر ، فنظرت مدينة أعظم من الأولى ـ شكلاً وصورة ونظاماً ـ ، فكنت أرى صفوف الأعمدة والبواكى بالميل ، فطربت من هذا المنظر مثل الطرب الأوّل . وكنت كلما وجهت نظرى نحو جهة من الجهات ، أرى عجباً يزيدنى طرباً ، وكلما نقلت قدماً زدت فرحا .

وليست همة الحكام والملوك ـ فى تلك الأزمان قاصرة ـ على الحسن فقط ، بل كانت تنظر إلى النافع والمفيد مع الحسن ، ولذا كان ماء النيل يصل المدينة من خليجٍ ، ويوزع داخلها فى مجارٍ متفرّقة فى جميع جهاتها .

وأحسن أخطاط المدينة ، الذى كان على ساحل المينا الشرقية ، وفيه كانت منازل البطالسة وسراياهم ، وبقيت كذلك لزمن القياصرة الرومانيين ، ودار التحف ، والسراية ، والكتبخانة العظيمة كانت تشغل بهذه المدينة سعة عظيمة من أرضها .

وقال (بلين) : كانت هذه السعة خُمس سعة المدينة . وقال (إسترابون) : ربعها أو ثلثها . ولا غرابة فى ذلك ، فإن هذه السعة كانت مملوءة بساتين وعمارات ، كعادة السرايات بالبلاد المشرقية .

وقريباً من وسط المدينة ، كان قبر إسكندر فإن (بطليموس سوتير) استحوذ على جثته ، وأخذها من (بيرديكاس) ، وقت أن كان مارّا بها فى طريق مصر على عربة عظيمة ، يسحبها أربعة وستون بغلا ، فى تابوت من الذهب الإبريز ، ثم إن هذا التابوت أخذ فيما بعد ، وعوّض بتابوت من الزجاج ، وبعد حين ذهبت جثة إسكندر .

وفى القرن الخامس عشر من الميلاد ، كانت أهالى الإسكندرية تفرّج السياحين على قبر إسكندر ، لكن من أين لنا إنه القبر الحقيق ؟

ويقال : إن الإدريسى جعل قبر إسكندر فى جزيرة بعيدة فى حدود الغرب ، وسط بحر الظلمات . وهذا أيضاً أمر مستغرب جداً ، لأنه يبعد وصوله إلى هذا المكان ، ولا يدرى ما هذه الجزيرة ولا الأسباب التى أوجبت ذلك .

وهذا يدل على جهل تاريخ الإسكندر ، مع أن أمره معلوم من وقت ولادته إلى حين موته ، يوماً بيوم ، وشهراً بشهر ، وسنة بسنة وكذلك موته وموضع دفنه وكيفيته .

ومع ذلك ، نرى من يتكلم على أخباره يترك المهمّ منها ويذكر خرافات لا أصل لها ، ولابد أن منشأ ذلك شهرة إسكندر وأفعاله الخارقة للعادة ، فإنها ـ إلى الآن ـ تتكلم بها الأعجام والأعراب والأتراك ، ويسمونه بأسماء ما سمى بها ، وينسبون إليه أفعالاً ما فعلها ، وصفات ما اتصف بها ، ولو كان / حياً وسمعها لكذبها .

٣٢

والقادم من الشرق إلى الغرب يمرّ أوّلاً بمدينة البطالسة أو الأروام ، ثم يكون بمدينة العرب ، فعمود السوارى قائم على التل ، الذى هو مكان الإسكندرية القديمة ، وعليه كان معبد سيرابيس .

وفى الغرب كانت مدينة الأموات ، أو المقبرة المسماة سيرابيوم ، جرياً على عادة المصريين فى الزمن القديم ، من جعلهم مقابر الأموات غربى مدينة الأحياء ، لاعتقادهم أن محل إجتماع الأرواح المغرب . وفى تكلمهم وكتابتهم كانوا يطلقون على هذا الموضع اسم : أمانتى .

وفى هذه الجهة الغربية من المدينة شاهد (استرابون) محلات تصبير أجسام الموتى قريب المقابر ، فكان ما يصنع بمدينة طيبة نقل إلى إسكندرية ؛ فإن المقابر وبيوت التصبير بها كانت بالجهة الغربية منها ، كما هى كذلك بالإسكندرية .

وبقى هذا المكان معداً لدفن الموتى من النصارى ، بعد زوال الديانة المصرية ، وقد بنى فيه (بطرس) بطريق إسكندرية مقبرة ودُفن فيها ، وإلى الآن تشاهد السياحون غربى البلد آثارها .

ثم إن المدينة زمن الإزدياد تزحزحت عن مكانها ، حتى صارت على المكان المعروف باللسان ، وملئت الأرض ـ التى كانت خارج البلد القديمة والحادثة ـ من تراكم الرمال ، وتركت مكانها الأصلى . وهذا الإنتقال لم يغير صورتها ، بل بقيت مستطيلة كما كانت قديماً .

وفى زمن حكومة العرب نقصت عن سعتها الأصلية ثلث الثلثين ، فكانت الحوادث كلما زحزحتها عن موضعها زحزحتها عن سعدها ، حتى فارق الناس أرضها ؛ لأنها بعد أن كانت زمن (ديودور الصقلى) عامرة بثلثمائة ألف نفس من الأحرار أو ستمائة ألف ، على فرض أن عدد غير الأحرار كالأحرار ، كما فى مدينة أثينا بناء على ما ذكره (لاترون الفرنساوى) صار لا يوجد بها غير ستة آلاف نفس ، فكانت عصىّ الأدبار تسوقها ولا تفارقها ، حتى صار عدد سكانها جزءاً من مائة جزء ، من أصلها إلى زمن إستيلاء العزيز محمد على باشا على الديار المصرية ، فعمرت وازدادت ، وطلع نجم سعدها حتى بلغ عدد أهلها فى سنة ١٨٣٠ : ستين ألفا .

والآن فى زمن الخديو إسماعيل باشا بلغ عدد سكانها مائتين وسبعين ألفا ، قدر ما كانت تحتوى عليه زمن جده محمد على باشا خمسين مرة تقريباً .

وبسبب ما جبل عليه من تتبع أسباب العمار ، لم تزل سائرة فى طريق السعد والثروة ، وكل يوم تراها تتحلى بما يزيد فى فخرها ، ويتمكن به أساس ثروتها ، وتمتاز به فى زمن الخديوى عن سائر الأزمان السابقة حتى زمن إسكندر ؛ لأن أساس سعدها مرتبط بالتجارة ، وهى مرتبطة بالمينا ، فكلما تحسن أمرها تحسن أمر التجارة وتقدمت المدينة .

وليس فيمن سبق من السلاطين ، من ذكر المؤرّخون عنه أنه تصدى لما تصدى له هذا الخديوى ، من تنظيم اللبمان بالأرصفة حوله وداخله ، وجعله مستوفياً لشروط الأمان على السفن ، وسهولة شحن البضائع وتفريغها .

ولاشك أن عين التجارة لاتغفل عن الفوائد الناتجة من هذا المشروع العظيم ، وترتقى — طبعاً — بالتدريج إلى أن تفوق الدرجة التى كانت قد بلغتها فى الأزمان العتيقة .

وخليج السويس لا يمنع من ذلك ، بل ربما كان أيضاً سبباً فى اتساع مدينة الإسكندرية ، وزيادتها عن حدودها الأصلية ، وامتلائها بالسكان — كما كانت قبل — بانتشار أسباب العمارة داخل الأقطار المصرية .

وفى الزمن القديم كان أهل إسكندرية ـ جميعاً ـ أهل تجارة كالآن ، وبهذا السبب كانت من أسعد مدن القطر . ومما كانت تفتخر به على غيرها : معامل الزجاج ، وأبسطتها المزخرفة بأنواع النقش ، فكانت تفوق أبسطة بابل الشهيرة .

وكان يوجد من ضمن حاراتها حارة تسمى : بزار ـ يعنى سوقه ـ كانت محلاً لبيع أمور الزهو والزخرفة . وكان أغلب سكان المدينة أرواماً وليس بها من المصريين إلا القليل ، ولكن كان يغلب على طبعهم الخفة والهزل ، فنشأ عن ذلك نقمتهم وإهانتهم عدة مرات بالحكام الذين تعاقبوا عليها ؛ بسبب الأشعار والقصائد التى كانوا يصرّحون فيها بألقاب وأسماء فظيعة لبعض البطالسة وغيرهم . وبعدما كانوا متصفين بالجراءة والقوّة العسكرية ، وكانت لهم درجة الفوقان على غيرهم فى فن مصارعة الديوك ، وفن الشعر ، وإنشاء القصائد والخطب ، مالت طباعهم عن هذه الأمور النفيسة إلى الأمور الخسيسة ، وذلك من حفتهم وطيشهم وعدم ثباتهم ، فكانت سجاياهم تقريباً آخذة من طباع الإفريقيين ، والبزانيون يتلوّنون بكآبة المصريين .

ولسان الروم كان هو اللسان المستعمل فى المحاكم والدواوين وغيره ، كان لا ينقش على المبانى والآثار والمعاملة . وبقى ذلك إلى زمن (ديوكليتان) ، وكذلك جميع الأعياد والرسوم الجارية فى الدواوين وبيوت الملوك والأمراء . كانت منقولة عن الروم .

فبكل هذه الأمور كانت مدينة إسكندرية ، كأنها بلد من الروم نقلت إلى مصر ، لأن جميع أمورها مأخوذة عن الروم ، ولو أن اليهود كانوا كثيرين بها . لأن عددهم كان يبلغ نحو مائة ألف نفس ، لكن كان الجزء الغالب الأروام . ولذا كانت طباع اليهود لا تخالط أهلها إلا مع الندرة . وأما الطبع المصرى فكان منحصراً فى مدن وادى النيل وأرضه ، ولم يؤثر فى أهل إسكندرية .

مطلب المسلتين

٣٣ وفى تلك المدينة / مسلتان لكيلوباترة إحداهما قائمة والأخرى مطروحة بجوارها ، وكانت قائمة ، قبل ، كأختها ثم أهديت لدولة الإنكليز ، كما قد أهدى محمد علىّ باشا إلى الفرنساوية مسلة من مسلات الكرنك ، وهى الآن قائمة بأحد ميادين باريس تجاه سراى الملك ، ولكن الإنكليز تنحوا عنها ، وتركوها ملقاة بسبب أنه كان اعترى كتابتها بعض تلف .

والمسلة القائمة إرتفاعها ٢٠,٤٦ متراً أى ٦٣ قدماً ، من نهاية القاعدة إلى آخر الهرم الصغير ، ومن هذه النهاية إلى قاعدة الهرم ١٨,٤٦ ، وطول ضلع القاعدة سبعة أقدام وثلاثة أصابع ، فجسمها عبارة عن ٧٠,٢٠[1] متراً مكعبة ، وتزن ١٨٦٢٤٦[2] كيلو جرام . والأخرى مثلها تقريباً .

وقال (بلين) المؤرخ : إن إرتفاع كل من المسلتين ٤٢ ذراعاً ، وبمقارنة أجزاء المسلة إلى بعضها ، يرى إرتفاع الهرم الصغير قريباً من عرض القاعدة ، وهذا العرض منحصر بين التسع والعشر للإرتفاع الكلى . وقد إمتحنتُ جميع المبانى التى من هذا القبيل ، فوجدت جميعها على هذه النسبة ، ومن هنا يظن أنه كان للمصريين قواعد لا يخرجون عنها فى تفصيل أجزاء مثل هذه المبانى .

وباعتبار طول الذراع المصرى كما قدمنا : ٤٦٢ , متراً يكون ارتفاع المسلة إلى أصل الهرم ٤٠ ذراعاً ، وإلى آخره ٤٤ .

وفى زمن البطالسة كانت المسلتان قائمتين أمام المعبد ، الذى كان بنى بإسكندرية ، زمن الملكة كيلوباترة باسم القيصر والد ابنها ، وقد عاينه (استرابون) حين ساح فى بلاد مصر ، وذلك قبل الميلاد بأربع وثمانين سنة ، فنسبتها حينئذ ـ إلى هذه الملكة ـ لا شك فيها بخلاف خليج إسكندرية ، وما يسميه الناس بحمامات كيلوباترة فإنهما لا ينسبان لها أصلاً ، فإن الخليج موجود قبلها ، والحمامات كانت مقابر لا غير .

---

(١) فى الأصل ٧٢٠ انظر ص ١٠٨ من هذا الجزء .

(٢) فى الأصل ٨٦٢٤٦ انظر ص ١٠٨ من هذا الجزء .

وقد اختلفت فى قصد المصريين من المسلات ، فقال (بلين) : كانوا يجعلون المسلة علماً على شعاع الشمس . وزعم (بيكانوس) أن المسلة كانت علما على الحياة السرمدية الكاملة الطيبة ، وفيها تكون الروح بعد مفارقتها الجسم ، وهكذا من هذا القبيل .

وفى اللسان العتيق المسلة إشارة إلى الثبات لا غير ، فإن كل مسلة تنتهى إلى هرم صغير ، دقيق من أعلاه . وفى هذه الصورة تكون المسلة أقرب شبهاً لهرم قاعدته طويلة ، وكان الهرم عند المصريين إشارة للبقاء والدوام ، ولابد أن هذا هو السبب فى جعل مقابر الفراعنة فى الصورة الهرمية ، والمسلات تقرب منها فى الشكل فلا تدل إلا على الثبات ، ولذا كانت توضع فى المعابد دائماً قبل الأبواب الجسيمة ، التى كان يكتب على جوانبها عبارة معناها : الباقى على الدوام .

وحينئذٍ فالمسلتان أمام كل معبد كحرفين من حروف الهجاء ، أو كلمتين معناهما ما ذكر .

ومن العادة القديمة فى مصر : بناءا المعابد باسم الآدميين ، وكان لهم فيها عبادة فى أوقاتٍ مخصوصة أشبه بالأعياد ، ويُبجِّلونهم فيهاويعظمونهم كما يُبجل الخالق سبحانه وتعالى ، فمن ذلك : معبد (منيس) مؤسس الدولة المصرية ، وكان له قسوس مخصوصة ، وكذا كان للفراعنة الذين بنوا الأهرام .

وبقيت هذه العادة إلى زمن البطالسة ، وأتبعها عقبهم ، وسار على آثارهم الرومانيون ، فكانت قسوس مختصة بـ (برنيس) وأخرى مختصة بـ (أرسنوى) من بنات البطالسة .

والرومانيون أخذوا عن المصريين عادة المسلات ، ولكن لجهلهم بما كانوا يقصدونه جعلوها بعيدة عن المعابد . وحيث كانت أفكارهم متجهة نحو المفيد النافع ، كانوا يجعلونها فى مقاصد نافعة ، مثلاً : المسلتان المنقولتان فى زمن (أغسطس) قيصر الروم من إسكندرية ، وضعت إحداهما فى الميدان المعروف بـ (شان دومارس) واستعملت كمزولة لبيان الوقت ، والأخرى جعلت حداً ، وصارت هذه العادة مستعملة فيما بعد ، وصارت المسلات توضع فى ميادين الألعاب ، فحصل فى ميدان قيصر الروم (تبرون) فى الوتيكان ، وفى ميدان إسكندرية ، وفى ميدان قسطنطينية .

ومع هذا فقد شوهد استعمالهم المسلات أمام العمارات الشهيرة ؛ كما حصل أمام مقبرة قيصر الروم (سيزار) وأمام معبد (أزيس سيرابيس) .

والمسلتان الموجودتان أمام هذا المعبد ، اللتان ليستا متساويتين فى الإرتفاع ، إحداهما : عملت زمن (سيزوستريس) . والأخرى : زمن (ابريس) ونقوشها تدل على ذلك .

ومن هنا ظهر أن الذين وضعوا المسلات المذكورة ، حفظوا لها الكيفية التى كانت عند المصريين من دون أن يعلم الرومانيون الغرض من ذلك ، ولذا تراهم استعملوا المسلات للزينة . وبابات روما تبعت القياصرة ، وصارت تزين المدينة بالمسلات أيضاً ، من غير وقوف على الغرض منها .

ومسلات إسكندرية غريبة من أرضها ، أتت إليها من الجهات القبلية ، فكما نقلت لباريس وروما فى الأزمان الأخيرة ، كذلك نقلت إلى إسكندرية فى الأزمان السابقة ، أى زمن زهوها وزينتها ؛ لتزيين معابدها وميادينها .

مطلب الكتابة التى بالمسلات

وقد اختلف كثير فى الكتابة التى على المسلات ، فقال بعضهم : أنها القوانين الطبية ، وقال آخرون : قواعد فلسفة المصريين ، والقوانين المدبر بها هذا العالم .

وهذا الإختلاف إنما هو بالنسبة للأزمان السابقة ، وأما / الآن فلا يعوّل إلا على ما يقرأ ويفهم منها ، بناء على المعلومات التى اكتسبها أهل عصرنا من معرفة اللسان القديم ، وبواسطتها لم يوجدُ مسطراً على صفحاتها إلا ما فيه مدح فرعون وقتها ، وحروبه ، ونصره ولقبه ، وما أشبه ذلك . ٣٤

ووجد مكتوباً على المسلتين اسمان من أسماء الفراعنة وهما : (طوطموزيس) و(سيزوستريس) أو رمسيس الأكبر ، والأول : فى الصف الأوسط ، والآخر : فى الصفين المتطرفين ، ولا بُعد فى وجودهما معاً ، أو أن أحدهما هو المنشىء لها ، والآخر أتى بعده ووضع اسمه عليها .

وقد شوهد كثير من هذا القبيل ، والعادة أن اسم المنشىء يكون فى الوسط ، وحينئذٍ فهاتان المسلتان ينسبان إلى (طوطموزيس) فى المدة التى كان التقدم فيها لا مزيد عليه فى أمر العمارة ، وفيها بلغ النقش والتصوير عند المصريين ، درجة لم تكن عند السابقين ، ولم يصل إليها اللاحقون .

والذى ينبغى التنبه له ، أن من ضمن الكتابة المسطرة على أوجه مسلات الإسكندرية ، عبارة جديرة بالذكر ، لدلالتها على حادثة عظيمة ، حصلت فى الأزمان الماضية بالديار المصرية ، وهى : هجوم العربان عليها سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، وأقاموا حاكمين فيها ٥٠٠ سنة ، قاست فيها البلاد بلاءً لا مزيد عليه .

وعلى المسلات يقرأ بعد ألقاب الفراعنة عند ذكر (طوطموزيس الثالث) كلمة معناها : المشهور بطرده للهيك ، ومعلوم أن اسم الرعاة الواردين مصر من العرب ــ فى لغة المصريين ــ هو : هيكوسوس ، ولابد أن لفظة (هيك) مختصرة منها .

والذى يغلب على الظن ، هو ما ورد عن المؤرخ (مانيتون المصرى) من أن هذه الكلمة مركبة من كلمتين : هيك وسوس ، الأولى : من اللسان المصرى العتيق ومعناها : الملك ، والثانية : من لسان العامة ومعناها : رعاة ، فمجموعها : ملك الرعاة ، فاكتفى بكتابة الكلمة الأولى لدلالتها على هذا المعنى .

وحيث أن المعروف أن الرعاة كان طردهم من مصر قبله بأحد ملوك عائلته ، يلزم أنهم هجموا عليها مرة أخرى فجلاهم عنها (طوطموزيس الثالث) ولذا اكتسب الذكر الجميل ، ونقشت هذه الفعلة ضمن افتخاره .

وبالتأمل لتاريخ هذه المدة المشحونة بالأهوال ، يرى ويستدل من الكتابة المنقوشة على مسلات إسكندرية ، أن امتيازها كان فى زمن (طوطموزيس الثالث) ، وذلك قبل الميلاد بسبعة عشر قرناً ، وأنّ المسلة التى بباريس . وأختها الموجودة بالكرنك ــ للآن ــ بعدها بقرنين ، وهاتان المسلتان ينسبان إلى (سوزستريس) .

عمود السوارى

الإفرنج تسمى هذا الأثر (عمود بومبى) والمصريون يسمونه (عمود السوارى) ، ويؤخذ من التسمية الأولى أن هذا العمود ينسب عمله إلى (بومبى) المذكور ، والحال أن هذا الأمير رومانى لم يطأ إسكندرية ، بل ثبت أنه قتل بمدينة الطينة ــ التى على ساحل مصر ــ بلسيسة زوج كيلوباترا الأول وأخيها .

والكتابة الرومية الموجودة على جلسة العمود ، تدل على إهدائه إلى قيصر الروم (ديوكليتان) فهل يقال إنه لم يرفع إلا فى زمنه ؟ وجُعل علما على فتحه مدينة إسكندرية ، ونصرته على الإسكندرانيين الذين كانوا رفعوا لواء العصيان ، وعاقبهم بعد نصره عليهم عقاباً شديداً ، سفك فيه كثيراً من الدماء .

لكن جميع الناس العالمين بتاريخ مصر وآثارها ، اتفقوا على أن البدن من أعمال المصريين السالفين ، وأن الجلسة من أعمال الرومانيين ، ومن هنا يعلم أن العمود نفسه قديم قبل هذا القيصر .

وغاية ما يقال إنه كان قد وقع أو تخلخل ، فأقامه على القاعدة الجديدة ، ونقش عليه الكتابة المذكورة لتخليد ذكره ، فإنه بعد قسوته عقب دخول المدينة فى الطاعة ، أحسن للأروام الذين كانوا بها ، وفرق عليهم الغلال ، وأدخل ضمن قوانين الحكومة بعض قوانين نافعة .

ويؤخذ من التسمية الثانية : أنه منسوب إلى قيصر الروم (سيزوستريس) ولكن التاريخ لم يذكر ذلك ، فهى غير صحيحة ، كنسبته عند الأروام إلى إسكندر مؤسس مدينة الإسكندرية .

والصحيح أن العمود المذكور من آثار الأروام ، حسب إتفاق كثير من أهل التاريخ ، وأنه أقيم فى مكانه زمن أحد البطالسة الذى فيه أنشىء المكان المعروف بالسيرابيوم ، وهو أعظم عمارات الإسكندرية فى زمن عزها ، وقد وصفه العالم الرومانى (أفتونيوس) السائح فى

بلاد مصر وإسكندرية ، فى القرن الرابع من الميلاد بقوله : « متى دخل المرء قلعة إسكندرية ، وجد مكاناً محدوداً بحدود أربعة متساوية ، وفى وسطه فضاء متسع ، محاط بأعمدة ، وبعده دهاليز فيها قيعان ، بعضها لحفظ الكتب المحمولة لمن يريد المطالعة فى العلوم والحكم ، وبعضها معدٌ لعبادة المقدسين ، وفى وسط هذا الفضاء عمود عظيم الإرتفاع ، وهو علم يستدل به على هذا المكان ، لأنه تغير عن حالته الأصلية ، فيتحير الإنسان ولا يدرى أين يتوجه إذا أراد هذ المحل إلا بهذا العمود ، فهو دليل لمن أراد هذا المكان من أهل البر والبحر » .

وهذه العبارة تدل على أن هذا العمود فى وسط حوش السيرابيوم ، لأنه لم يوجد بالإسكندرية عمود بهذه الصفة إلا هو ، وتدل أيضاً على أن موضع السيرابيوم هو الموضع الذى فى وسطه العمود الآن ، ولا يقال إنه كان فى موضع غير هذا الموضع ثم نقل منه إليه ، لأن ذلك / من العمليات الجسيمة ، التى لا يغفل المؤرخون عن ذكرها والتنويه بمن حدثت فى مدته من القياصرة أو غيرهم

٣٥

والأرجح أن العمود المذكور قائم فى موضعه الأصلى ضمن عمارات السيرابيوم ـ كما ذكرنا ـ ، وكون الجلسة حدثت بعد العمود ، لا يؤخذ منه سوى حدوث حادثة كزلزلة ـ مثلاً ـ أثرت فى الجلسة ، فأصلحها (ديوكليتان) فى زمنه ، وردّ العمود إلى الحالة التى كان عليها أولاً ، وكتبَ فوق الجلسة ما نوه فيه بذكره .

مطلب فى الكلام على التمثال الذى فوق عمود السوارى

ذكر كثيرٌ ممن تكلم على هذا العمود فى الأعصر الأخيرة ، أنه كان فوقه تمثال ، ولكن لم يذكره (أفتونيوس) فى تاريخه ، مع أن وقت سياحته كان قريباً من زمن (ديوكليتان) ؛ لأن هذا الوقت زمن القيصر (قسطنطين) والقيصر (جوليان) ، وكذا لم يذكر القبة ، التى ذكر عبد اللطيف البغدادى فى رحلته أنها كانت فوقه أيضاً .

ولا يقال إن التمثال المذكور حدث بعد (أفتونيوس) ، أو لم يكن موجوداً من أصله حتى أنه لم يتعرض له فى كلامه ، لأنه ذكر فى عبارة أغلب المؤلفين ، فلا بد أنه كان موجوداً قبل سياحته ، إلا أن يقال إن هذا التمثال أزيل عن العمود مدة سياحته ، ولذا لم يذكره فى كلامه .

وهذا التمثال كان للمقدس (أبيس) ، وليس تمثال (ديوكليتان) أو تمثال حصانه ، بناء على ما ذكره بعض المؤرخين من الإسكندرانيين ؛ لما اعترفوا بشفقة القيصر عليهم ، جعلوا لحصانه هذا التمثال ، بعد أن عثر به حين دخوله من أحد أبواب المدينة ، وكان ذلك سبباً فى رفع القيصر عنهم النهب والسلب والقتل ، بعد أن كان أصدر أمره بذلك عقاباً لأهل هذه المدينة ، على إرتكابهم العصيان والفساد ، فرأى أن ما حصل من الحصان المذكور كأنه أمر إلهى ينهاه عن إستمرار القسوة عليهم ، ويأمره بالشفقة عليهم .

ويؤكد هذا الإعتقاد ما حققه بعض السلف ، من أن (بطليموس فيلديلفوس) رفع تمثالاً عظيماً فوق الكثيب الذى كانت فيه القلعة والبلد القديمة – التى هى رقودة – وكان بها السيرابيوم ، وهو من أحسن العمارات وأجملها ، وكان يظهر من بُعدٍ عظيم ، لا يصل إليه الإنسان إلا بعد صعود مائة درجة . وقيصر الروم (كركلا) كان فى أعلى محل منه وقت أن أصدر أمره بالقتل وغيره لأهل الاسكندرية .

وجميع الفتن التى تولدت من عداوة الديانة العيسوية والديانة العتيقة ، كان مركزها هذا المكان ، ولهذا يرى أن هذه البقعة استمرت تسقى بدم الخلق أزماناً عديدة ، فتارةً كانت القوة لحزب أبيس ، فيقتل جميع النصارى بغاراته ، وتارةً كانت لحزب المسيح ، فيقتل جميع رجال الآخر ، إلى أن كانت الكلمة للعيسوية فى زمن القيصر (طيو دوز) ، فهجمت النصارى على هذا المكان وهدمته وأزالته بالكلية .

ومع ذلك ففى القرن الخامس من الميلاد ، زمن الفتن ، كانت أهالى الإسكندرية تحتمى فى بواقيه ، وفى زمن صلاح الدين كانت عدةٌ من أعمدة دهاليزه باقية ، وكانت من ضمن الآثار العجيبة التى وقرّها الدهر ولم يَعتدِ عليها .

وكان هذا المحلّ قديماً مَركز الديانة الوثنية والرومية . وكذلك الديانة العيسوية فيما بعد ، فإنه بعد زوال عبادة أبيس ، حدثت الديانة المسيحية فى كنيسة بنيت فى هذا الموضع ، وكانت تسمى كنيسة (جان بابست).

ويستفاد مما قدمنا ، أن الموضع القائم فيه عمود السوارى الآن ، هو المحل الذى كان به السيرابيوم ، والمحل الذى هو فيه هو محل القلعة وقرية رقودة ، التى كانت فى زمن الفراعنة لإقامة الخفراء والعساكر .

ويستفاد منه ـ أيضاً ـ أن العمود المذكور من أعمال الروم ، وأن الجلسة التى تحته من أعمال المصريين . ولابد أنه كان قبل وضع هذا العمود بهذا المحل مسلة أزيلت ووضع هو محلها ، ويدل على ذلك وجود كتابة عليها مضمونها : (شامبليون اسم سباماتيك الثانى من فراعنة صا الحجر الغربية من النيل) فلابد أن هذا الأثر نقل من عمارات هذه المدينة .

ويستفاد من كلام بعض المحققين ، أن السيرابيوم كان فيه راهبات ورهبان لخدمة المقدسين ، ووجد شرح بعض قضايا هؤلاء الرهبان على بعض البابيروس[1] المحفوظ الآن بخزانة الآثار ، وعلم أنهم كانوا تحت رياسة أحد كهنة المصريين ، ومن هنا علم أن الرهبانية التى ابتدعها العيسوية ، كانت موجودة عند قدماء المصريين ، وكانت إحدى هذه الدعاوى لبعض المقدونيين .

وكان من ضمن خدم السيرابيوم (منفيس) وفيها يشتكى من الرئيس ومعاملته السيئة له ، بسبب أنه من الروم ، وفى هذا دليل على إحتقار الروم عند المصريين فى الأزمان القديمة ، وكانت الكتبخانة التى حرقت فى زمن القيصر (سيزار) فى السيرابيوم أيضاً ، وكان بها نسخة بالعبرانى من التوراة ، وفى هذا دليل على أن اليهود كانوا غير ممنوعين من دخولها .

(١) يعنى : أوراق البردى .

أسوار مدينة الإسكندرية

قد إستدل من البحث ، الذى أجراه العالم الفاضل محمود بيك الفلكى[1] ، على جدران السور القديم الذى كان لهذه المدينة ، أن عرضه كان خمسة أمتار ، وأنه كان مبنياً من قطع الحجارة والمونة المركبة من الجير والحمرة ، وقد تتبع أثره من إبتداء برج السلسلة ، الذى كان يسمى قديماً (رأس لوشباس)) إلى الحدرة ، وطول هذه المسافة ٣٠٠٠ متر ، وقد عثر بين ترعة المحمودية والتلول التى بجوارها على جملة نقط من السور / منحطة عن الأرض ، بعضها ثلاثة أمتار وبعضها أربعة وبعضها خمسة .

٣٦

وقد ظهر أن السور ــ من برج السلسلة إلى المينا الغربية ــ كان يتبع مسير الساحل ، وشاهد هنالك آثاراً مغطاة بمترين وأكثر من الماء ، وقد تتبع هذه الآثار ، ورسم السور المذكور فى كل هذا الإمتداد .

ويظهر من الخرطة التى حررها ، أن السور القديم ــ من جهة رشيد ــ كان بعيدا عن السور الموجود الآن بنحو ١٦٠٠ متر ، ومن جهة المحمودية بعضه بمائتى متر ، وبعضه بأربعمائة ، وكان من جهة البحر ، بعضه يتبع اعوجاج الساحل ، وكان أغلب الضلع الرابع منه مستقيما وبعيداً عن جامع الألف عمود ، بنحو مائة متر .

وبناء على ذلك ، وجد أن محيط السور مع الاعوجاج ١٥٨٠٠ متر ، عدد الرؤوس الداخلة فى البحر التى إن أضيفت هذا المحيط ٦٠٠ متر ، وبلغ فى هذا الرسم أعظم طول للمدينة ٥٠٩٠ مترا . وأما العرض فأصغره الذى من جهة النكروبولس (مدينة الأموات) قدره ١١٥٠ مترا ، وأكبره ٢٢٥٠ مترا ، وبين هذين البعدين كان تارة ١٤٠٠ متر ، وتارة ١٥٦٠ ، وتارة ١٧٠٠ .

---

(١) انظر الأعلام للزركلى جـ ٨ ص ٤٠ الطبعة الثانية .
وله رسالة عن الاسكندرية القديمة وضواحيها ، ترجمة محمود صالح ، الاسكندرية ، دار نشر الثقافة ١٩٦٦ .

مطلب فى الكلام على أبعاد مدينة الإسكندرية

وتكلم كثير، من المؤلفين على أبعاد هذه المدينة، فجعل (إسترابون) عرضها ما بين سبع أستادات وثمانية، وجعله (فلوبوس) و(يوسف) و(فيلون) عشر أستادات، واتفق الجميع على أن طولها ٣٠ أستادة، وقال (كانتكورس) : إن المعمار (دينكرات) جعل محيطها ١٨٠ أستادة، وجعله (أثنين البيزانتى) ١١٠ أستادة، العرض ٨ أستادات، والطول ٣٤ أستادة.

وقد استنبط العالم المذكور من ذلك أن الأستادة الرومية ١٤٧,٩٥ مترا، والميل الرومانى ١٤٧,٩٥، وأن الأستادة المستعملة فى أبعاد المدينة هى الأستادة الرومانية، وقدرها بالمتر ١٦٥ مترا بأدلةٍ واستنباطات أوردها.

وفيما قاله نظر يحتاج بيانه، لا يراد ما يخرجنا عن الغرض، وسنذكر لك إن شاء الله ـ فيما بعد ـ تحقيق هذا المقام.

ولعل سبب هذا الاختلاف الواقع بين المؤلفين، نشأ من تكلمهم عليها فى أوقات مختلفة، أورد كل منهم قياسها فى زمنه، أو أن ما اعتبره أحدهم لأطول بعدٍ لم يعتبره غيره، وهكذا العرض.

وعلى كل حال، فأقوالهم جميعا تفيد : أن المدينة كانت أكبر جداً من مدينة العرب، وكانت التلول الموجودة قريباً من السور ـ بعد الاستحكامات ـ من ضمن هذه المدينة.

وفى خطط الفرنساوية، أنه عملت مقارنة بين مساحة إسكندرية فى الزمن القديم ـ حال سعدها ـ وبين مساحة مدن أوروبا ـ فى ذلك الوقت ـ فوجد أن : مساحة باريس ٥٩٨٠٥٧٠ تواز مربع، لوندره ٤٢٦٤٠٠٠، برلين ٣٤٧٩٨٦٠، ونينه ٣١٧١٨٥٠، روما ١٩٢٦٢٣٠، ومساحة مدينة الإسكندرية ـ بناء على قول (كانتكورس) من أن محيطها

ثمانون أستادة ـ يكون ٢٧٠٧٥٠٠ تواز مربع ، وبناء على قول (بولين) من أن محيطها ١٥٠٠٠ خطوة ، التى هى عبارة عن ١١٣٤٠ توازاً مربعا ، تكون المساحة ٦٠٢٧٩١٨ توازاً مربعا .

فعلى كل حال يظهر من هذا الفرق الجسيم ، أن مساحة المدينة ـ كانت بالأقل ـ تساوى برلين وونينة ، وإن أضيفت لها الضواحى زادت عن ذلك بكثير .

وقد عثر بها أيضا على أحد عشر شارعاً مبلطاً تقطعها عرضاً ، وسبعة شوارع تقطعها طولا ، وأحد الشوارع الطويلة هو المعروف بعضه الآن بشارع باب شرق ، وكان جامع العطارين من ضمن هذا الشارع ، وكذلك محل كنيسة (سنعطناس) . وقد صار الآن محل الجامع من ضمن الأملاك الأهلية ، وبجواره كنيسة الروم ، ويظهر أنه دخل فيها جزء من أرض الجامع .

والمسافة التى بين هذا المحل وعمود السوارى ١٢٨٥ مترا ، والذى بينه وبين المسلة ٨٠٠ متر ، وبينه وبين باب رشيد ١٨٣٥ مترا ، وقد يوجد بلاط أرضية الشارع القديم فوق استواء ماء المالح بقدر ٤٧ ، وتحت الأرض ـ الآن ـ بقدر ٣٠ .

مطلب فى الكلام على وصف الشارع المعروف قديما بشارع كانوب

وقد استدل بالبحث على نقط أخر غير هذه النقط ، علم منها أن الشارع المسمى ـ قديما ـ بشارع كانوب ، كان مستقيما ، وواصلا بين الضلعين المتطرفين من المدينة ، أحدهما من جهة رشيد ، وعرضه من الجزء المبلط ١١٤ مترا ، وطوله ٥٠٩٠ مترا ، واتجاهه من الشرق والشمال الشرق إلى الغرب والجنوب الغربى ، وبينه وبين خط الشرق والغرب ٢٤°و١٥َ ، وبين محور هذا الطريق وعمود السوارى ١١٦٥ مترا ، وبينه وبين المسلة ٥١٧ مترا .

وعرض الحارات الطويلة الأخر ، نصف عرض شارع كانوب المذكور ، وجميعها موازية له ، وأبعادها الواقعة بينها متساوية وقدرها ٢٧٨ مترا .

وجميع الحارات العرضية متوازية وعمودية على الشارع الأصلى ، المسمى بشارع كانوب ، وبين كل منها وخط الشمال والغرب زاوية قدرها : ١٥َ ٢٤ْ ، وجميعها ممتد من البحر إلى المحمودية ، والأبعاد الأصلية التى كانت بينها وبين بعضها ٣٣٠ مترا ، وكان فيها أيضا حارات أخر متوازية ـ غير هذه ـ لكنها متقاربة ، فمنها المتباعد بقدر ١١٠ أمتار ، ومنها المتباعد بقدر ٩٦ مترا .

٣٧

وكان من ضمن الحارات العرضية ، شارع يخرج من برج / السلسلة ، بسبب أنه كان به سراية ملوكية ، تمر بالميدان الكبير ، عمودية على شارع كانوب ، وتمتد إلى مينا خارج السور على الخليج ، وكان عرضها ١٤ مترا ـ مثل عرض الشارع الأصلى ـ ، وكان على جانبها الشرقى بجمون لتوصيل المياه العذبة إلى السراية والصهاريج ، وكان فى الجهة الأخرى مجرى القاذورات .

ويظن من كثرة الأعمدة التى وجدت فى امتداد هذا الشارع ، أنه هو الشارع الذى تكلم عليه (أشيلبس تاتيوس) وكان بحافتيه من الجهتين بوالٍ .

ويظهر من الميزانية التى أجراها محمود بيك ، أن أراضى المدينة لم تكن مستوية ، وكانت منقسمة ـ بطبقة الأرض إلى قسمين ـ بوادٍ يختلف عرضه ما بين ٦٠٠ و٧٠٠ متر ، وابتداء الوادى المذكور من برج السلسلة ، ويمتد إلى بحيرة مريوط ، فيكون الساحل فى هذا الوادى منقسماً قسمين : قسم من جهة أرض مصر ، وقسم من جهة أرض ليبيا ، ولابد أن هذا سبب كون الإسكندرانيين يقولون : إن جزأً من المدينة من مصر ، وجزأً من ليبيا .

بجمونات إسكندرية وصهاريجها

يظهر من رؤية الباق منها الآن ، أنها كانت كثيرة الصهاريج ، وكانت الخلجان المتفرعة من الخلجان الأصلية لتوصيل المياه إلى المنازل والحارات لا تنحصر ، ولاسيما ماكان منها

للبساتين والحدائق ، وماكان مختصا بامتلاء الصهاريج الموزعة فى جميع أرجاء المدينة ، لكفاية الأهالى ، والواردين ، والمترددين فى جهات القطر ، وسواحل البحر المالح .

وحيث أن أهالى إسكندرية كانوا ــ بالأقل ــ ٦٠٠ ألف نفس ، ولو أضيف قدر هذا العدد عليه نظراً للواردين عليها ، لكان اللازم لهم من الماء مليونا ونصفا فى مدة السنة ، وهذا غير ما يلزم للحيوانات والبساتين ، ولا يكفى لذلك أقل من ٤٠٠٠٠ متر مكعب كل يوم ــ أعنى قريبا من ٦٠٠٠٠٠ قربة .

ويوجد إلى الآن فى هذه المدينة خمسة خلجان ، من الخلجان الأصلية التى كانت مستعملة فى دخول مياه النيل لامتلاء الصهاريج التى كانت فى هذه المدينة ، وكانوا يسدون أفواه البجمونات لإمتلاء الصهاريج ، فإذا امتلأت فتحوها ، ويعملون لذلك موسماً مشهوراً .

والبجمون الأول منها : فى استقامة الخليج القديم إلى المينا الغربية .

والثانى : يبتدىء من الخليج ، ويكون فى استقامة الشارع المار بعمود السوارى .

والثالث : يبتدىء من الخليج ويستمر مع الشارع الداخل فى البلد ، بعيداً عن شارع العمود بقدر ٩٠٠ متر تقريبا .

والرابع : يسير مع الشارع المار ببرج السلسلة .

والخامس : خارج من سور البلد من جهة كانوب ، على بعد ١٣٠٠ متر منه ، وعلى بعد ٢٣٥٠ مترا من سيدى جابر .

والخلجان المذكورة كانت تتبع فى سيرها الحارات ، فتخرج منها فروع لتوصيل المياه إلى صهاريج المدينة ، وبعض هذه الخلجان كان يجتمع ماؤها ، ويسير تحت أرض الميدان الكبير ، ويدخل من هناك فى جزيرة فاروس من خليج واحد كان يمر فوق القنطرة التى كانت توصله بأرض المدينة .

وقال محمود بيك فى رسالته : إن ما عثر عليه من الصهاريج فى مدينة إسكندرية ، يبلغ ٧٠٠ بعضها مركب من طبقتين ، والطبقة العليا محمولة على أعمدة من الرخام أو الزلط ، وفى المواضع المرتفعة من المدينة كانت تبلغ طبقات الصهاريج أربعة ، ولم تكن جميعها تملأ من الخلجان ، بل كان يملأ أكثرها بالقرب .

وفى كتاب (جركى) الفرنساوى : أن جليس بيك عند إجرائه عمليات الاستحكامات ، كشف عن ٨٩٦ صهريجا مبنية جميعها بالحجر ، وواصلة لبعضها ، وتأخذ ماءها من خليج كبير يشق البلد ، ويمتد إلى بحيرة مريوط .

ولابد أنه لم يعثر على جميعها ، وكانت تنظف كل سنة حتى لا يضر ماؤها بالصحة ، وقد استدل على ٣٠٠ صهريج داخل المدينة الجديدة ، ردم أغلبها ولم يبق منها الآن إلا القليل ، بعضه فى حيازة أهل الملك ، وبعضه فى حيازة الحكومة ، وكان الموجود منها فى زمن الفرنساوية ٣٠٨ ، ووجد فى واحد منها ٣٠ عامودا فوقها عقود من البناء .

جزيرة فاروس

كانت هذه الجزيرة فى الأيام الخالية محصنة بأسوار وأبراج فى دوائرها . وآثار المبانى القديمة التى كانت بها وقت دخول الفرنساوية ، تدل على أنها كانت عامرة بالسكان ، منفصلة عن المدينة بالكلية ، وكان طولها موازياً للساحل من ابتداء المينا الشرقية إلى نهايتها من جهة الغرب ـ الموجود بها الآن المنارة الجديدة ـ ٣٦٠٠ متر ، وعرضها المتوسط ٥٠٠ متر ، وكان فى نهاية الجزيرة من جهة الشرق ، صخرة طولها قريب من ٢٥٠٠ متر ، وكانت المنارة القديمة مبنية فوقها ، والبعد من وسط هذه الصخرة إلى المنارة الجديدة الآن ٣٠٣٠ ، وكان الماء يحيط بهذه الصخرة من جميع الجهات ـ كما ذكر ذلك إسترابون ـ والجزيرة الصغيرة الموجودة نحو الشمال ، لم تكن فى القديم إلا رأسا من الجزيرة الأصلية .

وشكل الجزيرة يشبه الساق ، والثلاثة ارتفاعات ـ المرتفع كل منها بقدر عشرة أو أحد عشر مترا ـ شبه الكعب ، والسمانة ، والركبة ، وأحدها يقع فى الشيخ الموازينى ، والثانية فى المدرسة ، والثالثة فى رأس التين والشعب / الممتد فى البحر بين برج السلسلة والجزيرة من جهة ، وبين العجمى والجزيرة من الجهة الأخرى ، فدل ذلك على أن هذه الجزيرة ـ والشعوب المذكورة ـ أصلها من الساحل ، وانفصلت منه بحادثة حدثت فى الأزمان العتيقة .

٣٨

وتكلم أميروس الشاعر على ما يتعلق بها قبل المسيح بعشرة قرون ، وترجمة عبارة أميروس هى هذه : (هناك توجد مينا ، منها تخرج السفن بعد أخذ الماء ، وبينها وبين النيل يوم ملاحة ، يعنى ٥٤٠ أستادة ، لأن يوم الملاحة قدره هذا المقدار ، وتطابق هذه المسافة الجزيرة وفم الفرع القانونى . وكانت فى الأيام العتيقة من أحسن المواضع وأجملها ، وكان بها مواضع كثيرة للنزهة ، وجهاتها نحو الشمال فيكون هواؤها أيام القيظ رطباً لطيفاً ، وبعضها متوجه جهة الجنوب ، لسكن الشتاء ، وكان بها بساتين كثيرة ، فيها من جميع الفواكه ، لكنها مشتهرة بالتين ، ولذا كانت تسمى : روض التين ، وبقى ذلك إلى أكثر من نصف القرن الثانى عشر ، وكان يهاجر إليها فى كل سنة ـ زمن الخريف ـ الطير المعروف بالسمان ، فتأخذ الناس منه كثيراً حتى اكتفى عن اللحم) اهـ ملخصا من كتاب (مالى) .

ولا يعلم كيف كانت هذه البساتين ، لأن أرض جميع جهاتها حجر ، ولابد أن بعض مبانيها كانت تردم بالطين المنقول كما يشاهد الآن .

المنار القديم

قال المقريزى فى خططه ـ نقلا عن المسعودى ـ : أما منارة الإسكندرية ، فذهب الأكثرون من المصريين والإسكندرانيين ـ ممن عنى بأخبار بلدهم ـ إلى أن الإسكندر هو الذى بناها ، ومنهم من رأى أن (دلوكه) الملكة بنتها ، ومنهم من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها . وقال : إن الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج ، على هيئة السرطان فى جوف البحر ، وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر .

وفى خلافة الوليد بن عبدالملك بن مروان ، صار هدم أعلى المنارة بحيلة عملها عليه ملك الروم ، ثم بقيت على ما كانت عليه إلى سنة ٣٣٢ هلالية . وفى سنة ٧٧٧ سقطت رأسها من زلزلة .

وقال ابن وصيف شاه ــ عند ذكر أخبار مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح ــ وبنوا على البحر مدنا منها : رقودة ، التى كانت قبل الإسكندرية فى مكانها ، وجعلوا فى وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب ، ونصبوا فوقها منارة عليها مرآة من أخلاط شتى ، قطرها خمسة أشبار ، وكان ارتفاع القبة مائة ذراع .

ونقل السيوطى عن ابن فضل الله : أن هذه المنارة قد خربت وبقيت أثراً للأعين ، فزال الباقى فى أيام قلاوون وولده .

وبناء على قول مؤرخ النوبة : إن المنارة المذكورة كانت موجودة إلى القرن الثالث عشر ، كما ذكر أبو الفداء ــ فإنه كان موجوداً فى سنة ١٣٢٠ ميلادية ــ تكون المنارة المذكورة تخربت فى القرن الحادى عشر . ومحل هذه المنارة الآن البرج الزفر ، الذى هو محل طابية قائد بيك ، الذى فى النهاية البحرية الشرقية من جزيرة فاروس .

وما ذكره (استرابون) وغيره يؤيد ذلك ، فقد ذكر ما معناه : أن النهاية الشرقية من الجزيرة عبارة عن صخرة محاطة بالماء من جميع جهاتها ، والمنارة فوقها عبارة عن برج من جملة طبقات ، مبنية بغاية الإحكام من الرخام الأبيض ، واسم الجزيرة ، واسمه واحد ، والذى بناه (سوستران) محبوب الملوك لأجل أمن الملاحين ، لأن الساحل من جهة إسكندرية منحط ومجرد عن المينا وكثير الشعوب والصخور ، فكان من المهم جعل دليل مرتفع لأجل دخول الملاحين الواردين وعدم وقوعهم على الصخور .

والمدخل الغربى ــ ولو كان عسراً ــ لكنه لم يكن فى الأهمية كالشرق ، ومنه كان يتوصل إلى مينا تسمى : (أونست) ، من داخلها مينا محفورة بالآدميين مقفولة .

فالموجودة فى مدخلها المنارة هى الميناء الكبرى ، والأخريان مجاورتان لها ، ولم يفصلها عنها إلا القنطرة المعروفة باسم (هبتا استاد) .

ومن هنا يعلم أن محل المنار القديم محل طابية قائد بيك ، فى النهاية البحرية الشرقية من جزيرة فاروس .

وقال المقريزى فى خططه : إن منارة إسكندرية أحد بنيان العالم العجيب ، بناها بعض البطالسة من ملوك اليونانيين ، بعد وفاة الإسكندر بن فليبش ، لما كان بينهم وبين ملوك روما من الحروب فى البر والبحر ، فجعلوا هذه المنارة مرقباً ، فى أعاليها مرآة عظيمة من نوع الأحجار الشفافة ، ليشاهد منها مراكب البحر إذا أقبلت من روما ، على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها ، فيستعدون لها قبل ورودها .

وطول المنارة فى هذا الوقت ـ تقريبا ـ مائتان وثلاثون ذراعا ، بعد أن كان طولها أربعمائة ذراع ، فتهدمت من ترادف الأمطار والزلازل .

وبناؤها على ثلاثة أشكال ، فقريب من النصف وأكثر من الثلث ، بناؤه مربع الشكل بأحجار بيض ، وذلك نحو مائة ذراع وعشرة أذرع تقريباً ، ثم بعد ذلك يكون مثمن الشكل مبنيا بالحجر والجص ، وذلك نحو نيف وستين ذراعا ، وحولها فضاء يدور فيه الإنسان ، وأعلاها مدوّر .

ورمّ أحمد بن طولون شيئاً منها ، وجعل فى أعلاها قبةً من الخشب ، ليصعد إليها من داخلها ، وهى مبسوطة منحرفة / بغير درج . ٣٩

وفى الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاصٍ مدفون بقلم يونانى ، طول كل حرف ذراع فى عرض شبر ، ومقدارها على جهة الأرض نحو مائة ذراع ، وبلغ ماء البحر أصلها ، وقد كان تهدم أحد أركانها الغربية مما يلى البحر ، فبناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون .

وفى الخطط : أنه فى أيام الظاهر بيبرس ، تداعى بعض أركان المنارة وسقط ، فأمر

ببناء ما تهدم منها فى سنة ٦٧٣ ، وبنى مكان القبة مسجداً ، وهدم فى ذى الحجة سنة ٧٠٢ من زلزلةٍ ، ثم بنى فى سنة ٧٠٣ ، وهو باقٍ إلى يومنا هذا .

وبينها وبين مدينة إسكندرية فى هذا الوقت نحو ميل ، وهى على طرف لسان من الأرض قد ركبه البحر ، وهى مبنية على فم مينا إسكندرية ، وليست المينا القديمة لأنها فى المدينة العتيقة ، ولا ترسو فيها المراكب لبعدها عن العمران ، والمينا هى الموضع الذى ترسو فيه مراكب البحر إلى آخر ما قال .

وفى سنة ٣٤٤ تهدم من المنارة نحو ٣٠ ذراعاً من أعلاها ، بالزلزلة التى كانت ببلاد مصر وكثير من بلاد الشام والمغرب فى ساعة واحدة ؛ على ما وردت به الأخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر .

مطلب المجمع الذى كان للمنارة

وكان لهذه المنارة مجمع فى يوم خميس العدس ، يخرج فيه أهل إسكندرية إلى المنارة من مساكنهم ، ولابد أن يكون فيها عدس ، فيفتح باب المنارة وتدخله الناس ، فمنهم من يذكر الله ، ومنهم من يصلى ، ومنهم من يلهو ولا يزالون كذلك إلى نصف النهار ثم ينصرفون . ومن ذلك اليوم يحترس على البحر من هجوم العدوّ .

وقال بعضهم : إنه قاسها فوجد طولها ٢٣٣ ذراعاً ، وهى ثلاث طبقات ، الطبقة الأولى مربعة وهى ١٢١ ذراعاً ونصفاً ، والثانية مثمنة وهى ٨١ ذراعاً ونصفاً ، والطبقة الثالثة مدوّرة وهى ٣١ ذراعاً ونصف ذراع .

وذكر ابن جبير فى رحلته أن منار إسكندرية يظهر على بعد ٧٠ ميلا فى البحر ، وأنه قاس أحد أضلاع المنارة فى سنة ٥٧٨ هجرية فوجده يزيد على ٥٠ ذراعاً ، وأن الارتفاع يزيد على ٥٠ باعاً ، وفى أعلاها مسجد يتبرك الناس بالصلاة فيه .

وذكر فلاوبوس يوسف فى وصف فزائل[١] بمدينة القدس ، الذى ارتفاعه ٥٠ ذراعاً ، وضلع مربع قاعدته ٤٠ ذراعاً ، أن شكل هذه المنارة يشابه شكل منار إسكندرية .

وذكر فى مواضع أخر : أن نور منار إسكندرية يرى فى البحر على بعد ٣٠٠ أستادة .

فيعلم من جميع ما تقدم : أن محل المنارة هو برج قائد بيك ، وأنه المنارة المذكورة قديماً ، وربما كان سابقاً على البطالسة ، وأنه من بناء الفراعنة ، وأجرى به الروم عمارات وزيادات ، وكان فى غاية الارتفاع لأجل مشاهدة المراكب من بعدٍ بعيد جداً عن المدينة ، حتى يتمكن أهلها من الاستعداد لمقابلة العدوّ .

وفى خطط الفرنساوية فى صحيفة ٢٢٥ : أن أحد شراح لوسيان ، ذكر أنها مشابهة لأهرام مصر ، وأن طول ضلعها أستادة .

فإن صح ذلك ، لزم أن تكون الجزيرة فى الأيام السابقة أكبر مما هى عليه الآن بكثير .

وذكر مؤرخ النوبة : أن ارتفاعه ٣٠٠ ذراع ، وعلى كل حالٍ ، فليست أقل من مائة أو مائة وعشرين مترا ، وإلا لما ظهرت من بعد ٣٠٠ أستادة ، يعنى قريباً من ٤٠٠٠ متر .

والمنار الجديد الذى بنى زمن العزيز محمد على باشا ، فى غربى رأس التين من جهة البحر ، يرى فى البحر من بعد ١٣٤٠٠٠ متر ، مع أن ارتفاعه عن سطح البحر الملح لا يزيد عن ٦٥ مترا ، وفى خطط الفرنساوية ما يدل على أن المنارة المذكورة كانت من أعظم المبانى ، لأن (بلين) قال :إن تكاليفها بلغت ٨٠٠ تالان ، يعنى ١٢٠٠٠٠ بنتو ، وهذا التالان هو تالان أتينه ، وقيمته ١٠٠٠ ايكو فرنساوى ، لأن الرومانيين كانت تستعمله ، ولو أراد التالان الإسكندرانى لبلغت التكاليف الضعف تقريبا .

---

(١) يعنى : برج فازائيل Phazal / وهو من الآثار اليهودية بالقدس .
انظر رسالة محمود الفلكى عن الاسكندرية وضواحيها ص ٩٥ ، ٩٦ .

وعبارة (أميروس) تفيد أن مينا إسكندرية ، كانت مطروقة قبل وفود إسكندر على أرض مصر ، وكان فيها كثير من الصهاريج ومجارى المياه ، وكانت السفن تأخذ مياهها منها .

ولا بعد فى ذلك ؛ لأنه لا يعقل وجود مدينة بدون وجود ماء ، وتردد السفن على المينا يقضى بوجود المنار لهدايتها ، فحينئذٍ لا يبعد كونها من مبانى الفراعنة .

وفى كتاب (جسكى) أن جزيرة فاروس كانت معلومة قبل بناء إسكندرية بستة قرون ، وذكرها (أميروس) بهذا الاسم ، ولابد أنه مأخوذ من اسم المنار ، لأن فاروس بالرومية معناها : محل النور .

واتفق جميع المؤرخين على أن رقودة سابقة على إسكندرية ، وأنها من مدة الفراعنة ، وكانت بلداً تجارية وحوصرت مراراً بسكان سواحل البحر ، وكان ـ قبل الآن بثلاثين قرناً ـ يمر بها الصوريون ، والكنعانيون ، وكثير من سكان جزائر البحر ، فلا بد أنه كان فى المينا شىء يهتدى به ، وليس ثم غير المنار ونوره ، ولا بد أنه كان فى مينا رقودة كما كان فى غيرها ، وأن الجزيرة استعارت اسمها منه لا أنه استعار اسمه منها .

وفى كتاب (مانى) الفرنساوى : أنه فى زمنه ـ يعنى سنة ١٧٣٠ ميلادية ـ كان لا يوجد لمنار إسكندرية أثر بالكلية ، وكان محله قلعة صغيرة فيها برج صغير من مبانى المسلمين ، وكان هو المستعمل فى هداية المراكب القادمة على إسكندرية .

ولما دخل الفرنساوية مصر ، كان محل المنار سوراً ، والقلعة فى جزء صغير منه ، وكان السور فى محل أصغر من المحل / الذى كانت به المنارة القديمة ، كما كان يظهر ذلك من الآثار ، ويظهر أنه كان هناك جامع ، وكانت تسمى هذه القلعة عند الإفرنج القاريون .

ومن ضمن ما وجد محل المنارة ، حيضان قديمة من الرخام ، وعواميد ، وبعض أسلحة ، وجلل من الحجر ، وغير ذلك .

الجسر المسمى هيبتاستاد

هذا الجسر كان الطريق الموصل بين جزيرة رأس التين والمدينة ، وكلمة هيبتاستاد مركبة من كلمتين : هيبتا التى معناها ٧ ، وأستاد التى معناها غلوة ، فعلم من ذلك أن هذا الجسر كان طوله سبع غلوات .

وذكر (استرابون) أن هذا الجسر كان متجهاً نحو النهاية الغربية من جزيرة رأس التين .

وكان به فتحتان لدخول المراكب من المينا الشرقية إلى المينا الغربية ، وكان طريقاً لمجرى ماء النيل إلى الجزيرة (وجول سيزار قيصر) قدرها ٩٠٠ خطوة ، وجعل (هيروتوس) هذا الطول ٨٠٠ خطوة فقط ، وذكر أنه كان عند كل فتحة طابيتان : طابية من جهة البلد ، والأخرى من جهة الجزيرة .

وقد عين محمود بيك فى البحث الذى أجراه على آثار المدينة القديمة ، أن محل الطابية التى كانت فى جهة البلد : كوم النادورة ، وأما الطابية الأخرى فمحلها الآن حمام صفر باشا ، وقد هُجر هذا الجسر من زمن مديد ، ورُدم بعضه وبنيت فوقه منازل كثيرة ، وهى ما بين كوم النادورة وحمام صفر باشا ، وكذلك ردم جزء من المينا القديمة وبنى فوقه منازل أيضا ، وبالإطلاع على خرطة إسكندرية يعلم قدر المردوم منها .

المينا الشرقية

هذه المينا هى التى كانت مشهورة فى الأيام العتيقة ، ويسميها الإسكندرانيون ــ الآن ــ بالمينا الجديدة ، وكان يسميها من قبلهم (مانيوس بورتوس) المينا الكبيرة ، وكان مدخلها ضيقا وبه شعوب وصخور كثيرة ، منها ما يظهر على سطح الماء ، ومنها ما هو مغطى به ، وكان فى داخلها سرايات كثيرة للملوك ، بعضها مبنى على الصخور الطبيعية ، وبعضها بُنى فوق صخور حادثة ، وكان ساحلها من ابتداء برج السلسلة ، إلى آخر السبع غلوات ، مزينا بالسرايات الفاخرة ، والمبانى البهجة والعمارات الميرية .

ويعلم مما ذكره فلاوبوس يوسف ، أنه على شمال الداخل فيها ، جسر فى غاية المتانة والصلابة ، وعلى يمينه جزيرة فاروس (رأس التين) ولذا كانت السفن التى تدخلها فى غاية الأمن ، وسعتها ٣٠ أستادة ، وهذا يطابق محيطها ـ الآن ـ وقدره قريب من ٥٠٠٠ متر .

وقد عثر محمود بيك ، أثناء بحثه عن آثار إسكندرية القديمة ، على بواقٍ من الجسر المذكور تحت سطح الماء بقدر ٣ بل ٤ أمتار ، وتلك البواقى متجهة من برج السلسلة إلى جهة مدخل المينا ، ويمتد إلى مائتى متر تقريبا .

ويظهر أن الحفر الموجودة الآن فى مدخل المينا كانت من ضمن الجسر المذكور ، فإن كان كذلك ، كان طول الجسر ـ من ابتداء برج السلسلة ـ نحو ٩٠٠ متر فى الطول ، و٦٠٠ فى العرض .

ومن هنا يعلم أن المينا كانت مقفولة من جميع الجهات ، ما عدا الفم الذى كانت السفن تدخل منه ، الذى هو من جهة المنار ، وعرضه ٩٠٠ .

والظاهر أنه كان منقسماً إلى قسمين : أحدهما صغير وهو الذى كان من جهة المنار وقدره ١٠٠ متر تقريبا ، والآخر عرضه ٢٠٠ ، وكانا منفصلين بصخرة وهى الآن تحت الماء بقدر ٧ أمتار .

وفى كتاب (مانى) الفرنساوى : أن الفتحة الكبرى كانت بقرب المنار ، وتنتهى بصخور بنى فوقها قلعة ومنارتان ، والفتحة الثانية : كانت بعد هذه ، وكان على نهايتها من جهة برج السلسلة منارٌ ثالث انهدم ، ولم يبق له أثر فى وقته ، وكانت المراكب تمر بين الثانى والثالث من المنارات ، ولكنه لصغره وكثرة صخوره ، كان لا يستعمل إلا للمراكب الصغيرة ، والآخر هو الذى كان يكثر استعماله . وكانت الفتحات المذكورة تقفل بسلاسل من الحديد .

وقد عثر محمود بيك ـ أيضا ـ على آثار المينا الصغيرة ، التى غربىّ برج السلسلة ومتصلة به ، وكانت معدة لمراكب الملوك ، وعلى جزيرة داخل المينا بعيدة عن نصف الساحل بقدر

٣٠٠ متر، وموضعها غربى مينا الملوك على بعد ٤٠٠ متر منها، وشكلها شكل حدوة الحصان، والآن صارت كغيرها تحت سطح الأرض بقدر ٣ أو ٤ أمتار، وظن أنها الجزيرة التى كانت فوقها سراية (التيمنوم)، وكان يتوصل منها إلى البر بجسر فى منتصف المسافة التى بين برج السلسلة وجسر السبع غلوات، وكذا على آثار غير هذه من آثار المبانى والسرايات، التى كانت داخل المينا.

والمسافة الكائنة بين برج السلسلة وجسر السبع غلوات طولها ٢٢٠٠ مترا، وكان به السرايات الملوكية ومبانى البحرية، وكانت إحدى السرايات المسماة بالسراية البرانية محل برج السلسلة، ولعل سبب تسميتها بذلك خروجها عن المينا.

وعلى مقتضى ما ذكره (بلين) أنه كان مسلتان عند سراية السيرابيوم، التى بنتها كليوباترا الملكة، ومحلها الآن محدّد بالمسلة القائمة، وهذه السراية كانت باقية زمن (استرابون) وكان إحدى المسلتين ـ عند دخول الفرنساوية ـ قائمة، والأخرى ملقاة على الأرض، وقيس ارتفاع القائمة من القاعدة إلى آخر الهرم الأعلى فوجد ٦٢ قدما ؛ أعنى ٢٠،٤٦ متر، وعرض ضلع القاعدة ٧ / أقدام وثلاثة أصابع، وحُسب مكعبها فوجد ٧٠ مترا مكعبا وعشرين من مائة، ووزنها ١٨٦٢٤٦ كيلو جرام و٦٣ سنتجرام، وهاتان المسلتان من آثار الفراعنة، ونقلا إلى إسكندرية زمن البطالسة، وكانا زينةً أمام السراية الملوكية فى مواجهة المعبد.

٤١

وكان بقرب السراية من جهة الشرق، ما بين برج السلسلة والمسلة، برج عظيم السعة، مستدير مركب من ثلاث طبقات، ويسمى عند الإفرنج بالبرج الرومانى، ولابد أنه البرج المعروف ببرج المسلة.

والسرايات الأخر كانت بين هذه السراية وبرج السلسلة والتياترو.

والسراية التى أقام بها قيصر حين دخوله مصر ومحاربته مع (مارك انتوان) كانت فى مقابلة جسر التيمنيوم، من جهة المدينة منحرفاً قليلاً إلى الشرق.

مطلب فى بيان محل السوق المعروف فى كتب الروم باسم النبريوم

ومن السيرابيوم إلى جسر السبع غلوات ، كانت السوق المعروفة فى كتب الروم باسم (النبريوم) وكان به معبد (نيتون) ويظهر أنه كان معداً لبيع أصناف التجارة الواردة والصادرة ، وأنه كان بالمدينة أسواق غيره ، وهذا السوق كان أشبه شيء بالبروسة الآن .

وفى خطط الفرنساوية لمصر : أن (أمزيس) أحد فراعنة مصر ، كان جعل عدة أسواق من هذا القبيل فى المدن المعتاد تجارة الأروام فيها ، وكان ذلك قبل دخول الفرس أرض مصر ، وكان يجلس فى هذه الأسواق عرفاء وقضاة لفصل القضايا ، وكان بقرب السوق المذكور ، مخازن البضاعة المعدة للبيع فى السوق المذكور ، ثم بعد ذلك الترسانة

وكان أمام جسر السبع غلوات ميدان متسع من جهة المدينة ؛ على ما ذكره (هيرينوس) .

وقال (استرابون) ، بعد أن ذكر المينا الكبيرة وما اشتملت عليه ، أن مينا (أونست) فى الجهة الثانية من جسر السبع غلوات ، وكان بها مينا حفرها الآدميون تسمى (سيبتوس) وحولها ترسانات ، وفى آخر هذه المينا فم خليج كان موصلاً إلى الملاحة ثم إلى بحيرة مريوط ، وكان خلف الخليج المذكور جزء صغير من المدينة ثم خطط لنكروبوليس (مدينة الأموات) .

ثم قال : وفيها كثير من البساتين والقبور ، ومنازل لتصبير الأموات .

والخليج الذى تكلم عليه (استرابون) أثره يوجد الآن جهة المكس ، بعيداً عن البلد بخمسة آلاف متر وخمسمائة تقريباً ، ووجد من جهته البحرية أثر أرصفة تعين المينا التى كانت فى البحيرة ، وهو الذى جعله (جليس بيك) خندقاً من الجهة الجنوبية الغربية لاستحكامات الإسكندرية .

وقال محمود بيك : إن مينا (سيبتوس) التى معناها الصندوق ، بقرب جسر السبع غلوات ، وأن مينا (أونوس) بعدها . ولكن يخالفه ما ذكره (ميسومانى) الفرنساوى فى كتابه

على مصر المؤلف سنة ١٧٣٥ ميلادية ، حيث قال : إن أول مينا تقابل القادم على مصر من الجهة البحرية هى مينا (سيبتوس) ، التى هى شرق برج العرب ، البعيدة عنه بقدر ٤ أو ٥ فراسخ ، وليست منفصلة عن مينا (أونوست) إلا بقدر ميلين أو ثلاثة ، وكان الخليج معدا للملاحة بينهما .

ولم تكن هذه المينا مستعملة إلا فى النادر ، بسبب أنها عرضة لتسلط الرياح الشمالية ، ولذا لا تدخلها المراكب إلا عند عدم إمكان الوصول إلى مينا (أونوست) ، فإن جزيرة رأس التين تحفظها من تسلط الرياح .

وعبارة (استرابون) تفيد أن الخليج يخرج من مينا (سيبتوس) ، وأن مينا (أونوست) بعد المينا الشرقية ، ومينا سيبتوس من ضمنها وهى بعدها أيضا .

وأظن أن هذه المينا ، أكانت جهة المينا التى كان يقف بها وابور المرحوم سعيد باشا عند باب العرب ، والمينا المستعملة الآن هى مينا أونوست المذكورة ، ويوجد مدخلها بين الأرض والنهاية الغربية لجزيرة رأس التين ، وهو عسر العبور لضيقه وكثرة شعوبه ، لكن متى جاوزته السفن كانت فى مينا متسعة عظيمة آمنة ، وكانت فى الزمن القديم متحدة مع المينا الشرقية ، ثم انفصلتا بجسر السبع غلوات فى زمن الروم ، فصار ما فى جهة الغرب المينا القديمة ، وما فى جهة الشرق المينا الجديدة ، وهى المستعملة الآن .

وبعد أن كانت هذه المينا مختصة بالسفن الواردة من الجهات الأوروباوية ، والمينا القديمة مختصة بسفن المسلمين ، صارت المينا القديمة مشتركة بين سفن المسلمين وغيرهم .

وجميع العمارات البحرية المختصة بعمارة المراكب ، والجمرك ، وديوان البحرية ، والحوض الذى عمل فى زمن المرحوم محمد علىّ باشا فى الجهة الشرقية البحرية منها ، وصار الشروع زمن الخديوى فى عمل مولص يمتد فى وسطها بأرصفة فيه وفى دائر المينا ، من ابتداء فم المحمودية إلى الحوض ، فقفل فمها من جهة البحر بجسر من الأحجار ، لسهولة تفريغ البضائع الواردة والصادرة ، وزيادة الأمن ، ومنع الموج وتسلط الرياح فى داخلها ، ليكون جميع السفن على غاية من الأمن .

وبهذه الوسائط مع الحوض الجديد ، الذى صنع فى زمن الخديوى ، لإصلاح المراكب عوضا عن الحوض القديم ، صارت هذه المينا من أعظم المين ، ويرى فيها كل يوم عددٌ كثير من السفن التجارية وغيرها ، الواردة من جميع الأقطار .

ولا يوجد شىء من الآثار القديمة / حول المينا بل كل ما هو هناك حادث . ٤٢

والرياح الكثيرة الهبوب فى السنة هى الرياح الشمالية البحرية ، وتيار المياه فى المينا من الغرب إلى الشرق ، وهما اللذان مع تمادى الأيام كانا سبباً فى ردم جزء عظيم بنى فوقه الناس ، ودخل ضمن أرض المدينة الجديدة ، وكان عند دخول الفرنساوية لا يوجد بها محلات لعمارة السفن ، فأحدثوا لذلك محلاتٍ وقتية فى محل الترسانة الحالية .

العمارات الملحقة بالسرايات

من ذلك مدفن البطالسة ، وقبر إسكندر ، وكانت الأروام تسمى ذلك سوما : يعنى (الجسد) وكان فى وسط المدينة ، بناءً على ما ذكره (تيتوس) .

وقد استدل محمود بيك ـ فى مباحثه ـ على أن كوم الدكة يوافق ذلك ، لأن كوم الإسكندرانيين يسمونه كوم الديماس ، ومن جملة مبانيه : السرداب والحمام ، ويظهر أن ذلك أحد السراديب التى كانوا يدفنون بها موتاهم ، ويؤيد قوله أنه عثر هناك على قبورٍ شتى فيها كثير من العظام ، وأن أصحاب المنازل المبنية هناك عثروا على كثير من ذلك .

مطلب فى تحقيق أن نبى الله دانيال لم يدفن بمدينة إسكندرية

أعتقد أهل الإسكندرية أن نبى الله ، دانيال ، دفن بالإسكندرية فى أسفل كوم الدكة ، واتخذوا قبره مزاراً . ولكن لم يقل أحد من المؤرخين ، لا من العرب ولا من غيرهم ، بأن هذا النبى دفن بها ، ومن المعلوم أنه مات فى مبدأ زمن (كيروس) قبل بناء الإسكندرية بثلاثة قرون ، وتقضى زمنه فى مدينة بابل ، ولذلك قال محمود بيك : إنه لم يدفن

بالإسكندرية ، والقبر الذى يعزى إليه يمكن أنه قبر الإسكندر ، وليس ذلك ببعيد .

وذكر (ليون) الأفريق ، وكان فى القرن الخامس عشر ، أنه رأى أهالى الإسكندرية تعظم قبر الإسكندر كتعظيمهم للنبى .

وفى سنة ١٥٤٦ ذكر (مرمول) أنه شاهده فى وسط المدينة ، قريباً من كنيسة سان مارك .

ومدفن البطالسة السابق الذكر كان ملحقا بالسراية ، وكذا المزيوم ، وهو عبارة عن محل يجتمع فيه عدة من العلماء ، وكان به دار كتب حُرِّقت عند وضع سيزار ، أو قيصر النار ، فى سفن الإسكندرانيين .

وبناءً على ما ذكره (استرابون) ، كان به محل تنزه وذلك للجلوس ، يجتمع فيه العلماء لتعاطى الطعام ، وكان لهؤلاء العلماء إيراد مشترك ، ورئيسهم فى الأصل كان من الكهنة ، وكان توليته بأمر الملك ثم صار بأمر القيصر .

وبيت قنصل بروسيا الآن بالإسكندرية ، هو محل المزيوم المذكور ، وأما السيرابيوم فمحله على التحقيق عمود السوارى ، وهو من بناء (بطليموس ستير) فى قرية رقودة ، على ما ذكره (تاسيت) ، فى محل المعبد الذى كان للمقدس (ازيس) وللمقدسة (سيرابيس) معبودة أهالى هذه القرية قديماً .

وذكر المؤرخ المذكور : أنه فى زمن بطليموس ، أول مؤسس دولة البطالسة ، حين كان مشغولا بزينة المدينة ، رأى فى نومه شابا جميل الصورة عظيم الخلقة ، فأمره بأن يرسل إلى بلاد البون من يأتى بتمثاله ، ووعده ببقاء ملكه وسعادته ، ثم بعد ذلك صعد إلى السماء فى وسط سحابٍ من نار ، فتعجب بطليموس من ذلك ، وأرسل إلى المعبرين من المصريين ، وقصَّ عليهم ما رآه ، فلم يدروا بلاد البون ، فأرسلوا أحضروا من ناحية ايلوزى (بتمونى الاثنين) وسألوه فى ذلك ، فبعد أن استفهم ممن لهم معرفة بهذه البلاد ، قال : إنه فى ضمن

الولاية مدينة تسمى (هيتوب) ، وبقربها معبد يقال له : معبد المشترى بلاتون ، فلم يلتفت بطليموس لذلك واشتغل بحظوظه ، فأتى له الشاب وضايقه وقال له : إن لم تنجز ما أمرتك به أضعتك وملكك ، فأرسل رسلاً من طرفه بهدايا إلى ملك البون ليطلب التمثال ، فحصل منه توقف ولكن بكثرة الهدايا والتهديد سلمه . فلما حضر التمثال بنى له معبد السيرابيوم

وذكر أغلب المؤرخين : أنه مصرى ، وذكر (جابيلونسكى) أنه (صنوب) بقرب منفيس اسمه (صنوبيوس) كان بقربه معبد سيرابيس ، وهو المراد فى عبارة (تاسيت) .

وكان المصريون يزعمون أن سيرابيس يشفى من الأمراض ، وكان له كتاب من القسوس ، يقيد ذلك فى دفاتر مخصوصة ، وكان لهذا المقدس معابد كثيرة بمصر أشهرها ما كان بمنفيس والإسكندرية ، وكان منها واحد بمدينة كانوب له شهرة عظيمة .

وكان بقرب السيرابيوم الملعب المعروف عند الروم بكلمة : استاد ، وكان يلعب فيه على رأس كل خمس سنين ومحله الجمناس ، على ما حققه محمود بيك ، وكان على الشارع الكبير المار فى وسط المدينة طولا ، ومن ضمنه الآن شارع باب شرق ، وعلى الشارع الكبير القاطع للمدينة عرضا وزاويته الشرقية البحرية تقاطع الشارعين . وباب شرق الآن ـ أو باب رشيد ـ يقع فى جهتها البحرية بقليل .

وكان الجمناس المذكور أو الملعب ، عبارة عن محل متسع محاط ببوائك محمولة على أعمدة فى طول استاد ، وكان بوسطه ـ على ما ذكره استرابون ـ المحكمة والبساتين .

وقد شاهد (مانى) الفرنساوى فى هذا المحل سنة ١٧٣٥ ميلادية عدة أعمدة ، بعضها قائم وبعضها ملقى على الأرض فى مسافة خمسمائة خطوة ، وجميعها على خط مستقيم تدل على أحد أضلاع الميدان ، وفى مقابلتها بعض أعمدة أخرى تؤيد ذلك ، وكان أثر بناء من الطوب فى الوسط يدل على بقايا نافورة ، فإن لم يكن ذلك / الجمناس فهو الميدان الملاصق له .

٤٣

مطلب فى الكلام على دار الكتب الصغيرة التى كانت بالإسكندرية

قد ذكر أعيان مارسلان عند التكلم على السيرابيوم ، أنه كان به دار الكتب ، لكنها غير دار الكتب الكبيرة التى كانت ملحقة بالسرايات ، ويؤيد ذلك ما ذكره (وتروف) حيث قال : إنه كان بمدينة الإسكندرية دار كتب غير الكبيرة ، ولم يكن ثم غير الموجودة فى معبد السيرابيوم ، ولبعدها عن المينا لم تصلها الحريقة ، التى احترقت فيها السراية وملحقاتها عند محاصرة الإسكندرانيين قيصر .

وقد قيل إن عدد ما كان بها من الكتب يبلغ ٣٠٠٠٠٠ مجلد ، وفى زمن كليوباترا أضيف إليها مائتا ألف مجلد ، كانت بدار كتب مدينة بيرجام ، فأخذها (أنتوان) معشوقها وأهداها إليها .

وبعد احتراق دار الكتب الكبرى ، صار لا يوجد بمدينة الإسكندرية غيرها ، وبعد أن كانت المدرسة ودار التحف من ضمن ملحقات السرايات ، ألحقا بمعبد السيرابيوم ، ومن ذلك الحين اتسعت شهرته إلى القرن الرابع من الميلاد .

ونقل (أمبير) الفرنساوى أن هذا المعبد احترق مرتين : مرة فى زمن القيصر (ماركوربل) ومرة فى زمن القيصر (كومور) .

وفى خطط الفرنساوية : أن إحراق السيرابيوم كان بأمر البطريق (بتوفيل) بعد توقف كثير من العلماء والأهالى ، ثم بنى محل السيرابيوم كنيسة سميت أركاديوم ؛ من اسم القيصر (أركاديوس) المتولى تخت القيصرية بعد القيصر (تيودوز الأكبر) وجعل فيها دار كتب ، جمع فيها ما أبقته النار ، وشيئاً كثيراً من كتب النصرانية وهى التى ينسب إحراقها إلى عمرو ابن العاص لكن لم يعلم وجه انتساب ذلك إليه ، فإن هذه الحادثة لم يتكلم عليها أحد من المؤرخين فى عصره ، من النصارى وغيرهم ، ولم يظهر ذلك إلا فى القرن الثالث عشر من الميلاد ، من كتابةٍ تنسب إلى أبى الفرج بطريق مدينة حلب ، مع أنه لم يذكرها فى تاريخه العام .

وفى النبذة السنوية لمجلس مصر اللانبستيتو . أى المجلس العلمى ، من ضمن ما قيل فى جلسة أغسطس سنة ١٨٧٤ ميلادية ، أن (بولص أوروز) من تلامذة (ماراى أجستان) (ومارى جيزوم) لم يجد شيئا من الكتبخانة حين مروره بإسكندرية سنة ٤١٤ من الميلاد ، يعنى قبل دخول سيدنا عمرو بلاد مصر بمائة وثلاثين سنة ، فالظاهر أن القول بأن إحراق كتبخانة إسكندرية كان بأمر سيدنا عمر ، محض افتراء اختلقته قسوس النصارى ، فإنه قد حصل إحراقها مراراً قبل دخول الإسلام ، والكتب القديمة الموروثة عن الأعصر الخالية ، قد محتها أيدى النصارى .

مطلب فى الكلام على الجامع المعروف بجامع الألف عمود

ويقال له الجامع الأخضر ، وجامع السبعين ، كان الداخل من باب المدينة الغربى يشاهد الجامع المذكور عن يمينه ، وكان موجوداً بتمامه زمن دخول الفرنساوية ، وكان يتعجب من كثرة أعمدته ونظامه ، وكان شكله مربعا .

وإنما يسمى بجامع الألف عمود وجامع السبعين لأن الاثنين والسبعين حبراً الذين ترجموا التوراة من العبرية إلى الرومية ، فى زمن بطليموس فليدانوس ، كانوا مقيمين به مدة الترجمة .

ولكن يظهر مما ذكره بعضهم : أن الترجمة كانت فى جزيرة رأس التين بإسكندرية ، وظن بعضهم أنه من المبانى القديمة ، وأنه كان قبل أن تجعله المسلمون جامعاً ، كنيسة من كنائس إسكندرية فى زمن قياصرة القسطنطينية ، باسم الشهيد سان مارك ، وكان بطريق إسكندرية يقيم بها . وقبل ذلك ، فى زمن قياصرة روما ، كان محكمة أو ديواناً .

مطلب فى الكلام على وصف مدينة إسكندرية بعد فتح المسلمين لها وما فعلوه بها

لما فتح الله على المسلمين مدينة إسكندرية سنة ٦٤٠ من الميلاد ، أبقوا أسوارها على ما كانت عليه فى زمن الرومانيين ، وعمروا ما تهدم منها بالمحاصرة التى أقامت أربعة عشر شهرا ، واستشهد فيها من العرب ما يقرب من ٢٣٠٠٠ نفس .

لكن بسبب تركهم المدينة وإقامتهم بمدينة الفسطاط ، نقص أهل مدينة إسكندرية مع مرور الزمن .

وفى القرن التاسع من الميلاد ، أعنى بعد فتح مصر بقرنين ، أيام خلافة المتوكل وهو العاشر من بنى العباس ، والثانى والثلاثون من الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هدم أحمد بن طولون الأسوار القديمة وبنى غيرها ، فما كان جهة الغرب بقى على ما كان عليه مع بعض تغيير ، وأما ما كان من الجهة الشرقية والجهة القبلية فقد دخل كثير الخراب هاتين الجهتين . وذكر بعضهم أن ابن طولون إنما عمر الأسوار القديمة فقط .

ثم فى سنة ١٢١٢ اعترى المدينة والأسوار تخربٌ فاحش ، فبنى أحد من تولى على تخت الديار المصرية ، بعد صلاح الدين ، أسواراً أخر وهى التى بقيت إلى دخول الفرنساوية ، فعلى ذلك يكون قد بقيت أسوار مدينة الروم قريبا من ٦٠٠ سنة بعد الفتح ، وجميع المؤن التى بُنى بها سور ابن طولون أخذت من الأطلال والأسوار القديمة ، وكذلك جميع العمارات التى حدثت بعده فى أزمان السلاطين من المماليك ، إلى دخول السلطان سليم ، كلها كذلك من المبانى القديمة .

وبهذا الانتقال ، كانت مساحة المدينة فى زمن ابن طولون أقل من نصف مساحتها فى زمن الرومانيين ، وبقيت على ما وضعها عليه ابن طولون إلى زمن دخول الفرنساوية ، لكنها على حسب / الأزمان والأحوال كانت أخذت فى التخرب .

وفى سنة ١٧١٨ ميلادية ، بناءً على ما ذكره (مابى) ـ قنصل فرنسا فى ذاك الوقت ـ فى وصف إسكندرية ، أن التخرب كان قد اعتراها وغيَّر معالمها ، حتى صار لا يوجد فى مدينة العرب أكثر من مائة بيت ، وتحول غالب الناس إلى ساحل المينا ، وبنوا منازلهم فوق الأرض ، التى حدثت من إنحسار البحر ، فى محل السبع غلوات ، وهُجرت مدينة العرب بالكلية ، فكانت خراباً بلقعا لا يأوى إليها إلا أشقياء الناس ، وتلك البلد التى حدثت بنيت بأنقاض مدينة الأروام .

وعلى هذا ، كان الخراب ممتداً من مكان مدينة كانوب إلى باب العرب على ساحل البحر ، ومن جهة الأرض إلى ساحل البحيرة وخليج إسكندرية ، وكان لا يزيد عدد أهل البلد الجديد عن أربعة آلاف نفس بمن وفد إليهم من سائر الولايات .

مطلب فى بيان مساحة مدينة إسكندرية فى أيام الفرنساوية

يظهر من رسم الفرنساوية لهذه المدينة ، أن محيط أسوار مدينة العرب أربعة آلاف وثلثمائة تواز ، أعنى قريباً من فرسخين ، وكان فى زمن الأروام ١٣٤٠ توازاً ، وكان يمكن مقارنتها بمدينة القاهرة لمعرفة عدد السكان ؛ لأن عوائد السكن واحدة فى المدتين ، فنقول : إنه قيس مساحة إسكندرية فوجدت ٨٠٠٠٠٠ تواز مربع ، وهو أقل من نصف المساحة القديمة ، وكان محيط القاهرة عند دخول الفرنساوية ٢٤٠٠ ألف متراً و١٢٠٠ تواز ، ومساحتها ٢٠٨٨٥٤٠ توازاً مربعاً ، وأهلها ٢٥٠٠٠٠ نفس .

فبناءً على ذلك ، يكون أهل إسكندرية فى زمن ابن طولون قريباً من ٨٠٠٠٠ نفس ، أعنى أنه حصل ـ فى ظرف مائتى سنة ـ نقص سبعة أثمان أهلها ، مع ضياع شهرتها القديمة . ومع ذلك فكانت من المدن الكبيرة ، ولم تتحول عنها التجارة حتى يزول كل سعدها .

ويستفاد مما ذكره أبوالفداء ، أن كثيراً من حارات البلد ـ لغاية القرن الثالث عشر من الميلاد ـ كان باقياً على وضعه القديم ، وكذلك المنار ومبانيها العظيمة .

ونقل عن السلف من المؤرخين : أن أسوار المدينة ـ فى غير جهة البحر ـ كانت عبارة عن حائطين أو ثلاثة بينهما أبراج يبلغ عددها ـ على ما قيل ـ مائة ، بعضها من طبقتين ، وبعضها من ثلاث طبقات ، وكانت تبرز عن سمت الأسوار داخلاً وخارجاً ، لأجل كشفها بالمحافظين ، وكان بعض الأبراج المذكورة فى غاية من العظم والمتانة ، حتى كان يُرى ـ على حدته ـ كقلعة حصينة .

ولولا التراخى والإهمال ، وعدم النظر فى الأحوال ، ومعرفة (مابى) ؛ لكان فى الإمكان صد الفرنساوية ، ومنعهم عن الدخول إلى أن تستعد الحكومة وترسل لهم من يطردهم ، لكن يظهر أنه فى تلك الأوقات كانت أهمية إسكندرية منحصرة فى إيراد الجمرك لا غير ، ولذا لم يجد جيش الفرنساوية من يصده ويردعه ، وأخذت المدينة بقليل من العساكر بدون مكافحة ولا حرب ولا إطلاق مدفع .

ولما دخل الفرنساوية ، كان داخل المدينة أشبه شىء بمبانى الأرياف ، وكانت حاراتها ضيقة غير مستقيمة ، والمنازل متلاصقة قليلة الإرتفاع ، وأكثرها أرضى ، وكان لا يوجد بها غير جامعين للمسلمين وديرين للنصارى ، وكان ما حول البلد جميعه خراباً ، وكان إذا وجّه الإنسان وجهه إلى أى جهة ، يجد بعض قطع الأعمدة والصخور ملقاة على وجه الأرض أو مدفونة بها ، وكان يوجد فى وسط ذلك كثير من كوش الجير ، تدل على أن الأهالى كانت تحرق ما بقى من المنازل القديمة ، وكانت الأرض تحفر لإخراجها منها ، وترتب على ذلك وجود حفر كثيرة فى أرض المدينة ، فكم هلك من آثار المدينة العتيقة بهذه الأسباب .

مطلب فى بيان عدد أبواب إسكندرية التى كانت بسورها القديم

والأبواب التى كانت فى السور خمسة :

الأول : باب غرب ، ومنه كان الوصول بين القبارى والمدينة .

والثانى : باب القرافة ، فى مقابلة جسر السبع غلوات .

والثالث : باب الميدان ، وكان على المينا الكبرى محل باب القمر فى القديم .

والرابع : باب العمود أو باب سدرة ، وهو باب الشمس فى القديم .

والخامس : باب رشيد ، الذى يعرف الآن بباب شرق .

وجميع هذه الأبواب كانت مبنية من أحجارٍ وعمد قديمة ، وكان فى أعتابها أعمدة كاملة ، فكان فى عتبة كل باب عمود وفى أعلاه عمود يمتد بعرض العتبة .

مطلب فى الكلام على ضواحى مدينة إسكندرية

نيكروبوليس : يعنى مدينة الأموات ، وكانت خلف السور من الجهة الجنوبية الغربية ، ومحلها الآن القبارى مع المكس . وكلمة قبارى تحقق ذلك ؛ لأن معناها الدفن ، وكانت حدودها من الشمال الغربى الخليج الموصل بين المينا وبحيرة مريوط . وكان بين محل الدفن وسور المدينة بساتين ومنازل تنتهى إلى خليج يوصل ماء النيل إلى المينا ـ بناء على ما ذكره استرابون ـ .
ومحل إتصال هذا الخليج بالبحر يعرف بباب البحر ، وبعده باب العرب ؛ وسمى بهذا الاسم لدخول المسلمين منه وقت فتح إسكندرية .

وبإضافة طول الأرض المشغولة بالمقابر إلى طول المدينة ، يحصل ١٠٠٠٠ متر ، وهو الطول الكلى ، وبإضافة هذا الطول إلى نفسه ، وإضافة ضعف العرض إليه ـ وهو ١٥٠٠ متر ـ يتحصل على محيط المدينة القديمة وهو ١٢٣٠٠٠ متر تقريباً ، وهو موافق لما ذكره (بلين) من أنه ١٥ ميلاً رومانياً .

٤٥ ولم يكن هذا المحل خاصاً بالقبور ، بل كان به أيضاً منازل / القسوس المعدة لدفن الأموات ، وبسبب كونها تشرف من جهة على البحر ومن جهة على البحيرة ، بنى بها كثيرٌ من الأهالى منازل وبساتين ، وكان هذا المحل ـ كغيره ـ مملوّاً بالناس ، وفيه محلات للبيع والشراء ، وكان يُعمل به كثير من الموالد يجتمع فيها كثير من الناس .

وبعد الخليج ـ بقدر ٦٢٠٠ متر ـ يوجد العجمى ، وكان محله الرأس المعروف عند الأقدمين (شيروزنوس) وبينه وبين النهاية القبلية الغربية من جزيرة رأس التين ، كانت جميع الصخور الموجودة فى فم المينا ، ومنها كانت الثلاثة الأفواه المُعَدَّة للدخول فيها . والبعد بين هذا الرأس وبين سور المدينة ٧٠ أستادة ، على ما ذكره (إسترابون) ، وذلك بالمتر ١١٥٠٠ .

وفى الجهة الشرقية البحرية من المدينة ، على بعد ٣٠ أستادة ، كانت (نيكوبوليس مدينة صغيرة . وكانت الواقعة التى بين (قيصر وأنتوان) هنالك ، وكان بها سرايات الأمراء ، ومنازل الأعيان ، والبساتين النضرة الفاخرة .

ومعنى كلمة نيكوبوليس : مدينة النصر ، واستكشف بها فى هذه الأزمان معبد قريب من المحل المعروف عند الأهالى : بقصر قيصر ، والغالب أنه من ضمن النيكوبوليس ، وكان بعد هذه الناحية ناحية أخرى تسمى (بوكليس) ، وكانت منازلها منها ما هو على البحر ، ومنها ما هو على الخليج الحلو ، وكانت محل تنزه وتفسح ، وكان الخليج المذكور على يمين الخارج من باب كانوب ، بناء على قول استرابون ، وبساحل البحيرة الخليج الموصل إلى ناحية (شيديا) ، وكانت على خليج إسكندرية المتصل بالنهر الأكبر وقبل أن يصل إلى مدينة كانوب يصل إلى ناحية بيلوزه ، وهو محل قريب من إسكندرية ومن نيكوبوليس على شاطىء الخليج ، وكان بها أيضاً بساتين وحدائق ومحلات للنزهة ، يذهب إليها أهل اللهو والفجور من رجال ونساء ، ومحلها الآن على ـ ما حققه محمود بيك ـ جنينة بستزيه ، والخضرة ، وكان به كثير من الدكاكين والمضايف ، وكان يوجد فيه دائماً خلق كثيرون من أهالى إسكندرية بالليل والنهار ، وكان فيه عدة أسواق وموالد سنوية يهرع إليها خلق كثيرون من جميع الجهات .

فلو أضفنا ضواحى إسكندرية إليها لوجدنا مساحة ذلك تبلغ ٢٥ كيلو متراً مربعاً ، وهو ربع مساحة مدينة باريز الآن .

مطلب فى بيان عدد أهالى إسكندرية

لو فُرض أن الأهالى كانت موزعة على أرض إسكندرية ، كما هى موزعة فى أرض باريس ، لوجدنا أن عدة الأهالى تنقص عن ٤٠٠٥٠٠ نفس ، وهذا يحقق ما ذكره (ديودور) وغيره من أن أهلها فى زمن أغسطس كانوا ٣٠٠٠٠٠ من الأحرار ، فبإضافة الأرقاء إليهم يكون ٥٠٠٠٠٠ ، إن لم يكن أكثر من ذلك .

والآن ـ أعنى سنة ١٨٧٢ ميلادية ـ بإضافة أهالى القبارى والمكس والمحمودية إليهم يبلغ عددهم ٢٠٠٥٠ ، وفى وقت جلوس العزيز محمد على باشا ، كان عدد الأهالى من سبعمائة ألف نفس إلى ثمانمائة ألف نفس ، وعند إنتقاله إلى رحمة الله بلغ ذلك ١٠٠٠٠٠ نفس .

مطلب فى الكلام على وصف مدينة إسكندرية

خليج إسكندرية

هذا الخليج كان محاذياً لسور المدينة القبلى ، على بعد ٣٠٠ متر منه ، وفمه الآن بحرى شرقى فم المحمودية بقدر ألف متر ، وكان من داخل المدينة معقوداً غير مكشوف .

وترعة المحمودية التى حفرها العزيز محمد على باشا سنة ١٨٢٠ ميلادية كلها محل الخليج ما عدا الفم فإنه فى المينا هو وبعض تعديلات جليلة ، وكان على الخيج القديم ثلاث قناطر ، بين الخضرة والبلد ، وعند حفر المحمودية تهدمت . وكانت القناطر المذكورة على أبعاد متساوية :

الأولى : من جهة البلد فى مواجهة الشارع الموصل لجسر السبع غلوات .

والثانية : فى مقابلة الشارع الموصل لرأس السلسلة .

والثالثة : قبل ناحية بلوزه على بعد ١٤ أستادة ، ولابد أنه كان فى مقابلتها شارع كبير يوصل إلى الميدان الكبير الذى كان خارج البلد فى الجهة الشرقية البحرية ، وهو الذى كانت الخلق تجتمع فيه للتفرج على الملاعب المعتادة فى كل خمس سنين ، بناء على قول مؤرخى الروم ، أو فى كل سنة بناء على أقوال مؤرخى العرب ، وهذا الشارع كان يوصل إلى المعبد الذى على البحر ومدينة النصر .

ووجود تلك القناطر وسعة المدينة وكثرة أهلها ، يدل على أنه كان فى دائر محيط البحيرة ، وبينها وبين الخليج أراض وبساتين كثيرة للنزهة فى جميع أوقات السنة .

والمسافر من إسكندرية فى خليج شيديا ، بعد أن يجاوز ايلزى بثلاثة آلاف وخمسمائة متر ، يرى عن شماله فم ترعة كانت تخرج من خليج شيديا ، محاذياً لكثبان الرمل التى بنيت عليها نيكوبوليس ، ثم بعد ذلك تنتهى عند مدينة قانوب .

وكانت قرية شيديا على بعد أربعة وعشرين فرسخاً من إسكندرية ، بناء على ما ذكره (استرابون) وغيره ، وكانت كثيرة العمران تقرب من أن تعدّ من المدن لكثرة أهلها ، وكانت مركزاً لأخذ الجمرك من المراكب الحادرة والمقلعة ، ولذا قال (استرابون) إنه كان هناك قنطرة من المراكب على النهر واسم القرية مستعار من اسم القنطرة .

ويظهر من قول (استرابون) هذا أن شيديا كانت على فرع قانوب ، وعلى بعد ١٦٠ أستادة من إسكندرية ، لأن الشى [1] عبارة عن ٤٠ أستادة على قول المؤلف المذكور .

٤٦ وقد قاس محمود بيك البعد من القرية المعروفة بالنشوة الجديدة ، إلى إسكندرية / فظهر له أن هذه القرية يوافق محلها محل قرية شيديا ، وأن بينها وبين إسكندرية ٢٧ كيلو متراً ، فعلى ذلك تكون التلول الممتدة بقرب القرية فى طول ١٨٠٠ وعرض ٥٠٠ متر ، وقرية نشوة التى فى وسطها هى آثار هذه المدينة ، وأن فرع النهر كان فى أسفل هذه التلول جهة الجنوب ، ممتد إلى قريب من ٢٠٠٠ متر ، يعنى قريباً من الكيريون وأن خليج الإنكاوية فى محله .

ويحقق ذلك ما نقله (استرابون) عن (بركوب) من أن النيل كان يأتى إلى ناحية (كيرو) ، وهى قريب من ناحية شيديا على بعد ٢٠ ميلاً من إسكندرية ، وكان يخرج من هذا الموضع خليج إسكندرية ، والنيل ينعطف إلى الشمال ويفارق أرض الإسكندرانيين ، ويكون المحل المسمى (كيرو) ، فى العبارة السابقة ، هو الكاريون لأن البعد من هذا المحل إلى إسكندرية على الخرطة بإتباع إعوجاج الخليج قريب من ٢٩ كيلو ونصفا ، وهو قريب من العشرين ميلاً ، التى عينها (بركوب) .

(١) هكذا فى الأصل ، وفى ص ١٤٨ من رسالة محمود الفلكى عن الاسكندرية القديمة (الشوين Schoene) .

فعلى ذلك يظهر من هذه العبارة ، ومما ذكره (استرابون) ، صحة كون شيديا على النيل ، وأن محلها النشوة الجديدة ، وأن ترعة الإتكاوية الآن بعض الفرع المذكور ، وأن مبدأ خليج إسكندرية كان بين هاتين .

وذكر المقريزى أنه فى سنة ٧١٠ من الهجرة فى زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، اشتغل ٤٠٠٠٠ من الناس فى تطهير خليج إسكندرية ، وبعد تطهيره قيس فوجد ثمانية آلاف قصبة حاكمية ، من ابتداء فم النيل إلى مشتيار[1] ، ومن مشتيار إلى إسكندرية كذلك ، وكانت فى القديم قرية مشتيار مبدأ خروج الخليج من النيل .

وحيث أن القصبة الحاكمية ٣,٨٥ ، فالثمانية آلاف قصبة بها هى البعد ما بين إسكندرية والمنشية تقريباً ، فتكون هذه القرية فى محل شيديا ، التى فى عبارات استرابون ، وشيتار ، التى فى عبارة المقريزى ، وتكون نقطها من نقط فرع كانوب ونقطة الكاريون ثانية ، ونقطة كانوب ثالثة .

وقد اختلف المؤرخون فى موضعها ، ولكن حقق محمود بيك رسالته ، أنه يقع فى منتصف جسر أبو قير على بعد ٦ كيلو مترات من رأس أبو قير ، وبقدرها من الكوم الأحمر الذى على الساحل ، وعلى بعد ٢كيلومتر غربى فم بحيرة أتكو المسمى بفم المعدية . فبناء على ذلك يظهر أن البحر زحف على أرض المدينة ، وأن جميع محلها الآن أو أكثره مغطى بالمياه المالحة .

وفم فرع قانوب ، بناء على أقوال المؤرخين وقول الفاضل المذكور ، كان فى أسفل الكوم الأحمر على بعد ٢كيلومتر من فم المعدية ، وفى هذا الموضع أعنى محل الكوم الأحمر ، كان معبد هيركول ، وكان بينه وبين جزيرة فاروس ، بناء على قول (استرابون) ، ١٥٠ أستادة وهو بالمتر ٢٥ كيلو متراً .

---

(١) هكذا فى الأصل ، وفى ص ٣٠١ من خطط المقريزى طبعة لبنان (شنبار).

وذكر المؤرخون أن هذا المعبد كان فى غاية الإحترام ، حتى كان من يدخله من الأرفاء لا يؤخذ منه ولا يتعرض له ، وبسبب هذه المزية كثرت عنده المساكن حتى صار حوله كمدينة أو قرية كبيرة .

ومن إبتداء الفم إلى قرية شيديا كثبان كثيرة على أبعاد مختلفة ، وبجميعها آثار قديمة تدل على أنه كان عليها بلاد كثيرة عامرة بالخلق ، ومن هذه الكثبان كوم الذهب . وهو على الشاطىء الأيسر من النهر على بعد ٤٠٠٠ متر من الفم فى الجنوب . وبعده كيمان مازين ؛ وهى كيمان متصلة ببعضها فى طول ١٥٠٠ متر ، وهى أيضاً على الشاطىء المذكور على بعد ٨٠٠٠ متر من الفم . وتل الكناس على بعد ١٥ كيلومتراً من الفم و٣٠ من دمنهور ، ولا مانع من أنه محل مدينة انتيل المذكورة فى مؤلفات (هيردوت) وكانت من المدن العظيمة .

مديرية مريوط

هذه المديرية منفصلة عن مديرية البحيرة ببحيرة مريوط التى فى جهتها الشرقية ، ممتدة إلى الشمال والشمال الغربى إلى حد البحر المالح ، وفى الجنوب والجنوب الغربى إلى وادى النطرون ، وبحر بلا ما بعد أبى قير بقدر ٥ ميريامترات ، وكان ماء النيل فى الأزمان القديمة يروى أغلب جهاتها ، وكان بها كثير من المدن والضياع ، وكانت كثيرة الأهالى وبها كثير من أنواع المحصولات ، وكانت مشهورة بجودة النبيذ وكروم العنب ، وكانت ترسل فى كل سنة من نبيذها مقداراً عظيماً إلى مدينة روما وغيرها من المدن ، ويؤيد ذلك ما ورد عن السلف فى مؤلفاتهم .

ولنذكر هنا ملخص ما حققه محمود بيك فى رسالته ، من غير أن ندخل فى تفاصيل

ما ذكره فنقول : قد قسم العالم المذكور أرض هذه المديرية إلى ٤ مناطق[١] مختلفة فى الإرتفاع ، وجميعها محاذ لساحل البحر .

الأولى : وهى ساحل البحر عرضها ٤ كيلو مترات بقرب الشيخ العجمى ، وواحد ونصف فقط بقرب أبى صير ، وفوق هذه المنطقة مدينة إسكندرية وأبوقير ، وهى كثيرة الخصوبة تنبت كثيراً من الخضراوات والبطيخ والتمر ، ويوجد بها إلى الآن كثير من الآثار القديمة التى تدل على أنها كانت معمورة بكثير من القرى والضياع ، وكان بها كثير من المبانى الشهيرة ، وبقيت كذلك أزماناً مديدة .

والمنطقة الثانية : هى المسماة بذراع البحر ، وهى ما استمر من وادى البحيرة نحو أبى صير وبعده . ومبدؤها فى مواجهة المكس وفيما بين السواحل والجبل الذى فوقه / الشيخ المعروف بالشيخ على مرغب . وعرضها قريب من ٤ كيلومترات فى طول ٢٠ كيلو متراً ، ونصفها الأسفل مغمور بماء البحيرة ، فهو فيها الآن كما كان فى الأزمان السابقة ، والنصف الثانى يشاهد فيه كثير من الجزائر فى أرض مستملحة ، وكان بجميع هذه الجزائر قرى مسكونة فى الأزمان المختلفة ، متصلة بخراب كثير يمتد إلى الشيخ أبى الخير الكائن على بعد ٣٠ كيلومتراً من عمود السوارى فى الجهة الجنوبية الغربية . وعلى بعد ١٩ كيلومتراً من العجمى ، ويقرب أبى الخير يضيق الوادى حتى يكون عرضه كيلومتراً بين الشيخ المذكور وخراب مدينة مريا أو ماريوط ، وفى الجنوب الغربى من هذا الشيخ يتسع الوادى ويكون عرضه كيلو مترين ونصفا فى طول ١٣ كيلومتراً تقريباً من أبى صير ، ومن بعده إلى ٤ كيلومترات تقريباً .

٤٧

وجميع أرض هذه المنطقة مستملحة لكنها جامدة منحطة عن إستواء ماء البحر ، من إبتداء أبى صير إلى ما بعد البحيرة وفيها كثير من الآثار التى منها خراب متسع فى الشمال الشرق من أبى صير يمتد فى طول ٩ كيلو مترات ، والخراب الذى فى قرب أبى صير وبرج العرب هو

(١) فى الأصل ٥ وما اثبتناه هو الصواب بناء على ما ذكره محمود الفلكى فى رسالته ص ١٧٤ ، وما ذكره صاحب الخطط فى تقسيمه لمديرية مريوط .

خراب مدينة طابوزريس ، ومن هذا الموضع على بعد بعض ميريامتر فى الجنوب الغربى فى مواجهة منفذ بحر بلاما ، وعلى بعد ١٠٠ كيلو متر من مدينة إسكندرية . وفى هذه المنطقة أرض تعرف بالبردان ، وهى عبارة عن حوض تجتمع فيه مياه الأمطار الساقطة فى الأراضى المجاورة ، وفى جميع أوقات السنة على بعد قليل من سطح الأرض ينبع منه الماء ، ويكفى أن يحفر فى الصيف نصف متر فقط .

والمنطقة الثالثة : هى الجبل الذى فى نهايته البحرية الشرقية الشيخ على مرغب ، ويدخل فى البحيرة على هيئة لسانه ، وتنحصر هذه المنطقة بين هذا الجبل والمنطقة الأولى ، وعرض المنطقة الثالثة ٧ كيلو مترات وطولها نحو ١٠٠ كيلو متر ، وأرضها غير مستوية لكنها خصبة ، وإنحدارها من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرق ، وهى الأرض الأصلية للمديرية ، والغيطان الموجودة بها الآن تعرف بالكروم ، وكان بها بلاد كثيرة ، وقد عدّ منها محمود بيك ٤٠ قرية ، يشاهد فيها إلى الآن آثار معامل النبيذ وكثير من السواقى والمعاصر . وجميع ذلك يدل على أن هذه المنطقة كانت حسنة كثيرة العمار .

وبين الشيخ على مرغب وأبى صير فى طول قريب من ٣٧ كيلو متراً تشاهد آثار خمس مدن ، من ضمنها خراب مدينة ماريوط ومدينة طابوزريس ، وتسمى العرب الأولى من هاتين بالمدينة ، ومحلها فى الشمال الشرق من الجبل على بعد كيلو متر غربى الشيخ على مرغب ، وطول خرابها قريب من ١٠٠ متر وعرضه قريب من ٤٠٠ متر على سفح الجبل ، والمدينة الثانية ، قريبة من قصر المرحوم سعيد باشا ، وطول خرابها قريب من ٦٠٠ متر وعرضه ٥٠٠ متر ، وبينها وبين عمود السوارى ٢٠٠٠٠ متر ، ومنها إلى العجمى ١٣٦٠٠ متر ، ومن المدينة إليها ٨٨٠٠ متر ، وفى وسط هذا الخراب كثير من الآبار والصهاريج ومعامل النبيذ .

ويرى فى الشمال الغربى على بعد ٢ كيلو متر خراب تسميه العربان : القصر ، وفيه آثار كثيرة من معامل النبيذ . ويوجد قريباً من هذا المحل وادٍ متسع يقرب طوله من ٣ كيلو مترات ، وعرضه ٢ ، ومساحته تقرب من ١٥٠٠ فدان مصرى ، تسميه العربان بالغيط ، وأطلقت

عليها العساكر فى زمن المرحوم سعيد باشا برنجى مريوط ، واستكشف فيها زيادة عن ١٠٠ ساقية من مبانى الرومانيين والعرب ، وجميعها فى غاية من المتانة ، وبعضها عبارة عن ثمانية آبار تحيط بالبئر الأصلى متصلة به بمجار تحت الأرض .

والخراب المعروف بالقرية ، بينه وبين الخراب الثانى ٤ كيلومترات ، ومنه إلى العجمى ١٥ كيلومتراً ، وإلى الشيخ على مرغب ١٣كيلومتراً ، وطوله مثل عرضه ، وقدر الواحد ٥٠٠متر ، ومساحته تقرب من ٧٥ فداناً ، وفيه آثار معامل النبيذ ومعاصر الزيت ، وتقرب مساحة أرض القرية من ٢٥٠٠ فدان ، وقد وجد بها ما يزيد عن ١٠٠ ساقية أيام المرحوم سعيد باشا ، وأطلقت عليها العسكر فى وقته اسم (ايكنجى مريوط) وأرضها منقسمة إلى الآن إلى عدة كروم ، يعرف بعضها بأسماء مخصوصة ، وذلك يدل على أن هذه الأرض كانت كثيرة الكروم .

ثم يوجد خراب آخر يعرف بالسر وهو على ساحل البحيرة على بعد ١٠٠٠ متر تقريباً ، وبينه وبين الخراب السابق ٢٨٠٠ متر فى جهة الغرب ، وعلى بعد ٨كيلومترات من شرق مدينة مريوط ، ويطلق على أغلب كرومه : كروم السر .

ويوجد غير ما ذكر خراب بينه وبين أبو صير قريب من ٧ كيلومترات ، ومنه إلى مدينة مريوط ١٣ كيلومتراً . ومن ضمن هذه المنطقة أيضاً مدينة قوموتيس القديمة .

والمنطقة الرابعة : تشتمل على جميع الأراضى الواقعة بين المنطقة الثالثة وصحارى ليبيا ، وتمتد إلى فم وادى النطرون وبحر بلاما ، وفيها كثير من آثار القرى والبلاد ، وتعرف أرضها أيضاً بالكروم .

فمن جميع ذلك يعلم ماكانت عليه هذه المديرية فى الأيام السالفة من كثرة العمرات ، وكانت فى / القرون الأولى من النصرانية وزمن قياصرة القسطنطينية ، بناء على ما ذكره (جراثيان لوبير) ، مسكونة بالنصارى الفارّين من الفتن والمنازعات المذهبية ، وبنى بها كثير من الديور ، وورد إليها كثير من الخلق حتى أن القيصر (ولانس) أمر حاكم إسكندرية فى

٤٨

القرن الرابع من الميلاد بأن يجمع كل من كان يصلح للعسكرية من هذه المديرية ومن صحارى الوجه القبلى ، فجمع من مديرية مريوط ومن خط وادى النطرون ، الملاصق له فى جهة الجنوب ، خمسة آلاف ، وأرسلهم إلى القسطنطينية فأدخلهم العسكرية .

مدينة مريوط

هذه المدينة كانت من المدن القديمة ، ذكرها (هيردوت) وغيره ، وذكرها مؤلفو العرب . وهى بقرب إسكندرية وموضعها الآن فى مقابلة الشيخ أبى الخير ، وسعة أرضها ١٥٠٠ متر طولاً و ٨٠٠ متر عرضاً .

ومن أمعن النظر فى خرابها وما به من آثار المبانى العظيمة ، عرف أنها كانت من المدن الكبيرة من ضمنها آثار أرضة ومولص ، وهذا يدل على أنها كانت تمتد إلى البحيرة ، وأنها كانت من مراكز التجارة المشهورة .

وكانت فى جميع التقلبات الزمانية عرضة لحوادث شتى أعقبت خرابها وخراب ما حولها من البلاد ، ويعلم من موقعها الجغرافى أنها من أهم النقط العسكرية ، وأن أهميتها بالنسبة لديار مصرفى الأزمان القديمة ، كانت كأهمية مدينة الطينة أو الفرما بالنسبة لبلاد الشام ، وقد مر بها عمرو بن العاص عند توجهه إلى فتح إسكندرية ، ومر بها قبله قيصر الروم فى محاربته لمتريدات ، وكانت فى هذه الأزمان الأخيرة طريق جيش الفرنساوية مع بونابارته بعد أخذه إسكندرية . وكانت فى الأزمان السابقة حصينة ويرى إلى الآن بعض آثار أسوارها .

ونقل المقريزى عن الذين ينظرون فى الأهوية والبلدان ، وترتيب الأقاليم والأمصار ، أنه لم تطل أعمار الناس فى بلد من بلدان كورة إسكندرية كطول أعمار أهل مريوط .

طابوزيريس

كانت هذه المدينة قريباً من برج العرب فى الجنوب الشرق منه ، وتسمى بين الناس

أبو صير ، وبينها وبين مدينة الأموات ٢٥ ميلاً رومانياً ، أعنى ٢١ كيلومتراً وذكر بعضهم أن هذه المدينة كانت مشهورة بالأقمشة النفيسة .

مدينة فوموتنيس

هذه المدينة توجد آثارها فى الجنوب الغربى من أبى صير على بعد ١٦ كيلومتراً ، وبينها وبين آثار مدينة مريوط ٣٠ كيلومتراً ومنها إلى الخراب الموجود بقرب قصر المرحوم سعيد باشا ٤٣ كيلومتراً ، وتسمى الناس موضع هذه المدينة الآن (بومنه) ، ويرى فيها إلى الآن عدد وافر من السواقى والصهاريج المبنية بالحجر ، وعقود كثيرة فى آثار بيوتها تدل على أن أكثر بيوتها كانت معقودة .

بحيرة مريوط

يستفاد مما ذكره (مانى) فى كتابة على مصر : أن هذه البحيرة حفرت فى زمن الفراعنة ، وكان ماء النيل يصل إليها من الجهات القبلية والبحرية فتسير فيها السفن بأنواع البضائع والتجارة ، وتمر بإسكندرية والبلاد والمدن التى على ساحلها ، كان يخرج منها عدّة فروع : منها ما هو للرى ، ومنها ما هو للرى والملاحة ، وكان كثير من الخلجان مقبوّاً فى داخل المدن ولإمتلاء الصهاريج .

ومكان هذه البحيرة بقرب مينا إسكندرية كمينا بلتة ، تتردد المراكب الصغيرة إليها وإلى مينا سيبوتوس .

والخليج الذى تقدم ذكره ، لابد أنه الخليج الذى كان قديماً يوصل لها الماء ، المسمى فى المقريزى بخليج الحافر ، وهو المنهى .

ولم تختلف سعة البحيرة ــ الآن ــ عما كانت عليه فى الأزمان العتيقة ، إلا أن السفن لا تجرى كما كانت قديماً ، وقد تجف فى بعض السنين ، كما وقع ذلك سنة ١٨٠١ ميلادية ، فإنها جفت بالكلية ثم امتلأت بالمياه المالحة الواردة إليها من قطع أبوقير بالإنكليز وسببه :

مطلب دخول الفرنساويين أرض مصر

أنه لما دخل الفرنساويون أرض مصر ، حاصرهم الإنكليز ، وكانت مراكبهم تتردد فى سواحل البحر ، فحصل بين الإنكليز ومحافظى إسكندرية فى بعض الواقعات واقعة انتصر فيها الإنكليز ، وانهزم الفرنساوية ودخلوا المدينة ، فعمدوا إلى جسر بحيرة المعدية وقطعوه ، لأجل قطع الزخرة والذخيرة والإمداد التى ترد إليهم من مدينة القاهرة ، فملأ المالح جميع بحيرة مريوط ، ودخلها مراكب الإنكليز ، وساروا بها إلى جهات كثيرة ، وانقطع الاتصال بين خارج المديرية وداخلها .

ولما ارتحل جيش الفرنساوية بعد المصالحة التى صارت مع الدولة العلية ، سد الترك القطع ، فجفت البحيرة قليلاً ، وقطعه الإنكليز ثانياً بعد وقعة رشيد التى حصلت سنة ١٨٠٧ من الميلاد ، فإنهم لما حبسوا أنفسهم داخل المدينة ، أدخلوا ماء البحر فى البحيرة فامتلأت بالماء ، وبقيت كذلك إلى خروجهم ، وسُد القطع المذكور ، وبقى على ذلك إلى الآن ، وفى كل سنة تصرف الحكومة عليه مبلغاً جسيماً .

مطلب واقعة رشيد

وملخص واقعة رشيد المذكورة هو أنه بعد خروج الفرنساوية ، كانت الفتن كثيرة وكان ثورانها من الإنكليز ؛ لأنهم كانوا يرغبون فى رجوع مصر إلى حكم المماليك ، بسبب ما كان حاصلاً بينهم من الإتفاق ، وإلى ذلك الوقت كان العزيز آخذاً بزمام الأحكام بمقتضى الفرمان العالى .

٤٩

وفى سنة ١٨٠٧ أحضروا ٢٥ سفينة إنكليزية ، وبخيانة أمين أغا المحافظ وتواطئه معهم ، فتح لهم أبواب المدينة ، وكان العزيز فى ذلك الوقت بالأقاليم القبلية خلف المماليك ، ولم يكن بمدينة رشيد إلا قليل من المحافظين ، فأرسل الإنكليز إليها عسكراً ، فلما بلغ المحافظين قدومهم خرجوا منها وتركوها لهم .

ولكن لما توطنت العساكر الإنكليزية بها ، هجموا عليهم دفعة واحدة بمعونة الأهالى ، فقتلوا منهم عدداً وافراً وأسروا منهم ١٢٠ نفساً ، وأرسلوهم مع رؤس المقتولين إلى القاهرة ، فطيف بهم حول البلد ، ثم وضعت الرؤس حول ميدان الأزبكية فوق المزاريق ، فبلغ خبر هذه الواقعة العزيز فحضر سريعاً من الوجه القبلى ، وجهز ٤٠٠٠ مقاتل من المشاة ، و١٥٠٠ من الخيالة ، وتوجه بهم إلى ناحية قوّة بعد أن حصّن القاهرة ، وكانت الإنكليز أرسلت فرقة أخرى من العسكر إلى رشيد ، حاصرتها ١٦ يوماً إلى أن حضر العزيز بعساكره ، فوقع بينه وبينهم محاربة عظيمة انهزم فيها الإنكليز بعد موت كثيرٍ وأسر كثير منهم أيضاً ، والذى سلم رجع إلى الإسكندرية .

ولخوفهم قطعوا جسر بحيرة مريوط من جهة البحر ، وبعد ذلك بقليل صولحوا وردّت إليهم الأسرى ، وخرجوا من مصر وبقى العزيز بعد ذلك متمكناً فى الديار المصرية .

مطلب حدّ جزء البحيرة الأول والثانى

وجزء البحيرة الأول ، الواقع بين المنطقة الأولى والمنطقة الثانية من أرض مديرية مريوط ، محدود من جهة الجنوب الغربى بخراب مديرية مريوط .

والجزء الثانى من البحيرة ، وهو أكبر من الأول ، محدود من الجنوب بجزيرة الطفلة ، وتل بلال ، وتل احفين ، وتل الحنش ، ومن جهة الشرق بكيمان الريش ، وكوم البركة ، وكفر الدوّار .

وبين هذا الكفر وكتبان الإسكندرية تتحد البحيرة ـ فى وقتنا هذا ـ من جهة الشمال الشرق ومن جهة الشمال الغربى بخليج المحمودية ، وتمتد البحيرة الآن نحو الشمال الشرقى ، وكان من ضمنها جزء عظيم من بحيرة أبى قير .

ونقل المقريزى عن ابن عبدالحكم ، وكان فى القرن الثانى من الهجرة ، أن الماء كان يدخلها من (اشتوم) فى بحر الروم ، ويخرج جزء منه فى بركة بقربها بواسطة خليج عليه مدينتان : إحداهما : الهدبة ، والأخرى : الكر .

ويظهر من هنا أن بحيرة أبي قير لم تكن موجودة فى القرن الثانى ، وأن الذى كان موجوداً وقتئذ بحيرة اتكو ، ولا بد أن الخليج الموصل لها هو الذى تسبب عنه ـ فيما بعد ـ بحيرة أبى قير الواقعة بين بحيرة اتكو وبحيرة مريوط ، ولابد أن الخليج المذكور بعيد عن شيديا ، وكان فى ذلك الوقت فرع رشيد قد جف وانقطع جريانه .

ومما يحقق أن هذه البحيرة كانت تمتد فى الطرف الباقى من المحمودية ، ما قاله (بولين واسترابون) حيث ذكر الأول : أن طول البحيرة ٣٠ ميلاً رومانياً ، أعنى ٤٤ كيلو متر ونصفاً تقريباً ، وذكر الثانى : أن هذا الطول أقل من ٣٠٠ أستادة ، عبارة عن ٤٩ كيلو متراً ، وكل من هذين البعدين لو قيس من مدينة مريوط لجاوز المحمودية بأربع كيلومترات فأكثر .

وأما عرض البحيرة فقدره (استرابون) بنحو ١١٥٠ أستادة ، وهو عبارة عن ٢٤ كيلو متر ونصف تقريباً ، وهو إلى الآن كذلك ، ومحيطها ١٢٠ كيلو متر ، ينتهى بالسكة الحديد وكان فى القديم ١٢٠ كيلو متر و٢٥ ميلاً رومانياً تقريباً .

مطلب الجزائر السبع

وذكر (استرابون) أنه كان بها ثمان جزائر ، والمعروف منها الآن سبعة :

الأولى : جزيرة الطفلة ، وهى على بعد ٤ كيلومترات من جنوب الشيخ علىّ مرغب .

والثانية : يقال لها كوم المحار ، وكوم الخرز ، وهى الأرض التى فيها الشيخ غازى .

والثالثة : تسمى جزيرة السعران ، وهى تجاه كفر الدوّار ، ومن ضمنها كوم الويلى ، وكوم العنبسة ، وربما دلت آثارها على أنها كانت أكبر الجميع .

والرابعة : تجاه بركة أبى الخير ، على يمين المتوجه من الإسكندرية إلى السكة الحديد .

وأما الثلاثة الباقية : فهى فى المكان المسمى بذراع البحر .

وأرض بحيرة مريوط ، منحطة عن ماء البحر بمترين ونصف ، ولابد أن ارتفاع الماء فى القديم كان يصل فيها إلى قريب من ٣ أمتار ، لإمكان الوصول منها إلى البحر ، ومنه إليها .

الكلام على الإسكندرية فى عهد العائلة المحمدية

كانت الإسكندرية . بل وسائر الديار المصرية ، قبل استيلاء المرحوم محمد على باشا عليها وتوجيه نظره إليها فى غاية من الإضمحلال وسوء الأحوال ، مع قلة العدد والعدد ، قليلة المتاجر والأسفار ، كثيرة الفتن والأشرار ، قعدت أعرابها على أذناب الطرقات ، واستعملت القتل والسلب فى كل الأوقات ، ليس لأهلها فكرة فى اكتساب أنواع المعارف والصنائع ، ولا لهم خبرة بما يستوجب كثرة محصولات المزارع ، فلما جلس على التخت ، وذلك لإثنى عشر يوماً خلت من ربيع الأول سنة ١٢٢٠ من الهجرة ، الموافقة لسنة ١٨٠٥ من الميلاد ، التفت إليها ، بل إلى القطر جميعه ، ووجه إليه جميل أفكاره ، وشمله بجليل أنظاره ، وأخذ فى إصلاح ما أفسدته التقلبات الدهرية .

وحيث كان غير خفى على ذكائه أهمية موقع الإسكندرية من الديار المصرية ، وأنها بالنسبة للقطر جميعه كالرأس / بالنسبة للإنسان ، سيما وهى من أعظم ثغور الإسلام عليها المدار فى تحصين القطر وسدّ عوراته ، صرف إليها همته العلية ، واحتفل بها إحتفالات سنية ، وأجرى فيها من محاسن الترتيبات والتنظيمات ما أوجب لها العمارة وتزايد الخيرات ، وكثر فيها الصادر والوارد فعاد إليها وسيم نضرتها وقديم شهرتها . ٥٠

مطلب فى بيان عدد أهالى إسكندرية
فى عهد محمد على وفى عهد خلفائه من بعده

فبعد أن كان ما بها من الأنفس ، قبل أيام المرحوم محمد على ، لا يزيد عن ٨٠٠٠ نفس ، وذلك وقت دخول الفرنساوية الديار المصرية ، سرت فيها العمارة سريان الماء فى العود الأخضر ، وأورق غرس سعدها وأثمر ، حتى بلغت عدة أهلها ٦٠٠٠٠ نفس . ثم فى سنة ١٨٣٠ ، بلغت ١٣٠٠٠٠ نفس .

وهكذا لم تزل فى الزيادة فى عهده وعهد خلفائه من بعده ، إلى أن صارت من أمهات الأمصار ، وهرع الناس إليها من سائر الأقطار ، حتى بلغت عدة أهلها فى عصرنا هذا ، أعنى سنة ١٢٩١ هجرية ـــ ٢٧٠٠٠٠ نفس .

وبعد أن كان لا يرى فى ميناها القديمة غير مراكب شراع قليلة ، ترد إليها فى بعض الأوقات ببضائع قليلة من نحو البلاد التى على سواحل البحر الرومى وجهات إيطاليا ، صارت كل يوم يرد إليها عدد وافر من المراكب ، شراعية وبخارية ، تجارية وحربية ، من جميع الجهات ، تجلب إليها مبالغ جسيمة من أنواع محصولات الأقطار ، وذلك بسبب ما جدده بالإسكندرية من الآثار السنية والمنافع الوطنية ، فإنه قد نزع عنها جلابيب الأحداد ، وكساها حلل الإقبال والإسعاد ، وأحدث فيها مبانى جميلة وعمائر جليلة ، وأمر بإصلاح ما تهدم من أسوارها ، وتجديد ما اندرس من آثارها ، واحتفل بذلك إحتفالاً زائداً تحسيناً لهيئتها وحرصاً على عمارتها .

مطلب دخول الفرنج بالمينا

ولأجل حرصه على جلب العمارة لها ، صرح لمراكب الفرنج بالدخول فى المينا الغربية ، التى كانوا قبل ذلك ممنوعين منها ، وكانت المينا الشرقية هى المعدة لرسيان مراكب الفرنج ، مع أنها كانت مخوفة وعلى غاية من الخطر ، وكثيراً ماكان يحصل منها التلف للسفن التى ترسو بها ، من كثرة تسلط الرياح الشرقية والشمالية عليها سيما لقلة عمق المياه التى بجوار المرسى ، بخلاف المينا الغربية التى كانت مختصة بسفن المسلمين ، فإنها فى غاية الأمن من ذلك كله ، وكان الأغراب كثيراً ما يطلبون الدخول منها فلا يجابون ، فلما صدر الإذن لهم بذلك فرحوا فرحاً شديداً ، وكان سبباً فى كثرة جلب الخيرات إليها ، وإقبال التجار وأهل الأسفار عليها ، فإنه من وقت بلوغ هذا الخبر إلى الأقطار ، أخذت السفن تتوارد بالتجارات من كل مدينة ومن كل قطر ، حيث لم تختص ملة دون أخرى بمزية ، حتى تكاثرت التجارات والأغراب فيها ، وتيسرت بها أسباب المكاسب ، وغرّدت فيها بلابل الثروة من كل جانب .

ولما كان المقصود من تمدين تلك المدينة وتكثير خيراتها لا يتم إلا بكثرة المياه العذبة فيها ، وسهولة وصول أهل القطر إليها بمتاجرهم ، وكان خليجها القديم ، بسبب إهماله وعدم الإعتناء بشأنه ، قد ردم وارتفع قاعه ، زيادة على ضعف عمقه الأصلى ، حتى كان فى كثير من السنين لا يدخله الماء إلا فى وقت إنتهاء زيادة النيل ، ثم يجف فى باقى السنة ، وذلك سبّب فى حصول مشقات زائدة لأهل المدينة والطارئين عليها من أهل القطر والأغراب ، سيما ومجاورته للبحائر التى تكتنفه من الجانبين : مثل بحيرة أبى قير ، وبحيرة المعدية ، وبحيرة مريوط ، كانت تستوجب سرعة ملوحة مائة ، وتعطل منفعته ، وربما لا تكفى الصهاريج بقية السنة ، خصوصاً مع كثرة الناس فيها جداً ــ كما علمت ــ .

مطلب تاريخ حفر ترعة المحمودية

صدرت أوامره السنية سنة ١٢٣٣ هجرية ، الموافقة سنة ١٨١٩ ميلادية ، بحفر ترعة المحمودية ، وأن تعمق حتى تجرى صيفاً وشتاء ، وتوسع بحيث يسهل لجميع مراكب النيل الوصول منها إلى المدينة بأنواع المحصولات فى زمن قريب ، بلا كبير مصرف ولا مشقة ، مع حصول تمام النفع للآدميين وسائر الحيوانات والمزروعات .

وكانت قبل ذلك تجارات القطر لا تصل إلى تلك المدينة إلا من ثغر رشيد أو دمياط ، وذلك مستوجب لكثرة المصرف وزيادة المشقة جداً ، فإن سفر البحر الملح لا يخلو عن الخطر ، فكانت لا تخلو سنة عن حصول غرق لبعض المراكب والبضائع والآدميين .

ولأهميتها جمع لها عدداً كثيراً من الأهالى من جميع مديريات القطر ، حتى تمت فى أقرب وقت مع الأبنية اللازمة لها ، وقد بلغ ما صرف عليها إلى أن تمت ، ثلثمائة ألف جنية ، على ما نقله قولوط بيك ، وهذا بالنسبة لما ترتب عليها من المنافع شىء يسير ، كما هو مشاهد ، ولم يجعل فمها فى مكان فم الخليج القديم عند ناحية الرحمانية ، بسبب ما حدث أمامه من الإرتدام والرمال ، فنقل بالقرب منه فارتدم أيضاً ، وفعل ذلك مراراً فلم ينفع ، فجعل عند

ناحية العطف فصلح وأنتج المطلوب فاستمر على ما هو عليه الآن ، وكان ذلك سبباً فى عمارة ناحية العطف واتساعها وكثرة خيراتها حتى ألحقت بالبنادر ، حيث كانت مرسى للسفن التجارية الداخلية والخارجية ، وجعل انتهاؤها البحر الأبيض بحيث تصب قريباً من مصب الخليج القديم . الذى كان فى زمن البطالسة .

٥١ وبتمامها على هذا الوجه / حصل منها المقصود من المنافع العميمة والفوائد الجسيمة ، مما ذكرنا وخلافه ، كإحياء غالب الأراضى التى بجوانبها من ناحية العطف إلى الثغر ، بعد أن كانت ميتة غير صالحة للزراعة ، بسبب هجرها من قلة وصول الماء إليها ، مع أنها كانت فى قديم الزمان معمورة بالناس وأصناف المزروعات ، بل حصل بحفرها إحياء كثير من الأراضى البعيدة عن شواطئها بواسطة المساقى والترع التى تفرعت عنها من الجانبين على توالى الأزمان ، حتى بلغ ما أحيى بها ١١٥٤٥ فداناً وكان الصالح قبل ذلك لا يزيد على ٤٠٠٠ فدان .

مطلب ذكر تاريخ عمل هويسات المحمودية

وهكذا لم تزل المزارع والأحياء تتزايد بسبب تلك الترعة ، إلى وقتنا هذا فقد بلغ الصالح للزراعة زيادة عن مائة ألف فدان ، حتى استوجب عدم كفاية ماء المحمودية بجميعه ، واحتيج إلى تركيب وابورات العطف . ثم أنه عند تمام حفرها جعل فى فمها وفى مصبها قناطر فكانت مانعة لمراكب النيل من الدخول فيها وكانت التجارات الآتية من القطر إلى إسكندرية تنقل عند فمها إلى مراكب أخر من مراكب المحمودية وعند وصولها إلى الثغر ينقل ما كان منها على ذمة الأجنبيين إلى مراكب البحر الملح ، وما كان على ذمة الأهالى يخرج إلى البر ، وكذلك التجارات الآتية من الأقطار الأجنبية فكانت تنقل مرتين ولا يخفى ما فى ذلك من الضرر والخطر فصدرت أوامره السنية بإزالة تلك القناطر .

وعمل هويسات فى فمها وفى مصبها وذلك سنة ١٨٤٢ ميلادية موافقة سنة ١٢٥٨ هجرية فعملت على هذا الوجه الذى هى عليه الآن بأن جعل فى فمها هويسان أحدهما صغير عرضه أربعة أمتار للمراكب الصغيرة والآخر كبير سعته ثمانية أمتار للمراكب الكبيرة وفى مصبها كذلك فارتفعت بذلك الصعوبات وخفت المصاريف .

مطلب فى ذكر أبنية عديدة جوامع وغيرها

وقد ألحق بذلك أبنية عديدة منها أنه بنى جامعين : أحدهما عند فمها والآخر عند مصبها قرب المينا ، وجعل محراب كل واحد منهما قطعة واحدة من الرخام الأبيض ، وكتب عليه تاريخ البناء ، ورقم عليه اسم السلطان محمود .

والجامع الذى عند مصبها يعرف الآن بجامع التاريخ ، وكذلك الشارع الذى عنده يسمى بشارع التاريخ .

ومنها : أنه جدد عدة أشوان لخزن الغلال الميرية .

ومنها : حفر مجرى تحت الأرض لتوصيل الماء الحلو إلى جهة الترسانة والجمرك ، قد فتح فى مواضع منه موارد لأخذ السقائين والأهالى فى أى وقت شاءوا ، ولحرصه على دوام نفع تلك الترعة ، جعل لها ما تتغذى منه عند الحاجة ، فجعل (ملقة ديسة) مخزناً للماء يملأ وقت فيضان النيل ويبقى مملوءً حتى يصرف فيها على حسب الحاجة ، وجعل فيه قناطر للصرف . والمخزن المذكور هو ما يعرف الآن بخزان الزرقون ، وكان قريباً من عشرين ألف فدان ، ولما استغنى عنه بوابورات العطف جعله المرحوم سعيد باشا جفلكا ، وهو الآن فى ملك نجله المرحوم طوسون باشا .

وقد حدث على جوانب تلك الترعة وبعيداً عنها فى ضواحى المدينة ، عدة بلدان عامرة ، وقصور مشيدة ، وبساتين مملوءة بأشجار الفواكه والرياحين ، وغير ذلك من المحاسن المشاهدة هناك . ثم إن من أسباب جعل قاع الخليج القديم مرتفعاً حتى كان لا يجرى فيه النيل إلا وقت الفيضان ، مجاورته للبحائر المالحة كما علمت ، فلذا لما عمل العزيز ترعة المحمودية ، أمر بسد أفواه تلك البحيرات من جهة البحر المالح ، فصارت المحمودية آمنة مما يغيرها ويعطل منافعها .

فهذه الأعمال الجليلة من أعظم أسباب العمارة بتلك المدينة ، وكثرة الأهالى والأغراب فيها .

وبسط الكلام على الخليج القديم وترعة المحمودية ، مذكور فى تاريخنا لمصر فليرجع إليه من أراد الوقوف عليه .

ولأهمية ميناء الإسكندرية بواسطة أنها أعظم الثغور ، وعليها تردد السفن بالبضائع وغيرها من جميع الأقطار ، إلتفت إليها العزيز فوجدها غير كافية للمصالح ، إذ لم يكن بها مواضع تكفى الصادر والوارد من التجارات ، ولا أماكن لتحصيل الجمرك ، ولا ترسانة لإنشاء المراكب وترميمها ، ووجد مراكب التجارات لا تصل إلى البر لعدم عمق مياه المينا ، وذلك موجب لمشقات ومصاريف جسيمة فى الشحن والتفريغ ، فأمر بجلب كراكات من البلاد الأورباوية لأجل تعميقها ، واشترى من جانبيها بعض أماكن من خط الصيادين ، وهدمها لأجل توسيعها وذلك سنة ١٢٤٢ هجرية ، أعنى سنة ١٨٢٩ ميلادية ، فكان من ضمنها بيت يقال له : بيت البطاس ، وهو جد الشيخ محمد المهدى لأمه ، وكان التصميم على البناء فى ٩ شهر يونيه الإفرنجى من السنة المذكورة ، وفى ذلك اليوم صار شروع العساكر فى حفر الأساسات ، ثم صار الشروع فى البناء حتى تمت على الوجه المطلوب سنة ١٨٣١ ميلادية ، وأول سفينة نزلت بها كان فى ٣ يونيه من السنة المذكورة ، وكانت تحمل مائة مدفع ، وقد رخص لأرباب الأملاك فى أخذ أنقاض أملاكهم ليستعينوا بها فى بناء منازل غيرها ، فى الأماكن التى أنعم بها عليهم من الأراضى التى كانت إذ ذاك من زاوية خطاب من / الجهة البحرية إلى البحر المالح ، وكانت قبل ذلك كلها مزروعة تيناً برشومياً ، ومقسمة إلى زربيات متنوعة ، فاتسع بذلك دائر المينا وحدث بها ترسانة تشتمل على جميع ما يلزم لإنشاء وترميم المراكب الحربية وغيرها . ٥٢

ولما لم تستوف تلك المينا جميع ما يلزم لضبط الجمرك وخزن البضائع وغير ذلك من المصالح ، صدرت أوامره السنية سنة ١٢٥١ هجرية ، بعمل رصيف داخل البحر ، فعمل وملىء ماخلفه بالأتربة والأحجار وغيرها ، فحصل من ذلك أرض عظيمة الإتساع ، فأنشأ فيها جميع ما تحتاج إليه المينا من مخازن ومحلات للجمرك ، ومساكن لخدمة المصالح ، فأمنت التجار على بضائعهم ، وتمكنت الحكومة من ضبط الجمرك فزاد إيراده ، وكان المباشر ، إذ

ذاك ، شاكر أفندى الإسلامبولى ، إلى أن توفى فقام مقامه المرحوم مظهر باشا إلى أن تم ، وكان العزيز ، إذ ذاك ، مشتغلاً بأمور الحرب التى كانت قائمة بينه وبين الدولة ، موجها همته نحو العمارات البحرية كإعداد الحصون والقلاع وتقويتها ، فأحضر لها سنة ١٨٢٩ ميلادية ، من مدينة طولون من مملكة فرنسا ، المهندس الحاذق الماهر موسيو (سريزى) وجعله باشمهندس الترسانة ، ورقّاه إلى رتبة البيكوية ، وصار يعرف (بسيريزى بيك) ثم وصل إلى درجة لواء ، وبإمتحانه للمينا وجد عمق الماء بها قدر مترين فقط ، ممتداً ذلك فى داخل البحر نحو مائتى متر ، وذلك مستوجب لصعوبة الشحن والتفريغ ، فظهر له أن الأولى أن يكون محل الترسانة عند العجمى ، لعمق الماء هناك ، لكن لبعده عن المينا ، وتسلط الرياح على تلك الجهة عدل عنها إلى المحل الذى عنده الترسانة الآن ، فعمقه حتى تمكنت السفن من الرسوّ هناك بقرب البر .

وقبل حضور المهندس (سيريزى) المذكور ، كان الرئيس على إنشاء وعمارة السفن بتلك المينا رجلاً من الأهليين ، يسمى الحاج عمر ، وكان صاحب إدارة ومعرفة طبيعية وإقدام على مثل هذه الأعمال ، مع الإصابة ، فلما حضر موسيو (سيريزى) إتحد معه وساعده فى جميع أعماله .

وفى ظرف خمس سنين من إبتداء سنة ١٨٢٩ ميلادية ، تم جميع مواضع الترسانة مثل : ورشة الحبالة المعروفة بالتبالة ، وورشة الحدادين والقلوع والسوارى ، والبصل ، والنظارات والمخازن ، وفى أثناء هذه الأعمال قد صار جلب كثير من شبان الأهالى من جميع المديريات ، لأجل تحصيل الكمية الكافية للقيام بلوازم المراكب ، وتعليمهم جميع ما تحتاج إليه السفن على أيدى معلمين من البلاد الخارجية ، فاختص كل جماعة بفرع من فروع مصالح المراكب حتى أتقنوها ، ونتج من تحت أيديهم فى زمن قليل سفن كثيرة حربية وغيرها مع غاية الإتقان ، بحيث تضاهى سفن الجهات الخارجية ، فكان الحبالة مثلاً يفتلون كفاية المراكب من الحبال المتقنة فى أقرب وقت ، وهكذا كل أهل فرع يحتفلون به حتى يتم على أكمل وجه ، فاستغنت الحكومة المصرية بذلك بعض استغناء عن جلب السفن من البلاد الأجنبية

إلا أن جميع ما يلزم لإنشاء المراكب وعمارتها مثل : الحديد والنحاس والخشب ، كان يجلب من البلاد الأجنبية ، وبسبب أهميتها وإحتياج الأمر إليها ، كان أربابها يتغالون فى أثمانها جداً ، وليتها كانت من الأنواع الجيدة ، بل كانت رديئة ، فإن الخشب كان يأتى من الكرمانى ، وبلاد إيطاليا غير مستوفٍ لشروط الإنتفاع به فى مثل هذه الأعمال ، ولهذا كانت المراكب التى تصنع منه يسرع إليها التخريب وتحتاج للرمّ فى زمن قريب .

ومع كل ذلك لم تقف همة العزيز عن إنشاء المراكب ، وكثيراً ما كان تجار المراكب يثبطونه عن إنشائها ويبدون له ما لا مزيد عليه من الصعوبات وكثرة المصاريف ، ويدخلون عليه بكل حيلة ليصرفوه عن هذا العزم ، وذلك أنهم كانوا يربحون أرباحاً كثيرة من بيعهم المراكب للحكومة المصرية ، مع أن المراكب التى كانت تشترى منهم ، مع إرتفاع أثمانها جداً ، كانت إما قديمة ، أو غير جيدة الصنعة ، فلم يلتفت إلى تثبيطهم ، ولم تقعد همته بل إزدادت رغبته فى تلك الأشغال ، ورتب لها مجلساً أناط به جميع لوازم المراكب ، وجعل رئيسه موسيو (سيريزى) المذكور وأنشأ مدرسة لتعليم صنعة السفن وما يتعلق بها .

وكان المشتغلون بإنشاء المراكب وتعميرها إذ ذاك ، نحو ٨٠٠٠ نفس ، من الأهليين الذين تربوا على أيدى المعلمين من الإفرنج وغيرهم ، وقد أتقن الصنعة منهم نحو ١٦٠٠ نفس ، فاستغنت بذلك الحكومة المصرية عن شراء المراكب من الخارج ، وكان المعين لها على هذا العزم موسيو (سيريزى) فكان دائماً يبدى له من محاسن تلك الأعمال ونتائجها ، ما يحمله على تنجيزها ، وإعراضه عن تثبيط المثبطين له عنها ، فلذا تعصب الإفرنج على موسيو (سيريزى) وضيقوا عليه ورمقوه بعين العداوة ، حتى ألجؤه إلى الإستعفاء من تلك الوظيفة ، فعوفى منها وألحق ببلاده .

وقد بلغ ما أنشىء وعمّر فى مدته وعلى يديه ، من السفن الحربية وخلافها ، وما تحمله كل سفينة ، على ما ذكره قولوط بيك فى تاريخه لمصر ، ما نبينه لك فنقول :

بيان السفن التى كانت موجودة تحت الحكومة المصرية وقت استعفاء سيريزى بيك إنشاء وتعميراً وبيان ما تحمله /من المدافع

٥٣

السفينة المسماة مصر تحمل ٩٨ مدفعاً ، عكا حمولة ٩٨ ، المحلة الكبيرة حمولة ١٠٠ ، المنصورة ١٠٠ ، إسكندرية ١٠٠ ، أبوقير٧٨ ، طنتدا ٢٤ ، العزيزية ١٠ ، سفينة صغيرة للنزهة ٤ ، سفنية لرمى البنب ...[1] ، سفينة لنقل الأخشاب ...[1] ، بيلان ٨٦ ، حلب ـ كانت بالورشة ـ حمولة ١٠٠ ، دمشق ـ كانت بالورشة أيضاً ـ ١٠٠ ، وغير ذلك فرقطون .

والسفن التى كانت محتاجة لكثرة العمارة ، وتأخذ زمناً طويلاً هى : البحيرة ، وأصلها من مرسيليا ٦٠ ، الجعفرية وأصلها من ليفورنه ٦٠ ، رشيد وهى من بنديك ٣٠ ، كابشيك وتم عملها فى لونبرة ٣٠ ، شيرجهاد وأصلها من ليفورنه ٦٠ ، الدمياطية ٢٤ ، واسطة جهاد من الجزائر أعطتها فرنسا ٢٨ ، جن بحرى أصلها من جنوا ٢٤ ، جهاد بيكر أصلها من جنوا أيضاً ...[1] ، قوة ...[1] ، ومراكب أخرى حمولتها ٤٠٠ ، سمندجهاد من مرسيليا ...[1] ، شبرجهاد من أمريكا ...[1] ، بادى جهاد من أمريكا أيضاً ...[1] ، أربع مراكب أخر ...[1] ، وجملة مراكب صغيرة وسفينة بخارية تسمى النيل .

وأنشأ أيضاً مدرسة البحارة ، وجلب لها من شبان الأهالى ١٠٠٠٠ نفس وجعل رئيسها موسيو (بيسون بيك) وبعد موته تولى ذلك موسيو (حصار) حتى حصلت بهم الكفاية فى تركيب الدونانمه اللازمة .

(١) هكذا فى الأصل بدون بيان ما تحمله من مدافع .

ولأجل تتميم جميع منافع الترسانة ، وتحصيل زيادة الأمن على السفن الصادرة والواردة ، أنشأ الفنار الموجود الآن برأس التين ، وعين له مظهر باشا فبناه على أحسن هندام ، وجعل إرتفاعه ستين متراً ، ونوره يشاهد من ثمانية فراسخ فى البحر ، فعمت منافعه وكثرت فوائده .

مطلب عمل الحوض

ولما كانت سفن الدوننمه وغيرها من المراكب لا تستغنى عن حوض فى المينا لأجل عمارة ما يحتاج منها إلى العمارة ، لاسيما مينا الإسكندرية ، لكثرة توارد المراكب عليها ، صدر أمره بعمل حوض فى لسيان تلك المدينة .

ولقلة المهندسين إذ ذاك بالديار المصرية ، عين لعمله شاكر أفندى ، المتقدم ذكره ، فصار يعمل فيه أعمالاً غير منتجة ، لأنه فضلاً عن عدم مهارته فى الأعمال الهندسية كانت أرض ذلك المحل رخوة يبلغ عمق رخاوتها نحو ستين قدماً تحت إستواء الماء ، فكان يعمل صناديق كبيرة من خشب ويملؤها بالبنيان ، ثم ينزلها فى الماء فى المحل الذى يلزم رميها به ، وهكذا ، واستمر على ذلك زمناً والعمل لا يتقدم ، وربما انقلبت الصناديق بما فيها وتحوّلت عن أماكنها ، حتى استوجب ذلك صرف كثير من الأموال بلا كبير فائدة ، فعين لذلك كلاً من المرحوم مظهر باشا ، والمرحوم بهجت باشا ، وكانا قد قدما من بلاد أوربا ، وجعل ثالثهما لبنان بيك ، وأمرهم بعقد مجلس للنظر فى ذلك ، وبعد عقد المجلس والنظر فيه عملوا قراراً مضمونه ، أن هذا العمل لا ينتج ، وعرضوه عليه وبعد مضى زمن أحضر (موجيل بيك) من بلاد فرنسا وناط به عمل ذلك الحوض ، فعمل أولاً رسماً وعرضه على العزيز فاستحسنه ، ثم شرع فى البناء فجعل يدق خوازيق فى محله بعد حفر الطين منه بالكرّاكات ، وكلما نزح موضعاً ملأه بالخرصان ، وهكذا إلى أن تم على وفق المرام ، وانتفع به الخاص والعام .

وهذا الحوض عبارة عن ناحية من البحر متسعة ، عميقة أو تعمق بالكراكات ، تختار بقرب البر وتحاط بالبناء المتين المصنوع من المواد الجيدة والمؤن الطيبة ، ويجعل طوله بحيث يسع أكبر سفينة فى البحر ، وعرضه بنسبة ذلك ، وله فم من جهة الماء يسد بباب بهيئة مخصوصة ، وتجعل فيه منافذ صغيرة تفتح وتقفل بحسب الحاجة ، فإذا أريد إدخال سفينة فيه للعمارة يفتح الباب فتدخل السفينة بسهولة ، ثم يسد فينزح الماء منه بواسطة وابور حتى يجف ، وبعد تمام العمارة يملأ الحوض ثانياً ويفتح الباب فتخرج السفينة .

وسيأتى لذلك مزيد بيان عند الكلام على الحوض الذى أنشأه حضرة الخديو إسماعيل باشا هناك . فجميع تلك الأعمال كان سبباً لقوة السفن الحربية وكثرتها ، ولم تزل تكثر ويجلب لها من البلاد الخارجية ما يلزم لها من الأسلحة وخلافها حتى قويت الدونانمة المصرية ، وأحرزت ما كانت فاتتها به دوننمة الدولة العلية من العدد والعُدد والمدد والتعليمات النافعة الغريبة التى لم تسمح الديار المصرية بمثلها فى الأعصر الخالية .

وجعل موسيو (بسيون ويس) أميراً عليها جميعها ، وأعطاه رتبة ميرألاى ، وكان قبل ذلك أحد ضباط الدوننمة الفرنساوية ، وحاصل أمره أنه كان سنة ١٨١٥ ميلادية فى مينا رشفور بسفينته حين كان نابليون نوريت يريد الهروب من بلاد فرنسا ، فتعهد له أن يوصله إلى بلاد الأمريكا ، وقبل منه نابليون ذلك فأستعد (بسيون) لهذا الأمر ، ووضع فى سفينته جملة براميل فارغة مصفوفة بعضها بجوار بعض ليخفيه فيها ، فهيأ نابليون جميع ما يلزم لسفره ، وتواعد مع (بسيون) على أن ينتظره بجزيرة اكس ، فلما اجتمع معه فى الميعاد وجده قد رجع عن العزم على السفر معه ، وأخبره أنه كتب إلى أمير الدولة الإنكليزية أن يأخذه عنده .

٥٤ ثم شاع خبر توافقه معه على إخفائه فخاف (بسيون) عاقبه ذلك ، وقد حصل / بالفعل رفته لهذا السبب ، فصار يشتغل بالتجارات والأسفار فى سفينة لزوجته ، إلى أن حضر سنة ١٨٢٠ ميلادية بمدينة الإسكندرية ، وكان العزيز إذ ذاك مهتماً بإنشاء السفن ، فعرض له بطلب الخدامة والمعيشة تحت ظله ، فجعله ملاحظاً للسفن الجارى إنشاؤها فى بلاد أوربا ثم

جعله قبطاناً للفرقطون المسمى بالبحيرة الذى أنشىء بمرسيليا ، وكان به ٦٤ مدفعاً ، ولم يزل يترق إلى أن أخذ رتبة البيكوية ، ثم صار ميرألاى على الدوننمة المصرية بتمامها ، ولما عدمت الدوننمة الأصلية فى وقعة مورة ولم ينجح منها إلا القليل ، ركب العزيز دوننمة أخرى من المراكب التى أنشئت بمينا الإسكندرية على أيدى أولاد الوطن ، مع ما بقى من الدوننمة الأولى ، فكانت أعظم من الأولى قوة وترتيباً ومهابة .

الدوننمة المصرية

وبيان السفن الحربية والمدافع والرجال التى تركبت منها الدوننمة المصرية ، على ما ذكره قولوط بيك ، فى هذا الجدول .

مراكب كبيرة ، وعدد رجالها :

المحلة الكبيرة ١٠٣٤ رجلاً ، المنصورة ١٠٣٤ ، إسكندرية ١٠٣٤ ، أبوقير ٧٣٦ ، مصر ١٠٩٧ ، عكا ١١٤٨ ، حمص ١٠٣٤ ، بيلان ٩٠٠ ، حلب ١٠٣٤ ، فيوم ١٠٣٤ ، بنى سويف ١٠٣٤ ، منوفية ٥٥٨ ، بحيرة ٥١٠ ، دمياط ٤٧٠ ، سرجهاد ٥١٠ ، رشيد ٥١٠ ، وابور النيل ١٥٢ ، خمس كورومت ٩٢٢ ، وخمس جوبليت عدد رجالها ٤٤٢ ، مركبان صغيرتان ٦٠ ، وخمس مراكب عدد رجالها ٣٩٠ .

مجموع العساكر البحرية المصرية ١٥٦٤٣ ، شغالة الترسانة بإسكندرية ٤٠٧٦ ، المجموع ١٩٧١٩ ، والمدافع التى كانت بها وقتئذ ٣٦٤ مدفعاً ، ومنصرف العساكر والرجال البحرية ٧٥٠٠٠٠٠ فرنك ، والمنصرف على المبانى العسكرية ١٨٧٥٠٠٠ ، والمنصرف على ترسانة بولاق ٤١٢٥٠٠ ، يكون المنصرف على الجميع ٩٧٨٧٥٠٠ .

ولأجل عدم إهمال جميع الأعمال وخلافها من العمائر النفيسة التى أبدتها فكرة العزيز بمدينة الإسكندرية ، مع محبته للإطلاع على الأخبار التى ترد من البلاد الخارجية ليحيط علماً بأحوالها وأخبارها فيتمكن بذلك من القيام بمصالح الرعية وسياستها ، وتحصين جهات حكومته ، إتخذ تلك المدينة مركز إقامته فى غالب أوقاته ، فبنى برأس التين بجوار الترسانة ثلاث سرايات : ثنتين على الميناء الغربية إحداهما للمسافرين ، والأخرى لدواوينه ، والثالثة لخاصته بجوار الميناء الشرقية ، ولم يشغله ذلك عن مصالح الرعية ، بل لم يزل ساعياً فى جميع ما يصلح القطر وأهله ، حتى خلصّ الديار المصرية من الأشرار ، وعم الأمن جميع جهاتها .

واستلزم ذلك كثرة وفود الأغراب على الديار المصرية بالبضائع ، وانتشروا فى جميع جهات القطر ونشروا بها معارفهم من الحرف والصنائع ، وعاد نفعهم على جميع أبناء الوطن ، ولم يزالوا آخذين فى الإزدياد حتى كان الموجود منهم فى الديار المصرية سنة ١٨٤٠ من الميلاد ما تراه :

شوام ٥٠٠٠ نفس ، أروام رعية ٣٠٠٠ نفس ، أرمن ٢٠٠٠ ، أروام إفرنج ٢٠٠٠ ، تليانيون ٢٠٠٠ ، مالطيه ١٠٠٠ ، فرنساوية ٨٠٠ ، إنكليز ١٠٠ ، نمساوية ١٠٠ ، مسكوف ٣٠ ، اسبانيوليون ٢٠ ، سوسيه وبلجيكية وهولنديه واسبانية ١٠٠ ، وغيرهم . الجميع ١٦١٥٠ .

وفى سنة ١٨٤٦ بلغ عددهم ٥٠٠٠٠ ، وفى سنة ١٨٧٠ بلغ ١٥٠٠٠٠ ، سيما وقد خصتهم العناية الداورية بالإكرام الزائد ، فاستوطنوا هذه الديار خصوصاً مدينة الإسكندرية ، وبنوا بها المنازل الفاخرة والقصور المشيدة على هيآت قصور أوربا ، قد أكثروا فيها من الشبابيك ، وركبوا عليها ألواح القزاز وغيرها ، وصنعوها بالألوان المفرحة .

مطلب فى بيان
هيئة الأبنية التى كانت بالقطر المصرى قبل
جلوس العزيز محمد علىّ باشا على التخت

ولما رأى أهل الإسكندرية ذلك ونفاسته تركوا ماكانوا عليه من الأوضاع القديمة ؛ وذلك أن جميع أبنية القطر كانت بأوضاع وهيآت غير ما هى عليه الآن ، فكانت المنازل العظيمة مشتملة على دور أرضى ، وفوقه دور أو دوران ببناء بارز عن سمت الدور الأرضى بمقادير مختلفة من ذراعٍ إلى ثلاثة أذرع ، ولها متكآت ودعائم من الأحجار والأخشاب ، ولا يجعلون فيها شبابيك ولا يستعملون القزاز ؛ لقلة وجوده فى الديار المصرية حينئذٍ بسبب قلة توارد البضائع الخارجية فى تلك الأزمان ، وإنما يجعلون فيها مشربيات من الخرط ، ثابتة فى البنيان ، ذات خروق ما بين صغيرة وكبيرة ، وبتلك المشربيات طاقات صغيرة مطلة على الحارات ، لها أبواب من الخشب تقفل وتفتح على حسب الحاجة ، وكانوا يتنافسون فى ذلك ويصرفون فيه مصاريف جسيمة ، ومنهم من ينقشها نقشاً نفيساً مع أنها كانت لا تقى من الحر ولا من البرد ولا من الأتربة ، بل كانت فى الصيف عرضة للرياح الحارة والأتربة الثائرة ، وفى الشتاء عرضة للبرد والمطر ، وربما ألصقوا بتلك المشربيات فى زمن الشتاء أوراقاً فيتسبب عن ذلك إمتناع الهواء عن المرور فى المساكن ، فتتولد من إحتباسه عفونات ربما أضرت بأبدانهم وأبصارهم ، خصوصاً / الفقراء الذين لا إعتناء لهم بشأن النظافة . ٥٥

ومع أن هذه الأوضاع الجديدة ، ربما كانت مع نفاستها وجلبها لأسباب الصحة أقل كلفة ومصرفاً من تلك الأوضاع القديمة ، فلذلك تجد أبنية إسكندرية الآن ، وغيرها من جميع مدن القطر ، غالبها من الأوضاع الجديدة تضاهى الأوضاع الأورباوية ، بصورٍ حسنة ، وشوارع معتدلة متسعة ، محفوفة من الجانبين بشبابيك القزاز وغيرها .

وكانت منازل تلك المدينة جميعها ، قبل جلوس المرحوم محمد على باشا على تخت ديار مصر ، ما بين المينا الشرقية والغربية فى أرضٍ تعرف بالجزيرة ، فى مقابلة رأس التين خارج السور البحرى ، وجميع الأرض المحددة بشارع أبى وردة ، قبلى عمارة صفر باشا وعمارة شرين باشا ، إلى أبى العباس وإلى رأس التين ، كان بعضها مدافن للموتى وبعضها نقعاً ، ولم يكن بها مساكن سوى بعض بيوت للصيادين ذات أبنية خفيفة كانت بالجهة المعروفة بالسيالة ، وكان يتوصل من هناك إلى برج قائد بيك وطابية الأضا ، فكان حد تلك المدينة ، قبل ذلك من الجهة القبلية ، الحارة المعروفة بحارة المغاربة قريباً من المكان المسمى الآن بميدان محمد على .

وكان فى خلال البلد فضاء وتلول ، واستمر ذلك إلى سنةِ ١٢٥٢ هجرية ، ثم أذن للأهالى فى الفضاء ، الذى بين رأس التين وشارع أبى وردة وأبى العباس ، فبنوا فيه قصوراً ومنازل ، وفى ذاك الوقت كان مجلس التنظيم تحت رياسة الخواجة (توسيس) وكان متشكلاً من بعض التجار والمهندس (منشى) وهو الذى رسم خرطة إسكندرية التى عليها العمل الآن .

وكان ما بين الأسوار خالياً من الأبنية ، ليس فيه إلا الصهاريج ، وأربعة كفور مسكونة بخدَمَة البساتين التى بداخل تلك الأسوار ، وبرجال القلاع والأبراج :

أحد تلك الكفور ، عن شمال الداخل من باب شرقى .

والثانى : فوق كوم الديماس .

والثالث : قرب باب سدرة ، وهو باب عمود السوارى .

والرابع هو المعروف الآن بالنجع ، وهو قريب من باب المحمودية .

ولما كثرت الرغبة فى العمارات ، وتزاحم الناس على البناء فى أرض الجزيرة ، صدر أمر الداورى المفخم ، بتقسيم ما بين الأسوار على الراغبين .

مطلب فى تاريخ فتح الشارع الأخضر
المار من شرق الإسبتالية إلى المحمودية

وفى سنة ١٢٦٠ هجرية ، فتح شارع الباب الأخضر المار من شرقى الإسبتالية إلى المحمودية . وهدمت لأجله جملة من المساكن . ومن المحاسن التى أخذ التنظيم فيها حقه الشارع العمومى ، والمنشية المشاهدة الآن بين باب رشيد ورأس التين .

فأما المنشية وبعض الشارع فكان فضاء ، وأما بعضه الآخر فكان منازل اشتريت من أربابها ، وكان فى محل المنشية سوق تنزل فيه العرب لبيع الأغنام والتمر السيوى ، والحطب . والصوف والسمن وغير ذلك . وكان يعرف بكوم الجلة ، وحدُّه الشرقى الوكالة المحروقة . والبحرى وكالة المراكشى ، ووكالة الجمال المبرية ، ووكالة الصوف ، ومنزل الشيخ إبراهيم باشا والمنقعى .

ومن هذه الأماكن إلى جهة الجنوب كان فضاء وبعض بساتين . وأوّل ما أنشىء بالمنشية جامع الشيخ إبراهيم باشا ، ووكالة محرم بيك التى تحتها الآن خان شاكولانى ، ثم بنى منزل ضانستاظى ، ومنزل جبارة ، وهو الآن فى ملك الخديوى ، وأما سوق الخضار والجزارين ـ الآن ـ فهو محل حارة الجمال سابقاً،فرّقه العزيز على بعض الأمراء ، فبنوا فيه تلك الأبنية والحوانيت الموجودة الآن .

وأما مقابر الموتى ، فكانت داخل البلد خلال المساكن ، فكان يتصاعد منها روائح كريهة ، فنهى العزيز عن الدفن ، فيها وأمر بجعل القبور خارج المدينة بعيداً عنها .

وهكذا كانت عادته فى جلب كل ما فيه نفع ، ودفع كل ما فيه ضرر ، فكان ـ عليه سحائب الرحمة ـ لا يشغله بعض المصالح عن بعض ، ولا تتعطل فكرته فى أمر مّا ، ولم يسمع بمثله فى عصره فى اتساع دائرة أفكاره وإصابة أنظاره ، ولذلك لما تراكمت عليه

الحوادث فى مبدأ الأمر ، إذ كانت المماليك مستولية على القطر بصورة غير مرضية ، وكان الفساد قائماً فى جميع بلاد القطر ، بالقتل والنهب وقطع الطريق ، وغير ذلك ، مما أوجب إضمحلال الديار المصرية ، وجه همته العلية إلى ذلك كله ، وأعمل فكرته وبذل جده واجتهاده فيما يزيل به تلك الحوادث : فمنها ما استعمل فيه الرفق واللين ، ومنها ما استعمل فيه بذل الأموال ، ومنها ما استعمل فيه القهر والغلبة والسيف ، حتى تمكن من جميع أغراضه ، وأمن البلاد وخلص العباد من ربقة الإسترقاق ، وأجلى المماليك بالكلية من الديار المصرية : فنهم من قتل ، ومنهم من أخرج منها حياً ، ومنهم من أبقاه بها ضعيفاً ذليلاً .

مطلب القوة العسكرية

واحتفل من يومئذ بجلب شبان الأهالى من جميع بلاد القطر ، ورتبهم عساكر حربية بحرية وبرية ، وجعلهم أصنافاً مختلفة ، بتنظيمات وتعليمات مفيدة .

وهكذا لم يزل الأمر آخذاً فى الإزدياد حتى بلغت العساكر البرية المصرية سنة ١٨٣٩ ميلادية هكذا :

ألاى غارديا فى حمص	١٣٧٢
ألاى طوبجية فى الإسكندرية	٢٣٤٩
أربع بلوكات طوبجية متفرقة فى عكا	٣٣٧
أورطة طوبجية فى الحجاز	٣٧٩
ألايات بيادة غارديا	٨١٢٨
ألاى ثانى طوبجية بيادة	١٩٤٩
ألاى طوبجية سوارى فى حمص	٩٨٢
ألاى سوارى غارديا	٧٩٦
ألاى زرخ	٨٤٤
ومجموع عساكر تلك الألايات	**١٧١٣٦**

عساكر البيادة

٣٥ ألاى بيادة ومجموع عساكرهم	٩٠٤٩٥
١٥ ألاى سوارى ومجموع عساكرهم	١٠١١٤
٤ أورط إمدادية فى القاهرة	٣٩٨٠
٢ ألاى بلطجية فى عكا	٨١٢
١ أورطة مهندسين فى عدليب	٧٥٨
١ بلوك لغمجية فى القاهرة	٩٤
١ أورطة بلطجية فى الإسكندرية	٣٠٨
١٦ بلوك موزعة فى الأقاليم	١٦٧١
عساكر خفر بالقاهرة	٢٨٥
عساكر جبهجية بمصر القديمة	١٨٥
١ ألاى سر عسكر	١١٥٢
١ أورطة إمدادية بطرابلس	١٦٤١
١ أورطة بدنجلة	٨٥٥

وفى بلاد الحجاز: ٢ بلوكات من الإمدادية ٢٠٠، و

١ بلوك بالقربان ١٠٦ .

ومجموع العساكر المنتظمة الموجودة تحت السلاح خلاف الرديف على ما ذكره قولوط بيك فى تاريخه لمصر	١٣٠٣٠٢
ومجموع العساكر الباش بوزوك	٤١٦٧٨
العرب وعساكر الرديف فى مصر وإسكندرية ودمياط ورشيد ومصر القديمة وبولاق	٤٧٨٠٠
ومدرسة الطوبجية والسوارى والبيادة والبحرية	١٢٠٠
وهذا بخلاف الورشجية وقدرهم	١٥٠٠٠
ومجموع ذلك	٢٣٥٩٨٠

وبناء على ذلك تكون القوة العسكرية المصرية ، منتظمة وغير منتظمة كما ترى :

عساكر منتظمة	١٣٠٣٠٢
عساكر غير منتظمة	٤١٦٧٨
الرديف	٤٧٨٠٠
رجال الورش	١٥٠٠٠
تلامذة المدارس الحربية	١٢٠٠
مجموع العساكر المصرية البرية	٢٣٥٩٨٠
الدوننمة المصرية	١٩٥٢٩
دوننمة الدولة العليه التى استولى عليها العزيز ـ كما سيأتى	٢١١٠٧
وبجموعها	٤٠٦٣٦
فإذا ضممنا إلى العساكر البرية وهى	٢٣٥٩٨٠
كان الجميع	٢٧٦٦١٦

وبيان منصرف العساكر البرية سنة ١٨٣٣ ، على ما ذكره قولوط بيك :

منصرف المدارس العسكرية فرنك	٢٠٠,٠٠٠
منصرف العساكر البرية المنتظمة	١٥,٠٠٠,٠٠٠
ماهيات الذوات ورؤساء المصالح	٥,٠٠٠,٠٠٠
ماهيات الخيالة الباش بزوك	٨١٢,٠٠٠
ماهيات العرب	٦٥٠,٠٠٠
مصروف المهمات البحرية	١,٧٥٠,٠٠٠
مرتبات الخيول والبغال والجمال	٣١٢,٠٠٠
يكون مصروف العساكر البرية	**٢٣,٧٢٤,٠٠٠**
وتقدم أن مصروف العساكر البحرية والمسيين	٩,٧٨٧,٥٠٠
يكون مصروف جميع القوة العسكرية	**٣٣,٥١١,٥٠٠**

ومع ذلك كانت له إلتفاتة تامة لعمل الإستحكامات اللازمة ، حتى أحضر لها من الممالك الفرنساوية ، موسيو (حليس) أحد المهندسين الحربيين المهرة ، ورقاه إلى رتبة البيكوية ، فلما حضر أخذ فى إختبار الأرض من جميع نواحى المدينة وضواحيها وجميع السواحل المصرية ، ثم عين مواضع الإستحكامات والحصون اللازمة ، فأسست على ما هى عليه الآن ، وأحضر لها المدافع والآلات اللازمة ، ورتبت لها العساكر الكافية والمعلمون بالقوانين المقررة المدوّنة ، فتحصنت بذلك الديار المصرية وازدادت قوّتها أضعافاً ، حتى قاومت الدولة العلية ، بل انتصرت العساكر المصرية على العساكر / التركية مراراً فى وقعات سارت بها أوراق الحوادث ، وتخلدت فى الدفاتر والتواريخ عند جميع الملل ، بل فى بعض

الرقعات قد استولى العزيز على دوننمة الدولة العلية ، ودخلت تحت طاعته ، وكانت إذ ذاك تحت قيادة أحمد باشا فوزى ، وكانت عدد سفنها ورجالها ما هو مذكور فى هذا الجدول :

	عدد رجالها
٩ مراكب كبيرة	٩٤٤٣
١١ فرقطين	٦٠٤٠
٥ لريتيات	٦٢٤
وهذا خلاف ألايين عساكر قدرهم	٥٠٠٠
ليكون	**٢١١٠٧**

فإذا ضممتها إلى الدوننمة المصرية يكون الجميع ٤٠٦٣٦ ، فإذا ضم الجميع إلى العساكر البرية المتقدم بيانها ٢٣٥٩٨٠ كان الجميع ٢٧٦٦١٦ .

وكل ذلك قد تجدد فى الديار المصرية فى مدة يسيرة بعد جلوس العزيز على تختها ، فاكتسبت بذلك قوة يمكنها أن تقاوم بها من عداها من الدول ، ولذلك اضطروا إلى معاهدة الدولة العلية ليأمنوا بذلك من صولة الديار المصرية .

مطلب أول دخول الفرنساوية فى الإسكندرية

وإنما ذكرنا هنا ما يتعلق بالقوة العسكرية لتعرف أنها كغيرها من غرس فكرة العزيز وسعة دائرة عقله وعلوّ همته ، ويظهر لك الفرق بين الحالة التى إنتقلت إليها الديار المصرية فى أيامه ، من العمران والثروة والقوّة حتى رجعت إلى حالتها الأولى ، التى كانت عليها زمن البطالسة ومؤسسها الذى تسمت باسمه وبين الحالة التى كانت عليها قبيل جلوس هذا العزيز

على تختها ، فإنها كانت فى غاية من الضعف وقلة من العَدد والعُدد ، حتى أن فئة قليلة من الإفرنج استولت عليها فى ثمانية وعشرين يوماً ، لرخاوة حكامها وقتئذ وذلك أنه حين إستيلاء الفرنسيس على جزيرة مالطة ، كما نقل عن قولوط بيك ، كان موسيو (روسيتى) قنصلاً للدولة النمساوية وغيرها بالديار المصرية فتوجه إلى مراد بيك ، حاكم مصر إذ ذاك ، وأخبره أن الفرنساوية استولوا على جزيرة مالطة ولا يبعد أن يقصدوا الديار المصرية ، فلم يعبأ بخبره بل إستهزأ وقال : كيف نخاف من هؤلاء الرعاع الذين لا فرق بينهم وبين الواقفين على أبوابنا ؟ وإن فرض وصولهم لأرضنا فمماليك الخزنة وحدهم يكفوننا المؤنة ويقطعون دابرهم ، فحاول القنصل (روسيتى) صرفه عن هذا الرأى فلم يزدد إلا إستهزاء وسخرية ، ثم أمر بإرسال قنطارين من البارود إلى الإسكندرية إحتياطاً .

فلم يمض إلا القليل حتى جاء الفرنسيس فدخلوها ، فلما بلغه ذلك أمر بإحضار مسيو (روسيتى) وطلب منه أن يكتب من عنده للفرنسيس بالخروج من هذه الديار ، فقال له (روسيتى) : هم لم يحضروا إليها بإذنى حتى يخرجوا منها بإذنى ، فإن كان ولا بد فأرسل إليهم مع المكتوب خمسين ألف فرنك حتى يرتحلوا .

فانظر كيف كان حال أمراء تلك الأيام ، وعدم إستعمالهم للحزم والتدبير بالنسبة إلى ذلك العزيز ، الذى قمع الأشرار وحمى هذه الديار ، وجيَّش الجيوش ووجههم إلى الأقطار الخارجية مثل جزيرة موره وجزيرة العرب ، وأرض السودان ، أليس ذلك باعثاً لجميع أهل الديار المصرية على إدامة الدعاء له : بتخليد دولته ودولة أنجاله ؟ .

وكان مما مّن الله به عليه ، أنه لا يقتصر على الأعمال الكبيرة ، بل كانت جميع موجبات الثروة والتقدم تشغل فكره ، فإنه أحدث فى البلاد طرقاً متسعة وشوارع معتدلة ، وجعل قوانين لتنظيم المبانى ــ سيما الإسكندرية ــ فإنه فتح بها عدة شوارع متسعة ، وبنى باب رشيد للمرور بحارة النصارى ومحلات التجار لأغراض حسنة ، وفى خارجها عدل طرقاً كثيرة ، وغرس بجوانبها أشجاراً على أوضاع فائقة .

مطلب عدد بيوت التجارة التى انشئت بالإسكندرية فى عهد العزيز محمد على

وكان له إلتفاتات تامة إلى ما يوجب رواج الفلاحة وأنواع الصنائع والمتاجر ، حتى تجدد فى عهده بيوت كثيرة تجارية لأهل الوطن وغيرهم ، فإن العلائق التجارية صارت مرتبطة بهمته مع سائر الدول ، فنشأ بالإسكندرية تسعة بيوت للفرنساوية ، وسبعة للإنكليز ، وتسعة للنمساوية ، وثمانية لأهل بلاد التسكار ، وبيتان للسردينيا ، وواحد لبلاد سويد ، وواحد للهند ، وواحد لبروسيا ، وستة لعمد تجارة الأهالى .

وكذلك حدثت مراكز كثيرة بالقاهرة وغيرها من المدن والبنادر ، ومن ذلك إحتفاله بأمر الزراعة الصيفية وغيرها ، سيما زراعة القطن ، فإنها سبب كبير فى زيادة ثروة الأهالى .

ومن أكبر دواعى الإكتساب ، الباعثة على بذل الهمة فى تحصيل الحرف والصنائع ، فتح باب تغيير الهيآت فى الأبنية والملابس والرفاهية ، فإنها فتحت / باباً للمصرف كان مقفلاً من قبل . ٥٨

وبالجملة ، فمحاسن العائلة المحمدية لا تحصى ، وعوائد فوائدها لا تستقصى .

فنها تربية أولاد الوطن بالمكاتب والمدارس ، والسعى فى كل ما فيه للرعية فائدة ، كعمل الترع والخلجان والجسور ، حتى إتسعت أرض الزراعة وصلح زرعها ، وكثرت العلوم والمعارف فى أولاد الوطن الذين تربوا تحت ظله ، وحفهم بعنايته حتى قاموا بمصالح القطر ، واستغنى بهم عن غيرهم ، كما هو جل قصده بتلك الغراسة ، فهم غرس فكرته وأولاد نعمته ، وكل ذلك مما يحمل أبناء الوطن على إدامة الدعاء له ولأنجاله حيث اقتفوا أثره فى آرائه وأفعاله .

مطلب ماكان يتحصل من الجمارك

ولنورد لك بيان قدر ماكان يتحصل من جمرك الإسكندرية وغيرها ، من الثغور المصرية ، فى مبدأ أخذ العزيز بزمام أحكام تلك الديار ، ثم ماكان يتحصل فى آخر أيامه السعيدة ، لتعلم ما حصل بهمته لهذا الفرع ، وتقيس عليه غيره من باقى فروع الثروة فى الديار المصرية فنقول :

كانت محلات الجمرك فى تلك الديار فى زمن المماليك والفرنساوية هى : القصير ، ومصر القديمة ، والقاهرة ، وبولاق ، والسويس ، ودمياط ، ورشيد ، والإسكندرية .

فأما جمرك القصير فكان متروكاً لحكام الجهات القبلية ، وأما جمرك باقى الجهات فكان بين إبراهيم بيك ومراد بيك ، وبقى الأمر على ذلك مدة ، ثم بعد ذلك اقتسما تلك الجهات خوفاً من حصول النزاع بينهما ، فاختص مراد بيك بجمرك القاهرة ، وبولاق ، ومصر القديمة ، ورشيد ، ودمياط ، والإسكندرية ، وأما إبراهيم بيك فاختص بجمرك السويس فقط ، وكان يجعل من طرفه عمالاً يحصلون الجمرك ، بخلاف مراد بيك فإنه أعطى جمارك الثغور الأربعة التى خصته لأربعة من الملتزمين ، وجعل على كل منهم شيئاً معيناً يؤدّيه إليه فى أوقاته . والملتزمون جعلوا من تحتهم عمالاً وكتبة فى كل ثغر ، على حسب الوارد قلة وكثرة ، فكان فى ثغر دمياط ثمانية من الكتبة وخمسون من العمال ، وفى رشيد ثلاثة من الكتبة وعشرون عاملاً ، وفى الإسكندرية اثنا عشر كاتباً وستون عاملاً ، وفى بولاق ومصر القديمة ستة من الكتبة وأربعون عاملاً ، فالجملة تسعة وعشرون كاتباً ومائة وسبعة وستون عاملاً ، وكانت مرتباتهم تدفع لهم من طرف الملتزمين فى كل سنة على هذا الوجه :

بولاق ٢٤٠٠ ريالاً بطاقة ، دمياط ٤٠٠٠ ، رشيد ١٠٠٠ ، إسكندرية ٤٠٠٠ ، منها مربوط الكاتب كل يوم من ٦٠ إلى ٣٠٠ نصف فضة ، ومربوطه كل سنة ٣٧٠ بطاقة ، يكون مرتب هذه الوظيفة كل سنة ٢١,١٧٠ ، ومربوط العامل كل يوم ٤٥ نصف فضة ، مربوطه كل سنة ١٨٢,٥ بطاقة ، ومرتب الجميع فى السنة ٣١٠٢٥ ، فيكون مرتب المصلحة فى السنة ٦٥٥٩٥ بطاقة .

وكان مرتب الإلتزام الذى يدفع إلى مراد بيك فى كل شهر ٢١٠٠٠ ، وفى كل سنة ٢٥٢٠٠ ، فيكون الجميع ٣١٥٥٩٥ .

ولا يخلو الحال ، على حسب العادة ، من تداخل الخدمة والكتبة فى الجمرك بالإختلاس وإخفاء بعض المتحصل ، فيصل المبلغ تقريباً إلى ٤٨٠٠٠٠ بطاقة ، يكون ما يخص الشهر ٤٠٠٠٠ بطاقة ، وهذا ما كان يدفع من طرف الملتزمين ـ وقت دخول الفرنساوية ـ إلى مراد بيك فى إلتزام الثغور الأربعة .

وحيث أن المنصرف للخدمة من طرف الملتزم يقرب من الثُمْن ، فإن فُرِض أن ما كان يصرفه فى الهدايا والرشا مثل ذلك أيضاً ، يكون المنصرف من طرفه كل سنة ١٢٠٠٠٠ ، يضاف إليه مرتب الإلتزام ٢٥٢٠٠٠ ، فيكون الجميع ٣٧٢٠٠٠ ، ويكون الباقى من ٤٨٠٠٠٠ هو ١٠٨٠٠٠ ، وهو أرباح الملتزم بعد المصاريف ، وهذا المبلغ يعادل ٣٣٤٠٠٠ فرنك تقريباً .

وأما المتحصل من جمرك السويس فهو ٤٠٩٣٦٥ بطاقة ، وهو قريب من المتحصل من الثغور الأربعة المذكورة ، وبالضرورة هو لا يحتاج لمصرف قدر ما تحتاجه الثغور الأربعة من ماهيات الكتبة والعمال ، ولذلك كانت أرباح إبراهيم بيك تزيد كثيراً عن أرباح مراد بيك .

وبناءً على هذا الذى تبين لك ، يمكن تقدير جمرك الديار المصرية على هذا الوجه المشروح كما ترى : الثغور الأربعة ٤٨٠٠٠٠ ، السويس ٤٠٩٣٦٥ ، القصير ١١٠٦٥٥ ، الجملة ١٠٠٠٠٢٠ وهو عبارة عن ثلاثة ملايين فرنك ، من ضمنها جميع المصاريف وأرباح الملتزمين .

وقد علم من الكشف المبين للمتحصل من هذا الفرع ، زمن الحكومة الفرنساوية ، أن متحصل جمرك الإسكندرية من إبتداء سنة ١٢٠١ هجرية إلى سنة ١٢١٠ ، يعنى فى مدة عشر سنين ، هو ١٣٧٦٠٩٨ بطاقة ، ومجموع المصاريف فى هذه المدة هو ٣٤٤٠٤ ، فالباقى لجهة الخزينة بعد المصاريف هو ١٠٣٥٦٩٤ بطاقة ، فينتج أن المتحصل السنوى هو ٣٢٢٨٧٢ فرنك ، وهو عبارة عن ستة عشر ألف بينتو وكسور ، هى متحصل جمرك الإسكندرية فى سنة ١٢١٠ هجرية ، وبالضرورة هو الذى كان يتحصل حين جلوس / العزيز على تخت الديار المصرية ، وكان الريال البطاقة ـ إذ ذاك ـ عبارة عن تسعين نصف فضه ، وكان القرش ثلاثين نصف فضة . ٥٩

وبعد أن تمهدت الأمور ، وإنتظمت الأحوال ، زاد المتحصل أضعافاً حتى بلغ بعد إنعقاد الصلح سنة ١٨٤١ ميلادية قريباً من ثلثمائة ألف جنية ، أعنى نحوا من تسعة عشر ضعفاً مما كان أوّلاً ، وما ذاك إلا من تدبير العزيز وإتساع دائرة الأمنية ، التى أوجبت إتساع دائرة التجارة . وكثرة توارد الأغراب بمحصولات الأقطار الخارجية .

ومن أعظم أسباب ذلك ، ما حصل من مساعدة الفلاحين على فلاحة الأراضى ، مع إجراء الطرق المصلحة للأرض كالترع والجسور ، فإزدادت محصولات الزراعة ، وإتسعت الأرض الصالحة لها حتى زادت المحصولات عن كفاية القطر ، وانتفعت الأهالى ببيع الزائد لأهل الأقطار الخارجية ، فأورثهم ذلك رفاهية وتحسيناً للهيئات والمساكن والركائب ، وراجت التجارات الداخلية والخارجية ، كما يعلم ذلك من الجدول الآتى ، الدال على قيم المحصولات الواردة على الديار المصرية ، من ثغر الإسكندرية ، والمحصولات الخارجة عنها إلى الديار الأوروباوية وغيرها من إبتداء سنة ١٨٢٣ إلى ١٨٤٢ ميلادية .

وهذا هو الجدول

سنة ميلادية	قيمة الوارد بالقرش	قيمة الصادر بالقرش
١٨٢٣	٨٠٤٥١٩٧٥	١٥٨٤٧٦٤٦٠
١٨٢٤	١١٩٥٢٠٩٧٥	٢٤٣١٦٧٧٥٠
١٨٢٥	....	١١٥٥٦٦٤٣٠
١٨٢٦	....	٨٠٨٥٥٩١٠
١٨٢٧	....	٨٥٣٨٣٤٠٠
١٨٢٨	....	٣٠١٥٩١٥٠
....	....	....
١٨٣٤	٨٢٤٥٤٠٢٥	٨٥٨٠٦١٨٥
١٨٣٥	١٠٢٤١١٩٤٥	١٣٦٧٠٢٢٦٠
١٨٣٦	١٣٠١٣٨٤٣٠	١٧٦٢٠٧٠٨٠
١٨٣٧	....	....
١٨٣٨	٣٨٠٠٠٠٠٠٠	....
١٨٣٩	٣٠٣٠٠٠٠٠٠	....
١٨٤٠	....	....
١٨٤١	١٧٠٦١٢٠٠٠	١٥٤٠٨٠٠٠٠
١٨٤٢	٢٤٧٠٩٢٠٠٠	١٨٠٦٨٨٠٠٠

فمن هذا الجدول يعلم أن حركة التجارة ، من إبتداء إستيلاء العزيز على تلك الديار ، كانت كل سنة فى ازدياد ، وفى مدة تسع عشرة سنة تضاعف الصادر والوارد جداً ، وبعد أن بلغت قيمة الصادر والوارد فى سنة ١٨٢٣ ميلادية ٢٣٨٩٢٨٤٣٥ قرشا صاغا ، وهو قريب من أربعمائة وثمانين ألف كيسة ، صارت تبلغ فى سنة ١٨٤٢ ميلادية ٤٢٧٧٨٠٠٠٠ ، وهو قريب من ثمانمائة ستين ألف كيسة ، وهذا أدل دليل على علوّ همته وسعيه فى مصالح الرعية ، فكان ـ عليه الرحمة ـ رحمة عامة لهذا القطر .

الكلام على الإسكندرية فى زمن العزيز إبراهيم باشا

لم تزل هذه المدينة حين جلوس العزيز إبراهيم باشا على تخت الديار المصرية ، آخذة فى السير فى طرق التقدمات والشهرة والقوة ، بسبب ما جدّده ورسمه فيها والده العزيز محمد على باشا من المحاسن التى تقدم ذكر بعضها ، فلما جلس هذا العزيز على كرسيها زاد فرحها وإبتهاجها ، لما كانت تؤمله فيه من بلوغها على يديه أوج السعادة وتمام الشهرة اللذين مهدهما لها بحروبه ونصراته ، ومعاناته للشدائد من شبيبته إلى مشيبه ، حتى حصلت على يديه فتوحات كثيرة ، واكتسب هذا القطر بسببه هيبة عند جميع الممالك ، فهو فى الحقيقة مشارك للمؤسس الأصلى فى تقدم هذه الديار ، وإن كانت مدّة حكمه قصيرة لا تزيد على سبعة أشهر ، فإنه ـ عليه سحائب الرحمة ـ تولى هذه الديار بطريق الوكالة عن والده فى ربيع الآخر سنة ١٢٦٤ ، وفى رمضان من تلك السنة توجه إلى الآستانة ، فخلع عليه الملك فرمان الأصالة ورجع مستولياً / على التخت ، وقد اشتغل بمجرد إستيلائه بأمور مهمة فى إسكندرية وغيرها ، ذات منافع عمومية من ضمنها : تكميل طوابى إسكندرية وإستحكاماتها على الوجه الذى أسست عليه فى عهد العزيز والده ، وشحنها بالعسكر والأسلحة والآلات . ٦٠

ومرّ بالساحل من إسكندرية إلى رشيد ، ثم إلى دمياط واستكشفه بنفسه ، ورتب لبغازىْ رشيد ودمياط ، بمعرفة جليس بيك ، جميع ما يلزم لحفظ الثغور من الطوابى والآلات والعساكر ، وهكذا إستحكامات القناطر الخيرية ، وثرعتى العطف وأبى حماد ، وبرنبال ، والعريش ، والسويس ، والقصير وما يلزم لحفظ الآبار والعيون التى بطرق تلك الجهات ، وأمر فى ثغر إسكندرية بإنشاء مائتين وخمسين شولو باطوبجية ، كل واحدة تحمل مدفعين لحفظ البغازات والملاحات ، وكان عازماً على تخطيط سكة تبتدىء من إسكندرية وتمر بناحية أبى قير وتستمر إلى رشيد ، ليسهل السير على العساكر والمهمات عند الحاجة ، وعلى ترتيب ضابطان أركان حرب .

وكان له إلتفانة تامة لتنظيم القوّة العسكرية . فجدد أورط المهندسين الحربية والكبورجية ، وأحضر لذلك رجالاً من الدولة الفرنساوية . فكان هو أول مؤسس لهذا الأمر المهم ؛ فإن الجيوش لا تستغنى عن ذلك عند سيرها داخل القطر وخارجه . لتعدية البحور والأنهار والخلجان ، سيّما عند مزاحمة العدوّ .

وكان موجهاً همته لتحصيل ما به التربية العامة والأسباب الصحية . وسلك ذلك بالفعل فى سلك التنظيم . من جملة أعمال خيرية لجميع الوطن ، لكن لم تمهله الأيام حتى يتم ما شرع فيه وما عزم عليه . وتوفى إلى رحمة الله تعالى فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٦٤ هلالية ، عوَّض الله أبناء الوطن فيه خيراً . فمدة جلوسه على التخت وإن كانت قليلة فى الحس . لكنها كثيرة فى المعنى ، بما نالته إسكندرية وغيرها من آثار همته . ولو طالت به الأيام لنالت على يديه ما كانت تؤمله وزيادة . ولكن قد عوضنا الله تعالى أضعاف ما فاتنا منه . بأن أوجد لنا من ولده لصلبه ، حضرة الجناب الخديوى إسماعيل باشا . فقد حصل لنا على يديه ما أزال أسفنا وحزننا ، فإنا بحول الله وقوّته وعناية هذا الجناب ، فضلاً عن حوزنا لجميع ما قصده المؤسس الأصلى . قد وصلنا الآن إلى درجة من التقدم لم تكن لدولة من الدول المشرقية . ولا يبعد أنّا نناظر بها الدولة الأوروباوية . فإنه بأرض مصر الآن جميع نتائج الإختراعات النافعة العلمية والعملية المستعملة على الوجه الأرجح فى تنمية الأرزاق . وما من أحد من أهل القطر والطارئين إلا وقد أخذ بحظ من ذلك . وكلهم شاهدون له مثنون عليه وعلى آبائه وأبنائه .

*** *** ***

الكلام على الإسكندرية فى زمن المرحوم عباس باشا

كان جلوسه ـ رحمه الله ـ على تخت الديار المصرية فى سنة ١٢٦٤ هجرية ، ومن ذاك الحين إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى ، لم يغير السير السياسى ـ الذى كان رسمه جده وعمه من قبله ـ لسياسة هذه الديار ، بل سار فى هذا الطريق بقلبه وقالبه ، لأنه كان لا يرى وجهاً للعدول عنه إلى غيره ، لما اشتمل عليه المنافع والفوائد الجمة للقطر وأهله .

وقد نشأ عن هذا السير ، التقدم فى التجارة والثروة فى الإسكندرية وغيرها من بلاد القطر ، ومن محافظته على القوانين الموضوعة لرواج الفلاحة نما محصولها ، ومن جودته كثرت الرغبة فى الفلاحة حتى من الأمراء والأعيان ، فزرعت أراضى كثيرة من الأراضى المتروكة ، واتسع زمام القطر ودائرة الرزق ، وسرى بشير الثروة فى نواحى القطر ، فعم القاصى والدانى ، وكان ـ رحمه الله ـ لا يكثر من الإقامة بالإسكندرية ، إلا أنه كان مهتماً بشأنها ، لما كان يعلمه من أهميتها وعظم موقعها من هذا القطر ، فشملها بعنايته واجتهد فى تتميم ما شرع فيه زمن جده وعمه ، رحمهما الله تعالى ، وبنى برأس التين سراية أعدّها لإقامة مجلس التجار ، وصمم على عمل خمسة ميادين فيها لتكون فى زمن الهدنة محلاً للتفسح والألعاب ، وفى زمن الحرب مجتمعاً للعساكر لتوجيهها إلى محل إقتضائها ، وصدرت أوامره بفتح شارع مستقيم يقسم مدينة الإسكندرية نصفين ، من باب شرق إلى باب المحمودية ، على أن يكون هو الشارع العمومى ، واشترى جميع ما بجانبه من الأملاك ، وفتح منه بالفعل جزءاً عظيماً من باب شرق إلى جنينة (جرجس حزام) وبعد وفاته صرف عنه النظر ، فأنعم به المرحوم سعيد باشا على الأهالى ، فبنوا به المنازل والخانات المشهورة الآن ، وجدد فى المنشية عمارة جسيمة ، فى محل سبيل قديم من زمن العرب ، وكانت هذه العمارة تعرف بالإلهامية نسبة إلى ابنه إلهامى

باشا ، فلما توفى إلهامي بيعت من ضمن متروكاته بخمسين ألف جنيه سوى التى إشتراها التاجر (انطونيازس) الرومى وهى على ملكه إلى الآن ، واعتنى اعتناء زائداً بتنظيم القوة العسكرية ، فأدخل فى ترتيب الألايات نوع تغيرات ، منها : أنه جعل الألاى الواحد خمسة آلاف عسكرى / أعنى قدر ألآيين مما كان قبل ، ونظم العساكر الهجانة ، وأورطتين مهندسين ، وكان تعليمهم بواسطة الصف ضابطان ، الذين كان طلبهم المرحوم إبراهيم باشا من بلاد فرانسا لهذا الغرض . فحضروا ومعهم جميع الآلات والأدوات ، وأنشئت بمعرفتهم ستون مركباً لتعليمهم كيفية تعدية الأنهار والخلجان ، وكيفية عمل الألغام والحيل العسكرية فنشأ من ذلك ما انتفع به القطر .

ومن ضمن الضابطان (موق بيك) رئيس الإستحكامات زمن المرحوم سعيد باشا و(ديبرنرزى بيك) و(مجاكية باش) مأمور ورشة الحوض المرصود ، وكانت رتبته باشجاويش .

وكان مما وجه همته إليه زيادة على غيره ــ تتميم الإستحكامات والطوابى والقلاع ، طبق ما رسمه رئيس هندسة الإستحكامات (جليس بيك) ، ووافقه عليه ذو الدراية والخبرة وأقره الخديوى ، فأقام معظم حصونها وأضاف إليها بعض حصونٍ رأى أهميتها فأدخلها فى النقط المهمة ، ومن ذلك : قلعة مقابر اليهود ، وقلعة أبى قير ، وقلعة العجمى ، مع إنشاء مبانٍ ملحقة بتلك القلاع للوازمها ، فأنشأ فى قلعة مقابر اليهود جبخانة جسيمة تسع تسعة آلاف قنطار من البارود ، وهى إلى الآن مستعملة فى حفظ البارود .

وعمل فى قلعة أبى قير مخبزاً وطواحين تدور بالهواء ، واسبتاليا لمرضى العساكر المقيمين بهذه القلعة وما جاورها من القلاع ، فكانت العساكر المقيمة فى تلك الجهات لا تحتاج لشىء يأتى من الخارج .

ولم يزل ملتفتا إلى الإستحكامات والقلاع والحصون ، عازماً على إتمامها ، فيلحق بها ما يلزم من الورش والبطاريات الطوبجية وقشلاقات العساكر المحافظين ، والإسبتاليات وغير ذلك ، حتى انتظم أكثر القلاع التى كان جده وعمه مهتمين بها ، وبنيت ورشة للطوبجية فى وسط المدينة فى شرق المحل المعروف بكوم الناضورة ، طولها مائتا مترفى مثلها عرضًا ، مشتملة على جميع محلات التشغيل : كمحلات النجارة ، والحدادة ، والبرادة ، والسبك ، وغير ذلك كالمخازن ، وجلب لها جميع آلات التشغيل والعمال والمعلمين ، فصارت من أحسن ما يعمل من هذا القبيل ، وعمل بها عدة بطاريات ، يعمر بها كثير من آلات السواحل وغيرها ، ثم أبطلها المرحوم سعيد باشا ، وأمر ببيع أرضها للأهالى ، فبنيت منازل وغير ذلك ، ومن ضمنها الآن : حمام هلندى .

وأنشئت القشلاقات داخل الطوابى فمن ذلك : قشلاق فى طابية الأداء لإقامة خمسمائة عسكرى ، وقشلاق فى قلعة أم كبيبة كذلك ، وقشلاق فوق باب الصورى المعروف بباب محرم بيك لإقامة أورطة من العساكر .

ولما أنشئت سكة الحديد الواصلة إلى الرمل مرت فى وسط القشلاق فقسمته نصفين والآن به عساكر محافظة الضبطية ، وبنى الاسبتاليا الملكية فى حوش مقابر اليهود بجوار المسلة المعروفة بمسلة كيلوبترا ، ووفّاها جميع لوازمها من مفروشات وملبوسات وأدوية وآلات ، وجعل بها أجزاخانة وبيتاً لتركيب الأدوية ، ونوّع محلاتها بحسب أنواع الأمراض والعلل ، ورتّب لها حكماء وجراحجية فجاءت من أحسن الإسبتاليات ، وحصل بها النفع العام ، وصار يدخلها الأهالى والغرباء للتداوى بدون مقابل ، واستمرت على ذلك حتى هدمتها سكة حديد الرمل أيضاً ، والآن عمل من فيض المكارم الخديوية إسبتاليا عوضاً عنها فى محل قريب منها .

مطلب استكشاف عن السواحل

ولأجل الوقوف على ما اشتملت عليه الأراضى المجاورة لثغر الإسكندرية ، أمر باستكشاف ما حوله حيث كان لذلك دخل فى المحافظة ، فكشف سواحل البحر من الإسكندرية إلى العريش ومنها إلى مطروح ، وكشف بحيرة مريوط إلى حدود المزارع من مديرية البحيرة ، وإلى حدود الأرض المرتفعة من جهة وادى النطرون وسيوة ، وجميع الجزائر التى بالبحيرة ، وعمل لكل ذلك رسوم ، وظهرت الآبار والسواقى القديمة ـ المكشوفة وغيرها ـ والآثار والرؤوس ، والمين ، والمرتفع والمنخفض من الأرض ، والطرق التى كانت تصل إلى الإسكندرية من كل جهة .

واهتم أيضاً بكشف الصهاريج التى بداخل الإسكندرية وخارجها ، وما تشتمل عليه ، وقدر ما تسعه من الماء والمجارى التى توصل الماء إليها ، وصار التنبيه على أصحاب الأملاك أن لا يتلفوا شيئاً من ذلك ولا يتصرفوا فيه ، وجعل لذلك قوانين معمولاً بها إلى الآن ، وكانت قد بطلت مدة فنشأ عن بطلاتها تصرف أصحاب الأملاك فى كثير منها بالنقض والهدم .

وحيث كان الماء من أهم لوازم المينا ، ولا يستغنى عنه زمناً مّا لاسيما لو فرض حصول محاصرة تقطع ماء المحمودية عن الثغر ، صدرت أوامره السنية بعدم التعرض للصهاريج بوجهٍ ما ، والرجوع إلى تلك القوانين ، فامتنع الناس من هدمها ، ولا يخفى أهمية ذلك فإن تلك الصهاريج مبنية من قرون عديدة ولا شك أنها صرفت فيها أموال جسيمة ، وهى من الآثار القديمة التى نوه التاريخ بقدرها وأهميتها / بالنسبة لهذه المدينة لبعدها عن النيل ، والماء الواصل إليها من الخليج يمر فى وسط بحائر ملحة ومنحطة ، وفى أى وقتٍ يمكن صرفه إلى البرارى أو البحر وحرمان المدينة منه ، فيقع أهلها فى الضرر ، وتفارقها العمارية مع أنها مفتاح القطر ، فلم يكن أهم مما يوصل إلى عماريتها وراحة أهلها .

٦٢

ومن ذلك كشف المسالك الموصلة إليها ، ومعرفة ما اشتملت عليه تلك الطرق مما هو من لوازم الحياة : كالمياه العذبة ، والمراعى ، وحطب الوقود ، وجلب الميرة ، ومنع الأعداء ، فكل ذلك معرفته مهمة فى وقت السلم لينتفع به عند حصول ضده .

فهذا هو ملحظه ـ رحمه الله ـ وملحظ المؤسس الأصلى ، وملحظ سر عسكر ، جزاهم الله عن الوطن خيراً ، ومن هذا الإستكشاف ظهرت ثمرات جمة منها :

عمل سكة عسكرية من طابية القبارى إلى باب العرب لتسهيل مرور العساكر والواردين على المدينة من جهة الغرب ووادى سيوه ، وكانوا قبل ذلك يقاسون مشقات زائدة ، لعدم إنتظام المسالك فكانوا تارة يتبعون فى سيرهم الجبل ، وتارة الأرض الغربية مع كثرة الصعود والهبوط المستلزم لطول المسافة وكثرة المشاق .

ومنها : معرفة الحدّ بين قطر مصر وإيالة تونس ، وكان قبل ذلك مبهماً فزال إبهامه ، وعين ما بينه وبين الإسكندرية من المحطات المعروفة عند العرب ، يحطون فيها فى أسفارهم ، وقد رسم ذلك كله فى خرط الإستحكامات حتى لا تتطرق إليه شبهة فيما بعد .

وقد نشأ من هذا التعيين الجزم بأن المحطة المعروفة بالمطروح ، هى حد ما بين الأقطار المصرية وإيالة طرابلس ، والمحطة المذكورة مرسى للمراكب على البحر الملح ، بينها وبين إسكندرية مسافة مائة وعشرين ميلاً إلى جهة بحرى .

وبقى الأمر على ذلك إلى زمن الخديوى ، ثم اتضح أن الحد الحقيق هو ناحية السلوم بحرى إسكندرية بمائتين وخمسة وعشرين ميلاً ، فبينها وبين المطروح مائة وخمسة أميال .

مطلب بيان المحطات التى بين إسكندرية وإيالة طرابلس

وهذا بيان المحطات المذكورة وبيان أبعادها إلى جهة بحرى بالميل :

فمن أبى صير ، وهى قلعة قديمة بها إشارة جديدة إلى المحل المعروف بالعميد ، وفيه الآن فنار وضع فى زمن الخديوى ٢٠ ميلاً

ومن العميد إلى المحل المعروف باسم سيدى عبدالرحمن ، وهو محل قديم خرب ٢٠ .

ومن سيدى عبدالرحمن إلى تنوب ، وهى قرية قديمة خربة ١٠ .

ومن تنوب إلى المحل المعروف باسم جميمة ، وهو مرسى المراكب المعتاد ٨

ومن جميمة إلى المحل المعروف باسم أبى جراب ، وهو محطة عرب ٩ .

ومن أبى جراب إلى المحل المعروف برأس العقيلى ، وهو محل منقطع ٦ .

ومن رأس العقيلى إلى المحل المعروف برأس الكناس ، وهو مينا لرسوّ المراكب الكبيرة ١٢

ومن رأس الكناس إلى مطروح ، وهو محل إجتماع التجار الواردين من الغرب وبه قبيلة من العرب ٣٥

ومن مطروح إلى محل يعرف بجرجوب ، وهو محل خرب ٣٠ .

ومن جرجوب إلى السلوم ـ التى هى الحد بين مصر وإيالة طرابلس ٧٥ .

وفى هذه الأيام صار الشروع فى إستخراج صنف السفنج من البحر ، من إبتداء أبى صير لغاية السلوم ، وذلك بمعرفة ملتزم إلتزمه من الحكومة على شروط مقررة بمدة عشر سنين ، أوّلها سنة ١٢٩١ هجرية .

ولما كثرت الإفرنج والأغراب فى مدينة الإسكندرية واستوطنوها ، واستحوذوا على كثير من الفضاء الذى كان بداخل المدينة وضواحيها ، رغبوا فى سكنى الرمل وهى قرية شرق المدينة ، بينها وبين أبى قير ، وأكثروا من شراء الأملاك فى هذا المحل لقلة ثمن الأرض هناك إذ ذاك ، فتيقظت الحكومة لذلك لما لتلك الجهات من الأهمية ، لوقوعها فى المناطق العسكرية الممنوع البناء فيها ، فأمرت بضبط ما بيع من هذه الأراضى ، وبيان ما بنى وما لم يبن منها ، ومنعت التصرف فى أراضى الرمل وغيرها إلا بإذن من الحكومة ، وجعلت لذلك قوانين تتبع فى هذه الأمور .

وبسبب قرب الرمل من المدينة وإتساعه وطيب هوائه ، رغب المرحوم فى إتخاذه معسكراً تجتمع فيه العساكر فى المناورات وغيرها ، وأمر بردم الملاحة المجاورة لقرية الرمل لمنع العفونة ، وعمل لذلك رسوم وميزانيات ، ولكن بموته لم يتم ذلك .

وقد اشترى الإفرنج بالحيلة والخداع كثيراً من تلك الأرض ، وشيدت به قصور ومنازل ، وغرست فيه بساتين حتى أشبه الآن المدينة كما سنذكره .

مطلب قسمة الفضاء

ولم تكن همته ــ عليه سحائب الرحمة ــ قاصرة على الأمور العسكرية ، بل كانت أيضاً متوجهة إلى ما يوجب رفاهية لأهل ولايته ، فقسم الفضاء الذى فى مينا البصل ومينا الشراقوه بين أهل المدينة ، فبنوها مخازن لتلقى البضائع المصرية والمشرقية ، فراج كثير منهم من هذه العطايا الوافرة .

وبعد أن كانت هذه الجهة من الضواحى القليلة القيمة لا يرغب فيها إلا القليل من الخلق ، صارت بما لحقها من عناية العائلة المحمدية رفيعة القيمة ذات أبنية / مشيدة ومركزاً لعموم تجارات القطر .

٦٣

ولم تزل إلى الآن على هذا الحال لقربها من المينا الغربية وساحل المحمودية ؛ فتقف عندها المراكب الواردة من جهات القطر والخارجة من هويس المحمودية ، فيتأتى هناك تفريغ بضائع القطر وشحن البضائع المسافرة إلى ألبلاد الخارجية .

وقبل وجود السكة الحديد كانت قد بلغت من الأهمية ما لا يمكن وصفه ، فكانت المراكب بها لكثرتها كأنها كوبرى يمكن المرور من فوقها من شاطىء المحمودية إلى الشاطىء الآخر ، وكانت تمتد فى الجانبين بعيداً عن أماكن الشحن والتفريغ نحو ألف متر .

وهى الآن بعد وجود السكة الحديد ، وإن لم تكن بهذا الوصف ، لكنها دائماً مشحونة بمراكب الشحن والتفريغ ضرورة إزدياد ثروة الديار المصرية فى زمن الخديوى عما كانت عليه فى الأزمان السابقة ، بسبب إلتفاته إلى موجبات سعادة الوطن .

ولما كان قد ترتب على إنصباب ترعة المحمودية فى المينا ، مع خلل الهويس الذى بها ، رسوب الطمى فى كثير من مواضعها ، وقلة عمق الماء فى تلك المواضع ، وعدم إمكان تقريب السفن من البر ، صدرت الأوامر بإصلاح الهويس وتوسعته ، وتطهير فم الترعة والمينا لتتمكن جميع المراكب النيلية من أغراضها بسهولة ، ولذلك صار جلب الماء العذب من المجارى إلى سيف[1] البحر فى المينا لتأخذ المراكب المياه بسهولة ، وهى المستعملة إلى الآن مع غاية النفع ، وتطهير الترعة جميعها أيضاً لأن الطمى الذى كان بها مع كثرة المزروعات التى تسقى منها ، كان موجباً لتعسر مرور المراكب بها فى كثير من الأوقات ، وكانت المراكب كثيراً ما تقسم حمولتها على مراكب صغيرة فى طريقها .

فبهذة العناية زال هذا العناء عن التجار ، وجعل أمام الجمرك القديم الذى أنشىء فى زمن العزيز عمارة متسعة لإقامة الخدمة وتخزين البضائع .

(١) سيف البحر ـ بكسر السين ـ ساحله .

ولزيادة إعتنائه بأمر التجارة بنى قصراً فى ناحية العطف ، وكان يقيم فيه أحياناً ، فحصل إهتمام المستخدمين فى إصلاح الترعة حتى استقامت أحوالها ، وسهّل مرور التجارة .

ومع إقامته فى هذه الجهة أو غيرها ، كجهة رشيد ، كان لا يغفل عن مصالح مدينة إسكندرية .

مطلب عمارة البلاد الخمسة

ومن إعتنائه بها أمْره بعمارة البلاد الخمسة الواقعة شرقيها ، وترغيبه فى زراعة أرضها ، لينتفع أهل المدينة بما تنتجه تلك الأرض من المحصولات .

وكان بقرب هذه البلاد بحائر فأصلح كثيراً من أرضها ، وكذلك أصلح أراضى بحيرة مريوط قبلى المحمودية ، وذلك أنه أنعم به على الراغبين بشرط إصلاحه وزرعه ، فتناول الناس من الإفرنج والأمراء ، وأهل المدينة والقرى ، واجتهد كلٌّ فى زرع أرضه أصناف المزروعات ، ما عدا الأشجار الكبيرة ، على حسب ما تجدد فى قوانين الإستحكامات ، فانصلح بذلك أغلب الأراضى المشاهدة فى جانبى السكة الحديد والمحمودية .

ولما ذاق أربابها حلاوة أرباح محصولاتها ، من الخضراوات والفواكه ، اجتهدوا فى خدمتها حتى صارت من أجود الأراضى بحيث لا يرضى أحد من أربابها ببيع الفدان الواحد بعشرين ألف قرش ميرية ، مع أنها فى الأصل لا قيمة لها .

وكذلك القرى الخمسة وهى :

قرية الحضرة : وهى عبارة عن أربعة كفور صغيرة متقاربة ، بجوار التلول التى بين رشيد وقرية الرمل .

ومنها قرية الرمل : وهى معروفة ، وبها الآن سرايات الجناب الخديوى .

ومنها قرية السيوف : شرق قرية الرمل ، وسكة الحديد الجارى عملها الآن الذاهبة إلى رشيد وأبى قير ، المارة فى أراضى القرية المذكورة .

ومنها قرية المندرة : شرق قرية السيوف ، وبحرى سكة الحديد .

وهذه القرى الآن على غاية من العمارة لا تخلو أرضها من الزرع ، فيزرع بها من أنواع الخضراوات والفواكه أصناف كثيرة من الحبوب والبرسيم ، وبها بساتين كثيرة .

وكان أهل هذه القرى - فى الزمن السابق - قد ارتحلوا عنها لضيق الحال بهم ، ككثير من أهل البلاد المصرية ، ولما جاد الله على هذا القطر بإيجاد العزيز ، وبدت منه أعلام الشفقة والرحمة ، أخذ الناس فى العود إلى أوطانهم فتوطنوها واشتغلوا بإصلاح أراضيهم وزرعها ، حتى صارت إلى ما علمت ، وسكنها كثير من أصحاب الحرف والصنائع ؛ لما رأوا بها من كثرة الأرباح بسبب مجاورتهم لمدينة إسكندرية ، التى إنتقلت عما كانت عليه فى سالف الأزمان ، وكثرت بها الأعمال والعمال فى المصالح الميرية ، والدوائر السنية ودوائر العائلة والأمراء والأعيان والتجار ، حتى بلغ عدد المحترفين بتلك المدينة خُمس تعداد أهلها ، كما يعلم مما سيأتى .

وهذا يدل على علوّ شأنها فى الثروة ، وزيادتها على مدن الأقطار المشرقية ، ومعادلتها لمدن الديار الأوروباوية مع الإزدياد كل سنة ، حتى أن من رآها فى سنة ثم رآها فى السنة التى تليها ، يرى إتساع مساحتها من كل جهة ، وانتقالها فى التقدم إنتقالاً كبيراً فى الأبنية والمتاجر ، والأوضاع الجديدة الجميلة الرونق .

وهكذا فى كل سنة ، وكان قد صمم على عمل ترعة يكون فمها من المحمودية تجاه الرمل ، بجوار ترعة بغوص ، ومصرفها فى وسط أبى قير ، فيما بين قلعة كوم الشوشة القديمة والقلعة التوفيقية الجديدة ، ولكنها لم تعمل فى زمنه .

٦٤

وحيث أن لها تأثيراً فى خصوبة تلك الأراضى ، وإحياء كثير من أراضى البحيرة ، توجهت الهمم الخديوية لإنشائها ، وعما قليل يصير الشروع فيها بمشيئة الله تعالى ، وتكون من المآثر الخديوية التى يتحلى بها جيد الديار المصرية .

وما تجدد بهمة المرحوم عباس باشا ، وإن كان كله نافعاً ، إلا أن أنفعه وأهمه السكة الحديد ، فإن ذلك مما يستوجب تخليد ذكر العائلة المحمدية ، لما لها من الفوائد التى لا تحصرها الأقلام ، ولا تحيط بها الأوهام .

وغاية ما يدرك الوهم أنها قوة عظيمة بخارية أوجدها الإنسان بفكره ومعارفه ، لتبلغه أوج السعادة ، وتمكنه من حظوظ وغايات فى عمره القصير كان لا يمكنه إدراكها ولو بلغ من العمر ألوفاً من السنين ، كيف وهى تقطع مسافة عشرة أيام فى أقل من يوم ، مع جرها نحو مائة عربة محملة بالأحمال الثقيلة ، والألوف المؤلفة من الآدميين وغيرهم ، مع السهولة وعدم حصول أدنى مشقة أو ضرر ، ومع قلة الأجرة والمصرف جداً ، بخلاف ما كان عليه الإنسان قبلها من عدم تحصيل الأغراض ، مع إقتحام ما لا مزيد عليه من المشاق وكثرة المصرف فى عشر معشار أغراضه ، فجزاه الله خيراً عن هذه الأقطار ، بل وجميع الأقطار المشرقية ، لأن منافع هذا الأثر سارية فى جميع الجهات المجاورة لمصر ، حتى الصحارى والبرارى الشاسعة ؛ وبه أمن المسافرون من كثير من الآفات التى كانت تعرض لهم براً وبحراً فتذيقهم الآلام ، وتطول عليهم الأيام ، وربما دمرت أعمالهم ، وأتلفتهم وأتلفت أموالهم .

ثم إن هذا الأثر ، وإن كان أول ظهوره أيام المرحوم عباس باشا ، لأنه هو الذى أنشأه ومدّ الفرع الطوالى من مصر إلى إسكندرية ، لكن لا يخفى أنه كان قد حصل من الإنكليز مفاتحة العزيز محمد على باشا فى عمل سكة حديد بهذا الوضع سنة ١٨٣٧ ميلادية ، بعد إتمام سكة حديد ليوربول من بلادهم ، لكن كان مطلوبهم مدّها من القاهرة إلى السويس فقط ، لتسهيل نقل البضائع الهندية المارة بمصر إلى بلاد أوروبا ، فأجابهم العزيز لذلك لعلمه

ما يصل إلى القطر من منافعها ، وربط الكلام مع أحد بيوت تجار الإنكليز بجلب ما يلزم لذلك من القُضب والآلات ، وأحضر بالفعل نحو النصف منها ، إلا أنه فى أثناء ذلك طرأت موانع عطلت إتمام هذا المشروع ، فاستعملت القضبان التى جلبت فى سكة حديد أنشئت فى ناحية طرابين الجبل والبحر ، لنقل الحجارة والدبش للقناطر الخيرية .

واستمرت التجارة الإنكليزية ــ على عادتها ــ من حملها من السويس إلى مصر على الجمال ، ثم تحمل فى المراكب إلى إسكندرية ، ثم تنقل إلى مراكب البحر الرومى إلى بلاد أوروبا .

وكانت إدارة ذلك منوطة بالإنكليز ، فكان يحصل فى كثير من الأوقات دعاوى تضطر الحكومة إلى فصلها ، فرأى العزيز أن إحالة إدارتها على طرف الحكومة المصرية أرجح لها ، فعملت مع الكبانية الشرقية شروطاً ، جرى العمل على مقتضاها فى نقل البضائع والسرر بالحكومة .

مطلب مصلحة البزابرت

ورتبت لها مصلحة عرفت بمصلحة البزابرت ، وجعل لها دار إدارة فى السويس ، ومثلها فى مصر وفى إسكندرية ، ورتب لها ما يلزم على أتم وجه من الأشخاص والحيوانات والعربات .

وبقى الأمر على ذلك إلى زمن المرحوم عباس باشا ، فتكرر من الحكومة الإنكليزية طلب عمل سكة الحديد ، وكان الوقت مساعداً ، ولم تكن الموانع التى كانت زمن العزيز موجودة ــ لأن دولة فرنسا هى التى كانت تعارض الإنكليز ــ فانتهز الإنكليز الفرصة وتحصلوا من الباب العالى على فرمان التصريح بالعمل ، ولكن كان غرضهم قاصراً على عملها من مصر إلى السويس ، وهذا خلاف غرض المرحوم عباس باشا ، لأن السكة ــ على رأيهم ــ تكون قاصرة على المرور فى الصحراء الشرقية ولا تتبع البلاد .

وهذا ليس فيه كبير فائدة ، وأما هو فكان مرغوبه أن تمد أوّلاً من إسكندرية إلى القاهرة فى وسط البلاد ، ثم من القاهرة إلى السويس ، فحصل التراضى على ذلك وعقدت الشروط مع المهندس الماهر (استيفنسون) على تعيين مهندسين إنكليزيين من طرفه لعمل الجسر وتركيب القضبان ، فى نظير خمسين ألف جنيه يأخذونها من الحكومة دفعة واحدة ، فحضروا وانضم إليهم جملة من مهندسى الحكومة .

مطلب الشروع فى عمل السكة الحديد

وشُرع فى العمل ، والذى تم من ذلك قبل وفاة المرحوم عباس باشا هو نحو من ٧٠ ميلاً ، ولم يهمل خلفاؤه هذا الأمر الجليل بل اعتنوا به وحفّوه بعنايتهم ، حتى صار من الأمور التى أوسعت إدارة إنتفاع الأهالى والحكومة ، وتممت إرتباط القطر المصرى بجميع أقطار الدنيا ، وجلبت / إليه خيراتها ، كما كانت السبب فى نقل خيرات مصر إلى جميع أنحاء الأرض ، وجعلت مصر كعبة تحجها الناس من البلاد البعيدة والقريبة . ٦٥

وقد تكلمنا فى الفصل الثالث من هذا الجزء على جميع ما تم من السكك الحديدية فليُنظر هناك .[1]

(١) انظر ص ٢٤٣ وما بعدها من هذا الجزء .

الكلام على الإسكندرية فى زمن الخديوى إسماعيل باشا

إعلم أن مدينة إسكندرية ، وإن كانت بلغت من العز والثروة وحسن الرونق ما بلغت ، لكن لا يخفى على ذى بصيرة ما حصل فى عصرنا هذا من التقدم فى العلوم والمعارف ، إذ ما من يوم إلا ويحصل فيه إختراعات جديدة وأشياء مفيدة ، لم تكن من قبل ، ولما لم يكن ذلك خافياً على فطنة الخديوى وذكائه احتفل بتوسعة دائرة ثروة القطر وتمدينه .

فمن مبدأ جلوسه على تخت الديار المصرية وذلك فى ٢٨ رجب سنة ١٢٧٩ هجرية ، موافقة لسنة ١٨٦٣ ميلادية ، أخذ يفكر فيما يعود نفعه على الأهالى ويزيد فى رفاهيتهم ، فرأى أن أس ثروة هذا القطر إنما هو نشر ألوية الأمن ، فأعمل فى ذلك جدّه واجتهاده حتى وصل إلى الغرض المطلوب ، وانتقل القطر بما اكتسبه من الأفكار العلية عن جميع أحواله الأولية إلى ما هو أحسن منها ، كما هو مشاهد .

فمن ذلك : تمكين العلائق بين أهل هذه الديار وما جاورها من البلاد المتمدنة ، حتى هرع إليها كثير من الأغراب ، ورغبوا فى الإقامة بها ونشر معارفهم وعلومهم فيها ، ولم يقصروا سكناهم على إسكندرية بل سكنوا سائر مدن القطر وانتشروا فى جميع قراه ، كما يظهر ذلك من الجدول المستخرج من كتاب الإحصاءات المصرية لسنة ١٨٧٢ ميلادية وهو هذا :

أغراب متوطنون بالإسكندرية	٤٧٣١٦
أغراب متوطنون بالقاهرة	١٩١٢٠
أغراب متوطنون بالوجه البحرى	١٣٢٦٠
الجميع	٧٩٦٩٦

ويظهر من هذا الجدول أن مزية الإنتفاع بالأغراب لم تكن قاصرة على بعض القطر ، بل كانت عامة فى جميع نواحيه عائدة على طوائف أهاليه .

ولا شك أن هذه المنقبة ليست إلا للحضرة الخديوية فإنها هى التى مهدت طرق هذا الغرس ، وهيأت ما به نجاحه فكان ذلك من جملة دواعى زيادة رغبة الدول المتحابة فى تمكين العلائق بينها وبين مصر ، ونشأ عن ذلك شهرة الديار المصرية حتى طار صيتها فى جميع الآفاق وإنعقد على فضلها الإتفاق .

وحيث كان من أسباب هذه السعادة ما أحدثته الهمم الخديوية والأفكار الإسماعيلية مما يضيق الوقت عن ضبطه وإحصائه ، ويعجز القلم عن تقييد بعضه فضلاً عن إستقصائه ، فمن الواجب أن نتكلم على المهم منها فنقول :

الفصل الأول فى إسكندرية

قد علم مما سبق أن مدينة إسكندرية كانت لم تزل كل سنة تزيد فى العمارة ، ولما جلس الخديوى على التخت كان قد بلغ تعداد أهلها قريباً من مائة وسبعين ألف نفس ، وبسبب ضيق أرضها على سكانها كان قد ابتدأ كثير من الناس ، فى آخر زمن المرحوم سعيد باشا ، فى السكنى جهة الرمل ، الواقع فيما بين إسكندرية وأبى قير ، فرخص لبعض الناس فى بناء منازل خارج الأسوار فى المناطق العسكرية التى كان الناس لذلك الوقت ممنوعين من البناء بها ، على حسب القوانين العسكرية المقررة من زمن المرحوم محمد على باشا ، فاتسعت المدينة وكثر سكانها حتى بلغ عددهم سنة ١٨٧٢ ميلادية ٢١٢٠٤٣ نفساً ، من ضمنها ٤٧٣١٦ أغراب من ملل مختلفة .

ومن كثرة الراغبين فى سكناها مع زيادة الثروة ، ارتفعت قيمة الأرض داخل المدينة وخارجها حتى بلغت قيمة الذراع الواحد فى داخل البلد جنيهاً ونصفاً ، وقد كانت حين جلوس العزيز محمد على باشا على التخت لا تزيد فى تلك الجهات عن عشرة فضة ، فأين هذا من ذاك ، وفى دائر المنشية بلغت قيمة الذراع الآن أربعة جنيهات ، بعد أن كانت لا تزيد عن ثلاثين نصف فضة ، وهكذا الفرق فى خارجها فقد بيعت فى الزمان السابق ضنيعة فوق المحمودية تسمى : غيط غربال ، بثمانين كيسة ، ثم فى سنة ١٣٨٤ هجرية أرادت الدائرة السنية شراءها بعشرة آلاف جنيه فأبى مالكها فانظر الفرق ، وكذلك التلول ، التى كانت لا قيمة لها ، صار الآن بعضها يباع ذراعه بثلاثة فرنكات وبعضها بأكثر ، ولم تزل القيمة تتزايد والرغبات تقوى والخلق تكثر ، وعما قليل تتصل مبانيها بمبانى المحمودية مع إمتدادها إلى ناحية الرمل وأبى قير .

فهذه المدينة فوق ساحل البحر ، أول شاهد للعائلة المحمدية ، سيما الحضرة الخديوية ، باستحقاق الثناء وتخليد الذكر ، فإن كل من شاهد محاسنها التى هى عليها الآن وتذكر الحالة التى كانت عليها قبل ، نطقت جميع جوارحه بشكر تلك الشجرة المباركة التى إستضاء بها جميع الوطن ، سيما تلك المدينة ، وكيف لا وقد كانت تجردت قبل هذه العائلة عن محاسنها ، وعرت عن العلم وأهله ، فكان لا يرى بها إلا بعض وعاظ فى شهر رمضان والشهرين قبله إلى أن بنى الشيخ إبراهيم باشا جامعه / سنة ١٢٤٠ ، فأخذ العلم فى الظهور والإنتشار بسبب شمول مرحمة العزيز جميع أهله ، وجعل يتسع بإتساع الرزق حتى صار يدرس فى أكثر مساجدها مثل مسجد سيدى أبى العباس المرسى ، ومسجد البوصيرى فى جميع فصول السنة .

٦٦

وكذلك لم يكن بها من المتاجر إلا شيء قليل ، فكانت أماكن البيع منحصرة فيما حول جامع الشيخ إبراهيم باشا فى دكاكين لا تزيد عن خمسة عشر دكاناً ، وكذلك اليهود الصيارفة كانوا قليلين محصورين فى حارتهم المعروفة بهم فى مساكن من ضمن رباع الأهالى ، وكان

الغريب لا يجد من يأويه ولا مكاناً يطمئن فيه ، بخلاف ما هى عليه الآن ، فقد رفلت هى وسائر جهات الوطن فى حلل السعادة ، وكثرت بها المتاجر والحوانيت والخانات ، ووصلت إلى ما يتعسر حصرة ، وكثرت بها بنوك الإفرنج التجارية ، وهذا بخلاف عدد وافر منهم صيارفة يتجرون فى النقود ، وبخلاف عدد آخر منتصبين لشراء محصولات القطر وجلب البضائع الخارجية . وفى كل يوم تتجدد بها البنوك ويرد إليها الأغراب من كل جهة .

مطلب بيان عدد ما يذبح كل سنة بمذبح إسكندرية

وقد أحصى ما يذبح بسلخانة تلك المدينة كل سنة من بهيمة الأنعام فى لوازم الأكل فوجد ١٠٠٩٩٦ بهيمة ، منها الأغنام ٢٧١٥٧ شاة ومنها من صنف البقر ١١٦١٢ ، مع أنها كانت قبل العائلة المحمدية ليس بها من الجزارين غير اثنين فى حارة المغاربة ، وكان أكثر أهل الميسرة يشتركون فى شاة يقتسمونها بينهم ، فهذا الفرع وحده من أكبر أدلة الثروة .

وقد كثرت بها أيضاً اللوكندات ، حتى صار الغريب يتخير لنفسه ما شاء ، مع الأمن على النفس والمال .

ومن آثار الثروة أنك ترى الناس فى كل موضع من المدينة فى حركة : مشاة وركباناً ، لا فرق بين ليل ونهار بسبب الغازات الحافة بجوانب الطرق والشوارع ، ذات السعة والإعتدال ، مع كثرة العربات المعدة للركوب على رؤوس الشوارع والميادين ، ومنها الذاهبة والآيبة على خيول كأنها الرياح المرسلة على هيآت مختلفة فى المحاسن والدرجات .

مطلب عدد العربات المعدة للأجرة وغيرها

وقد أحصى ما وجد منها فى هذه المدينة فوجد كما ترى : عربات الركوب المختصة

بأربابها ١٣٨، مزدوجة ٨٦، مفردة ٨، هنتور ٣٤٦ ، عربات ركوب بالأجرة وعربات كارلو لنقل البضائع ٣٤٧ ، مزدوجة ١٨٧ ، مفردة ٥، عربات أوس ٣ ، عربات لرش المياه ١٧ ، عربات حمير ٢٩٤ ، عربات صندوق ، فجميع ذلك من عربات الركوب وخلافه ١٤٣١ .

هذا كله خلاف عربات العائلة المحمدية وتوابعها ، وخلاف عربات الإفرنج .

ومعلوم أن أس هذه الثروة إنما هو المرحوم محمد على باشا المؤسس الأصلى ، وبلوغ أوجها إنما هو بالعناية الخديوية ، فإنه بما بثه فيها من أسباب التنعمات أنساها البؤس والخشونة التى كانت عليها الأعصر الخالية ، فلم يبق سبباً يستوجب تمدن أهل وطنه ورفاهيتهم إلا وجّه إليه همته وحصله .

مطلب شوارع اسكندرية وما بلط منها ومساحة ذلك

ومن ذلك إلتفاته إلى الطرق والشوارع ، فقد كانت لا تفى بالمقصود منها من تسهيل المرور بالمتاجر وخلافها ، وكانت غير مبلطة فنى الشتاء تراها كثيرة الوحل بسبب المطر ، وفى الصيف كانت كثيرة الأتربة وكان ذلك يضر بالمارّين والسكان ، فصدرت أوامره السنية بفتح عدة شوارع وحارات أهمها :

شارع إبراهيم الممتد من مدرسة البنات إلى ترعة المحمودية ، وطوله ١٠٠٠ متر فى عرض ٢٤ متراً ، فتح جميعه فى التلول ، وعمل أولاً بالدبش والدقشوم ، وجعل فى جانبيه طويقان للمشاة وترك وسطه للعربات والحيوانات ، وبعد ما استعمل كذلك زمناً تبينت ضرورة تبليطه ، فحصل ذلك سنة ١٢٩١ .

ثم شارع الجمرك ، الممتد من حارة الشمرلى إلى شارع الشمرلى العمومى ، وطوله ٢٠٠ متر فى عرض ١٠ أمتار ، ثم شارع تصدير الغلال ، وشارع تصدير الأقطان ، وقد صار تبليط هذه الثلاثة شوارع وفتح ستة شوارع جديدة ، ممتدة بين سكة باب شرق وسكة العسكرية المارة ، حول سور المدينة ، طول كل واحد منها ٦٠٠ متر ، وصار تبليط بعضها .

وقد جدد أهل المدينة حولها أبنية فاخرة ، ولم تزل هممهم قوية فى التجديد حولها ، ثم صار تبليط الجهات المهمة العامة مثل الترسانة والجمرك ، والطريق الموصل بينهما وبين محطة السكة الحديد وعدة حارات وشوارع ، ومينة البصل ، وميناء الشراقوه ، والمنشية ، وميدان محطة السكة الحديد ، وقد بلغ مساحة ما تم من ذلك لغاية سنة ١٢٨٧ هلالية ، الموافقة سنة ١٨٧٠ ميلادية ١١٦٦٨٨ متراً مربعاً .

وهذا خلاف ما صار تبليطه على ذمة الدائرة السنية ، وما صار تبليطه أيضاً فى جهة الجمرك والترسانة ، وشارع العطارين ، وشارع المسلة ، والآن جار التبليط فى شوارع أخر .

وعملية التبليط ـ هذه ـ قد جعلت بالمقاولة ، والبلاط المستعمل فيها مجلوب من جهة تريسته ، وهو من الحجر الصلد الذى بلونه زرقة ، وطول البلاطة الواحدة قريب من ذراع معمارى ، وعرضها على النصف من طولها ، وسمكها يقرب من نصف العرض ، وقيمة المتر المسطح بعد وضعه فى الأرض من ١٨ إفرنكا إلى ٢٠ .

ولما كان صرف مياه الأمطار ونحوها من أهم الأمور ، أمر بعمل المجارى تحت الشوارع والطرقات ، وقد عين لجميع ذلك مهندسين وحكماء ، وبمعرفتهم جاءت الشوارع والمجارى على أحسن وضع ، وقد بلغ طول المجارى التى بنيت بالمدينة ـ تحت الحارات والشوارع لغاية سنة ١٢٨٧ هلالية ـ ١١٩٠١ متراً .

مطلب تمثال محمد على باشا وما صرف عليه من الفرنكات

وقد وضع فى المنشية تمثال المرحوم محمد على باشا ، المصنوع من التوج فى البلاد الأوروباوية على قاعدة من الرخام ، وصرف عليه قريب من ٢٠٠٠٠٠٠ من الفرنكات ، ودواماً ينظره المارون ويترحمون على غارس التمدن فى الديار المصرية ، ويدعون للحضرة الخديوية التى لم تأل جهداً فى تنمية هذا الغرس .

مطلب ما أنعم به الخديو إسماعيل من الفضاء خارج إسكندرية وما أنشئ فيه من المبانى وغيرها

ولأجل توسعة دائرة العمارية ، أعطيت للمتطلبين من لدن المكارم الخديوية قطع من الفضاء والتلول خارج المدينة ، وصرح لهم بالبناء فيها فكثرت المبانى حولها ، وجعل فيها من أول الشروع فى عمارتها عشرة شوارع فى أحسن وضعٍ يقرب طول الواحد منها من ١٥٠٠ متر فى ١٢ متراً ، وتحلى دائر المدينة بالبساتين النضرة ، وصار من يغدو للنزهة فى تلك الجهات يرى ما يسره ويشرح صدره .

ثم مما زاد فى تحسين دائرها ، وتنمية فوائدها ، وتكثير محلات النزهة ، الرخصة التى أعطيت لشركة من الإفرنج رأس مالها ٨٠٠٠٠٠ فرنك ، بإنشاء وابور على المحمودية لتوصيل المياه الحلوة إلى جهة الرمل وما جاورها ، فإن هذا الأمر كان سبباً فى بناء المنازل والحوانيت بعيداً عن تلك المدينة ، فاتسعت بذلك مساحة العمران ، وفى أقرب وقت صار ما حدث من الأبنية جهة الرمل يشبه مدينة قاسمة ما بين ناحية أبى قير وثغر الإسكندرية ، بما حوته من

الإنتظام والرونق والبهجة فى منازلها ، وقصورها الجمة ، وشوارعها وحوانيتها المشتملة على نفائس التجارات ، بعد أن كانت هذه البقعة عبارة عن كثبان من الرمل وأرض غير منتفع بها ، وماكان يزرع منها إلا القليل ، وبعد أن كان الغيط الذى سعته ثمانية أفدنة أو تسعة أو عشرة لا يزيد حكره عن ثلاثة قروش ، صار الآن أرضاً لا يباع منها إلا بالذراع والمتر من ريال إلى نصف بينتو ، وما ذاك إلا لكونها صارت من أعمر الأماكن لسكنى المعتبرين من التجار والأمراء بها .

وبها البساتين المشتملة على جميع أنواع الأشجار والأزهار والرياحين ، وقد بلغ عدد سكانها الذين يقيمون بها ـ فى وقت الصيف ـ قريباً من ٧٠٠٠ نفس ، وفى وقت الشتاء على نحو النصف من ذلك .

وأول من اشترى فى الرمل الخواجا (سيزينيا) فإنه اشترى من ملك عائلة أبى شال ، وكان لهم أرض متسعة . جانباً عظيماً بمبلغ ٦٠ كيسة ، والآن قد اشترت منه الحكومة شريطاً من الأرض لوضع السكة الحديد عليه ، ودفعت فى قيمة المتر ٥ فرنكات ونصفا ، فعلى ذلك تكون قيمة الفدان الواحد ٢٣١٠٠ فرنك .

ومما زاد فى الرغبة فيها وأكد أمر السكنى بها ، إحداث السكة الحديد بينها وبين المدينة الأصلية ، فإنها سهلت على الناس الإنتقال منها وإليها وبالعكس ، فنى كل أوقات السنة لا ينقطع التردد إليها ، ومن يقيم بها من الأغراب يجد جميع ما تطلبه نفسه ، خصوصاً اللوكاندة التى أحدثت هناك فإن بها كل ما يلزم مع الراحة والأمن ، وفى الرمل نادٍ تجتمع فيه الناس يومى السبت والأحد من كل أسبوع ، ويُشَنِّفون مسامعهم بسماع الألحان والأصوات الحسنة ، وبها أيضاً ثلاث كنائس : واحدة للكاثوليكيين ، وواحدة للأروام ، وواحدة للأمريكيين .

ومن المدارس ثلاثة لتربية الصبيان : واحدة على ذمة الأروام ، وأخرى للفرنساوية ، وأخرى للتليانيين .

وفى كل ساعة يقوم من إسكندرية قطر إلى الرمل ، وفى كل نصف ساعة يقوم قطر من الرمل إلى إسكندرية ، وفى كل قطر عمال من طرف البوستة ، لنقل المكاتيب وأوراق الحوادث وغيرها ، وأجرة الركاب بحسب الدرجات ، فعلى من يركب فى عربات الدرجة الأولى خمسة قروش ، ومن يركب الدرجة الثانية أربعة قروش ، ومن يركب الدرجة الثالثة ثلاثة قروش .

مطلب الشارع الذى أوّله باب رشيد وآخره حدود الملاحة

ومما أكد الرغبة فى سكنى جهة الرمل ، ما أحدثه الخديو من المبانى هناك ، بقصد إقامته وإقامة الفاميلية فى فصل الصيف ، فإنه نشأ عن ذلك فتح شارع عظيم فى وسط التلول المقابلة لباب رشيد ، وأوله باب رشيد . وينتهى إلى حدود المّلاحة بأول أطيان قرية المندرة ، ويمر بسراى الرمل الخديوية ، وطوله من باب شرق إلى السرايا ٤٠٠٠ متر فى عرض ١٢ متراً ، ومن السرايا إلى الملاحة ٤٠٠٠ متر فى عرض ٨ أمتار ، وقد غرس فى جانبيه الأشجار المظلة ، وعمل طريق من الملاحة إلى ترعة المحمودية إلى أوله من الرمل وطوله ٢٠٠٠ متر وعرضه ١٠ أمتار ، فقربت بذلك المسافات فى المدينة ولواحقها ، وسهلت على الراكب والماشى ، وزاد الأمن وزالت الوحشة بما رتب فى الطريق من البسط العسكرية وزيادة الخفر ، وتنظيف الطرق والمسالك القاطعة لهذا الشارع والمتفرعة منه إلى ما حول المدينة وشاطىء المحمودية .

ومن الأعمال الجليلة ، تجفيف جزء عظيم من البحيرة قريب / من تلك الجهة لتزول العفونة ، وتقل الرطوبة وتتسع أرض المزارع التى حول الإسكندرية ، وتتجدد بساتين وحدائق تزيد فى رونق المدينة وبهجتها ، وتكثر بها ميادين النزهة .

٦٨

وبعد تمام هذه الأعمال لو جعل جزء البحيرة العميقة القريبة من الطريق الموصل إلى المحمودية بحيرة ، وغرس حولها شجر ، لصار هذا الموضع من أحسن المتنزهات ، وأظن أن ما يصرف على ذلك يستعوض بأضعافه مما يتحصل من قيمة الأرض التى تستجد بسببه ، لأن الرغبة فيها حينئذ ربما تزيد عن الرغبة فى سكنى الرمل ، لاشتمالها على الماء والخضرة والسمك على اختلاف أنواعه ، مع القرب من المدينة .

ولتوسيع دائرة الفسحة ، حصل التصريح من لدن المكارم الخديوية بجعل جنينة بسرايته ، التى بقرب سراية نمرة ٣ ، سكن الجناب المفخم ولى العهد ، وقتئذ ، وهو الآن مولانا الخديو المعظم ، سعادة محمد توفيق باشا ، منتزهاً عاماً زيادة على المتنزهات الأخر مثل جنينة : لانبروز والمنشية والمحمودية وغيرها ، بحيث يتنزه فيها فى جميع أيام الأسبوع . ورتب لها موسيقى تحضر إليها فى جميع الأيام ، وجعل لها من يقوم بلوازمها من الخدم والنظار ، وربط لها من النقود ما يفى بلوازمها ، فقابل الناس ذلك الصنع الجليل بالثناء الجميل ، فتراهم فى أوقات الإجتماع يهرعون إليه أفواجا من سائر الطوائف ، ويرتعون فى فضائه وأنحائه ، ويستنشقون بطيب هوائه حيث كان أحسن بساتين المحمودية وأوسعها ، والذى أنشأه فى الأصل الخواجا (بستريه) ثم اشتراه منه الجناب الخديوى .

فمن هذه الأعمال الجليلة وأمثالها ، صارت مدينة الإسكندرية مزينة الظاهر والباطن ، فأينما يسرح الإنسان طرفه ، لا يرى إلا ما يسر ناظره ويشرح خاطره ، ففى داخلها تشاهد المبانى الفاخرة ، والمساجد العامرة ، والدواوين المعدة للنظر فى مصالح الرعية العمومية : كديوان الحقانية ، الذى تم تنظيمه بالهمم الخديوية فى سنة ١٢٩٢ هجرية ، والضبطية ، وديوان المحافظة ، ومجلس التجار ، ومجلس الابلو ، ومجلس الصحة وغيرها .

وفى جانبى كل شارع وفى الميادين ، يتعجب من كثرة البضائع ، واختلاف أجناسها وأصنافها ، مما يحث الناظر على إدامة الثناء على العائلة المحمدية ، حيث بذلت همتها فى إحياء ما كانت فقدته مدينة إسكندر الأكبر من الشهرة .

ومما يحمل على زيادة الثناء ، ما يشاهد خارج البلد على شاطئ المحمودية من العمارات والبساتين الفائقة ، فى محل الأرض القحلة السبخة : التى كانت فى عهد قريب بعضها مغمور بمياه البحائر المالحة ، وبعضها تلول ، مع ما فى ذلك من الإضرار بالصحة ، فسطت على ذلك كله الهمم الخديوية فحولته إلى النفع المحض .

وكما حصل احتفال الهمم الخديوية بتلك المدينة ، بما ذكرنا بعضه من الأعمال الجميلة ، والعمائر الجليلة ، كذلك احتفلت بجميع السواحل المصرية ، لاسيما سواحل الإسكندرية ، فأصبحت تبدى للناظرين ما يبهر العقول من مبانى المدافعة والأسلحة المانعة ، فترى فى كل موضع من تلك السواحل ما يناسبه من ذلك ، على حسب التقدمات الوقتية ، والتجديدات العصرية ، فدائماً ترى الحضرة شاملة بأنظارها جميع أهل القطر ، بجلب ما يسر ودفع ما يضر ، لا يعوقه أمر عن أمر ، حتى صار المستظل بساحته يجد ما يستعين به على السعى فى طلب رزقه ، آمنا على نفسه ، مطمئناً على أهله ، قد رفع أكف الضراعة والدعاء للحضرة الخديوية وأسلافه ولنسله بتخليد دولتهم وتأييد صولتهم .

وبالجملة فمآثره أشهر من أن تذكر ، ومبتكرات أفكاره لا تحصى ولا تحصر :

لـه هممٌ لا منتهـى لِكبارِها وهمتهُ الصغرى أجلُّ منَ الدهر

مطلب تقسيم مدينة اسكندرية

ثم إن هذه المدينة من حيث الضبط والربط ، تنقسم إلى ثمانية أثمان ، فى كل ثمنين معاون من طرف الضبطية للنظر فى الدعاوى وغيرها ، وآخر للنظافة وحفظ دواعى الصحة العامة ، ولكل ثمن قلق به العساكر الكافية ، وشيخ ثُمن من الأهالى لإجراء الرسوم السياسية ، وتنفيذ مقتضيات الأحوال .

ومن حيث المساكن وأهلها إلى قسمين : القسم الأول : منهما يشتمل على جميع مساكن الأهلين ، وهو ما بين الغرب والشمال الغربى ، وينقسم هذا القسم إلى قسمين :

أحدهما : وهو ما بين المينتين ، غالب حاراته ومنازله على الهيئة القديمة ، لم يتغير منها إلا القليل ، وطرقه ضيقة غير مستقيمة .

وثانيهما : وهو المعروف بين أهل المدينة بجزيرة الفنار ، حاراته أوسع وأعدل وأجمل من الأول .

والقسم الثانى من المدينة ، وهو ما تسكنه الإفرنج ، جميع منازله جديدة حسنة الهيئة مزخرفة ، ذات وجهات جميلة ، ومساكن جليلة ، أدوارها السفلى محلاة بالدكاكين المتسعة ، المشتملة على جميع أنواع البضائع الثمينة ، وتلك المنازل مبنية بالأحجار والطوب المحرق والمونة القوية والأخشاب المتينة ، وفى داخلها أنواع المفروشات الإفرنجية ، وأودها مزينة بأنواع الزينة .وفى هذا القسم منازل وكلاء الدول المتحابة :

مطلب بيان وكلاء الدول المتحابة بإسكندرية

٦٩

قنصلاتو دولة الإنكليز فى حارة المسلة ، قنصلاتو الدولة النمساوية بجوار/ جامع العطارين ، قنصلاتو دولة البلجيكا فى حارة العطارين ، فى بيت باغوص ، قنصلاتو دولة البريزيليا فى حارة شريف باشا نمرة ٢٧ ، قنصلاتو دولة المانيا ، قنصلاتو دولة الديماركة فى وكالة دومر شمير ، قنصلاتو اسبانيا فى حارة حنفى أفندى نمرة ٤١ ، قنصلاتو الاتيازونى من **الأمريقا ، قنصلاتو فرانسا فى ميدان محمد على ، قنصلاتو الروم فى حارة النبى دانيال ،** قنصلاتو انتاليا فى شارع اسماعيل . ، **قنصلاتو هولانده فى حارة صهريج الفرن نمرة ٣١ ،** قنصلاتو البرتغال فى شارع اسماعيل فى بيت رغيب ، **قنصلاتو الروسيا فى حارة المسلة نمرة ٩٧ ، قنصلاتو سويد ونوريج فى حارة محمد توفيق ، قنصلاتو العجم .**

ومن العادة أن وكلاء الدول تسكن مدينة إسكندرية فى زمن الصيف ؛ لطيب هوائها ونقص درجة الحرارة بها عن مدينة القاهرة ، بسبب تلطيف البحر نسيم الجو الذى يهب فى هذا الفصل صباحا ومساء ، وفى فصل الشتاء ينتقل أغلبهم بعيالهم إلى القاهرة ، لقلة الرطوبة والبرودة فيها بالنسبة إلى إسكندرية ، وأجرة الإنتقال فى السكة الحديد على طرف الميرى ، من فيض المكارم الخديوية .

وللآن الحكومة الخديوية ، وكذا من سبقها من العائلة المحمدية ، جارية على هذا السنن الذى سنه محمد على باشا ، من الإنتقال إلى مدينة إسكندرية فى زمن الحر ، ويتبع ذلك إنتقال الدواوين ، فيقيمون مدة ثلاثة أشهر فى رأس التين ثم يعودون إلى القاهرة .

ولا يخفى ما فى هذا الانتقال من المزايا والمنافع الخاصة والعامة ، لانتفاع أهل المدينة بذلك إنتفاعاً كبيراً .

وبالجملة فما اشتملت عليه هذه المدينة من الأمور النفيسة ، على يد الجناب الخديوى وبأنفاسه ، وكذا على يدى أسلافه من العائلة المحمدية ، شىء كثير يحتاج ذكر جميعه إلى مجلدات ، فإنها بما ورثته من الهمم المحمدية والإغداقات الخديوية ، صارت مشتملة على جميع ما تتحلى به المدن العظيمة من مدن الدول الفخيمة .

وهكذا لا تزال تترقى فى أوج السعادة على يد الخديوى الأعظم ويد خلفائه ، خلَّد الله أيامهم ، فلذا لم نذكر مما اشتملت عليه من المحاسن إلا الأهم منها ، لأجل إثبات ما اكتسبته هذه المدينة ، وعاد نفعه على غيرها من مدن القطر ، من مبدأ أخذ العائلة المحمدية بزمام الحكم ، إلى الآن ، أعنى فى ظرف سبعين سنة ، حتى صارت إلى هذه الدرجة العالية بعد أن كانت قد آل أمرها إلى الإضمحلال حتى صارت شبيهة بقرية من قرى الأرياف ، وعم الخراب داخلها وأحاط بخارجها ، وفارقها عزها وشهرتها بسبب التقلبات الدهرية التى دمرت مبانيها ، وفرقت أهلها فى المدد السابقة التى سبق الكلام عليها .

مساجد إسكندرية

وبها من المساجد الجامعة ٤٩ جامعا ، ومن الزوايا ٩٧ زاوية ، منها ما فيه ضريح وليّ ، ومنها ما هو خالٍ عن ذلك ، فمن أشهر جوامعها :

جامع سيدى أبى العباس المرسى (رضى الله تعالى عنه)

بجوار القرافة ، كان فى الأصل مسجداً صغيراً ، وفى سنة ١١٨٩ جدد فيه بعض المغاربة القاصدين الحج جزأه الذى يلى القبلة والمقصورة والقبة ، ثم أخذ نُظاره فى تجديده وتوسعته شيئاً فشيئاً ، بأخذ قطعة من المقابر وبعض من المنازل التابعة لوقفه ، وجُعلت ميضاته فيما هدم من تلك المنازل ، حتى صار إلى ما هو عليه الآن من السعة والمتانة والمنظر الحسن .

وشعائره مقامة على الوجه الأتم ، ويصرف عليه من طرف ديوان الأوقاف بالإسكندرية ، كما أن ريعه ومرتباته مضبوطة به .

ترجمة سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه

وكان سيدى أبو العباس ــ رضى الله عنه من أكابر العارفين بالله تعالى ، أخذ الطريق عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، وهو أجل تلامذته وأول خلفائه ، ومع وفور علمه وجمعه بين علمى الحقيقة والشريعة لم يؤلف كتابا ، وكذلك شيخه أبو الحسن رضى الله عنه ، وكان يقول : «كتبى قلوب أصحابى» .

وكلامه كله حكم ، ومناقبه جليلة ، ذكر الشعرانى فى طبقاته من ذلك جملة عظيمة فعليك بها ، مات رحمه الله تعالى سنة ٦٨٦ ، ودفن فى جامعه ، وقبره به فى غاية الشهرة يزوره أهل الإسكندرية وغيرهم من المترددين عليها ، ولهم فيه اعتقاد زائد ، لاسيما المغاربة ، وله خدمة يقتسمون وظائف الخدمة كما يقتسمون النذور على شروط مسجلة فى ديوان الأوقاف ، وكل سنة يعمل له مولد ثمانية أيام ، بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وليلة فى نصف رمضان .

مسجد سيدى ياقوت العرشى رضى الله عنه

كان قد تهدم وهُجر ، فجدده أحمد بيك الدخاخنى ، شيخ طائفة البنائين بالإسكندرية ، سنة ١٢٨٠ هجرية ، وأقام شعائره ووقف عليه أوقافاً .

ترجمة سيدى ياقوت العرشى رضى الله عنه

وكان سيدى ياقوت إماما فى المعارف ، عابدا زاهدا ، وهو من أجل من أخذ عن سيدى أبى العباس المرسى ، وهو حبشى ولد ببلاد الحبشة ، وكانت له بنت فزوجها للإمام شمس الدين بن اللبان ، ماتت فى حياة زوجها ، فعند وفاته أوصى أن يدفن تحت رجليها احتراما لوالدها .

ومناقب سيدى ياقوت شهيرة بين الطائفة الشاذلية ، توفى رضى الله عنه سنة ٧٠٧ ، ودفن فى مسجده ، وقبره مشهور يزار ، وله مولد كل سنة ليلة واحدة فى رمضان .

٧٠

مسجد سيدى تاج الدين بن عطاء الله الإسكندرى / رضى الله عنه

مشهور بها لكنه لم يدفن بها ، وإنما دفن بمصر بقرافة الإمام الشافعى ، رضى الله عنه ، وقبره هنالك مشهور يزار .

ترجمة ابن عطاء الله الإسكندرى

وكان تلميذاً للشيخ ياقوت العرشى ، ومن قبله للشيخ أبى العباس المرسى ، وكان زاهداً كبير القدر ، ولكلامه حلاوة وتأثير فى القلوب ، وله مؤلفات كثيرة منها (كتاب التنوير فى إسقاط التدبير) و(كتاب الحكم) و(كتاب لطائف المنن) وغير ذلك ، مات رضى الله عنه سنة ٧٠٧ .

مسجد نصر الدين

كان أولاً زاوية صغيرة فيها ضريحه ، وقد جدده ووسعه المرحوم على بيك جنينة ، أحد مشاهير إسكندرية ، فى سنة ١٢٧٠ هجرية ، وجعل له أوقافاً ، وله مولد فى كل سنة ليلة فى رمضان .

مسجد سيدى على الموازينى

كان أيضاً صغيراً ، وقد جدّده بعد هجره وتهدمه المرحوم مصطفى هنيدى ، أحد مشاهير المدينة سنة ١٢٧٢ ، وأحيا شعائره ، وهو مدفون فى داخله هو وولده .

مسجد البوصيرى

كان قديماً جدّده المرحوم سعيد باشا ببناء حسن ، ورتب له ما تقام به شعائره ، ورتب به دروساً دائمة .

ترجمة البوصيرى

والبوصيرى ، هو شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى ، صاحب البردة والهمزية ، وله تآليف غيرهما ، وكان أبوه من دلاص وأمه من بوصير ، قرية بقرب دلاص بمديرية بنى سويف .

مسجد الشيخ تمراز

كانت أرضه منخفضة ، ففى سنة ١٢٦٢ جدده المرحوم حسن باشا الإسكندرانى ، ناظر ديوان البحرية فى ذلك الوقت ، وردم أرضه وصار يصعد إليه بسلم ، وبه ضريح الشيخ على التمرازى المذكور ، وله مولد كل سنة ثمانية أيام وقت زيادة النيل .

مسجد أبى سن

أصل أرضه مقبرة ، بها ضريح الشيخ عبد الرحمن بن هرمس ، وكان عليه مقصورة من خشب ، فلما بُنى ما حوله ودخل فى تنظيم المدينة ، بُنى ذلك المسجد ، وجعل فى داخله ضريح الشيخ المذكور ، والذى بناه المرحوم درويش أبوسن ، وهو مسجد تام المرافق ، حسن المنظر ، مقام الشعائر ويصرف عليه من الوقف .

مسجد الحجارى

كان فى الأصل ضريحا للحجارى ، وبه بئر معينة قليلة الملوحة ، يعتقد أهل إسكندرية أن لها منافع وهى : أن من كان مريضاً بداء الحمى . وداوم على الاستحمام بمائها أياما ، زالت عنه الحمى .

وفى سنة ١٢٨٧ ، جدّدته المرحومة والدة الجناب الخديوى إسماعيل باشا ببناء حسن ومنظر لطيف ، وهو عامر مقام الشعائر ، وكان قد جدده قبلها سنة ١٢٤٠ المرحوم بلال أغا ، باش أغوات المرحوم محمد على باشا ، وجعل به صهريجا،مصرفه الآن من الوقف .

مسجد سيدى عبد الله المغاورى

به ضريحه ، وهو مسجد قديم ، وقد جدده المرحوم الحاج طاهر القردلى ووسعه ، وجعل له مئذنة ، وبعد وفاته دفن به بجوار ضريح المغاورى ، وكذلك دفن به العالم الشهير الشيخ محمد البناء الرشيدى ، وكل سنة يعمل فيه ليلة فى شهر رمضان لسيدى عبد الله المغاورى ، وهو مقام الشعائر من طرف الوقف .

مسجد سيدى على البدوى

بجهة كوم الدكة ، كان صغيراً فجدده ووسعه الحاج طاهر الذى بنى مسجد المغاورى فى سنة ١٢٧٠ ، ثم فى سنة ١٢٨٩ بناه أولاد الشيخ ابراهيم باشا .

مسجد سيدى عبد الرزاق الوفائى

جدد بناءه ناظره أحمد النقيب سنة ١٢٨٠ ، وهو أمام مسجد النبى دانيال .

مسجد الحلوجى

كان صغيراً ، وفى سنة ١٢٦٠ جدد بناءه ووسعه المرحوم السيد محمد بدر الدين الكبير ، ومصرفه من الوقف .

مسجد الصورى

كان أولا ضريحا عليه مقصورة من خشب ، فبناه الميرى مسجداً مع بناء سور الاستحكامات ، والضريح داخله ، وله حضرة كل ليلة سبت ، ويصرف عليه من الوقف .

مسجد البرقى

جدده المرحوم محمد على باشا ، وهو فى داخل سراى رأس التين .

مسجد سيدى وقاص

كان أولا ضريحاً وجدد بناءه مسجداً على المصرى ، أحد مشاهير إسكندرية سنة ١٢٨٠ ، ويقال إنه جددت بناءه المرحومة والدة الجناب الخديوى إسماعيل باشا .

مسجد القبارى

كان فى الأصل صغيراً ، فجدده وأوسع فيه المرحوم سعيد باشا زمن ولايته ، حتى صار حسن الهيئة .

مسجد يقال له مسجد سيدى جابر الأنصارى

هو مسجد قديم بجوار سراى الرمل ، ولم يجدد فيه سوى القبة ، وله مولد كل سنة ثمانية أيام .

مسجد مشهور بمسجد النبى دانيال

كان صغيراً فجدده ووسعه العزيز محمد على باشا سنة ١٢٣٨ ، وله ليلة كل سنة فى شهر رمضان ، وهو تابع الوقف ، وبهذا المسجد مدفن مخصوص بالعائلة الخديوية ، مدفون فيه المرحوم محمد سعيد باشا ونجله طوسون باشا وغيرهما .

مسجد الطرطوشى

صاحب سراج الملوك ، كان متخرباً ، فأصلحه المرحوم السيد ابراهيم مورو سنة ١٢٧٠ ، وقد تممت إصلاحه وتنظيمه المرحومة والدة الجناب الخديوى ، وهو الآن مقام الشعائر من الأوقاف .

مسجد سيدى مجاهد

٧١ فى داخل الترسانة ، كان إنشاؤه سنة ١٢٥٥ ، منذ كان لطيف باشا ناظر الترسانة/ بالإسكندرية ، وقد أصلحه الأمير المذكور سنة ١٢٨٣ ، وقت أن كان ناظر البحرية .

فهذه المساجد كلها بها أضرحة من تنسب إليه .

وأما المساجد التى لا أضرحة بها فكثيرة ، مثل :

مسجد طاهر بيك ، ومسجد المدرسة ، ومسجد سلطان ، ومسجد كرموس ، ومسجد محرم بيك ، ومسجد القاضى ، ومسجد الشيخ ابراهيم باشا ، بناه المذكور سنة ١٢٤٠ ، وبه دروس العلم لا تنقطع ، فهو فى الإسكندرية كالأزهر فى مصر ، ومسجد عبد اللطيف ، بناه الشيخ عبد اللطيف المغربى سنة ١١٧٠ ، وهو الآن معد لصلاة الجنازة .

ومن أشهر مساجدها : المسجد الذى بناه الخديوى اسماعيل باشا بجهة كوم الشقافة البرانى ، وأتم بناءه فى سنة ١٢٨٨ ، وجعله تابعا للأوقاف .

ومن إحساناته الدائمة بهذه المدينة ، أنه أمر بإيصال مجارى ماء النيل إلى مساجدها ، فما له ريع يصرف عليه من ريعه ، وما لا ريع له فعلى طرف الميرى ، كما أنه أمر بإيصالها إلى القلاع والإستحكامات ، وقد حصل ذلك على أتم وجه .

ومن إحساناته أيضا ، أنه أمر بعمل سور على طرف الحكومة ، يحيط بجميع مقبرة إسكندرية ، واشترى أيضا قطعة أرض وأمر بجعلها أربعة مدافن لعموم أموات المسلمين ، وجميع ما يصرف عليها من بناء ونقل أتربة ، وردم حفائر ، وتنظيم سلك وغرس أشجار ، على طرف الحكومة .

*** *** ***

كنائسها

وبالإسكندرية كنائس كثيرة ، المشهور منها ثلاث عشرة كنيسة : عشرة منها للنصارى ، وثلاثة لليهود .

فالتى للنصارى منها : كنيستان للكاتوليكيين ، أحداها : كنيسة سانت كاترين .
والثانية : كنيسة اللازرنبة ، كلتاهما فى حارة ابراهيم نمرة ١٦ .
والثالثة : الكنيسة الرومية الإيوانجيلسة ، فى حارة الكنيسة الرومية .
والرابعة : الكنيسة الرومية الكاتوليكية ، فى حارة حمام أبى شهبة نمرة ١٤ .
والخامسة : الكنيسة الأرمنية ، فى جنينة الأرمن ، فى حارة عمود السوارى ، فى مقابلة شارع اسماعيل .
والسادسة : الكنيسة المارونية ، فى حارة الحبالة .
والسابعة : الكنيسة القبطية ، فى حارة كنيسة القبط .
والثامنة : كنيسة الإنكليز فى ميدان محمد على .
والتاسعة : كنيسة البروتستان فى حارة الكنيسة الإنكليزية .
والعاشرة : كنيسة لايكوسة فى حارة كنيسة الإيكوسية نمرة ١٢ .

وأما الثلاثة التى لليهود فهى : كنيسة رأس التين ، وكنيسة فى حارة النبى دانيال ، وكنيسة فى حارة الوكالة الجديدة نمرة ٤٦ ، أحدثها الخواجا (منشى) وبذل وسعه فى إتقانها حتى صارت أحسن الثلاثة .

بيوت الضيافات المسماة باللوكاندات

وبيوت الضيافات بها كثيرة ، والمشهور منها اثنتان :

إحداهما : لوكاندة أوربا فى ميدان محمد على .

والثانية : لوكاندة ابان فى وسط المدينة تقريبا ، وتطل على ميدان ابراهيم ، وهى أقدم الجميع ، ينزلها الفرانساويون والإنكليز ، وبها تراجمة من جميع الألسن ، وبها عربات معدة لركوب من يرد إليها من ركاب السكة الحديد .

وهناك لوكاندات أخر ، تقرب منها فى الشهرة والانتظام وهى : لوكاندة المسافرين فى حارة الشيخ محمود نمرة ٧٧ ، مائدتها عامة ، وبها أود مفروشة وغير مفروشة ، على حسب رغبة المسافرين ، ومقدار ما يدفع الشخص فيها كل يوم ـ فى نظير إقامته ومؤنته ـ سبعة فرنكات .

واللوكاندة الكبيرة الفرنساوية فى حارة الشيخ محمود نمرة ٥٨ ، وهذه يجد المسافر فيها راحته من حيث السكنى والمأكل ، تحتوى على ٤٣ أوده ، والنازل فيها مخير بين أن يكترى الأوده باليوم أو بالشهر ، وعليه فى اليوم نظير أكله وإقامته ستة فرنكات ، وفى الشهر ١٥٠ فرنكا .

الإسبتاليات

ويقال لها المارستانات ، وهى المحال المعدة لمعالجة الأمراض ، ستة :

واحدة للحكومة المصرية ، وهذه عامة يدخلها الأهالى وغيرهم ، وجميع ما يصرف عليها من فيض المكارم الخديوية ، وبها كل ما يلزم لها من الحكماء والأجزأجية ، وأجزاخانة مشتملة على أنواع الأدوية ، وهى فسيحة / تسع عدداً وافراً من الأسرّة ، وأغلب الفقراء لا يجدون معالجتهم فى غيرها ، ومحلها عند محطة السكة الحديد ، وبها محل لتربية اللقطى الذين لا يعرف لهم أهل ، وقد رتب لهم فيه من طرف الحكومة المصرية من يقوم بتربيتهم حتى يكبروا ، وقد بلغ عددهم سنة ١٨٣١ ميلادية ٣٤ لقيطا ، منهم اثنا عشر من الإناث والباقى ذكور .

٧٢

وأما الإسبتاليات الأخر فهى للدول المتحابة ، وبيانها :

الإسبتالية العمومية الأوروباوية : فى شارع إبراهيم ، بها مجلس إدارة وثمان أود ، للرجال سبعة ، وللنساء واحدة ، وفى كل أوده سريران ، هذا لأهل الدرجة الأولى والثانية .

أما أهل الدرجة الثالثة والرابعة فللرجال تسع أود وللنساء أربعة ، وفى كل أوده عشرة سرر ، وخدم النساء المرضى من الراهبات وعدّتهن ثلاث عشرة .

ومن الإحصاءات السنوية تحقق أن الذى دخل هذه الإسبتاليا فى سنة ١٨٧١ ميلادية بلغ ١٠٨٩ مريضا ، شفى منهم ٩٨٢ ، وتوفى بها منهم ١٠٧ .

إسبتالية دياكونيس : فى حارة محرم بيك ، ومعالجة المرضى بها بمقابل ، فإن كان من ذوى الإعتبار وأراد الإقامة بها فى أودة مخصوصة ، فعليه كل يوم خمس شلنات ، قريب من

خمسة وعشرين قرشا صاغا ، وإن كان من البحارة أو الخدم فعليه كل يوم ثلاث شلنات ، وأما الفقراء فيعالجون بها من غير مقابل .

وفى سنة ١٨٧٠ ميلادية ، بلغ عدد من صار علاجه بالأربع إسبتاليات ٥٨٠٠ ، من ذلك فى الإسبتالية الأوروباوية ١٣٦٦ ، وفى إسبتالية الحكومة ٣٣٠٠ ، وفى الإسبتالية الرومية ٧٧٣ ، وفى إسبتالية ديماكونيس ٣٠٤ .

وعدد من مات فى الجميع ٤٩٠ ، وفى إسبتالية الحكومة ٢٥٠ ، وفى الإسبتالية الأورباوية ١١٥ ، وفى الإسبتالية الرومية ٩٤ ، وفى إسبتالية ديماكونيس ٢٩ .

مطلب الحمامات

وفى مدينة الإسكندرية حمامات كثيرة ، المشهور منها : حمام صفر باشا ، وهو بجوار الترسانة ، مستعمل للرجال والنساء .

وحمام المحافظ : أمام الضبطية بشارع رأس التين ، وهو مستعمل للرجال والنساء فى جميع أيام الأسبوع على عادة الحمامات .

وحمام أبى شهبة : بالشارع الإبراهيمى الخارج من المنشية إلى السكة الحديد .

وحمام المرحوم الشيخ إبراهيم باشا : بشارع عمود السوارى ، الخارج من المنشية إلى الجبانة .

وحمام الصافى : بالشارع الإبراهيمى بجوار ورشة مورو .

وكذلك الحمامات الإفرنجية هناك كثيرة ، المشهور منها :

حمام لوكاندة أوروبا: فى ميدان محمد على ، والأجرة فيه ٢ فرنك .

وحمام توران : فى حارة العمود ، والأجرة فرنك ونصف .

وحمام البحر ، والأجرة فرنك ونصف .

وحمام السيد على المصرى ، أحد تجار إسكندرية ، وهو على الشارع الموصل من السكة الحديد إلى الجمرك ، وهو للرجال والنساء .

وحمام جمعى .

مطلب قهاوى إسكندرية

القهاوى البلدية بمدينة إسكندرية كثيرة بالشوارع وأكثر الحارات ، إلا أنها على وضعها القديم تقريبا .

أما القهاوى الإفرنجية فهى كثيرة ، وتشتمل القهوة منها على عدة محلات ، من ضمنها محل أو محلان للعب البلياردو وطرانيران ، وبها خلاف القهوة أنواع المشروبات والدندرمه ، وفى بعضها الأكل والفرش الثمينة ، والدكك المحشوة والكراسى ، وجرنالات الحوادث فى البلاد الأوروباوية والمحلية العربية والتركية والإفرنجية والرومية .

والمشهور منها : القهوة الفرنساوية : بميدان محمد على ، وقهوة لدومند (الدنيتين) فى الميدان المذكور ، وقهوة أوربا : فى حارة رأس التين نمرة ١١ أو نمرة ١٢ ، وقهوة البرادى

(الجنة) : فى حارة البوسطة الفرنساوية فى ساحل البحر ، وقهوة البحر : فى شاطىء البحر بقرب الكنيسة المارونية ، وقهوة المدرسة المشرقية : فى حارة الشيخ ابراهيم ، وقهوة الحظ : فى حارة الشيخ ابراهيم ، وقهوة ويجو : فى حارة جامع العطارين نمرة ٢٧ ، وقهوة المشرف : فى حارة انستطازى نمرة ٢١ ، والقهوة الفرنساوية : فى حارة ابراهيم نمرة ١٥ ، وقهوة البورصة : فى حارة الكنيسة الإنكليزية نمرة ١ ، والقهوة الأمريكانية : فى حارة جبارة ، وقهوة بيكانو : فى حارة السوق الجديد ، وقهوة هركول : فى حارة أرسلان سكر ، على شاطىء البحر ، وقهوة مغنى : يلعب فيها التياترو .

تياترات

فى الإسكندرية تياترو واحد وهو تياترو (زنزينيا) ملك ورناه ، وله وقت معلوم من السنة ، ويحضر له فى كل سنة من يلعب فيه بأنواع الألعاب المضحكة والمطربة .

مطلب أسواق إسكندرية

المشهور من الأسواق بمدينة إسكندرية :

سوق شارع رأس التين ، وبه عدة وكائل يباع بها الأرز والبندق والجوز والفستق ، وما أشبه ذلك من البضائع التركية .

وسوق الشوام : يباع فيه أصناف البضائع الشامية .

وسوق العجم : يباع فيه الكشمير .

وسوق الصيارف : يباع فيه النقود ، وهو مركز للصيارف .

وسوق الجزمجية ، وسوق المنشية : فى آخر المنشية فى شارع رأس التين ، يباع فيه البضاعة الإفرنجية ، والملبوسات والمفروشات ، وحلى الذهب والفضة والجواهر والثياب الثمينة ، مثل : المقصب والحرير والمرايات ونحو ذلك .

وسوق الأقمشة : بشارع السكة الحديد ، يباع فيه الشيت وأنواع القماش : كالدبولان / والشاش والصوف .

وسوق اللحم الكبير : بجوار مسجد الشيخ ابراهيم باشا .

وسوق الفواكه مثله ، وسوق الكانتو ، تباع فيه الأشياء القديمة من كل جنس .

وسوق الفخار : بشارع الميدان ، يباع فيه الصينى وغيره .

وسوق البراذعية والسروجية : بنهاية شارع الميدان بقرب مسجد الشيخ ابراهيم باشا .

وسوق بشارع العطارين ، يباع فيه الحرير والمقصب والأشياء التى تناسب النساء ، يتوصل إليه من المنشية .

وسوق الترك ، وهو يشبه خان الخليلى بمصر يباع فيه بضاعة تركية ، وهو بجوار سوق الطباخين .

وسوق الترسانة : يباع فيه فواكه وخضراوات وبقول وما أشبه ذلك .

وسوق زاوية الأعرج ، وسوق حارة الشمرلى : بطريق الترسانة ، فيهما جزمجية وكتبية وسمكرية وحدادون ودخاخنية ، وأمثال ذلك .

وبها أسواق غير ما ذكرنا ، إلا أنها ليست مثلها فى الشهرة .

بيوت الصدقة

وتسمى التكايا ، وفى الإسكندرية تكية يدخلها فقراء المسلمين بأولادهم ، ويجرى عليهم من طرف الحكومة جميع ما يلزم لهم من مؤنة وكسوة وغير ذلك حتى الماء والزيت ، فإذا بلغ الذكور من أولادهم سن التمييز ألحقوا بالمدارس الميرية ، فيربون بها أحسن تربية ، ومنهم من تشمله أنظار المكارم الخديوية فيكون من أرباب الخدامات الشريفة الميرية .

شركات الإعانة

شركة الإعانة الفرنساوية

وهى عبارة عن طائفة من أغنيائهم ، اتفقوا على أن يدفع كل واحد منهم مبلغاً من النقود ، ليتصدق منه على فقرائهم ـ وهكذا مشتروات الطوائف الآتية :

وكان ابتداء عقد هذه الشركة سنة ١٨٦٦ من الميلاد ، ومحلها القنصلاتو الفرنساوى ، وقد انتفع بها فى سنة ١٨٦٩ من فقرائهم المقيمين ثلثمائة وخمسة وثلاثون نفسا ، وممن أعين على الرجوع إلى بلاده مائتان وتسعة وتسعون نفساً .

وفى سنة ١٨٧٠ : من المقيمين خمسمائة نفس وعشرة ، وممن أعين على الرجوع إلى بلاده ثلثمائة وثمانية وخمسون نفساً .

وفى سنة ١٨٧١ : من المقيمين ستمائة وسبعة وعشرون نفساً ، وممن أعين على العود إلى بلاده خمسة وسبعون نفساً .

وبلغ ما صرف من هذه الشركة على المحتاجين فى سنة ١٨٦٩ : ثلاثين ألف فرنك وأربعمائة وثلاثة .

وفى سنة ١٨٧٠ واحدا وثلاثين ألف فرنك ، وتسعمائة وأربعة وأربعين فرنكا .

وفى سنة ١٨٧١ ثلاثة وأربعين ألف فرنك ، وتسعمائة وثمانية وتسعين إفرنكا .

شركة الإعانة التليانية

لإعانة المحتاجين خاصة .

شركة الإعانة العبرانية

لإعانة المرضى ، والزمنى ، وذوى العاهات منهم خاصة ، وكان انعقادها سنة ١٨٥٩ ميلادية .

شركة الراهبات المحسنات

وهى أنفع شركات الإعانة ، لأنها قائمة بتربية ٧٨٠ طفلا ، وبها تكية للفقراء والأيتام ، ومحل لتربية اللقطى ، ومراضع يرضعنهم فى بيوتهن ، وقد بلغ المتحصل بها من الصدقات فى سنة ١٨٧١ نحو ٢٤٩٢٤ فرنكاً ، جميعه صرف على اللقطى ، وعلى ١٥١ عائلة من الفقراء ، تشتمل على ٨٤٣ نسمة .

شركة لوبير التليانية

فى حارة رأس التين فوق قهوة أوروبا ، وهى تتركب من أرباب الصنائع والحرف من التليانيين خاصة ، وكان انعقادها سنة ١٨٦٢ ميلادية ، والغرض منها تشغيل من لا شىء عنده من البضائع التجارية .

ومثل هذه الشركة شركة أخرى فى حارة انسطازى نمرة ٣٦ ، إلا أنها ليست خاصة بقوم ، بل عامة لكل محتاج من أهل أى ملة .

الشركة السويجرية

الغرض منها إعانة المحتاج من ملتهم فقط ، وقد أعين منها فى سنة ١٨٧٠ ميلادية : ٣٣ شخصا ، بمبلغ ٩٨٨ فرنكا .

وفى سنة ١٨٧١ : ٢٣ نفسا بمبلغ ١٤٠٥ فرنكات ، وفى سنة ١٨٧٢ : ١٦ نفسا بمبلغ ١٠٠٠ فرنك .

السكرتات

تشتمل الإسكندرية على أربعة بيوت للسكرتات ، والمشهور منها :

شركة السكرتات البحرية ، رأس مالها عشرون مليونا من الفرنكات ، وشروطها أنها تضمن السفن والبضائع من غوائل البحر فى مقابلة مبلغ معين يدفع إليهم من طرف من يرغب ذلك .

وكذا تضمن لأصحاب الأملاك فى المدن أملاكهم ، وللتجار بضائعهم وتجاراتهم من الغرق والحرق براً وبحراً ، وكذا تضمن للشخص الراغب فى تضمنيها إيراده السنوى ، وغير ذلك من الأمور والإصطلاحات المقررة فى شروطها ، ومحلها فى حارة العطارين فى بيت أرتين بيك .

بورصة

يوجد بالإسكندرية بورصة للمعاملات التجارية ، وهى ملك لجماعة من البنكير ، مشتركين فيها ومتساهمين فى القيمة الأصلية ، وهى المبلغ الذى صرف فى البناء والغرس والزينة والزخرفة ، وعدد سهومها ٢٤٠ سهماً ، قدر السهم منها مائة جنيه ، فتكون القيمة الأصلية ٢٤٠٠٠ جنيه .

والأسهم نوعان :

نوع بدون اسم مخصوص ، بل هو لكل من يوجد بيده هذا المبلغ .

والنوع الآخر : بأسماء الشركاء خاصة ، وكل شريك معه من النوعين .

وفى آخر كل سنة تبعا ـ لشروط معقودة بين الشركاء ـ يدفع مبلغ من متكون النوع الأول بالقرعة ، وعدد الشركاء أربعة وستون ، ولهم مجلس متركب من بعضهم لإدارة تلك المصلحة ، والقانون الجارى بينهم أنه يرخص بالدخول فيها من أربع جنيهات / فأكثر لكل شخص ، وعشرين جنيها عن كل بنك ، وخمسة وعشرين جنيها عن كل بيت تجارى .

وللبورصة كومسيون مركب من المأذون لهم بالدخول ينظرون فى الإدارة .

بورصة مينا البصل : ملك الدائرة السنية ، وهى معدة لأشغال التجارة من قطن وقمح وما أشبه ذلك .

بيت الرهن

هذا المحل فتح بأمر الحكومة الخديوية ، والغرض منه إقراض المحتاجين مبالغ من النقود إلى أجل قصير ، ويؤخذ منهم رهان توضع فى هذا المحل ، وبه جميع ما يلزم لحفظ الرهان وصيانتها مثل صناديق ودواليب وغير ذلك .

وفى أول سنة من افتتاحه ، بلغ عدد الرهان التى وضعت فيه ٣٥٦٠ رهناً ، منها جانب لم يستخلص بل جددت رهنيته فى آخر السنة وقدره ٣٨٥ ، والذى استخلص واستلمته أربابه ١٦٣٤ رهناً .

وفى السنة الثانية بلغ عدد الرهان ٥٠٢٩ ، والذى تجدد منها آخر السنة ١٥١٤ ، والذى خرج واستلمته أربابه ٣٧٤٢ ، وبيع منه فى الدين مبلغ ٤٣٧ رهنا .

وفى السنة الثالثة بلغ عددها ٦٠٢٦ ، تجدد منها آخر السنة ١٩٨٦ رهنا وخرج منها ٤٨٤٤ ، وبيع منها ٤٥٥ .

وفى السنة الرابعة بلغ عددها ٦٦٢٥ ، تجدد منها ٢٧٧٤ ، وخرج لأربابه ٥٨١٧ ، وبيع منها ٥٦٢ .

الشركات التجارية بالإسكندرية

تشتمل مدينة الإسكندرية على عدة شركات ، كل شركة مركبة من جملة من التجار وأصحاب الأموال بشروطٍ يرتضونها بينهم : إما على عمل يعملونه بأموالهم لأنفسهم ، وإما على عمل يعملونه لغيرهم .

فمن النوع الأول : شركة الطحين ، والغاز ، ومجارى الماء .

ومن النوع الثانى : أنواع المقاولات ، والمشهور منها الآن : شركة تقسيم المياه للمدينة ولجهة الرمل ، وإن اختصت الآن بتلك المصلحة ، وقد تقدم الكلام على هذه الشركة عند الكلام على مدة المرحوم سعيد باشا .

وشركة الغاز : هى المتكفلة بتنوير حارات الإسكندرية وشوارعها ، وهى باسم (أوجين ليون وشركائه) ، ومحل العمل فى الكارموس على شاطئ المحمودية ، ومحل إدارتها فى حارة صهريج الفرن ، وافتتاحها للإيقاد كان فى سنة ١٨٦٥ ميلادية ، ومعملها كافٍ لصرف مليونى متر مكعب ، ولها شروط مسجلة بديوان الأشغال العمومية ، وقد تقرر فيها قيمة غاز المتر المكعب ، ولكل من يرغب تنوير منزله أو دكانه ، أن يأخذ منها بشروط على السنة أو الشهر .

وشركة الطحين التجارية : لها وابور على شاطئ المحمودية ، ووابور آخر فى بولاق ، ووابور فى بندر إخميم من الأقاليم القبلية ، وهى من أعظم الشركات ، ولها وابورات أيضا فى مدن كثيرة من بلاد أوروبا وتتجر فى الدقيق .

الورش التى اشتملت عليها إسكندرية

ورشة كبريت للخواجة (تلازاك) ، ورش ثلج : إحداها تعلق الخواجه جرجس ، ورشة سيجارة تعلق قومبانية ، وابورات دقيق وهى كثيرة ، ورش حديدة ، وابور زيت تعلق الخواجه (بوسيل) ، معصرة الزيت التجارية ملك (انطونياس) على شاطىء المحمودية فى الكارموس ، وهى من المعامل المكلفة ، ويستخرج فيها زيت الكتان وزيت القطن ، ويباع منها بالجملة ويستعمل للإستصباح والأكل .

طوائف الصنائع والحرف

عدد الطوائف الآن بمدينة إسكندرية ١٤٢ طائفة ، تشتمل على ٢٦٩٠٠ نفس ، أعنى زيادة على مقدار أهل إسكندرية ، حين استولى عليها العزيز المرحوم محمد على باشا ، ثلاث مرات ، وعدد أنفار كل طائفة ما هو مبين :

برابرة خدامين ١٧٦١ ، حمارة ١٠٨٦ ، عتالين فى المينا ١٠٦٦ ، بياعين خضار ٩٩٩ ، عربجية جر ٨٢١ ، سوّس ٣١٢ ، قهوجية ٧٦٤ ، جزارين بالأسواق ٣٠٨ ، بنائين ومناولين ٦٩٢ ، بنائين مقابر ٢٩٢ ، زياتين وعصارين ٦٢٧ ، دخاخنية ٢٧١ ، نجارين ٥٩٦ ، قماشة ٢٧١ ، طحانين ٥٠٣ ، صيادين سمك ١٧٣ ، كيالين ٤٩٧ ، قبانية ٢٢٧ ، مراكبية ٤٩٠ ، حدادين وبرادين ٢٢٢ ، حلاقين ٤٨٤ ، شغالة فى القطن ٢٢٢ ، نحاتين حجر ٤٧٣ ، آلاتية ومركجية ٢١٣ ، سقائين ٤٢٤ ، براسمية وعلافين ٢١٢ ، عربجية ركوب ٤٠٩ ، طباخين ٢٠٣ ، خفراء مخازن ٣٧٢ ، خدمة بالسلخانات ٢٦١ ، خياطين ٣٦٩ ، زراعين ٢٠٠ ، خدمة صعايدة ٣٤١ ، أصحاب حمير أجرة ١٩٤ ، صباغين ٣٢٧ ، فرانين ١٩١ ، خبازين ٣٢٧ ، جزمجية ١٨٧ ، تجار غلال ١٨٢ ، فحامين ١٢٤ ، سراحة خضار ١٨١ ، سمكرية ١١٩ ، نجارين مراكب ١٧٨ ، مرخمين ١١٤ ، دهانين جزم ١٦٢ ، تبانة ١١٣ ، نجار بلطه ١٦٤ ، تجار بهائم ١١١ ، نقاشين بيوت ١٦٤ ، تجار سوق الدقيق ١١١ ، بياعين ليموناتو ١٦٢ ، لبانة ١٠٩ ، عطارين ١٦٤ ، عقادين ١٠٨ ، حطابة ١٥٠ ، بياعين سكر ١٠٧ ، صواغين أولاد عرب ويهود ١٤٤ ، بياعين فراخ وطيور ١٠٤ ، بياعين ثياب قديمة ١٤٤ ، صيادين أبى قير ١٠٠ ، مبيضين نحاس ١٤٠ ، خبابتة الرمل ٩٤ ، سرباتية ١٧٨ ، مغربلين ٩٠ ، حصرية ١٣٧ ، بياعين خشب ٨٨ / ، تجار نحاس ١٣٦ ، تجار حرير ٨٧ ، منجدين ١٢٦ ، بحارة المينا ٨٧ ، فطاطرية ١٢٤ ، نجارين ٨٦ ، حمالة النقل ٨٤ ،

سقائين فى البيوت ٥٥ ، حامية ٨٢ ، مركوبجية ٥٠ ، بياعين فواكه يابسة ٧٦ ، بياعين حمص ٤٧ ، صنايعية فى الكتان ٦٩ ، بياعين سمك مالح ٤٤ ، طربوشجية ٦٧ ، بياعين عسل ٤٤ ، بياعين سلطه ٦٦ ، بياعين فخار بلدى ٣٩ ، أصحاب حميراكاف ٦٦ ، شبكشية ومسلكاتية ٣٨ ، فراشين ٦٣ ، مبلطين ٣٣ ، بياعين سمك ٦١ ، بياعين كنافة ٣٢ ، عرضحالجية ٦٠ ، دلالين فى الحمير ٣٢ ، بياعين جلود ٥٩ ، خردجية ٣٠ ، بياعين أقمشة مقاعدية ٥٨ ، زراعين خضار ٣٠ ، بياعين فى الحارات ٥٧ ، بياعين حلويات تركى ٣٠ ، دلالين سوق الترك ٥٧ ، تراجمة ٢٩ ، سباكين ٥٦ ، بياطرة ٢٩ ، بوابين ٥٦ ، محدثين فى القهاوى ٢٨ ، دلالين فى الخيول ٢٨ ، ساعاتية ٢٠ ، بياعين براميل ٢٨ ، خفر المغالق ٢٠ ، دلالين فى العقارات ٢٧ ، حبالة ١٩ ، خراطين ٢٧ ، مرخمين ١٨ ، قفاصه ٢٥ . قبانية الحطب ١٤ ، بياعين محار افرنكى ٢٤ ، نقاشين على المعادن ١١ ، سماسرة ٢٣ . صيارف ٧ ، برامين حرير ٢١ ، قرجوز وحواة[1] ٦ ، كتبية ٢٩ .

وهناك أشخاص محترفون لم تندرج أسماؤهم فى دفاتر الطوائف ، لو أضيفوا إلى ما ذكرنا لكان عدد الجميع ٥١٠٥٨ تقريباً .

المدارس والمكاتب بالإسكندرية

لما كان مبنى الأمور الدنيوية ، بل والأخروية ، ليس إلا على حسب التربية الأولية ، إذ على حسب البداية تكون النهاية ، ومن لم يكن له فى بدايته قومة ، لم يكن له فى نهايته نومة .

(١) فى الأصل : قرجوز وحداد .

وكان ممن أحاط علما بذلك ، ورغب فى تربية أبناء وطنه والاقتفاء بهم أقوم المسالك ، حضرة الخديوى إسماعيل باشا ، أحسن الله أعماله وأنجح فى سبيل الخير آماله ، وضع لذلك قوانين سلكت بأبناء الوطن طريق التقدم ، حتى وصلوا بها فى أقرب زمن إلى ما لم يصل إليه من مضى وتقدم .

وقد وضعنا فى ذلك كتابا ، بسطنا فيه الكلام على كيفية التربية فى الديار المصرية والأقطار الأوروباوية ، فليرجع إليه من أراد الإطلاع عليه ، إذ ليس غرضنا الآن إلا ذكر المكاتب والمدارس الموجودة فى مدينة الإسكندرية ، وبيان الشهير منها من غيره ، سواء كانت إدارته منسوبة للحكومة المصرية أو غيرها على وجه الاختصار فنقول :

مدرسة رأس التين الميرية

وهى صنفان : صنف تجهيزية ، وصنف مبتديان .

فالمبتديان : تتعلم فيها الأطفال التهجى ، والكتابة والقراءة ، والقواعد الأولية فى الحساب ، والنحو ولغة أجنبية ، وقبول الأطفال بها من سبع سنين .

والتجهيزية : تتعلم فيها الأطفال ، المنتخبون لها من المبتديان ، الحساب ، والهندسة العادية ، والجبر إلى الدرجة الثانية ، والرسم النظرى ، وعلم العربية ، ولغة من اللغات الأوروباوية ، والخط الثلث والنسخ ، والرقعة ، ومبادىء اللغة التركية .

وعدد تلامذة الصنفين ٢٧٩ تلميذاً ، وتقيم الأطفال بتلك المدرسة ليلاً ونهاراً ، وجميع ما يلزم للصنفين من أدوات التعليم ، وماهيات المستخدمين ، وأكل وكسوة وغير ذلك على طرف الديوان العامر بالأنفاس الخديوية ، أدامها الله تعالى .

ومن المكاتب الأهلية ، مكتبان منتظمان ، تتعلم بهما الأطفال بالنهار ويبيتون عند أهلهم ، وجميع ما يصرف على هذين المكتبين من طرف الأوقاف الميرية ، ومن الإحسانات الخديوية ، مع ما هو مفروض على أهل الأغنياء منهم ، طبق قانون المكاتب الأهلية ، وعدد أطفالها ثلثمائة طفل فأكثر ، ويتعلمون فيهما من الفنون مثل ما يتعلمونه فى مدرسة المبتديان ، وكسوتهم على أهليهم ، وكذلك أكل الأغنياء منهم .

مكاتب أهلية كبيرة وصغيرة ، يتعلم بها الأطفال مدة النهار ، ويبيتون عند أهليهم ، ويتعلمون القراءة والخط وبعض الحساب ، والصرف عليهم من طرف أهليهم ، وليس للديوان عليهم إلا التفتيش فقط لأجل النظافة والإنتظام[1] ، وعدد أطفالها ٣١٣٦ طفلاً .

ومجموع المدارس والمكاتب الإسلامية بمدينة الإسكندرية ٩١ ، وعدد الأطفال ٣٧٠٥

وأما المدارس والمكاتب الأوروباوية فكثيرة ، منها ما يقبل فيه كل من أتى إليه من دون نظر إلى ملة أو ديانة ، ومنها ما لا يقبل فيه إلا أطفال أهل ملة مخصوصة .

وفى كثير من هذه المكاتب تكون الأطفال الذكور مع الإناث ، ومنها ما هو مختص بالذكور ، ومنها ما هو مختص بالإناث فمنهن من يتعلم الصنعة اليدية ، ومنهن من يتعلم الفنون العقلية ، ومنهن من يتعلمها جميعا .

والمشهور من هذه المدارس :

---

(١) فى الأصل : الانتقام .

مدرسة اللازارين

وهى مشتملة على تعليم الفرنساوى ، واللاتينى ، والرومى القديم والجديد ، والعربى ، والتليانى ، والإنكليزى ، والرسم .

ومن الأطفال من يقبل فيها مجاناً كالفقراء ، ومنهم من يقبل بنصف مصروف ، ومنهم من يقبل بمصروف كامل وقدره ألف وستمائة فرنك ، ولا يقبل فيها إلا من سبع سنين إلى خمس عشرة سنة ، ويشترط عند دخوله أن يكون عنده بعض إلمام بالقراءة أو الكتابة فى لغة ما ، وعدد أطفالها ٦٠ وخوجاتها ١٢ .

الثانية المدرسة التليانية

فى حارة العمود وعدد الأطفال بها ٥٥٥ طفلاً .

٧٦

الثالثة مدرسة الإخوان الكاتوليكيين

كان إفتتاحها فى سنة ١٨٤٧ ميلادية ، والأطفال الذين يتعلمون فيها منهم من هو بمصروف كامل ، ومنهم من هو بنصف مصروف ، ومنهم من يعلم مجاناً ، كما مر ، وعدد أطفالها ٦٠٠ ، المجانى منهم ٣٥٠ ، والباقى بمصاريف .

الرابعة المدرسة المجانية

وهى تحت رعاية سعادة الخديوى الأعظم محمد توفيق باشا ، وكان إفتتاحها سنة ١٨٢٨ ميلادية ، وبها من اللغات : الفرنساوى ، والإنكليزى ، والتليانى ، والعربى .

ومن التلامذة نحو سبعمائة وثلاثة ، منهم من يحضر ليلاً فقط ، وهم الكبار ، ومنهم من يحضر نهاراً فقط وهم من عداهم .

الخامسة مدرسة الكنيسة الايكوسية

وهى ملحقة بالكنيسة وعدد أطفالها ٥٢ .

السادسة المدرسة الأمريكانية

يقبل فيها الأطفال الذكور فقط مجاناً ، ومحلها حارة المحكمة ، وعدد أطفالها مائة وستون .

السابعة المدرسة الرومية

وهى ملحقة بالكنيسة أيضاً ، وعدد أطفالها ١٩١

الثامنة مدرسة بانصو المختلطة

يقبل فيها الأطفال ، الذكور والأناث ، ومحلها بحارة جامع العطارين نمرة ٨١ ، وعدد أطفالها الذكور ٥٦ ، وأطفالها الإناث ٥٥ ، ومنهم من يدخل بمصاريف كاملة ، ومنهم من يدخل بنصف مصاريف .

التاسعة مدرسة بودير

يقبل فيها الأطفال الذكور والإناث ، ومحلها حارة العطارين نمرة ٥٨ ، وعدد الأطفال بها مائة .

العاشرة مدرسة ترنينا مانيا

فى سوق البصل ، وتقبل أيضاً الذكور والإناث من الأطفال ، وعدد الجميع ٤٥ .

الحادية عشرة المدرسة العبرانية

تحت رعاية الدولة النمساوية ، وإدارتها موكولة لإثنى عشر نفساً من العبرانيين ، وتتركب من مكتبين أحدهما للذكور والآخر للإناث ، وتقبل بها الأطفال مجاناً ، وعدد من بها من الذكور ١٣٠ ، ومن الإناث ١٠٠ ، ومن مزايا هذه المدرسة أنها تمهر من طرفها من تتزوج من البنات الفقراء .

الثانية عشرة مدرسة البنات

بشارع إبراهيم نمرة ٥ تحت إدارة الراهبات ، وتقبل بها البنات بمصروف كامل ، وتارة بنصف مصروف ، والفقراء يقبلن مجاناً ، والحضور فيها للتعلم مدة النهار فقط ، وعدد من يدفع مصروفاً كاملاً ١٨٠ ، ومن يدفع نصف مصروف ٦٠٠ ، والأيتام ١٢٠ ، واللقطى ٧٥ ، وعدد الراهبات المعلمات ٢٦ ، والراهبات الخادمات ١٤ .

الثالثة عشرة بيت الصنعة

فى حارة حنفى أفندى نمرة ٥٣ ، وجميع من يدخل فيها بمصروف وعدد أطفالها ٧٠ .

الرابعة عشرة

فى محل الست سريونى ، عند الكنيسة الإنكليزية نمرة ٣٥ ، وعدد أطفالها البنات ٦٥ ، يدفعن جميعاً مصروفاً كاملاً .

الخامسة عشرة

فى محل يعقوب ، فى وكالة إبراهيم بيك عند السوق القديم ، وعدد من بها من الأطفال ٣٠ ، وجميعهم بمصروف .

السادسة عشرة

المدرسة الإيكوسية تحت نظر (الست اشلى) ويقبل فيها بمصاريف ومجاناً ، وعدد الجميع ٧٠ ، ومحلها الكنيسة نفسها .

*** *** ***

الفصل الثانى فى مينا الإسكندرية

من بعد الأعمال التى تقدم الكلام عليها ، زمن المرحوم محمد على باشا ، لم تعمل أعمال مهمة فى المينا إلى زمن الخديو إسماعيل ، مع أنه قد حصل قبل جلوس حضرته على التخت أمور جسيمة ، كان يخشى منها تحويل التجارة عن ثغر إسكندرية ، لولا أن تداركها بهمته العلية منها :

الترعة المالحة المتصلة بالبحرين الأحمر والرومى ، فإنه لولا ما عمل بمينا الإسكندرية ، لإنتقلت المتاجر المشرقية والمغربية إليها ، لما يرى التجار بها من السهولة بالنسبة لمينا إسكندرية ، فإنهم كانوا بعد وصولهم إليها ينقلون بضائعهم بالسكة الحديد ، ثم منها إلى البحر الأحمر ، وفى ذلك من المشقة وكثرة المصاريف ما لا يخفى بخلاف طريق القنال ، ولذلك لما تم أمرها ، وجرت السفن بها ، تحول كثير من التجار إلى بورت سعيد ، الذى أنشىء على شاطىء البحر الرومى ، عند فم القنال شرق مدينة دمياط ، وجعلوه مركزاً لتجارتهم ، وبنوا به منازل لإقامتهم لما رأوه من السهولة وقرب المسافة ، فلما كان ذلك كله معلوماً لدى الحضرة الخديوية ، وجه إليه أنظاره الصائبة ، وأعمل فيه أفكاره الثاقبة ، وعوّض إسكندرية عن ذلك مزايا حسنة ، حوّلت الرغبة فى طريق القنال إلى ذلك الثغر بما أبدع فيه من الأعمال .

مطلب حوض المينا

وأوّل مزية جادت بها هممه العلية على المينا ، عمل حوض بها من الحديد لعمارة السفن يعرف بالدوك ، اصطنعه فى بلاد فرنسا سنة ١٢٨٥ هجرية ، طوله ١٤٠ متراً ، وعرضه ٣٣ متراً ، وعمقه ١١ متراً ، وزنته ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف كيلو جرام ، وبه آلتان بخاريتان

لنزحه قوّتها ٢٥ حصاناً بخارياً ، وقيمة ما صرف فى إصطناعه مائة وستة وعشرون ألفاً وثلثمائة وستة وثلاثون جنيهاً مصرياً ، وله باب يفتح ويقفل بحسب الطلب ، وخوخ لإدخال الماء فيه بعد إتمام العمارة ليتأتى خروج السفينة منه ، فحصل من ذلك السهولة التامة والمنافع العامة ، لأن الحوض الأول الذى كان معمولاً من البناء لم يكن قابلاً لكافة السفن ، بسبب عظم أبعاد بعضها ، فضلاً عما تجدد فى هذا العصر مما هو أعظم منها ، ومع ذلك / كان يستغرق زمناً طويلاً فى إستعداده عند الحاجة إليه ، بخلاف الحوض الحديد فإنه وافٍ بجميع ذلك ، وفى الزمن اليسير يصير إستعداده ، ودخول السفينة فيه وتعميرها بمصرف أقل من الأول .

٧٧

ولا يخفى أن وجود الحوض فى المين من ضرورياتها اللازمة ، سيما المين الكبيرة المطروقة كمينا إسكندرية ، لأن السفن دائماً عرضة لغوائل كثيرة مثل ملاطمتها للصخور ، وإصطدامها بالشعاب أو ببعضها ، وقد يزول طلاؤها بالماء وبالعوارض الجوية ، فيضر ذلك بها . ومن إقامتها الأزمان الطويلة فى البحر ، عادة ، يلتصق بظاهرها المحار ، ويتراكم على بعضه فيورثها ثقلاً ، ويعطلها عن سيرها .

فبواسطة تلك العوارض لا تستغنى عن العمارة ، أو الدهن أو المسح ، ولا يتيسر ذلك إلا بانكشاف الماء عنها ، لأن خللها غالباً يكون فيما غمره منها ، فلا يتمكن من إصلاحه ـ كما يجب ـ إلا بانكشافه ، وأما عمل الغطاسين فلا ينفع إلا فى الخروق الصغيرة وما أشبهها .

ولاشك أن المبادرة بسدّ خلل السفن وعمارتها من أهم الأمور ، إذ لو تركت بلا إصلاح ، لأسرع إليها التلف ، وربما إنخرقت فى حال سيرها . فيحصل فضلاً عن غرقها وضياعها على أربابها تلف أنفس وأموال جسيمة . ومن غير الحوض يتعذر أو يتعسر إخراج السفن إلى البر ، سيما الكبيرة جداً مع إحتياج ذلك إلى مصرف زائد وأعمال شاقة ليست فى طاقة كل إنسان .

وبالجملة فلم يجد أصحاب الأفكار السليمة ، من قديم الزمان ، لهذه المعاناة الشديدة أنفع من الحوض .

وتقدم فى الكلام على الإسكندرية فى مدة أصل هذه الشجرة المباركة ، المرحوم العزيز محمد على باشا . أن الحوض عبارة عن محل فى البحر قريب من البر ، يختار لذلك بحيث يكون عميقاً أو يعمق بالكرّاكات بحيث يصلح لدخول المراكب الكبيرة فيه ، يحاط ببناء متين بأحجار ومؤن جيدة ، أو يجعل من حديد ، وعادة يجعل طوله يسع أكبر سفينة فى البحر وعرضه بنسبة ذلك ، ويجعل له فم من جهة الماء يُسد بباب بهيئة مخصوصة ، وفيه خوخات تفتح وتقفل على حسب الإرادة ، فإذا أريد إدخال سفينة به للعمارة ، مثلاً ، يفتح الباب فيدخل الماء ويمتلىء الحوض إلى حد إستواء الماء فتدخل السفينة من غير مشقة ، ثم يسدّ الباب وينزح الماء منه بواسطة وابور يحرك طلونبات تأخذ الماء من الحوض من مجارٍ مجعولة لذلك فى جدرانه ، وعادة تتم هذه العملية بعد ساعات ، بحسب كبر الحوض وصغره ، حتى تقف السفينة على مراكز من أخشاب مجعولة فيه تسمى : اسقرين قائمة فوق الأرض وتكون فى هذه الحالة مستندة على أخشاب أخر تسمى : المناطيل ، تحفظها من الميل ، وتستمر واقفة كذلك مدة عمارتها ، طالت أو قصرت ، وبعد فراغ العمارة تفتح خوخات الباب فيدخل الماء حتى يملأ الحوض فترتفع السفينة مع الماء ، ولا يكون لها مانع من الخروج من الحوض سوى فتح الباب .

ومزية الحوض الحديد على حوض البناء ، أنه ينتقل من موضعه إلى أى موضع أريد من المينات ، وأعماله أسهل من أعمال حوض البناء بكثير ، فلذلك حصل بوجوده فى تلك المينا دخول سفن كثيرة من سفن البلاد الأجنبية لعمارتها فيه ، فترتب على ذلك ، فضلاً عن الإيراد المتحصل بسببه لجهة الحكومة استمرار دخول السفن الأجنبية بالمتاجر إلى ذلك الثغر ، وتمكنت الحكومة بهذا الأمر الجليل من المداومة على صيانة سفنها الحربية والتجارية من الخلل ، وصار بالمينا حوضان ، فحصلت السهولة أكثر مما كان ، وعم النفع المراكب الأهلية أيضاً ، وقبل ذلك كانت المراكب الميرية ربما شغلت الحوض مدة طويلة فتتعطل مراكب الأهالى .

مطلب الجسر الذى عمل لسد المينا من الجهة الغربية

ومما أكد الرغبة فى مينا إسكندرية تنظيمها وأمن السفن بها من فعل الرياح المختلفة ، وذلك بسد المينا من جهة الغاطس بجسر عريض من الدبش والصخور الصناعية ، ممتد بين جزيرة رأس التين والعجمى ، وجعل طريق فيه لسلوك السفن الواردة إلى المينا والصادرة منها ، ولتسهيل الشحن والتفريغ جعل فى دائرها من إبتداء مرسى الإنكليز ، الواقع على شريط السكة الحديد من جهة القبارى ، إلى الحوض المبنى فى الترسانة ، وطول محيط ذلك ٢٦٦٤ متراً ، ولأجل ذلك أيضاً عمل مولص من الدبش والصخور ، وممتدّ فى المينا من إبتداء مرسى الإنكليز المذكور إلى جهة رأس التين ، فى طول ٩٩٠ متراً ، وعرض ٢٧ متراً ، ولأجل وقاية السفن التى ترسو خلف الأرصفة من الأهوية مع تسهيل نقل البضائع إلى محل الجمرك على أشرطة السكة الحديد التى وضعت عليه .

فهذه الأعمال كلها محاسن الأفكار الخديوية ، لأنها فضلاً عن تنظيم المينا وجعلها فى صورة حسنة ينشأ عنها الحصول على أرض متسعة فى دائر المينا ، تتمكن الحكومة من أن تبنى فوقها ما هو لازم لمصالحها : كديوان الجمرك والسانتا وما أشبه ذلك ، مع زيادة السهولة وقلة المصرف على التجار فى نقل بضائعهم ، فلذلك إزدادت رغبتهم فى مينا الإسكندرية ، وصرفوا النظر عن التحول إلى غيرها . لأن العاقل لا يؤثر على/ جهة نفعه غيرها ، سيما وقد ملكوا فى الثغر أملاكاً عظيمة تحملهم على ملازمتها ، مع كثرة منتزهات تلك المدينة والمزايا الخاصة بها كطيب الهواء ، ووجود الماء العذب ، وكثرة المزارع على تعدد أنواعها من رياحين وخلافها مما يحمل كل إنسان على حب التردد إليها ، وتسريح طرفه فى محاسنها .

وأيضاً قد ترتب على هذه الأعمال ، وعلى وجود الفنارات التى جعلت فى ساحل المينا وفى أماكن كثيرة من سواحل القطر ، من أبى صير غربى العجمى إلى بورت سعيد ، وعلى

شاطىء البحر الأحمر زيادة الأمن على السفن السابحة فى البحرين ـ الغربى والرومى ـ وكثرة وفودها على الثغر ، وهذا بخلاف ما كان يظن أوّلاً عند حدوث القنال من نقص عددها أو نقص مقدار منقولاتها ، فلم يعترها شيء ، ولم تزل كل حين تتحلى بما يتجدد فيها من المبانى الفاخرة ، وتتزين المينا بالسفن العظيمة المختلفة الهيئة ، الواردة من بلاد أوربا وأمريكا وسائر الجهات ، وما ذاك إلا لكون التجار عرفوا مزيتها على غيرها فى كثير من الأمور ، وشاهدوا بها أشياء لم تكن بها من قبل حتى اشتهرت بالمحاسن شهرة أوجبت تخليد ذكر الحضرة الخديوية .

ولأهمية هذه الأعمال والتصميم على إتمامها فى أقرب مدة ، أعطيت إلى شركة إنكليزية تعرف بشركة (جرلعلد) وجعل لذلك شروط ورسوم للعمل على مقتضاها مؤرخة فى سنة ١٨٧٠ ميلادية ، مشتملة على بيان الأعمال اللازمة والكميات من كل نوع ومقدار المصاريف ، وهو قريب من خمسين مليوناً من الفرنكات .

مطلب إنقسام المينا

ومتى تمت هذه الأعمال ، على حسب الشروط المعقودة ، تكون مينا الإسكندرية منقسمة إلى مينتين : إحداهما كبرى جهة الخارج ، والأخرى صغرى وهى فى الداخل .

والأولى معدّة لوقوف السفن الحربية والتجارية ، ومساحتها ٨٣٤ فداناً مصرية ، مقدار كل فدان ٤٢٠٠ متر وكسور ، وعمق الماء بها عشرة أمتار ، ومنها تخرج السفن إلى الغاطس .

والجسر الذى سبق الكلام عليه يقيها من الأمواج والأرياح وطوله ٢٨٨٨ متراً ، وعرضه من أعلاه ستة أمتار ، وإرتفاعه فوق الماء قريب من ثلاثة أمتار ، ومن القاع إلى سطحه الأعلى ثمانية أمتار ، وعدد الصخور المغطى بها سطحه المعرّض لصدم الأمواج عشرون

ألف صخرة صناعية ، مركبة من مونة من الرمل والجير الماى ــ المعروف بجير توى ــ ومن الدبش ، ومكعب الصخرة عشرة أمتار مكعبة ، ووزنها عشرون طونولاتو ، عبارة عن أربعمائة وأحد وأربعين قنطاراً .

وأما الدبش ، فمنه الكبير ووزنه يختلف من ألف وخمسمائة كيلوجرام إلى ألفى كيلوجرام ، وهو مجعول للكسوة ، وأما الصغير فهو فى الباطن :

والمحجر المستخرج منه ذلك هو محجر المكس ، وكان أولاً فى يد كومبانية قنال السويس ، واشترته الحكومة الخديوية ، وأنعمت به على شركة (جرنقلد) مع بعض الآلات والمواعين والعدد .

مطلب مساحة المينا الصغيرة

والمينا الصغيرة مساحتها مائة وأحد وسبعون فداناً مصرياً ، وعمق مائها ثمانية أمتار ونصف متر ، فى أعظم حالة للجزر ، والمولص المتقدم ذكره يقفلها من جهة المينا الكبيرة ، والسفن تدخلها من فتحة جهة الترسانة ، عرضها ما بين الحوض ونهاية المولص ألف متر لأجل الشحن والتفريغ على الأرصفة المحيطة بها من جهة الجمرك والمحمودية والسكة الحديد .

والموادّ التى تركيب منها المولص هى : صخور صناعية مثل التى تقدم ذكرها ، ودبش مستخرج من محجر المكس .

وفى الشروط جعلت مدّة العمل خمس سنين ، وأن ما يصرف كل شهر للمقاولين يكون بنسبة المشغول الشهرى وهو يقرب من خمسة وعشرين ألف جنية ، وترتب لهذه العملية مهندس إنكليزى مخصوص ، وجعل معه بعض من مهندسى الأشغال لملاحظة الأشغال وإجرائها على الوجه المنصوص فى الشروط ، وتقدير كمياتها الشهرية .

وفى الأصل كانت الشروط على عمل رصيف من الصخور الصناعية ، فى دائر المينا الداخل من جهة المولص من جهة البر ، لكن صار الرجوع عنه بعد الشروع لما ظهر فيه من الصعوبات وزيادة المصاريف ، لأنه ظهر أن أرض قاع المينا مغطاة بطبقة كثيفة من الطمى والطين ، فكان كلما زاد إرتفاع المولص هبط ، فخيف من وقوع الرصيف بعد إتمامه إن بنى على الدبش ، كما هو التصميم الأول ، وإن صار نزح الطين والطمى ووضع أساسه على الأرض الصلبة زاد الصرف ، وبلغ قدر المقرّر فى الشروط مرتين ، فمن بعد المداولة فيما يلزم حصل الإتفاق بين الحكومة والشركة على إستعواض الرصيف بأسكلة من الحديد ، تتكىء على أعمدة تصل إلى الأرض الصلبة ، ويملأ فارغها بالخرسانة ، لتحمل الاسكلة المعدّة للشحن والتفريغ .

مطلب السكة الحديد على أرصفة المينا

ومما تقرر عمله أيضاً بالشركة سكة حديد على الأرصفة والمولص ، وعيارات لتسهيل شحن وتفريغ المثقلات ، ومخازن للبضائع التجارية .

وكان البدء / فى هذا العمل فى شهر مايه الإفرنجى سنة ١٨٧٠ ميلادية ، وأوّل حجر رمى فى الأساس كان فى ١٥ من الشهر المذكور . واجتمع له محفل شامل حضره ولى النعم وأنجاله . والذوات الفخام والعلماء الأعلام . والأحبار العيسويون . والروم . واليهود . ووجوه التجار . ووكلاء الدول المتحابة . وعمل فى ذلك اليوم ألعاب وشنك . وهو وإن تحدد لإنهائه تاريخ سنة ١٨٧٦ ميلادية .

٧٩

وقد بقى على ذلك مدة بدت بشائر ثمرات هذا الغرس النافع ، وتحقق من نجاح هذا المقصد الناظر والسامع ، فمن منذ ستين حصل نموّ محسوس فى عدد السفن الواردة على الثغر ، وفى كمية البضائع الواردة والصادرة ، وهذا ينبىء بكثرة فوائده الجليلة ، ومتى تم واستعملت الأرصفة تحصلت الحكومة من عوائدها على إيراد يزيد عن ربح ما صرفته عليه ، ومع طول الزمن يستحصل منه على الفائض ورأس المال ، وبعد ذلك تكون العملية جميعها ربحاً .

ومن ثمراته أيضاً حفظ عوائد الجمرك وضبطها ، زيادة عما هى عليه الآن ، إذ لاشك أن ما يتحصل بسببه من عوائد ما هو معتاد إخفاؤه الآن ، من دفع العوائد بسبب عدم تمكن الحكومة من إجراء جميع ما يلزم لضبطه يكون ربحاً يضاف إلى ما تربحه السكة الحديد مما يتجدّد من الشركة التجارية التى تروم حينئذ إستعمالها فى نقل بضائعها ، وكل ذلك يزيد فى إعتبار الحكومة المصرية وشهرتها ، ويمنع عن مدينة الإسكندرية ماكانت تخافه من الغوائل ، وتستمر حائزة لجميع المزايا القديمة مع ما يضاف إليها من المزايا التى تحصل من تداخل الحوادث الزمانية بعضها فى بعض .

ولأجل إمكان مقارنة درجات تقدم الثغر ، فى زمن الحضرة الخديوية بما سبقه ، ومعرفة سير هذا التقدم مع الزمن ، نورد هنا جدولاً يتضمن عدد السفن التى دخلت مدينة إسكندرية ، من إبتداء سنة ١٨٣٧ ميلادية ، ليتمكن الواقف عليه من المقارنة ومعرفة الفرق ، ويعلم أن القنال لم يؤثر فى ثغر إسكندرية تأثيراً محسوساً ، بل من الأعمال الخيرية المدبرة بالأفكار الخديوية حصل نموّ الإيراد بنموّ الزمن ، وها هو الجدول :

سنة ميلادية	سفينة	سنة ميلادية	سفينة	سنة ميلادية	سفينة
١٨٣٧	١١٦١	١٨٤٩	١٦٥٠	١٨٦١	٢٣٧٢
١٨٣٨	١١٤٣	١٨٥٠	١٨٣٤	١٨٦٢	٢٦٣١
١٨٣٩	١٠٦٨	١٨٥١	١٨٣٧	١٨٦٣	١٨٠٢
١٨٤٠	١١٤٥	١٨٥٢	١٧٦٦	١٨٦٤	٤٣٠٩
١٨٤١	١٦٩٩	١٨٥٣	١٥٧٨	١٨٦٥	٢٢٨٣
١٨٤٢	١٤٠٨	١٨٥٤	١٠٢٣	١٨٦٦	٣٦٩٨
١٨٤٣	١٥٧١	١٨٥٥	٢٣٦٨	١٨٦٧	٣١٨١
١٨٤٤	١٥٤٧	١٨٥٦	٢٣٩٩	١٨٦٨	٢٦١٦
١٨٤٥	١٤٠٠	١٨٥٧	٢٢٠٩	١٨٦٩	٢٨٨١
١٨٤٦	١٥٤٦	١٨٥٨	٢٠٤٣	١٨٧٠	٢٨٨٦
١٨٤٧	١٠٦٤	١٨٥٩	٢٠٦٠	١٨٧١	٢٩٢١
١٨٤٨	١٧٤٥	١٨٦٠	٢٠٤٢	١٨٧٢	٢٩٥٣

وبالإطلاع على هذا الجدول ، يعلم أن المراكب الواردة على تلك المينا آخذة دائماً فى الزيادة ، من إبتداء سنة ١٨٣٧ ميلادية إلى وقتنا هذا ، حتى أنه فى سنة ١٨٦٢ ميلادية بلغ زيادة عن ذلك التاريخ مرتين وزيادة .

وفى سنة ١٨٧٢ بلغ قدر ما كان فى سنة ١٨٦٢ مرة وثمناً ، فهذا شاهد واضح على أنه لم يحصل من فتح القنال ما يشوّش عليها فى سيرها المعتاد ، إذ فى السنة التى فتح فيها القنال ، وهى سنة ١٨٦٩ ميلادية ، بلغ عدد السفن الواردة على مينا إسكندرية ٢٨٨١ ، ثم أخذ فى الزيادة حتى بلغ سنة ١٨٧٢ ميلادية ٢٩٥٣ ، يعنى أن الزيادة فى ظرف ثلاث سنين اثنان

وسبعون سفينة ، والمأمول أنه متى تمت الأعمال الجارية فى المينا المذكورة ، يزيد الوارد عليها كثيراً ، وتلك النتيجة حاصلة أيضاً فى السفن / الخارجة من تلك المينا إلى مين الدول الأخرى .

٨٠

والزيادة حاصلة من سنة إلى سنة ففى سنة ١٨٧٠ ميلادية بلغ عدد الخارج منها ٢٨٤٥ ، وفى سنة ١٨٧١ ميلادية بلغ ٢٨٧٢ ، وإن نظرت إلى حركة الواردين على هذا الثغر من جميع الأقطار ، كما هو مبين فى الجدول الآتى ، يتحقق عندك ذلك بدون شبهة .

مطلب جدول الواردين من الأغراب

جدول الواردين على ثغر الإسكندرية من الأغراب وغيرهم من سنة ١٨٣٧ إلى سنة ١٨٧٢ .

سنة ميلادية	عدد السياحين	سنة ميلادية	عدد السياحين	سنة ميلادية	عدد السياحين
١٨٣٧	١٠١٧٦	١٨٥٠	٧٥٧٤	١٨٦٢	٣٢٧٢٢
١٨٣٨	١٤٤٣٨	١٨٥١	١٧٦٠٣	١٨٦٣	٤٣٣٣٣
١٨٣٩	١٥٠٦٦	١٨٥٢	١٨٣٠٣	١٨٦٤	٥٦٢١٢
١٨٤٠	١٥٠٦٥	١٨٥٣	١٩١٣٨	١٨٦٥	٧٤٩٩٠
١٨٤١	١٠٨٥٧	١٨٥٤	٢٢١٧٢	١٨٦٦	٥٠٣١٧
١٨٤٢	١٨٧٠٠	١٨٥٥	٢٦٦٨٠	١٨٦٧	٤٥٩٥٠
١٨٤٣	١٣٠٩٧	١٨٥٦	٣٣٤٢٩	١٨٦٨	٤٣٥٣٨
١٨٤٤	١٣٠٩٧	١٨٥٧	٣٦٦٨٥	١٨٦٩	٧٧٧٧٦
١٨٤٥	١٤٠١٥	١٨٥٨	٣٥٤٨٧	١٨٧٠	٦٤٣٢٨
١٨٤٦	١٨٩١٣	١٨٥٩	٢٩٠١٥	١٨٧١	٥١٤٨٢
١٨٤٧	١٥٦٥٣	١٨٦٠	٢٨٩٢٤	١٨٧٢	٦٧٧٧٢
١٨٤٩	١٧٤٣٥	١٨٦١	٢٨٩٦٣	....	....

وبالتأمّل فى هذا الجدول ، يعلم أن عدد الواردين بالثغر على إختلاف مقاصدهم بلغ فى سنة ١٨٧٢ ميلادية قدر الواردين عليه فى سنة ١٨٣٧ ست مرات ، وإذا أخذت متوسط الواردين على الثغر من إبتداء إستقرار الخديوى إسماعيل على التخت وهو ٥٩١٩٦ ، وقابلته بعدد الواردين فى السنة السابقة على توليته وهو ٣٢٧٢٢ ، تجد الزيادة السنوية المتوسطة ٢٦٤٧٤ ، وهى لا تنقص عن الأصل إلا بقدر خمسة تقريباً .

ويظهر من ذلك أن عدد الواردين بلغ عدد الأصل مرتين إلا خمساً ، وربما فاقها فى السنين التى لم يعمل فيها الإحصاء ، وهما سنتان ١٨٧٣ وسنة ١٨٧٤ .

وفى تلك النتائج دلالة على متانة الإرتباطات والعلائق الحاصلة بين الديار المصرية والأقطار الأجنبية ، ومما يؤكد ذلك حركة التجارة نفسها ، فقد بلغ مشحون السفن الواردة على الثغر فى سنة ١٨٧١ (١٢٧٥٦١٩) طونولاتو ، وبلغ مقدار الوارد من البضائع فى جميع المين ٤٢٥٥٦ طونولاتو وبيانه :

	سفينـة	طونولاتـو
مينا أبى قير............	٥٣٨	٤١٢
فى السويس...........	٥٥٤	٣٢١
فى رشيد..............	٩٠٩	٩٠٥
فى دمياط.............	٧٧٧	٤٠٩١٨
	٢٧٧٨	٤٢٥٥٦

والخارج من القطر من هذه المين إلى بلاد السواحل الشامية والرومية وغيرها ، يقرب من ذلك ، وهذا خلاف الوارد على مينا السويس من جهة السواحل السودانية ، والحبشية ، والحجازية ، وغيرها .

مطلب

وقيمة ما خرج من البضائع المصرية المتنوّعة من مينا إسكندرية فى سنة ١٨٧٠ ميلادية بالقروش الرومية ٦٩٩,٥٣١,٧٩٩ ، وهو عبارة عن / عشرة ملايين من الجنيهات المصرية ، وقيمة الوارد عليها بالقروش المصرية فى السنة المذكورة ٣٦٦٠٥٧٦٥٠ ، وقيمة الوارد من البلاد الأجنبية على جميع مين القطر المصرى بالقروش ٤٠٠١٥٦٩٣ ، وبيان ذلك :

قيمة الوارد من مين البلاد الأجنبية للقطر المصرى		قيمة الخارج من المين المذكورة هو كالمبين فى هذا	
الوارد على مينا إسكندرية	٣٦٦٠٧٥٦٥٠	قيمة ما خرج من إسكندرية	٨٦١٩٣٢٦٠٠
الوارد على مينا دمباط	٣٤٥٦٦٢	قيمة ما خرج من دمياط	٥٩١٣٤٨٠٠
الوارد على بورت سعيد	١٠٩٥٧٧٦٢	قيمة ما خرج من بورت سعيد	١١١٢٢٢٠٠
الوارد على مينا السويس	٢٠١٤١٩٤١	قيمة ما خرج من التويس	٨٠٥٦٧٧٦٦
الوارد على مينا العريش	٢٣٥٥٢١٢	قيمة ما خرج من العريش	٥٣٦٤٤٧٠٠
الوارد على مينا القصير	٨٩٤٦٦	قيمة ما خرج من القصير	٣٤٣٤١٧٠٠
الوارد على مينا سواكن	١٠٠٠٠٠	قيمة ما خرج من سواكن	٤٥٧٨٨٩٣٣
الوارد على مينا مصوع	١٠٠٠٠٠	قيمة ما خرج من مصوع	٢٢٨٩٤٥٣٣
	٤٠٠١٦٥٦٩٣		

ومجموع قيم المبادلات الداخلة والخارجة فى نفس هذه السنة . التى انتفعت منها الجمارك المصرية ، وتداولتها أيدى التجار من أهليين وغيرهم قدره : ١٥١٩٥٥٢٩٢٥ ، وهو تقريباً عبارة عن خمسة عشر مليوناً من الجنيهات المصرية .

مطلب

ولم تقف التجارة عند هذا الحد ، بل هى دائماً فى الزيادة ، حتى بلغ مقدار قيمة الوارد من البضائع على مينا الإسكندرية فى سنة ١٨٧٢ ميلادية ٥٩٠٢٩١٤٨٩ ، وبلغ قيمة الخارج من الثغر المذكور إلى الجهات فى تلك السنة ١٣٣٠٤٨٣٨٠٩ ، ومجموع الحاصلين ١٩٢٠٧٧٥٢٩٨ قروش مصرية ، وهو عبارة عن تسعة عشر مليوناً من الجنية المصرى وربع مليون ، بمعنى أنه فى ظرف ستين زادت قيمة ما ورد وما خرج من الثغر المذكور أربعة ملايين وربع مليون جنيهات .

ومما زاد أنواع المتاجر فى هذا الوقت نجاحاً ، إشتراك جميع الملل فى هذا الأمر ، كل أمة بحسب حالها وسعة إقتدارها ، فإنا نرى المبلغ السابق بيانه موزعاً بهذه الكيفية :

	قيمة الوارد منها	قيمة الصادر إليها		قيمة الوارد منها	قيمة الصادر إليها
البلاد الإنكليزية	٢٦٨٧٧٣٣١٩	٩٩٩٤٤٣٦٥١	البلاد النمساوية	٦٠٥٧٦٤٢١	٥٩٨٦٠٤٦٢
البلاد الفرنساوية	٦٢٩١٥١٩٩	١٢٥٤٢٢١٢٣	البلاد التليانية	٤٥٥٥٠٦٥٧	٨٣٢٣٠٤٤٣
الدولة اليونانية	١٢٧٤٣٢٢١	١١٤٥٥٢٠	بلاد البلجيكا	٧٥٠٩٩٢	٦١٣٣٦٨
بلاد الاتيازونى من الأمريكا	٧١٦٨٠٠٠	٢٩٠٧٥٧٥	بلاد الروسيا	١٤٧١٨٦٠	٢٦٣٢٤٣١٠
بلاد السويد	٢٠١٣٦٠٠	٠٠٠٠٠٠٠٠٠	بلاد الألمانيا	٥٣٥٦٠٠	٠٠٠٠٠٠٠٠
بلاد الترك بأوروبا وآسيا الصغرى	٦٦٦٠٨٢٩٩	١٦٧٤٨٧٥٩	بلاد الشام	٣٣٦٤٠٦٤٨	١٣٢١٣٣٧٥
بلاد المغرب	٢٧٦٨٧٦٥٧	١٥٧٤٢٢٣			

وبالتأمل فى هذا الجدول يعلم أن قيمة الوارد والصادر من البلاد الإنكليزية إلى الديار المصرية ، يبلغ ضعف قيمة جميع البضائع الصادرة والواردة من كل دولة على حدتها ، وأن كل دولة على نحو النصف منها .

وبمقارنة أحوال التجارة فى هذا الزمن بأحوالها فى المدد السابقة ، تجد بينهما بونا بعيداً ، فإن قيمة البضائع الواردة على الثغر والصادرة منه فى سنة ١٨٢٣ ميلادية ، أعنى قبل الآن بخمسين سنة ، كان قريباً من مليونين وثلث مليون جنيه مصرى ، وهو قريب من تسع قيمة بضائع سنة ١٨٧٢ ، وأن نسبته إلى قيم الوارد والصادر فى سنة ١٨٦٢ ميلادية ، تجده فى هذه السنة قريبا من اثنى عشر مليونا وثلث مليون جنيه مصرى ، وهو أقل من قيمة التجارة فى سنة ١٨٧٢ بأكثر من نصفه / فقد ظهر لك أن التجارة والأرباح لم تزل آخذة فى الزيادة من سنة إلى سنة ، من إبتداء جلوس المرحوم محمد على باشا على التخت ، واستمرت على ذلك فى زمن من خلفوه على هذه الديار ، وأن بلوغها الدرجة العظمى كان بالهمم الخديوية . ٨٢

*** *** ***

مطلب فى بيان عدد السفن الواردة على مينا السويس من سنة ١٨٤٩ إلى سنة ١٨٧٢

وكما أن كمية الوارد والصادر آخذة فى الزيادة فى ذلك الثغر ، كذلك فى المين الأخر ففى مينا السويس مثلا حركة السفن الواردة عليه كهذا المبين فى الجدول :

سنة ميلادية	عدد السفن	سنة ميلادية	عدد السفن
١٨٤٩	١١٩	١٨٦١	٤٠١
١٨٥٠	١٤٦	١٨٦٢	٣٧٧
١٨٥١	٢٠٥	١٨٦٣	٣٤٧
١٨٥٢	٢٠٤	١٨٦٤	٣٦٣
١٨٥٣	٢٢٥	١٨٦٥	٤٢٥
١٨٥٤	٢٦٩	١٨٦٦	٣٥٣
١٨٥٥	٢٩٨	١٨٦٧	٣٧٠
١٨٥٦	٣٠٧	١٨٦٨	٣٣٥
١٨٥٧	٣٧٤	١٨٦٩	٣٥٨
١٨٥٨	٣٧٢	١٨٧٠	٣٢٦
١٨٥٩	٣٧١	١٨٧١	٣٧٦
١٨٦٠	٣٦٨	١٨٧٢	٨٥٨

وبعد مضى أربع وعشرين سنة ، من ابتداء سنة ١٨٤٩ ميلادية ، بلغ عدد السفن الواردة على ذلك الثغر فى سنة ١٨٧٢ ميلادية قدر ماكان يرد قبل ذلك ثمان مرات .

وكما أن القنال لم يعطل حركة التجارة فى هذا الثغر ، لم يعطلها فى غيره من الثغور .

وبسبب المساعى المثمرة من الحكومة الخديوية فى الأقطار المصرية والسودانية كثر سير التجارة فى البحر الأحمر ، وعما قليل تقارن تجارة البحر الأبيض ، وتعود إلى هذا الطريق شهرته القديمة التى أضاعتها حوادث الزمان ، لأن السواحل السودانية بلغت بهمته السنية ما لم تبلغه فى زمن قبله ، فإنك ترى السفن الحربية والتجارية داخلة وخارجة من مين البحر الأحمر .

مطلب فى بيان عدد السفن الواردة على مينا سواكن والقصير ومصوع

وقد بلغ عدد السفن المترددة على هذه المين فى سنة ١٨٧٢ ميلادية ١٦٤٠ سفينة ، ما بين بخارية وشراعية ، وبلغ ماكان بها من البضائع فى ظرف هذه السنة ٨٥٥٨٠ طونولاتو وبيان ذلك :

	سفينة	حمولة
مينا سواكن	٣٥٢	٨١٠٣
مينا القصير	٨٧٢	٤١٢٢٤
مينا مصوع	٤١٦	٣٦٢٥٣

وأما المراكب الصغيرة ذات الشراع ، فقد دخل منها إلى مينا مصوع فى هذه السنة ١٤٠٢ ، حاملة ١٤٢ طونولاتو ، وبلغ عدد الركاب فى تلك السنة قريبا من ستة عشر ألف نفس غير العساكر ، وينسب إلى المين الأخر ما يقرب من ذلك .

ولا يخفى ما فى ذلك من الدلالة على اتصال منافع جهات البحر الأحمر بمنافع جهات البحر الأبيض ، وغرس حبة التمدن فى سواحل أرض السودان كغرسها فى أرض مصر ، حتى ترعرع زرعها وأثمر ، وذاق طعم ثمراتها كثير من الأهل والأغراب ، فعرفوا مزية هذا الغرس وألفوه ، وأوسعوا فى زرعه ، وباستمداده من طرف الحضرة الخديوية لابد أن يسرى / إلى البلاد السودانية ، ويؤثر فى أرضها وطباع أهلها ، وينقلهم من الخشونة والتوحش إلى التنعم والتأنس ، حتى يصبحوا بما نالوا من الثروة مقرين لحضرته بالشكر الجميل ، داعين له ولأنجاله بتخليد دولتهم وتوفيقهم إلى أقوم سبيل .

٨٣

مطلب الكلام على البوسطة الخديوية وعلى ما نشأ عنها من المنافع

ومن الأعمال السديدة التى تقدمت بها التجارة على سالف سيرها : إحداث البوسطة الخديوية ، فإنه حصل بوجودها فى البحرين استمرار ورود ماكان يرد على القطر من بلاد كثيرة ، من جهات السواحل الرومية والغربية والسودانية ، ولو بقى الأمر على ماكان عليه قبل لانقطع ذلك أو قل .

وقد دلت جداول الإحصاءات على أن هذه المصلحة نقلت فى سنة ١٨٧٢ ميلادية من نوع المكاتيب فقط ٢٠٧٥٣١٤ ، من ضمنها ٧٧٣٩٦ مكتوبا من البلاد الأجنبية وإليها من الديار المصرية ، ومن صنف النقود والحوالات ما بلغ قدره بالقروش المصرية الميرية ١٦٣٣٥٨٤٢٠٩ .

ولولا البوسطة لاختل نظام بعض الثغور المصرية ، خصوصا ثغر الإسكندرية ، فهى فكرة جليلة من الحضرة الخديوية ترتب عليها زيادة عمارية سائر الثغور المصرية ، لاسيما وقد

جعلت بورت سعيد معتبرا اعتبار الثغور الأصلية ، لما حصل منه من الفوائد الجليلة العائدة على ما جاوره من البلدان ، لأن هذا الثغر بالنسبة لما جاوره ، كثغر الإسكندرية بالنسبة لسائر الجهات ، إذ يرد عليه من مديريات الشرقية والغربية ، والدقهلية من متجرات أهل تلك الجهات ، كما يرد إلى الإسكندرية من مديريات البحيرة والغربية ، وإن كان باعتبار حالته الراهنة لا يبلغ معشار ما عليه مدينة الإسكندرية من الرفاهية ولكن لكونه مرسى السفن الواردة من الجهات الشرقية والغربية ، استدعى ذلك أن يكون به حركة تجارية ، ومعلوم أن تغذية هذه الحركة إنما تكون فى الغالب من أهل الجهات المجاورة له ، ولا يخفى ما فى هذا من الفوائد العائدة عليهم وعلى غيرهم .

وقد أحصى عدد السفن المارة بالقنال فى سنة ١٨٦٠ ميلادية فكان ١٠٥ ، وعدد السياحين المارين به فكان ٤٠١ ، ثم أخذ يزيد حتى بلغ الوارد به من السفن فى سنة ١٨٧٢ ميلادية ١٤٤٣ ، ومن السياحين ٦٢٠٦٢ ، والمتوسط فى ظرف الثلاث عشرة سنة من السياحين ١٧٦٤٦ ، ولا بد أن ذلك يزيد على طول الزمن ، وكذلك الحال فى المسافرين الذين نزلوا بهذا الثغر ثم ارتحلوا منه إلى الديار المصرية ، لأن عددهم فى سنة ١٨٧٠ ميلادية كان ٢٨٢٩ ، وفى سنة ١٨٧٢ كان ٢١٣٧٦ ، ولا ينكر أحد أن نزولهم بهذا الثغر وقيامهم منه إلى أى جهة من القطر يستوجب من طرفهم مصاريف ، بحسب أحوالهم وثروتهم واختلاف مقاصدهم ، فتقع فى أيدى الأهالى ، وتزيد بذلك حركة التجارة لأنها تابعة للأخذ والإعطاء قلة وكثرة .

*** *** ***

مطلب فى بيان عدد السفن البخارية للبوسطة ، وفى بيان قوتها وما تحرقه فى السنة الواحدة من الفحم الحجرى

وتشمل البوسطة الخديوية على ستة وعشرين سفينة بخارية ، تحرق فى السنة الواحدة ٦٥٥٠٠ طونولاتو من فحم الحجر ، منها فى البحر الرومى ٥١٢٠٠ طنا ، وفى البحر الأحمر ١٤٣٠٠ طنا .

وبيان تلك السفن ومقدار قوتها هو ما فى هذا الجدول :

عدد	أسماء السفن	قوتها حصان بخارى	عدد	أسماء السفن	قوتها حصان بخارى
١	الرحمانية	٣٠٠	١	مشير	١٤٠
١	تاكا	٣٠٠	١	المنصورة	١٤٠
١	الفيوم	٣٠٠	١	المحلة	١٢٠
١	البحيرة	٣٥٠	١	السجلية	١٢٠
١	الشرقية	٣٥٠	١	دمنهور	١٢٠
١	الدقهلية	٣٥٠	١	الزقازيق	١٢٠
١	طنطا	٣٥٠	١	الحجاز	١٥٠
١	شبين	١٤٠	١	حديدة	١٣٠
١	دسوق	٢٠٠	١	الينبع	٩٧
١	كوفين	٣٠٠	١	سواكن	٨٥
١	سمنود	٢٥٠	١	مصوع	٨٥
١	المنيا	١٧٠	١	القصير	٩٧
١	الجعفرية	١٦٠			

مطلب

وهذا خلاف الدوننمة المصرية المشتملة على أربع عشرة سفينة بخارية ، قوة آلاتها ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمانون حصانا بخاريا ، تستهلك من الفحم الحجرى كل سنة عشرة آلاف طونولاتو ، منها فى البحر الرومى ستة آلاف طن ، وفى البحر الأحمر أربعة آلاف ، ومقدار حمولتها كلها ١٦٤٧٦ طن .

وبيان السفن المذكورة هكذا :

عدد	أسماء السفن	قوتها حصان	عدد	أسماء السفن	قوتها حصان
١	المحروسة ركوبة الخديوى	٨٠٠	١	دنقله شالوب	٨٠
١	مصر ركوبة المعية الخديوية	٦٠٠	١	الطور شالوب	١٨٠
١	الغربية ركوبة الفامليا الخديوية	٥٠٠	١	سناد شالوب	١٢٠
١	محمد على فرقطين	٤٥٠	١	الخرطوم شالوب	٢٠٠
١	سرجهار	٤٥٠	١	سيوط وثلاث مراكب صغيرة	٣٠٠
١	لطيف كرويط	٣٠٠			

وبإضافة جميع السفن التجارية المترددة على المين بما فيها من ملك الأهالى ، خلاف وابورات النيل ، إلى ما سبق ، يتحصل على ٥٥٠ سفينة ، كافية الشحن ٥٣٧١١ من الطونولاتو ، وهو عبارة عن ١١٨١٦٤٢ قنطاراً مصرياً ، فإن أضيف إلى ذلك مقدار ما تحمله مراكب الشراع الموجودة فى البحرين الرومى والغربى ، يكون قدر ما يحمل على المياه المصرية هو :

سفن	قنطار	
٥٥	١١٨١٦٤٢	بالسفن البخارية
٥٥٥	٦٧٩٩٩٨	بمراكب التراع فى الأحمر والأبيض
٩٠٦٣	٣٥١٨٥٨	فى مراكب النيل

وعدد السفن البخارية الموجودة على بحر النيل ٥٨ سفينة ، منها ٢٨ خاصة بمصالح الدائرة السنية ، والباقى مستعمل فى المصالح العمومية .

ومقدار قوة تلك السفن ألف وأربعمائة حصان ، ونحرق فى السنة الواحدة ٢٦٢٥٠٠ طونولاتو من الفحم الحجرى .

وجميع هذه القوى حادثة بالهمم الخديوية ، وهى من أعظم أسباب الثروة ، ومن أكبر أدلة التقدم لهذه الأقطار ، إذ ما حصل بسببها من الفوائد داخلاً وخارجاً لا ينكر ، وبها يتيسر نقل الأثقال الكبيرة فى أقرب وقت بأقل كلفة ، مع إختراقها جميع البحار فى سائر الفصول ، آمنة من عواصف الرياح وتلاطم الأمواج ، فقد عم الأمن جميع الطرق براً وبحراً ، وأخذت تلك القوى فى النمو شيئاً فشيئاً من غير فتور إلى أن وصلت إلى ما هى عليه الآن وهكذا لا تزال ترقى فى درج التقدم .

وبعد أن كانت الديار المصرية أسيرة السفن الأجنبية ، لم تقتصر على التخلص من هذا الأسر ، بل اجتهدت حتى زاحمت جميع الدول فى مزاياها ، وجعلت لها خطوطاً تجارية تسير فيها صادرة وواردة ، وتمر فى البحار المجاورة لها على الجهات الواقعة عليها ، وتشترك مع غيرها فى وجوه الانتفاع إلى أن صار لها خطوط تمر ببلاد اليونان ، وبلاد آسيا فى البحر الرومى ، وتمر فى البحر الأحمر لجهة مصوع ، وسواكن ، وجدة وبلاد العرب ، وهذا غير ما لها فى بحر النيل ، وخط اليونان يمر ذهاباً وإياباً بجزيرة سيرا ، وجزيرة شيو ، ومدينة أزمير ، وميلتين ، وتندوى ، والدردنيل ، وحالبلولى والقسطنطينية .

أما الشركات البحرية البخارية المعدة لركوب السياحين ونقل البضائع ، غير البوسطة الخديوية ، فهى كثيرة وطريقها الديار المصرية ، وأشهرها الشركات الآتى بيانها : ٨٥

الشركة المعروفة بالمساجرى انبريال

وهى فرنساوية ، ومن قوانينها قيام وابور من الإسكندرية فى كل يوم سبت بعد كل أسبوعين ، وحضور وابور آخر من مرسيليا فى يوم الأحد التالى لقيام الوابور الأول ، وعادة وابوراتها المرور بمدينة بورت سعيد ، ويافا ، وبيروت ، وطرابلس ، وأنطاكية ، وإسكندرية ، ومرسيليا ، ورودس ، وأزمير ، والدردنيل ، وجيبلولى ، والقسطنطينية .

ولهذه الشركة وابورات تتوجه إلى الصين الغربى ، المعروف بالكوشانشين ، وفى كل يوم سبت تقوم سفينة من مدينة بورت سعيد إلى هذه الجهات ، وتحضر سفينة أخرى من هذه النواحى .

الشركة الشرقية الإنكليزية

هذه الشركة من أعظم الشركات الإنكليزية ، لكثرة وابوراتها وتعدد وكلائها فى جهات كثيرة مثل أوربا ، وآسيا ، وأفريقيا ، ولها عدة خطوط تمر فى البحر الرومى إلى مصر ، وديوان وكيلها فى الديار المصرية بالإسكندرية ، فى ميدان محمد على .

وقبل حدوث القنال كانت جميع البضائع المنقولة بمراكبها ، سواء كانت من البلاد الأوروباوية أو المشرقية أو الهندية ، تنقل من البحر إلى السكة الحديد ، فكان يتحصل من ذلك إيراد عظيم لتلك المصلحة .

ومن بعد إتمام القنال ، صار أغلب مراكبها يمر بأحماله فيه ، ويرسو على مينا السويس والإسكندرية لنقل بضائعه على السكة الحديد .

والخط الأول من خطوطها المارة بمصر : أوله مدينة (سوتامتون) وآخره اسكندرية ، ويمر بجبل الطارق وجزيرة مالطة ، ومسافة الطريق ٢٩٥١ ميلا إنكليزيا ، كل ميل ألف وستمائة متر وبعض أمتار ، ومدة السفر تستغرق ٢٩٥ ساعة ، والقيام من(سوتامتون)كل يوم سبت ، والحضور إلى إسكندرية كل يوم جمعة والقيام منها كل يوم أحد .

والخط الثانى من خطوطها إلى مصر : أوله مدينة (نرندنرى) من إيطاليا وآخره الإسكندرية ، والمسافة ٨٢٥ ميلا إنكليزيا ، ومدة السفر ٨٢ ساعة ، وقيام الوابور من (نرندنرى) كل يوم ثلاثاء وحضوره إلى إسكندرية كل يوم جمعة ، والقيام منها كل يوم أحد أو ثلاثاء .

والخط الثالث أوله : بُنْبى وآخره مدينة السويس ، ويمر بناحية عدن من سواحل العرب ، والمسافة ٢٩٧٢ ميلا إنكليزيا ، ومدة السفر ٣١٣ ساعة .

والثلاثة خطوط المذكورة تشتغل مرة واحدة فى كل أسبوع .

شركة لويد النمساوية

هذه الشركة كانت تنقل بضائعها إلى السكة الحديد المصرية ، قبل إتمام القنال ، وبعد إتمامه انقطع استعمالها لها ، ولم تكن كثيرة السفن ، وإيرادها كان أقل بكثير من إيراد الشركة المشرقة ، على السكة الحديد ، ومع ذلك كانت هى الثانية فى الإيراد ، ووكيل إدارتها محلة فى ميدان محمد على ، ومراكبها تسافر من (ترسينة) إلى الإسكندرية فى كل يوم جمعة بعد نصف الليل ، وتحضر بجزيرة (كورفو) بعد يومين ، وإلى الإسكندرية بعد خمسة أيام ،

وتقوم وابوراتها من الإسكندرية فى كل يوم إثنين وقت الظهر ، ولها سفن تمر بين الإسكندرية والقسطنطينية ، وتبتدىء من مدينة أزمير ، وتمر بميلتين ، وتندوس ، والدردنيل ، وجيبلولى ، والقسطنطينية ، وقيامها من الإسكندرية كل يوم ثلاثاء ، ولها خط لجهة الشام يمر بمدينة بورت سعيد ، ويافا ، وبيروت ، وجزيرة قبرص ، وجزيرة رودوس ، وجزيرة شيو ، وأزمير ، وميلتين ، وتندوس ، والدردنيل ، وجيبلولى ، والقسطنطينية ، والقيام من إسكندرية يوم الجمعة بعد كل أسبوعين .

الشركة المسكوبية

هذه الشركة ، طريقها ما بين مدينة أوديسا المسماة عندنا : خوخة بيكر ، من سواحل البحر الأسود ، ومدينة الإسكندرية ، ومحل وكيلها فى ميدان محمد على من الإسكندرية ، وتقوم من أوديسا مرتين فى كل شهر ، ووابوراتها القائمة من الإسكندرية تمر بمدينة بورت سعيد ، ويافا ، وبيروت ، وجزيرة رودس ، وجزيرة شيو ، وأزمير والقسطنطينية .

شركة روباتينو

أصحاب هذه الشركة من الجونيين ،ووابوراتهم طريقها ما بين مصر وبنبى ، والقيام فى خامس كل شهر وفى الخامس والعشرين منه ، وتمر فى طريقها ذهاباً وإياباً بمدينة (ليورفه) من إيطاليا ، ومدينة نابل ، ومدينة ميسين ، ومدينة الإسكندرية ، والقيام من إسكندرية عادة فى السابع والسابع عشر والسابع والعشرين من كل شهر ، ومدة السفر ثمانية أيام ، والقيام من مدينة جنوة إلى بنبى فى الرابع والعشرين من الشهر ، والوصول إلى بورت سعيد فى أول كل شهر .

شركة فرسيني

سفن هذه الشركة سائرة ما بين مدينة مرسيليا ومدينة إسكندرية ، ومحل وكيلها بالديار المصرية فى ميدان محمد على ، وتقوم وابوراتها من مرسيليا فى الخامس عشر وفى الثلاثين أو الواحد والثلاثين من كل شهر ، ومسافة الطريق ١٤١٠ أميال بحرية ، ومدة السفر ثمانية أيام ، ومن عاداتها المرور بمالطة والوقوف بها ، وقدر الأجرة بها فى الدرجة الأولى ٢٢٥ فرنكاً ، وفى الدرجة الثانية ١٦٠ فرنكاً ، وفى الدرجة الثالثة ٦٠ فرنكاً ، وأجرة الدرجة الأولى ذهاباً وإياباً معا ٤٠٠ فرنك ، والدرجة الثانية ٢٨٠ ، والثالثة ١٠٠ .

شركة جام موسى

سفن هذه الشركة جارية بين ليوربول ــ من جزائر الانكليز ــ وبين الإسكندرية ، وتمر بجبل / الطارق ، وجزيرة مالطة ، وسواحل الشام ، وقيامها فى كل أسبوع ، ومحل وكيلها بمدينة إسكندرية ، الوكالة الجديدة نمرة ١٥ .

٨٦

وهناك شركات أخرى لم نذكرها ، منها ما تمر سفنه بالسواحل الرومية ، ومنها ما تمر سفنه بها وبالسواحل الشامية ، ومَرْسى الجميع هو الإسكندرية .

سفن البوسطة الإنكليزية

البوسطة الإنكليزية ، تقوم وابوراتها من إسكندرية بعد وصول البوسطة الواردة من الهند بثمان عشرة ساعة ، أو أربع وعشرين ساعة ، على حسب الأحوال ، والقيام من (برندزى) يوم الثلاثاء ، فى الساعة الخامسة من النهار .

البوسطة الهندية

الواردة من الطين[1]، ومن يابونيا[2]، والأسترالى تسافر فى مراكب البوسطة المتوجهة إلى الأتبازونى ، والممالك المجتمعه الأمريقانية .

البوسطة النمساوية

محلها فى حارة شريف باشا من مدينة إسكندرية ، ولها قوانين ولوائح ، وهى مختصة بتوصيل المكاتبات والكتب والجرانيل ، والأشياء الثمينة .

البوسط اليونانية

محلها حارة المسلة .

البوسطة التليانية

محلها حارة محمد توفيق .

*** *** ***

(١) يقصد : الصين .

(٢) يقصد : اليابان .

الفصل الثالث

فيما عاد على الإسكندرية من فوائد السكة الحديد ، والإشارات التلغرافية

من المعلوم أن هذه الأعمال ، التى تقدم الكلام عليها ، وإن كانت فوائدها كثيرة منها : بلوغ مدينة الإسكندرية الدرجة التى وصلت إليها ، لكن أعظم هذه الأعمال وأحق ما يصرف فيه نفائس الأموال ، هو السكة الحديد والإشارات التلغرافية ، لأن هذين الإختراعين من بين سائر الإختراعات البشرية ، قد رفعا عن الإنسان أنواعاً من المشاق وقرّبا له ما بَعُد من الآفاق ، حتى أمكنه فى أقرب زمن أن يتحصل على ما كان يحاوله فى آلاف من الناس ، وكثير من الوسائط فى زمن طويل ، وهيهات إن وصل إلى مقصده ، أو تحصل على مقصوده ، وقد تيسر بهمة الدولة المحمدية العلوية اشتمال الديار المصرية ، كغيرها من البقاع المتمدنة على هذين الاختراعين والانتفاع بهما ، غير أن كمال أعمالهما ، وبلوغ ما يحصل منهما من الفوائد لم يتم إلا فى عهد الخديوى ، أفندينا اسماعيل باشا حفظه الله ، فإنه من حين جلوسه على تخت الحكومة المصرية ، وجه كل أفكاره إلى تنظيم السكك الحديد والتلغرافات المصرية ، وتحصيل لوازمها ، وتوسيع دائرة عملها ، وتوزيع فروعها فى جميع أرجاء قطره حتى عم نفعها ، وعما قليل بواسطتها تلتحق الأمم السودانية ــ التى لم تغيرها المؤون من السنين عن التبربر والتوحش ــ بالديار المصرية ، وتذوق لذة ثمرة التمدن والعمارية ، وتزول من بين سكانها دواعى النفرة وأسباب الفقر ، وتعمر أرضها الواسعة ونواحيها الشاسعة بأنواع المزارع ، وتكثر بها المدن والقرى ، ويسكنها الأغراب مع الأمن ، ويطوفون بقاعها ، ويختبرون خواصها ، ويستخرجون خباياها ، وتتصل البلاد المصرية بالسودانية ، فيكتسب كل منهما طبع الآخر ، وتتسع دائرة المنافع فى كلا القطرين .

وبالإستمرار على ذلك تحسن أحوال البلاد السودانية ، وتسرى رفاهيتهم وتمدنهم إلى من جاورهم من الأمم المتوحشة ، المنتشرة فى داخل أفريقة وفى سواحلها .

ومع تردد المصريين والأغراب من سائر الملل على بلادهم بأنفاس ومساعى الحضرة الخديوية ، تتخلص بقعة أفريقة من ربقة أسر الجهل والتوحش ، كما تخلصت بلاد أمريكا من توحشهم بدخول الأندلسيين والإفرنج ببلادهم ، وكما تخلصت جهات من الهند والسواحل الصينية والأوقيانوس بدخول الإنكليز بها .

وتكون هذه النتيجة وحدها كافية فى تخليد ذكر الحضرة الخديوية ، كافلة له بسبقه على من تقدمه فى هذه المزية ، فإنه أول من تفكر فى أحوال الأقطار السودانية ، وسمح لها بنصيب من المنافع الجمة التى تعم سائر الأقطار ، فعلى كل إنسان أن يدعو له بطول أيامه ، وتوفيقه لطريق الصواب فى أحكامه ، إذ من فوائد ذلك إمكان السياحة فى هذه القطعة من الدنيا ، والإطلاع على ما تشتمل عليه بأقل كلفة فى أقرب زمن ، بعد أن كان من يقصد ذلك ، مع عدم بلوغه لتمام مقصوده ، يستغرق زماناً طويلاً ، ويقاسى من الغوائل والعوارض ما يضر بصحته ، وربما اعتراه من المرض ما يؤدى إلى هلكته ـ إن سلم من الحيوانات المفترسة وسكان تلك الجهات ـ فكان المتصدى للوصول إلى هذه البقعة مخاطراً بنفسه ، غير خافٍ عليه ما هو أمامه من الأهوال ، وإنما يحمله على إقتحام تلك المشاق طمعه فى تحصيل أغراضه ، وقصده نفع النوع الإنسانى .

فالآن قد هانت بالهمم الخديوية مستصعبات أمور السياحة ، بما تمهد من وسائط الأمن كالحراسة والخفارة من قبل إتمام السكك الحديد ، وسهلت طرق السير فى جميع أرجاء الأقطار السودانية الممتدة إلى دائرة الإستواء طولاً ، ومن ساحل البحر الأحمر إلى بلاد دارفور عرضاً ، وبما صرف من طرف الحضرة الخديوية من الأموال ، وما بذله رجاله من الأعمال ، أخذت أحوال أهل تلك البقاع المتفرقة فى الإستقامة ، وقد سمع المتبربرون من أهل تلك الجهات بالشهرة الخديوية فخافوها ، كما سمع بها من سامتهم من متمدنى تلك البقاع فعظموها .

٨٧

وإنما خرجنا فى هذا / المقام عما نحن بصدده من الكلام على ما يتعلق بإسكندرية ، لأن عظم فوائد هذا الأمر حمل جواد الفكر على الجولان فى ميدانه ؛ على أنه لا يخلو من المناسبة والإرتباط بذلك ، فإن مدينة إسكندرية كانت من قديم الزمان معتبرة بالنسبة للتجارات الجارية فى جميع بقاع الأرض ، كالروح بالنسبة للحيوان ، وهى الآن حائزة لهذا الاعتبار ، وثروتها وعزها ينتجان ثروة الأقطار المصرية وتقدمها ، فلا يبلغ القطر غاية ثروته إلا ببلوغ التجارة شأوها .

وفى الأزمان القديمة كانت طرق التجارة الواصلة إلى إسكندرية كثيرة ، فكانت طرق التجارة العربية بحر القلزم ، وطريق عيذاب ، وطريق القلزم أو السويس ، وكان النيل طريق التجارة السودانية ، والواحات طريق التجارة السودانية والمغربية ، وكانت التجارات الشامية ، مع الملحق بها من تجارات الأقاليم الأخر ، طريقها البحر الرومى وطريق الفرما ، وتجارة السواحل الأفرنجية وجزائر البحر طريقها البحر الرومى أيضاً .

وكان مرسى هذه التجارات مدينة الإسكندرية ، فتجتمع بها وتتفرق منها ، وهذا هو الذى أوجب ثروتها وكثرة أهلها .

فمتى وصلت الأقطار السودانية إلى درجة التمدن والأمن ، تعظم تجارتها وتتسع ، ويعود على الأقطار المصرية منها ما لا حصر له من الفوائد ، لأن أهل تلك الجهات متى تحلوا بالمزايا الإنسانية ، وتخلوا عن جلاليب الحالة الخشنة الوحشية ، وذاقوا لذة ثمرات المعارف والعلوم ، وانتشرت فيما بينهم موجبات تقدم البضائع والحرف ، يكسبهم ذلك كله معرفة ثمرة الإنضمام والإتحاد مع الغير ، للتعاون فى الأعمال ، واكتساب الفوائد الظاهرة والباطنة ، فيحرصون على إجتناء ثمرة الألفة والتقارب ، وتدب فيهم الطباع الحسنة والعوائد المألوفة ، ويسعون فيما به تنظيم أحوالهم وتحسين هيآتهم ، فحينئذ يكبون على خدمة أرضهم ، فيكثر محصولها ويتنوع ، وبما يكتسبونه من المعارف ربما يستكشفون المستور بها من المعادن .

كالذهب والفضة والنحاس ، ويستعملون ذلك فى حوائجهم وضرورياتهم ويتجرون فيما يزيد عن لوازمهم . ومتى وصلوا إلى هذه الدرجة بلغت التجارة بين أهل تلك البلاد وبلاد مصر درجة لم يسمع بها من قبل ، ويعود إلى إسكندرية فخرها التليد ، وتكون مركزاً لجميع تجارات بقاع الأرض ، كما مر .

وقد علمت أن كثيراً من تلك التجارات طريقة الديار المصرية ، فتمر بها التجارة السودانية طولاً ، والتجارة الهندية والمشرقية والأوروباوية عرضاً ، وبمرورها تنال منها المدن والبنادر والقرى حظوظا وفوائد ، تكسبهم زيادة الرفاهية وحسن الحال .

فإذا تأملت ما تلوناه عليك ، تقف على حقيقة محاسن المغارس الخديوية ، وما ينشأ عنها للقطر فى العاجل والآجل ، فإن مقصده تعميم المنافع من غير نظر لزمن معين ، فلذا نتج من أفكاره الجليلة السامية ، من ابتداء جلوسه على التخت إلى سنة ١٢٩٢ هجرية ، أعنى فى ظرف ١٣ سنة ، إشتمال القطر على سكك حديد توزعت فى نواحيه وامتدت فى جهاته بطول ألف وثلثمائة وخمسة وعشرين ميلاً إنكليزياً ، وهذا غير الخطوط المستعملة فى نقل محصولات الزراعة .

وقد كان الموجود من السكة الحديد ، إلى آخر زمن المرحوم سعيد باشا ٢٤٥ ميلاً إنكليزياً ، وكان جميعه فى الوجه البحرى ، فيكون والذى زاده الخديوى فى ظرف هذه المدة اليسيرة هو ١٠٨٥ ميلا ، أعنى أنه زاد فى كل سنة فى السكك الحديد ٨٣ ميلاً إنكليزياً تقريبا .

مطلب فى بيان فروع السكة الحديد

وبيان فروع السكة الحديد كما ترى :

	ميل
السكة الطوالى من إسكندرية إلى القاهرة خطان	١٣١
من بنها إلى الزقازيق خطان	٢٤
من قليوب إلى المنصورة	٨٨,٧٥
من الزقازيق إلى أبى حماد خطان وإلى السويس خط واحد	١٠٣,٥٠
من طنطا إلى المنصورة بالمرور من سمنود	٣٣
من طنطا إلى شبين الكوم	١٨,٧٥
من ميتبره إلى بنها	٨
فرع القناطر الخيرية من قليوب	٧,٥٠
فرع العباسية والقبة	٣
من طلخا إلى شربين ودمياط	٢٥
من القاهرة إلى المنية	١٥١
من الجيزة إلى إيتاى البارود	٨٥
من المنية إلى الروضة	٢٥
من الروضة إلى أسيوط	٥٣
فرع الفيوم من الواسطة	٢٥
فرع أبى الوقف	٨
فرع بنى مزار	٩
فرع أبواكسه	١٦

٨٨ /والهمم كانت متوجهة إلى تركيب خط السودان ، وقد حصل بالفعل تركيب بعضه ، وتعين من يلزم من المهندسين والعمال بمعية سعادة شاهين باشا لمباشرة عمل الخط الواصل إلى شندى ، ولكن صار الإعراض عن ذلك الآن ، والرأى الذى كان صار التصميم عليه بمعرفة المهندس الإنكليزى (فلولر) أن التجارة تسير على النيل فى المسافات السهلة الخالية عن الموانع ، وتسير على السكك الحديد فيما عدا ذلك ، وحيث أن أصعب طريق السودان هو خط العطمور لطوله ، وخلوه عن الماء ، وشدة حره ، جعل فى هذا الطريق شريط يبتدىء من وادى حلفه ويمشى على الشاطىء الأيسر من النيل فى ناحية مطامه ، فى مواجهة ناحية شندى الواقعة على الشاطىء الأيمن ، وطول هذا الخط ٨٨٩ كيلو متر .

والخط المذكور يصير تكميله ، فيما بعد ، من جهة بحرى بخطٍ يوصله إلى ناحية أسوان ، ومن الجهة الشرقية القبلية بخط يوصله إلى ناحية مصوع ، وفى طريقه يمر بناحية كسله . والمسافة التى بين وادى حلفه ومطامهُ جعلت أربعة أقسام .

صمم فى القسم الأول على عمل ست محطات :

الأولى	: وادى حلفة نفسها تكون رأس الخط	
الثانية	: فى ناحية ساروس على بعد	٥٢ كيلومتر من وادى حلفة
الثالثة	: انسيجول على بعد	١٠٢ كيلومتر
الرابعة	: عكاشة على بعد	١٤٧ كيلو متر
الخامسة	: عمارة على بعد	٢٠٣ كيلو متر
السادسة	: كوهى على بعد	٢٥٧ كيلو متر

والقسم الثانى : يشتمل على تعدية النيل عند ناحية كوهى.

والقسم الثالث : من كوهى إلى ناحية أبى عاقول ، وطوله ٣٤٩ كيلومتر ، وفيه عشر محطات :

الأولى	: فى كوهى بالشاطىء الأيسر على بعد	٢٥٨ كيلو متر
والثانية	: مقر بندر على بعد	٣١٠ كيلو متر
والثالثة	: حلك على بعد	٣٥٢ كيلو متر
والرابعة	: عرضه أو دنقله الجديدة على بعد	٣٩٦ كيلو متر
والخامسة	: لميتى على بعد	٤٣٢ كيلو متر
والسادسة	: خاندك على بعد	٤٦٢ كيلو متر
والسابعة	: دنقلة القديمة على بعد	٥٠٨ كيلو متر
والثامنة	: ضبة على بعد	٥٤٢ كيلو متر
والتاسعة	: أبو دهين على بعد	٥٩٦ كيلو متر
والعاشرة	: أبو عاقول على بعد	٦٠٦ كيلو متر

والقسم الرابع : من أبى عاقول إلى شندى ، وطوله ٢٨٣ كيلومتر ، ويمر بصحراء بهندى ، وينتهى إلى محطة مطامه على بعد ٨٨٩ كيلو متر .

وتقف الوابورات فى الطريق خمس مرات لأخذ المياه :

الأولى : فى كوفوكا كار .
والثانية : فى الهويجات .
والثالثة : فى أبى حلفة .
والرابعة : فى جبل النوس وأبى كلا .

وفى التصميم المذكور جعل عرض الشريط ١.٢٨ متر ، وثقل القضبان ٢٤.٨ كيلوجرام فى كل متر ، والميل ١/٥ فى النهاية الصغرى ، ونصف قطر الإنحناء للأقواس فى هذه النهاية ٥٠٠ قدم إنكليزى ، عبارة عن ١٥٢,٤ مترا ، وقدر للعمل ثلاث سنين ، والمصرف أربعة ملايين جنيهات إنكليزى ، منها : ٢٥٠٠٠٠٠ لما يشترى من الخارج ، والباقى وهو ١٥٠٠٠٠٠ ، لما يتحصل من القطر.

ومقدار الحفر والردم اللازم عمله لوضع الشريط ـ وذلك فى أراض متنوعة من أحجار وصوان ورمل وطين وغيره ٣٣٨٤٦٩٠ متر مكعب ، وتوزيع المصاريف على هذه العمليات هكذا :

فى عملية الأتربة والأحجار	٢٨٠١٤٤
ثمن القضب باعتبار ٩٧ طونولاتو	٢٦٧٤٥١٢
تكاليف قنطرة حديد على النيل عند ناحية كوهى	٢١٢٧٥٠
ثمن مبانى مكعبها ٥٤٥١٣ متر مكعب	١٢٣٢١٨
آلات ومهمات تلغراف	٤٤٥٣٧
تكاليف عدد ٢٢ محطة	١٧٩٤٠٠
ثمن الوابورات عدد٦٦ والعربات عدد١١	٣٣٠١٦٥
ماهيات المهندسين والمفتشين	١٥٥٢٧٢
تقريبا	٤٠٠٠٠٠٠

وبالجملة فإن مقدار ما تم الآن من خطوط السكك الحديد ، بنسبته إلى أرض الزراعة وأهل القطر ، شىء كثير جداً ، إذا قارناه بالموجود من ذلك عند بعض الدول الأوروباوية نجده أكثر منه ، وذلك أن ١٣٢٠ ميلا الموجودة الآن بهذه الديار ، وهى عبارة عن ٢١١٢ كيلومتر ، هو أكثر من ٤٥٨ كيلومتر الموجودة فى بلاد الفلمنك ، وأكثر من ٤٧٢ الموجودة فى بلاد سويجرة ، وأكثر من ٨٧٦ الموجودة فى بلاد الديمارك ، ومن ٧٨٧ الموجودة فى بلاد البرتغال .

وبمقارنة الموجود فى الديار المصرية بعدد أهلها يخص المليون من الأهالى ٤٢٢ كيلومتر ، وهذه النسبة فائقة فوقاناً كلياً على مثلها من ممالك كثيرة ، فإن المليون من الأنفس فى مملكة إيطاليا يخصه ٢٣٩ كيلومتر ، وفى بلاد النمسا يخصه ٣٣٥ ، وفى أسبانيا ٣٣٠ ، وفى البرتغال ١٩٧ ، ويقرب من ذلك بلاد البلجيكا فإن المليون فيها يخصه ٥٩٨ ، وكذا بلاد الألمانيا فإن المليون من أهلها يخصه ٥١٤ ، وكذا مملكة فرانسا إذ النسبة فيها ٤٨٣ .

وبالنظر للمنقولات على السكة الحديد ، يعلم أن فائدتها بمصر من أعظم الفوائد للقطر ، وأن حركتها لا يضاهيها غيرها من البلاد الأخر ، مثلاً إذا قارنا الجارى عندنا بالجارى فى بلاد الروسيا ، نجد أن منقولات الأشخاص فائقة فى مصر عن تلك المملكة ، ومنقولات التجارة بالعكس ، لأن ما نقل من الأشخاص بالخطوط المصرية فى سنة ١٨٧١ ميلادية ، إذا وزع على عدد الكيلومترات يخص الكيلومتر الواحد ١٠٠٧ أشخاص ، وإذا طرحت من متحصل المنقول من الأشخاص جميع الواردين على مصر من الجهات الهندية إلى جهة أوروبا وبالعكس ، يكون ما يخص كل كيلومتر واحد من عدد المنقولين فى هذه السنة من المقيمين بالديار المصرية وأهلها ٩٩٣ .

وبتوزيع المنقولين على سكك الحديد المسكوبية فى سنة ١٨٧١ ميلادية وهو ٧١٨٧١٤٦٩ ، وعلى طول الخطوط الموجودة يكون ما يخص الكيلومتر الواحد ٨٤٠ شخصاً ، وهو أقل مما خص هذه المسافة بمصر بقدر ١٥٣ شخصاً .

وأما المنقولات من البضائع فما يخص الكيلومتر الواحد فى مملكة الروسيا ٦٧٩ طونولاتو ، وفى مصر ثلث ذلك .

محطات السكة الحديد

من المعلوم أن كل عمل لابد له من صعوبات فى مبدأ الشروع فيه ، ولاشك أن السكك الحديد من أجسم الأعمال لاحتياجها إلى كثير من العمليات والمبانى اللازمة لتوطينها ،

وإدارة حركتها ، وإجراء مقتضياتها وسكنى مستخدميها وغير ذلك من مصالحها ، وكل ذلك يحتاج فى عمله لزمن ومصرف ، وتكثير المستخدمين ، واستدامة الفكر فيه حتى يتم وينتظم أمره .

وفى ابتداء الشروع فى هذا الأمر الجليل ، لم يمكن أبناء الوطن القيام بكافة الأعمال التى تلزم لإدارة هذه المصلحة ، لعدم معرفتهم فى ذلك الوقت بإتقان لوازمها ، لقرب عهدها بينهم ، فلزم استخدام الأجانب معهم لتتميم ضرورياتها ، فإنه بعد إتمام الجزء الذى استعمل من السكة الحديد إلى وقت جلوس الخديوى اسماعيل باشا على التخت لم تستوف الشروط الضرورية لهذا العمل ، ولم يبن إلا محطة مصر وإسكندرية ، وأما باقى المحطات فكان فى بعضها أخصاص من خشب ، وفى بعضها بناء من الطوب النىء والدبش على هيئة غير هندسية .

وفى جميع المحطات كان الإقتصار على رصيفٍ للركاب ، من غير أن ينظر لراحتهم ووقايتهم من حر الصيف وبرد الشتاء ، ولا إلى ما يلزم للمحطات من الفرش وأدوات الجلوس والإستراحة ، بل كانت مجردة عن ذلك ، ولا إلى حركة الوابورات الواردة والصادرة ، على وجهٍ يجلب منافعها ويدفع مضارها .

والمحطتان المبنيتان ، وهما محطة مصر وإسكندرية ، وإن وجد فيهما بعض من المبانى اللازمة لتلقى أمتعة الركاب وبضائع التجار ، لكن لم يكن ذلك كافيا ما يلزم لهذه المصلحة ، فكان ما فيهما من الأبنية إما غير كافٍ للبضائع ، وإما غير مستوفٍ لشروط حفظها ، وإن أضيف إلى ذلك أن جميع المستخدمين بالمحطات ، كالوكلاء والمعاونين ، وجميع خدمة الوابورات والقطورات والمخازن ، كانوا بهيآت لا يتميزون بها عن بعضهم ، وأن أكثرهم كان من الأجانب الذين لا معرفة لهم بلغة هذه الديار ولا بأحوال أهلها ، يعلم أن الحالة التى كانت عليها السكة الحديد المصرية ــ فى تلك المدة ــ غير مستحسنة ، فلذا كانت عديمة الأرباح ، كثيرة الخسارة والمضرات ، داعية إلى النفور ، وليس ذلك هو الغرض المقصود من إنشائها .

وكان رؤساء المصلحة دائما حريصين على إستقامة أمورها ، لكن لما لم يزدد إيرادها ويحصل المقصود منها ، لم يتم لهم ذلك بل كانت النتيجة السنوية دائما بالعكس ، ولعل سببه : إما عدم وقوفهم على ما يناسب من الأعمال وإما أن الأعمال كانت لا تتم على الصورة المرغوبة لهم ، بسبب جهل المأمورين بمباشرة العمل ، فنتج من ذلك تلف أكثر المهمات والعربات والوابورات ، ولم تتدارك المصلحة تعمير ذلك فى أوقاته لأن إيرادها كان دائما فى النقص بخلاف / مصرفها ، وكانت ورشة العمليات المجعولة للعمارة غير كافية ولا مستوفية لشروط العمارة كما يجب ، إما لنقص بعض العدد والآلات ، وإما لقلة العمال . ٩٠

ومن كثرة الوارد على الورشة المذكورة من جميع الخطوط ، إمتلأت حتى لم يبق فيها متسع لما يعمر بها ، فاضطرت المصلحة لخزن بعض ذلك فى جهة القبارى وباب العزب ، وعلى الأشرطة المجعولة مخازن لذلك فى بعض المحطات المتوسطة .

ولم يكن سبب التلف ، ما ذكر فقط ، بل من أسبابه أيضا : رداءة الفحم ، وعدم السقائف فوق أشرطة المخازن ، لأن شدة حرارة الشمس فى فصل الصيف كانت تؤثر فى خشب العربات فتفصل ألواحها عن بعضها ، وكذلك إهمال دهنها ، وتراخى المفتشين والملاحظين ووكلاء المحطات ، حتى ترتب على ذلك ضياع أموال عظيمة باسم العمارة فى ورشتى بولاق وإسكندرية .

ومع ما كان يظهره المأمورون من الغيرة والإجتهاد ، كان التلف دائماً فى الازدياد ، حتى احتيج فى آخر زمن المرحوم سعيد باشا إلى الإستعانة بورشة (كازستين) ، الواقعة على شاطئ المحمودية بالإسكندرية .

ولما عظم مقدار المحتاج من الوابورات إلى التعمير ، وشوهد أن بقاء الأمر على ما هو عليه يضر بإدارة السكة الحديد ، ويوجب تأخرها وربما ينشأ عنه تعطيلها عن الحركة بالكلية ، صار القرار بإرسال جملة وابورات إلى بلاد الإنكليز لأجل تعميرها هناك .

وصدر الأمر بذلك من المرحوم سعيد باشا ، وشرع فى إرسالها بالفعل ، فلم ينتج من ذلك إلا ثمرات جزئية .

ولما آل أمر الحكومة إلى جناب الخديوى اسماعيل باشا ، وجه جل أفكاره السنية إلى تكميل السكة الحديد بما يلزم لها مما يجلب إليها رغبة الركاب والتجار ، لعلمه أن إيرادها تابع لقدر الرغبة فيها ، قلة وكثرة ، ومن المعلوم أن الرغبة لا تتم إلا بإتمام موجبات الحفظ والوقاية فى كل محطة ، مع مراعاة ما يلزم للركاب من الرفق بهم ، وحسن المعاملة معهم ، وتأمين أرباب البضائع على بضائعهم ، فصدرت أوامره السامية بما يلزم لهذه المصلحة والإعتناء بشأنها .

وفى أواخر سنة ١٨٦٨ ميلادية ، الموافقة سنة ١٢٨٥ هجرية ، قد حفّنى العزيز بأنظاره السنية ، وشملنى بإحساناته البهية ، وقلّدنى نظارة هذه المصلحة ، مع ما كان محالا علىّ من لدن سدّته من المصالح ، فأعملت فى ذلك جل أفكارى ، وصار الإهتمام ببناء جميع المحطات بسائر ملحقاتها وما يلزم لها ، حتى ظهرت فى أقرب وقت .

وكان أول ما حصل الإهتمام به على الخطوط القديمة والجديدة التى حدثت فى الوجه البحرى والقبلى محطة إسكندرية ، لأنها مجمع المتاجر الواردة والصادرة ، فمتى استوفت لوازمها وسهل الشحن والتفريغ بها ، وأمن التجار على بضائعهم من التلف ، أقبل الناس على استعمال السكة الحديد ، خصوصا إذا قلت الأجرة بها عن أجرة البحر .

وفى ذاك الوقت لم يكن بتلك المحطة مخازن للبضائع ، بل كان جميع الصادر منها وإليها مطروحا على أرض المحطة ، بين القطورات والوابورات ، حتى كانت براميل الزيتون والمائعات والأدهان مرمية مع الأخشاب ، وفى خلالها طرود الأقمشة ، وأصناف المنسوجات ، وأكياس القطن ، وزنابيل الحبوب فكان يعسر على المستخدمين نقلها ، وتكرر من أصحاب البضائع الشكوى ، لما كان يلحقهم من المصرف الزائد فى أجر العتالين والعربات ، لأن الأجرة ـ إذ

ذاك ــ كانت كثيرة ، وكانت العربة ــ إذ ذاك ــ لا تحمل إلا نصف حملها الآن بسبب عدم استواء أرض المحطة مع كثرة الأتربة ، الموجب كل ذلك لتعب الحيوانات وتعطيل السير ، لاسيما فى فصل الشتاء لزيادة بلل البضاعة بماء المطر ، وتلويثها بالطين والوحل .

ومع وجوب الإلتفات لهذه الأمور كلها ، كان هناك ما هو أهم منها ، كحفظ مهمات السكة كالعربات والوابورات من فعل الحرارة والرطوبة والأتربة ، وعماراتها بأوقاتها .

ولكون هذه المحطة ، كما قلنا ، مجمع جميع العربات والوابورات ، كان يجتمع بها الصحيح والمتخرب ، فكان خدمة المحطة إذا وجدوا المجتمع هناك قد زاد زيادة فاحشة يخفونه فى جهة القبارى ، وباب العزب ، وفوق سكة مريوط ، حتى إنى رأيت ــ وقت توجهى إلى تلك المصلحة ــ أربعمائة عربة متخربة فى تلك الجهة خاصة ، وكان الذى يعمر منها ــ مع قلته ــ يعمر بمهمات عربات أخرى ، فكانت عمارة العربة الواحدة تستوجب تخريب عربتين وأكثر ، وعمارة الوابور الواحد تستلزم تخريب وابور مثله .

وهذه الأمور كانت جارية من سنة إلى سنة ، وكثر التلف وعم حتى كان قطر الركاب يغير له الوابور مراراً ، من إسكندرية إلى مصر ، واشتهر هذا الأمر ، وكثر لغط الناس به ، واستوجب زيادة النفرة عن السكة الحديد ، وعدلوا إلى ركوب البحر ، فرأيت أن الواجب علينا ، لتحقيق ما أملته الحضرة الخديوية ، أن نبذل غاية الجهد فيما يقوم بشعائر تلك المصلحة ، ويزيل النفرة عنها ويجلب الرغبة فيها ، فشمرت عن ساعد الجد ، وبذلت الجهد وشرعت فى عمل الطريق الجالبة للرغبة ، وصيانة المهمات وعمارتها .

وأول أمر إلتفت اليه تنظيم الطرق الموصلة للمحطة ، ودكها بالدقشوم وملئها بالرمل ، ليسهل على عربات الكراء السير عليها مع تمام حملها ، وتزول / المشقة التى كانت قبل ، ثم تسوية المحطة جميعها ودكها أيضا بالدقشوم والرمل ، مع تجديد أرصفة غير القديمة ، بعضها فى الجهة المجاورة للمحمودية ، وبعضها فى الجهة المجاورة للقبارى ، وتخصيص كل بما يليق من

٩١

البضائع ، وأعطيت تلك الأرصفة من الأبعاد والإمتداد ما يلزم لها ويكفى الصادر والوارد ، حتى أمكن رسوّ ست قطورات أو ثمانية عليها فى آن واحد ، وجعلت موصلة لطرق عربات الكرّ ، وبحيث لا يكون عائق للعربات عن أن تصل إلى محل البضاعة ، فيستغنى بذلك عن العتالين فى كثير من الأحوال ، وصار نصب سقيفتين عظيمتين فوق تلك الأرصفة وجدت إحداهما فى المصلحة نفسها ، كانت ملقاة من زمن مديد على ساحل البحر ، حتى أكل الصدأ والتراب كثيراً من قطعها ، فاشترُى لها مهمات كملت بها ، ونصبت هناك على يسار الوارد على المحطة .

والثانية جلبت من البلاد الأجنبية فى ضمن مهمات وآلات ، وسقيفة أخرى لمحطة الحوض بالسويس صارت التوصية على الجميع من الحكومة الخديوية ، وهى المشاهدة فى جهة المحمودية عن يمين الداخل على المحطة ، وجُعلت أرصفة منها لشحن أخشاب العمارات والأخشاب الداخلة فى جهات القطر ، وأرصفة للأقطان والأبزار والحبوب وغير ذلك ، فنتج من هذه الأعمال ثمرات عظيمة للمصلحة ، وكثر إيرادها لأن التجار لما علموا سهولة الشحن والتفريغ وصيانة بضائعهم ، أقبلوا على السكة الحديد وقلّ سفر البحر .

ولكن دفع جميع المضار كان متوقفا على نصب سقائف فى محطات مجمع الوابورات مثل محطة كفر الزيات وبنها ، والزقازيق ، والمحروسة ، وعلى تعدد ورش العمارة ، لكن عظم المصرف اللازم لذلك أوجب تأخير بعضه والإقتصار على الممكن منه .

وقد رُخِّص فى محطة إسكندرية بإحداث ورشة مؤقتة ، وجلب ما يلزم لها من العمال والأسطوات ، وأحيل عليهما العمارة الخفيفة ، وحصل مثل ذلك فى محطتى بندر السويس وكفر الزيات ، وفى ورشة العربات فى محطة مصر ، وأجرى تكميل الآلات الناقصة بما جلب من الخارج بالشراء وما وجد فى المصلحة نفسها ، وترتب وابور لوكوموبيل لإدارة الجميع ، وصار امتداد أشرطة حديد داخل الورشة متصلة بالسكة الأصلية .

ولأجل استقامة العمل وظهور نتيجته ، عمل لذلك استمارات وزعت على كافة الورش ، وصار ترتيب ملاحظين على جميع الخطوط من المهندسين الميكانيكيين ، ليشاهدوا الوابورات والعربات فى حال الحركة والسكون ، ويكتبوا جميع ما يشاهدونه مما يخص المصلحة ثم يعرضون ما كتبوه لديوانها ، لتأمر بما يلزم من عمارة ، أو إيقاظ السواقين لصيانة العدد ، أو تنبيه الوكلاء وخدمة المحطات على زيادة الإلتفات وإجراء ما يلزم فى حفظ المهمات وصيانتها ، فكان ذلك يحمل المستخدمين على زيادة الملاحظة وإعمال الأفكار فيما هو مطلوب منهم ، فحصل من ذلك نتائج حسنة .

لكن لم تعظم المنافع إلا بعد تنظيم ورش العمارة الوقتية ، واستيفاء أشرطة لتخزين الوابورات فى محطة الإسكندرية وفى المحطات الوسطى ، وبناء المساكن الكافية للمستخدمين .

وأهم من ذلك إتمام تنظيم ورشة العمليات ، فإنها لذلك الحين كانت عبارة عن أرض متسعة ، مشتملة على كثير من المبانى الخربة خلال العنابر والمخازن ، وبها برك عفنة وليست مستوفية للأشرطة اللازمة ، وكان الموجود من ذلك على هيئة غير مرضية بحيث كان يحتاج فى إخراج كل عربة أو وابور ، مما هو مخزون به ، إلى ضياع كثير من الزمن واستعمال جملة من الأنفار .

وكانت المهمات ، على اختلاف أنواعها من صالح وغير صالح ، مختلطة ببعضها بحيث يتعسر أخذ ما يلزم منها لكثرتها وتراكمها فوق بعضها حتى صارت تلولا ، وكانت تحتاج إلى العتالين فى نقلها من المخازن أو إليها ، وعنابر العدد ، وإن كان بها كثير من العدد والآلات ، إلا أنها كانت معطلة لنقص بعضها ، وعلو الصدأ والأوساخ على الباقى لإهماله ، وكان كل ما تجدد بها شىء رجع إليها ثانيا متخربا بعد أيام قلائل ، بل ربما رجع إليها فى يومه .

ولم يكن هناك استمارات لبيان عمل كل عامل ولا قوانين لبيان ما يلزم السواقين فى الخطوط ، والملاحظين فى الورش ، وكان أغلب السواقين ليس فيه الإستعداد اللائق لوظيفته

وكثير منهم دخل بلا إمتحان وشهادة تدل على أهليته لتلك الوظيفة ، وأكثرهم كان من أولاد العرب العطشجية ، لا يدرى ما يختص بالبخار وأحواله ، بل يجهل جميع ما يتعلق بالسكك الحديد والوابورات ، ويندر فيهم من يعرف الكتابة والقراءة ، وكل ذلك مما لايخفى ضرره .

وكانت المصلحة ، مع عدم خفاء ذلك عليها ، تغض الطرف عما يقع منهم بسبب قلة مرتباتهم ، وترى أن فى ذلك وفرا وربحا عن استخدام المتقنين للصنعة من الإفرنج وغيرهم ، بسبب زيادة مرتباتهم ، مع أنها لو نسبت ما يوفره المتقنون للصنعة مع زيادة مرتباتهم إلى ما يصرف فى عمارة ما يفسده غير المتقنين لها ، لعلمت أن كثرة مرتبات المتقنين قليلة بالنسبة لذلك ، فكانت ترجع عن هذا الرأى ، وتأخذ فى إبعاد كل جاهل بالمصلحة ، وتنتخب من / تلامذة المدارس جملة ، تربيهم فى الورش حتى يتقنوا ذلك الفن ، ويتأهلوا للقيام بتلك المصلحة على الوجه المرغوب ، ولا تستعمل من الخدمة إلا من له قدرة على القيام بما فيه الأرجحية إلى حين تمام تربية التلامذة واستعدادهم .

ولو قدّر وشرع فى هذه الفكرة من وقت إنشاء السكة ، لصار الاستحصال بعد ذلك بسنين قليلة على جميع اللازم من المستخدمين ، فتزول المضار ، وتجلب المنافع والفوائد العظيمة من تلك المصلحة ، ولكن حصل السكوت عن ذلك إلى زمن الخديوى إسماعيل باشا ، فصدرت أوامره السنية بإنشاء مدرسة العمليات ؛ بقصد تربية تلامذة من أبناء الوطن ، يقومون بوظائف هذه المصلحة وأمثالها من سواقين ومهندسين للوابورات البرية والبحرية .

وفى أثناء تلك المدة صار الإهتمام بتعمير المتخرب من الوابورات ، البعض فى ورشة المصلحة والبعض أرسل إلى بلاد الإنكليز ليعمر هناك بالأجرة ، ورتبت رجال العمارة بالنسبة لدرجاتهم فى الإستعداد ، وكذا السوّاقون ، وعملت جداول لجميع الوابورات مشتملة على تاريخ مشتراها ، وبيان الورش التى جلبت منها ، وعدد العمارات التى حصلت لكل وابور على حدته ، ومقدار الأميال التى مشاها ، وكمية ما نقله من البضائع ، وكل ذلك ليتأتى مقارنة

بعضها ببعض ، ومعرفة درجات إستعداد السواقين ، وتقرر عدد الوابورات التى يلزم إدامة حركتها على الخطوط بالنسبة لطول الأشرطة المصرية ، وعدد الوابورات اللازم بقاؤها بالمخازن لوقت الحاجة ، ولا تشغل إلا بأوامر مخصوصة تصدر من ناظر مصلحة العموم.

ثم صار النظر فى ترتيب المحطات ، وعملت لوائح الإجراءات ووزعت عليها ، وصار ترتيب المعاونين للأرصفة والمخزنجية ونقلهم بحسب الإستعداد وأهمية المحطات ، وجعل أغلبهم من أبناء المدارس المتعلمين فى ظل الحضرة الخديوية ، الذين صار لهم معرفة بفن التلغرافات ، ونقل كثير من الإفرنج إلى وظائف تليق بهم ، فحسن بذلك حال المصلحة ، وسارت فى طريق الإستقامة حيث صار جميع خدمة تلك المصلحة عارفين بحدود وظائفهم ، وما لهم وما عليهم ، على حسب مقصود الحضرة الخديوية التى غمرتهم فى بحار إحسانها ، وأخذ الإيراد ينمو والتلف يضمحل حتى كأنه لم يكن.

ومن الاعتناء بأمر راحة الركاب فى كافة المحطات وفوق الخطوط ، إزدادت رغبتهم ومالوا بكليتهم إلى ركوب السكة الحديد ، لاسيما بعد نقص الأجرة المقدرة من قديم لكل درجة ، فقد كانت عالية خصوصاً الدرجة الثالثة ، فإنها كانت مع كثرة أجرتها لا راحة فيها للركاب ، فإن أغلبها كان يشبه عربات البهائم ، وكانت مكشوفة للرياح والأتربة وحر الصيف وبرد الشتاء ، مع عدم تلطف خدمة القطورات بهم ، فكانوا دائما ساخطين على المصلحة ، لا يرغبون فى ركوبها إلا لضرورة شديدة. بخلاف ما هى عليه الآن ، فقد جعل لأغلبها سقائف ودرابزينات ، وتوزعت على الخطوط واستعملت فى الدرجة الثالثة بأقل من الأجرة الاولى ، وصار إلزام خدمة القطورات بملاطفتهم وحسن معاملتهم.

ولما كان مدار إيراد المصلحة على التجارة كان الإعتناء بشأنها ألزم من غيره ، لأن أجرة الركاب قد لا تفى بالمصاريف خصوصاً قطارات الدرجة الأولى ، فإن مصاريفها أكثر من

إيرادها ، فصار النظر فيما يوجب رغبة التجار فى إستعمال السكة فى متاجرهم ، فوجد أن اللازم لذلك ثلاثة أشياء :

الأول : نقص أجرة البضاعة فى السكة الحديد عما يصرف عليها لو سافرت براً أو بحراً .

والثانى : الإسراع بها حتى تصل المحل المنقولة إليه فى زمن أقل مما كان يلزم لنقلها بغير السكة الحديد .

والثالث : حفظها من جميع الغوائل كالحرق والسرقة والبلل وغير ذلك .

فأما الثانى والثالث ، فقد تما بما عمل من الاستمارات التى نشرت فى جميع المحطات ، وبما بنى من السقائف ، وما جعل لتغطية العربات .

وأما الأمر الأول ، وهو أهمها ، فقد عمل بخصوصه جميع وسائط الترغيب مثل : عقد تعهدات مع التجار بنقص قدر معلوم من أجر بعض الأصناف لمشاهير التجار ، وبنقص عشرة أو أكثر فى المائة من جملة أجرة المنقول فى كل ثلاثة أشهر أو ستة أو سنة ، وربطت لها درجات ، وحررت بذلك تعريفة مؤقتة طبعت ونشرت على المحطات والدواوين وأكابر التجار ووجوه الناس ، وحدد لكل عربة قدر ما تحمله ، ورتبت جملة ملاحظين لمباشرة ذلك بالضبط ، حتى لا تسير العربات إلا بأحمالها الكاملة

ومع كون هذه المسألة من أهم المسائل كانت غير ملتفت إليها ، وكثيراً ما كان القطر المركب من أربعين عربة وحمولته مائتا طن ، لا يحمل إلا ربعه أو نصفه ، مع أن المصلحة تصرف على الوابور مصرفه كاملا .

وهذا ضرر بيّن ، موسع لدائرة الخلل ، معطل للتشهيل .

فبتلك الأعمال الجليلة ، عظمت رغبة التجار فى إستعمال السكة الحديد ، وانهلّت البضائع على إختلاف أنواعها على جميع المحطات تجارية وزراعية ، حتى البطيخ ، والخيار ، والأسماك ، والحجر ، والدبش ، والرمل ، والحطب ، والسباخ .

٩٣ لكن لم يكمل مرغوب / المزارعين من نقل محصولاتهم إلى الاسواق أو إلى بلد أخرى من مراكز التجارات الريفية ، لأن هناك موانع كثيرة تمنعهم من هذه الأغراض مثل : بعد الخطوط عن البلدان فى كثير من الجهات ، وبعد كثير من البنادر والقرى الشهيرة والأسواق عن تلك الخطوط ، وكذلك بعد بعض المحطات عن بعض ، أو كونها فى مواضع غير موافقة وغير ذلك .

وهذه المسألة لأهميتها تستوجب على المأمورين إدامة البحث والنظر فيما يرفع هذه الموانع ويوفى برغبة الأهالى ، حتى يتمكنوا من جميع أغراضهم ، وهذا لا يكون إلا بقدح الفكر ومباشرة العوائد زمناً . وكثيراً ما قدح نظار هذه المصلحة أفكارهم فى ذلك ، ولم يفوزوا بالمقصود إلى الآن ، ولم تنتفع مصلحة السكة الحديد إلا بنقل شىء يسير من محصولات الزراعة ، مع أنها لو توصلت إلى ذلك لنما إيرادها به نمواً عظيماً ، وربما كان قدر الموجود الآن مرتين أو أكثر.

وما فضل المصلحة إلا باتساع دائرة أعمالها داخل بلادِ القطر ، إذ كان يحصل النفع لها بكثرة الإيراد ومنها لأهل الوطن بتوفير الأجرة عليهم ، فيتحصلون على أرباح عظيمة من البيع بالأثمان الموافقة فى الأوقات اللائقة ،فإن سير التجارة الآن لم يكن كسيرها السابق ، بل فى اليوم الواحد أو الأسبوع بسبب التلغراف الكهربائى الواصل لجميع البقاع ربما تتغير قيمة الصنف والرغبة فيه مراراً ، فيحصل الإسراع للمقصود والفوز به فى وقته بواسطة السكة الحديد ، ومن يتأمل يرى حقية ذلك ولا ينكره .

ولم نذكر جميع ما صار فى باقى المحطات ، لأنا سنذكر كلاً فى محله ، ونكتفى هنا بما ذكرنا ، وإنما نورد الجدول الآتى لبيان محطات السكة بالإختصار :

مطلب بيان عدد خطوط
ومحطات الوجه البحرى

الخط الطولى من مصر إلى إسكندرية

الزمن الذى يستغرقه السفر على هذا الخط ، بوابورات الأكسبرس ، أربع ساعات ونصف ، وبغيره ٦ ساعات ، وعدد محطاته اثنا عشر ، وبيانها :

محطة الإسكندرية ، محطة كفر الدوار ، محطة أبى حمص ، محطة دمنهور ، محطة إيتاى البارود ، ومنها يبتدىء خط قبلى ، محطة كفر الزيات ، وعادة يتعاطى فيه السياحون الطعام ، محطة طندتا ـ وهى طنطا ـ محطة بركة السبع ، محطة بنها العسل ، محطة طوخ ، محطة قليوب ، محطة القاهرة .

خط السويس من بنها

الزمن الذى يستغرقه السفر على هذا الخط ٩ ساعات أو ١٠ ، وعدد محطاته ١٢

محطة بنها العسل ، محطة منية القمح ، محطة الزقازيق ، وفيها يتعاطى المسافرون الطعام ، محطة أبى حماد ، محطة التل الكبير ، محطة المحسمة ، محطة النفيشة ، محطة السيرابيوم ، محطة فائد ، محطة جنيفة ، محطة الشلوفة ، محطة السويس .

خط قليوب إلى الزقازيق

يشتمل هذا الخط على سبع محطات :

محطة قليوب ، محطة نوى ، محطة شبين القناطر ، محطة انشاص الرمل ، محطة بلبيس ، محطة بردين ، محطة الزقازيق .

خط المنصورة من الزقازيق إلى المنصورة

زمن السفر فيه ثلاث ساعات ونصف ، ويشتمل على ست محطات كذلك : محطة الزقازيق ، محطة هيهيا ، محطة أبي كبير ، محطة أبي الشقوق ، محطة السنبلاوين ، محطة المنصورة .

خط دمياط من طندتا

زمن السفر فيه أربع ساعات ، وعدد محطاته ثمانية وبيانها :
محطة طندتا ، محطة محلة روح ، محطة المحلة الكبيرة ، محطة سمنود ، محطة طلخا ، محطة شربين ، محطة كفر الترعة ، محطة دمياط .

خط دسوق من محلة روح

مدة سفرة ساعتان ، وعدد محطاته خمسة ، بعد محلة روح ودسوق .
محطة محلة روح ، محطة قطور ، محطةنشرت ، محطة شيامى ، محطة دسوق .

خط زفته من محلة روح

مدة سفره ساعة ونصف ، وعدد محطاته أربعة :
محطة محلة روح ، محطة القرشية ، محطة الصنطة ، محطة زفته .

خط ميت بره من بنها

مدة سفره نصف ساعة ، بما فيه من تعدية البحر ، وهو خط واصل من بنها إلى ميت بره ، من دون محطات بينهما ، سوى تعدية البحر .

خط القناطر الخيرية من قليوب

هذا الخط واصل من قليوب إلى القناطر ، من دون توسط محطات بينهما .

مطلب بيان عدد خطوط
ومحطات الوجه القبلى

خط المنية من انبابه

مدة السفر فيه تقرب من عشرة ساعات ، وعدد محطاته إحدى عشرة محطة ، وبيانها :

محطة انبابة ، محطة الجيزة ، محطة البدرشين ، محطة الواسطة ، محطة اشمنت ، محطة بنى سويف ، محطة مغاغة ، محطة بنى مزار ، محطة قلوصنا ، محطة سملوط ، محطة المنية .

خط الفيوم من الواسطة

مدة سفر هذا الخط ساعة وربع ، وليس بين مدينة الفيوم والواسطة إلا محطة واحدة هى : محطة أبى قصا .

خط أسيوط من المنية

هى تسع محطات وبيانها :

محطة المنية . محطة قرقاص ، محطة الروضة ، محطة ملوى ، محطة ديروط ، محطة نزالى أبى جنوب ، محطة أبى قره ، محطة منفلوط ، محطة أسيوط .

التلغراف المصرى

جملة الخطوط التلغرافية فى الحكومة المصرية ، الممتدة فى داخل الأقطار المصرية والسودانية ، إلى غاية سنة ١٢٩١ هجرية ، مبلغ ٨٣٥٩ ميلاً إنكليزياً ، وهى عبارة عن ١٠٩٩٤ / كيلو متر ، والذى كان موجوداً من ذلك لغاية مدة المرحوم سعيد باشا ، كما تقدم ، هو ٢٣٤٩ كيلو متر ، فيكون ما صار تجديده فى عهد الخديوى اسماعيل هو ٨٦٤٥ كيلو متر ، وهو قدر الموجود من قبل أربع مرات تقريباً .

٩٤

وهذا خلاف ما هو مشروع فيه من مدة ، من مصر إلى أسيوط وإلى إسكندرية بطريق الساحل ، وخلاف الجارى من مدة أيضا فى الأقطار السودانية ، مثل خط اسفار والمكسه وكردفان وغيره .

وبمقارنة طول ما هو موجود الآن فى الحكومة المصرية ، بطول الموجود من ذلك فى كثير من ممالك أوروبا ، يعلم أن الموجود من ذلك بالحكومة المصرية يفوق الموجود منها فى بلاد : سويد ، والبلجيك ، والدينمارك ، وبلاد الفلمنك ، والبرتغال .

وعدد المحطات بالديار المصرية فقط ٧٧ ، وإن صار مقارنة حركة التلغرافات المصرية بحركة غيرها فإنها توجد غير بالغة غايتها ، كما هو حاصل فى أكثر بلاد أوروبا ، وأسباب ذلك أن كثيراً من المصريين لم يتحولوا عن عادتهم القديمة ، بل مستمرون على حرمان أنفسهم من استعمال هذه الواسطة المفيدة ، ولو ذاقوا ثمراتها لازدحموا عليها .

ومع ذلك فقد بلغ عدد الأخبار التى تناولتها التلغرافات المصرية فى سنة ١٨٧١ ميلادية ٥٧٠ ألف خبر ، وهى أكثر من الأخبار التى تناولتها تلغرافات بلاد الدينمارك وهى ٤٢٠ ألف خبر ، وقريب من الأخبار التى تناولتها تلغرافات بلاد نورويج وهى ٦٠٣ ألف خبر ، وتقرب أيضا من ٦١٢ ألف خبر تناولتها بلاد البرتغال .

وبإسقاط عدد الأخبار الخارجية من المجموع السابق ، والإقتصار على الأخبار المختصة بأهل الديار المصرية ، يكون عددها ٥٦٠ ألف خبر ، وبنسبته إلى تعداد الأهالى يخص كل ألف نفس مائة وعشرون خبراً .

وإن عملت المقارنة فى بلاد آسيا ، يوجد أن الألف من أهل تلك المملكة يخصها ٦٢ خبرا ، أعنى نصف ما خص أهالى مصر ، وإن فعل مثل ذلك فى ايتاليا ، يوجد أنه يخص الألف ١١٨ فبواسطة ذلك يعلم أن مصر قد فاقت هاتين المملكتين .

وبيان جملة خطوط التلغرافات المصرية كما ترى :

	ميل إنكليزى		ميل إنكليزى
ستة خطوط من مصر إلى إسكندرية	٨٣٤	خطان من قنا إلى اسوان	٣٢٠
خطان من خطوط كتريق بدائر مصر	١٠٠	خطان من أسوان إلى وادى حلفه	٤٢٠
خطان من مصر إلى القناطر الخيرية	٣٦	خطان من وادى حلفه إلى قبةسليم	٢٩٠
خطان من مصر بطريق بنها	٥٦٦	خطان من قبة سليم إلى الأوردى	١٢٠
خط واحد من مصر إلى السويس	١٥١	خطان من الأوردى إلى أبى دوم	٢٣٠
خطان من مصر إلى المنصورة	١٩٢	خطان من أبى دوم إلى بربر	٤٩٠
ثمانية سلوك متوسط عدد دوائر كل من مصر وإسكندرية	٢٤٠	خطان من بربر إلى شندى	٢١٠
		خطان من شندى إلى الخرطوم	٢٢٤
خطان من بنها إلى ميت بره	١٨	خطان من كسله إلى سواكن	٦٠٠
خطان أو سلكان من بنها إلى الزقازيق	٢٤٦	من بربر إلى كسله	٤٠٠
خطان من طنطا إلى سمنود	٢١	خطان من قنا إلى القصير	٢٣٤
خطان من سمنود إلى دمياط	١٢٣	خطان من كسله إلى مصوّع وفروعه	٤٤٠
خطان من طنطا إلى زفته	٦٦	خطان من الخرطوم إلى المسلمه	١٦٠
خطان من طنطا إلى ميت أبوالكوم	٣٨	من السويس إلى الإسماعيلية وبورت سعيد	١٠٠
خطان من طنطا إلى دسوق	٩٢	خطان من بيا إلى الروضة	١٨٠
من الإسماعيلية إلى بورت سعيد	٤٦	خطان فرع أبى تيج قبلى اسيوط	١٠
من القنطرة إلى بورت سعيد	٢٦	فرع الفيوم هو من الواسطة إلى الفيوم ومنها إلى أبى اكساه	٤١

خطان من دمنهور والعطف إلى رشيد	١١٢		
خطان من أبي كبير إلى الصالحية	٥٠	من مصر إلى إيتاى البارود بالبر الغربي	٧٤
خطان من مصر إلى حلوان	٤٠	خطان من محطة السويس إلى محطة الحوض	٣
خطان من مصر إلى المنية	٣٤٤	خطان من مكتب الكبانية الشرقية بمينة إسكندرية إلى مكتبها بالقبارى	١٢
خطان من المنية إلى أسيوط	١٨٠		
خطان من أسيوط إلى قنا	٢٨٠		

ومجموع ذلك ٨٣٥٩ ميلاً إنكليزياً ، وهذا هو الجارى استعماله لغاية سنة ١٢٩١ هجرية .

وأما الخطوط المشروع فى تركيبها فى وقتئذٍ فهى :

	ميل إنكليزى		ميل إنكليزى
خط كردفان سلك واحد	٤٠٠	خط سنار مثله	١١٠
خط السلمية إلى أبى حراز	٥٠	من مصر إلى اسيوط	٢٥٠
من مصر إلى اسكندرية بطريق إيتاى البارود	١٥٠	من اسكندرية إلى رشيد بطريق الساحل	٩٠

ومجموع ذلك ١٠٥٠ ميلاً إنكليزياً إذا أضيف إلى ما تقدم بيانه يكون مجموع سكك التلغراف المصرى ٩٤٠٩ أميال إنكليزية ، وهى عبارة عن ١٥٠٥٤ كيلومتر ، كل كيلومتر ألف متر .

وخلاف تلغراف الحكومة تلغراف تعلق قومبانية القنال ، من بورت سعيد إلى السويس على طول القنال وقدره ٢٠٥ أميال إنكليزية ، وتلغراف آخر تعلق كبانية مالطة ، وأخباره منها ما يصل من إسكندرية إلى السويس باتباع السكة القديمة الخارجة من مصر مارة فى الصحراء ، وهى خطان طولها ٤٥٨ ميلا ، ومنها ما يصل باتباع السكة الجديدة ، وطوله ٤٥٠ ميلا إنكليزيا ، فيكون مجموع أميال تلغراف الكبانيتين ١١١٣ ، وبإضافته إلى تلغراف الحكومة المصرية ، يكون جميع الخطوط التلغرافية بالديار المصرية والأقطار السودانية ١٠٥٢٢ ، عبارة عن ١٦٨٣٥ كيلومتر .

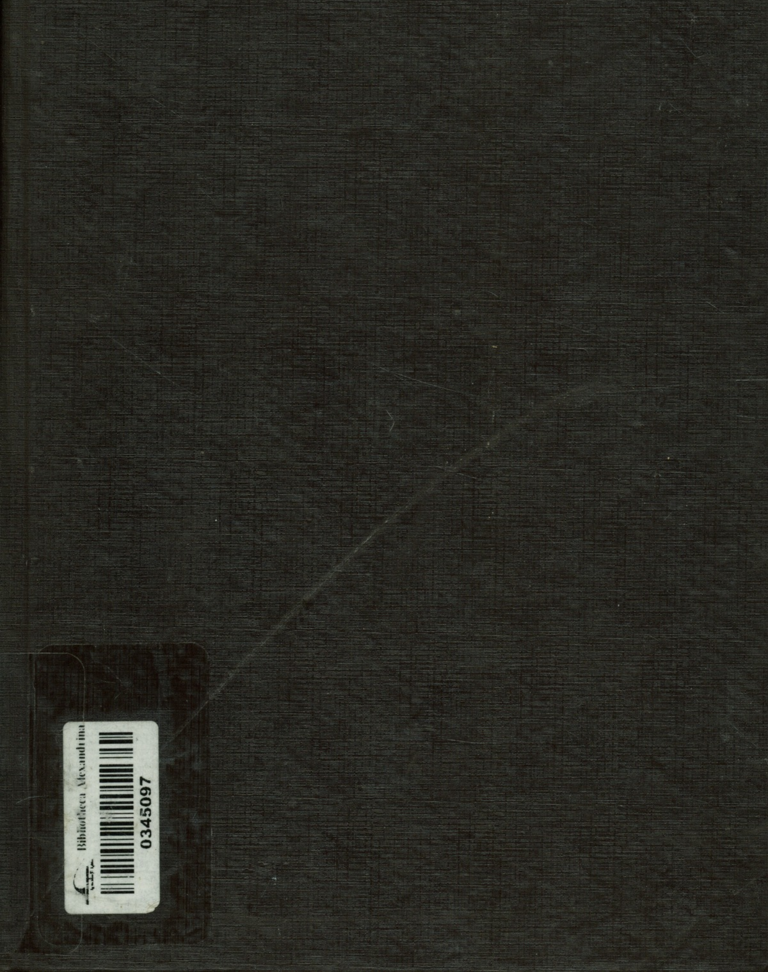
تم الجزء السابع ويليه الثامن أوله

ذكر مدن مصر وقراها الشهيرة . التى لها ذكر فى التواريخ وغيرها . مرتبة على حروف المعجم

مطابع الهيئة المصرية العامة للـكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٥١٢٤/٨٧

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٤٧٨ - ٢


Bibliotheca Alexandrina
03345097